

نظم الدرر

في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي

بالقاهرة



(١)و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم(١)

(٢)قال الشيخ الإمام العالم العلامة ذو الفنون العديدة ، و التصانيف المفيدة ، و الأقاويل السديدة ، أبو الحسن(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط(٣) بن على بن أبى بكر البِقَاعى(٤) الشافعى (٥)رحمه الله تعالى آمين(٥) : ٥

(١-١) هكذا ثبتت العبارة فى النسخة المخزونة بالرباط - المراقش التى جعلناها أصلا وأساسا للتن ، وكذا فى نسخة مكتبة المدينة و رمزها « مد »و موضعها فى نسخة دار الكتب المصرية و رمزها « م » : رب زدنى علما يا فتاح .

(٢-٢) فى م و مد : قال أفقر الخلائق إلى عفو الخالق ؛ وفى الأصل : أبو اسحاق - مكان : أبو الحسن ، والتصحيح من الأعلام للزركلى ج ١ ص ٥٠ وعكس المخطوطة أمام ص ٥٦ و هامش الأنساب للسمعانى ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٣) ضبطه فى الأعلام بضم الراء وتخفيف الباء .

(٤) ضبطه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى رحمه الله فى تعليقه على الأنساب ج ٢ ص ٢٨٠ و قال : البقاعى بكسر الموحدة و فتح القاف مخففة و بعد الألف عين مهملة بلد معروف بالشام ينسب إليه جماعة أشهرهم الإمام المفسر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى أبو الحسن برهان الدين من أجلة أهل القرن التاسع له عدة مؤلفات ولد سنة ٨٠٩ و توفى سنة ٨٨٥ - اه .

(٥-٥) فى م و مد : لطف الله بهم أجمعين ، إلا أن لفظ «اجمعين» ليس فى مد . =

الحمد لله الذى أنزل الكتاب متناسبا سوره و آياته ، متشابها فواصله و غاياته ؛ و أشهد أن لا إله إلا الله الذى تمت كلماته ، و عمت مكرماته ، و أشهد أن سيدنا محمدا عبده الذى ختمت به نبواته ، و كملت برسالاته[1] رسالاته ؛ توالت عليه و على آله و أصحابه و أزواجه و ذريته و أحبابه ٥ صلواته ، و تواتر تسليمه و بركاته ما دامت حياته و بقيت ذاته و صفاته .

و بعد فهذا كتاب عجاب ، رفيع الجناب ، فى فنٍ ما رأيت من سبقنى إليه ، و لا عول ثاقب فكره عليه ؛ أذكر فيه إن شاء الله مناسبات ترتيب السور و الآيات ، أطلت فيه التدبر و أنعمت فيه[2] التفكر لآيات الكتاب ، امتثالا لقوله تعالى " لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ[3] "، ١٠ و استنانا بما أشار إليـــه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه و رضى عنه فيما خرجه[4] البخـارى [5]فى الجهاد[5] و غيره عن أبى جُحَيفة قال : قلت لعلى رضى الله عنه : هل عندكم شيء من الوحى إلا ما فى كتاب الله ؟ قال : لا و الذى فلق الحبة و برأ النسمة ! ما[6] أعلمه إلا فهم[7]

= و العبارة من «وآله» إلى هنا ليست فى نسخة المكتبة الظاهرية و رمزها «ظ» .

(١) فى م ومد وظ : برسالته . (٢) ليس فى م ومد وظ .

(٣) سورة ٣٨ (ص) آية ٢٩ .

(٤) فى م وظ : اخرجه .

(٥-٥) ليس فى م .

(٦) فى النسخ كلها : لا ، و فى البخارى : ما ، و قول على رضى الله عنه نقل من البخارى فأثبتناها .

(٧) فى ظ : فهما ، و فى متن البخارى كذلك ، و على حاشيته : فهم .

يعطيه الله رجلا فى القرآن و ما فى هذه الصحيفة - الحديث؛ و تعرضا لنفحات ما أشار إليه ما أخرجه البخارى و غيره عن عبد الله بن عمر[١] رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: بلغوا[٢] عنى و لو آية، و البخارى و غيره أيضا عن أبى بكرة[٣] و غيره رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه و سلم قال: ليبلغ[٤] الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع؛ و وقوفا ٥ على الباب الذى اطلع عليه حبر الأمة و بحر علومها الجمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فيما رواه الشيخان و الطبرانى [٥]و هذا[٥] لفظه: إنه رضى الله عنه كان فى بيت خالته ميمونة رضى الله عنها[٦] فوضع للنبى صلى الله عليه و سلم طهورا فقال النبى صلى الله عليه و سلم: من وضعه؟ قيل: ابن عباس - رضى الله عنهما! قال: فضرب على منكبى و قال: اللهم! فقهه[٧] فى الدين ١٠ و علّمه التأويل. و روى عنه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى مقدمة تفسيره و الإمام أبو بكر بن الأنبارى فى مقدمة كتاب الوقف

(١) فى ظ و مد: عمرو.

(٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فابلغوا.

(٣) من م و مد و ظ، و هو الصحيح لما فى البخارى: عن عبد الرحمن بن أبى بكرة، و فى الأصل: بكر.

(٤) زيد فى م: عنى.

(٥ - ٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: هذا و - كذا.

(٦) و فى مد: عنهما.

(٧) فى م: فقه.

و الابتداء أنه قال رضي الله عنه: تفسير القرآن على أربعة وجوه[1]: تفسير يعلمه العلماء، و تفسير يعرفه[2] العرب، و تفسير لا يُعذر أحد بجهالته، و تفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادّعى علما[3] به فهو كاذب؛ [4]و قال شيخ الإسلام ولى الله محيي الدين النواوى فى آخر كتاب الغسل ٥ من شرح المهذب: و يحرم تفسيره بغير علم و الكلام فى معانيه لمن ليس من أهله، و هذا مجمع عليه، و أما تفسير العلماء فحسن بالإجماع[4]؛ فأمدنى[5] فيه و الحمد لله تأييد سماوى فجعلته كالرديف لتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوى. و لعل تسهيله كان ببركة مبشرة[6] من آثار النبوة رأيتها فى صباى و أنا فى حدود العاشرة من سنى فى قريتنا من بلاد البقاع،

---

(١) قال الشيخ العارف بالله أبو محمد روزبهان ابن أبي النصر البقلى الشيرازى فى تفسيره المسمى بعرائس البيان فى حقائق القرآن ما نصه: قال جعفر بن محمد: كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام و الإشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء. وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه: ما من آية إلا و لها أربعة معان: ظاهر و باطن و حد و مطلع، فالظاهر التلاوة و الباطن الفهم و الحد هو احكام الحلال و الحرام و المطلع هو مراد الله من العبد به، قيل: القرآن عبارة - الخ؛ لمزيد التفصيل فليراجع ج ١ ص ٤.

(٢) فى م ومد: تعرفه.

(٣) زيد فى م و ظ: يعنى علما.

(٤ - ٤) ليست هذه العبارة فى ظ و لفظ «الدين» فقط ليس فى م.

(٥) من م و مد و ظ؛ و فى الأصل: فامدى.

(٦) و فى م و مد: مبشر.

رأيت روح القدس جبريل المنزل لهذا الروح و المؤيد بروح القدس محمدا[1]
النبي[2] المنزل عليه هذا الروح صلى الله عليهما [3] و سلم[3] في صورتي شابين أمردين
في أحسن صورة راكبين فرسين أخضرين في غاية الحسن متوجهين نحو
المشرق؛/ فأيدني الله[4] ببركتهما، [5] في تفسيره و تصنيفه[5] بروح منه، كما /٣
يشهده من طالعه[6] و تدبره - و الله ولي التوفيق! و سميته «نظم الدرر ٥
في تناسب الآيات و السور» و يناسب أن يسمى «فتح الرحمن في تناسب
أجزاء القرآن» و أنسب الأسماء له «ترجمان القرآن و مبدي مناسبات
الفرقان». و علم المناسبات الأهم[7] من مناسبات القرآن و غيره [علم -[8]]
تعرف منه علل الترتيب. و موضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من
حيث الترتيب، و ثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء[9] بسبب ما له ١٠
بما وراءه و ما أمامه من الارتباط و التعلق الذي هو كلحمة[10] النسب؛

---

(١) من ظ، و في الأصل و م و مد: محمد.

(٢) زيد في م و ظ و مد: الأمي.

(٣ - ٣) ليس في ظ.

(٤) زيد في مد: تعالى.

(٥ - ٥) ليست في مد؛ و في م و ظ: في تصنيفه.

(٦) في م: يطالعه.

(٧) في م و ظ: الاعم.

(٨) زيد من م و ظ.

(٩) من م و ظ، و في الأصل و مد: الجزا.

(١٠) من م و ظ، و وقع في الأصل و مد: كلمة - كذا مصحفا.

فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، و هو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعانى[1] لما اقتضاه[2] من الحال، و تتوقف الإجادة[3] فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها . و يفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم فى غاية النفاسة و كانت ٥ نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو . و طالعت على ذلك كتاب العلامة أبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى العاصمى الأندلسى « المعلم بالبرهان فى ترتيب سور القرآن » و هو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه للآيات، و سأذكر فى أول كل سورة ما قاله فيها بلفظه . كما ستراه إن شاء الله تعالى، ثم ظفرت بكتاب الإمام ١٠ بدر الدين [محمد -[4]] بن عبد الله الزركشى المصرى الشافعى سماه « البرهان فى علوم القرآن » فرأيته ذكر فيه ما يعرف بمقدار كتابى هذا فقال فى النوع[5] الثانى منه: و هو فى المناسبة قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ، و ممن أكثر منه الإمام فخر الدين و قال فى تفسيره : أكثر لطائف[6] القرآن مودعة فى الترتيبات و الروابط ، و قال القاضى أبو بكر بن العربى

(١) فى م و ظ : المقال .

(٢) كرر فى الأصل « لما اقتضاه » ثانيا .

(٣) من م و مد ، و فى الأصل : الاجازة ، و فى ظ : الاجارة .

(٤) زيد من ظ و مد .

(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفرع .

(٦) و فى ظ : اسرار .

فى

فى "سراج المريدين": ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون[1] كالكلمة الواحدة متسعة[2] المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له[3] إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز و جل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة[4] و رأينا الخلق[5] بأوصاف البطلة ختمنا[6] عليه و جعلناه بيننا و بين الله و رددناه إليه . و نقل الزركشى عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين ٥ ابن عبد السلام أنه قال ما حاصله: المناسبة علم حسن لكن يشترط فى حسن[7] ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد[8] مرتبط أوله بآخره، فان وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، و من ربط ذلك فهو متكلف بما لايقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فان القرآن نزل فى نيف و عشرين سنة فى أحكام مختلفة ١٠ شرعت لأسباب مختلفة، و ما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، قال الزركشى: و قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم[9] من قال: لا يطلب

(١) من ظ، و فى الأصل و م و مد: تكون .

(٢) كذا فى الأصل، و فى م و مد و ظ: متسقة .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جملة .

(٥) فى م: الخلائق .

(٦) فى م: حتمنا - بالحاء المهملة .

(٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: احسن .

(٨) من م و ظ، و فى الأصل و مد: متجه .

(٩) زيد فى م: على .

للآى الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، و فصل[1] الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، و على حسب الحكمة ترتيبا و تأصيلا ، مرتبة سوره[2] كلها و آياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، و من المعجز البين أسلوبه و نظمه الباهر ؛ و الذى ينبغى فى كل آية[3] أن يبحث ٥ أول[4] كل شيء عن كونها تكملة[5] لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ٤/ ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففى ذلك علم جم - انتهى . قلت : و الشيخ المشار إليه هو العارف و لى الله[6] محمد بن أحمد الملوى المنفلوطى الشافعى

---

(١) فى تفسير القرآن المسمى بتبصير الرحمن للامام الشيخ العلامة على المهائمى : فامكننى أن أبرزهن من خدورهن ليرى البرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته و ترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الإلغاز فيظهر به انها جوامع الكلمات و لوامع الآيات لا مبدل لكلماته و لا معدل عن تحقيقاته فكل كلمة سلطان دارها و كل آية برهان جارها ، و إن ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار الحاجزة عن الاستكبار ، و لا بد منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة و تقرير الأدلة القويمة و كشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها و لا تطويل فى إضمار المقدمات و لا إبعاد فى اعتبار المناسبات - الخ .

(٢) فى الأصل و النسخ كلها : سورة - كذا .

(٣) زيد فى ظ : فى .

(٤) ليس فى م .

(٥) و فى ظ : مكملة .

(٦) و فى م و ظ : الدين .

[1] ذكر ذلك[1] فى كلام مفرد على قوله تعالى "و هو الذى جعلكم خلئف[2] الارض" "و نريد ان نمنّ على الذين استضعفوا فى الارض[3]".
و نقل الإمام شمس الدين محمود الأصفهانى فى تفسير قوله تعالى "امن الرسول[4]" عن الإمام الرازى أنه قال: و من تأمل فى لطائف نظم هذه السورة و فى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ٥ ألفاظه[5] و شرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه و نظم آياته، و لعل الذين[6] قالوا: إنـه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك؛ إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين[7] لهذه الأسرار؛ و ليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل[8]:

و النجم تستصغر الأبصار صورته ١٠

فالذنب[9] للطرف لا للنجم فى الصغر - انتهى.

(١-١) فى مد: ذكرته.

(٢) زيد فى م: فى - راجع سورة ٦ آية ١٦٦ ٠ ١٦٥

(٣) سورة ٢٨ آية ٥.

(٤) سورة ٢ آية ٢٨٥.

(٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الطافه.

(٦) فى الأصل فقط: الذى.

(٧) فى م: منتهبين.

(٨) فى ظ: قال.

(٩) فى الأصل فقط: و الذنب.

و انتفعت فى هذا الكتاب كثيرا بتفسير على وجه كلى للامام الربانى
أبى الحسن على بن أحمد بن الحسن التجيبى الحَرَالّى - بمهملتين مفتوحتين
و مد و تشديد اللام - المغربى نزيل حماة من بلاد الشام سماه مفتاح
الباب المقفل لفهم القرآن المنزل وكتاب اعروة لهذا المفتاح يذكر فيه
٥ وجه إنزال الأحرف السبعة و ما تحصل به قراءتها و كتاب التوشية
و التوفية فى فصول تتعلق بذلك ، و قد ذكرت أكثر هذا الكتاب فى
تضاعيف كتابى [هذا - ١] معزوا إليه فى مواضع تليق [به - ٢] ثم
بعد وصولى إلى سورة الأنفال ملكت جزءا من تفسيره فيه من أوله
إلى " ان الله اصطفى " فى آل عمران فرأيته عديم النظير و قد ذكرت٣ فيه
١٠ المناسبات و قد ذكرت ما أعجبنى منها و عزوته إليه، يسر الله الاطلاع
على بقيته بحوله و قوته؛ و بعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذكر لى
أن تفسير ابن النقيب الحنفى و هو فى نحو ستين مجلدا يذكر فيه المناسبات
و فى خزانة جامع الحاكم كثير منه ، فطلبت منه جزءا فرأيت الأمر
كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها و إلى القصص لا جميع آياتها؛ و من
١٥ نظر كتابى هذا مع غيره علم النسبة بينهما، و الله الموفق . و بهذا العلم

(١) زيد من م .
(٢) زيد من م و ظ .
(٣) من م، و فى الأصل ومد و ظ : ذكر .

يرسخ الإيمان فى القلب و يتمكن من اللب [و ذلك -[1]] أنه[2] يكشف أن للاعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، و الثانى نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، و الأول أقرب تناولا و أسهل ذوقا، فان كل من سمع القرآن من ذكى و غبى يهتزّ لمعانيه و تحصل له عند سماعه روعة[3] بنشاط و رهبة مع انبساط لا تحصل[4] عند ٥ سماع غيره، و كلما دقق النظر فى المعنى عظم عنده موقع[5] الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تَلَتْه[6] و ما تلاها خفى عليه وجه ذلك و رأى أن الجمل متباعدة[7] الأغراض متنائية[8] المقاصد فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض و الكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز و البسط[9] ربما[10] شككه ذلك [بكثير-[1]] و زلزل إيمانه ١٠ و زحزح إيقانه، و ربما وقف مكيس من أذكياء المخالفين عن الدخول

(١) زيد من م و ظ.

(٢) ليس فى م.

(٣) من م و ظ، و فى الأصل و مد: روحة.

(٤) من م، و فى الأصل ومد و ظ: لا يحصل.

(٥) فى م: معظم، و فوقه: موقع.

(٦) وقع فى الأصل فقط: تلقه - محرفا.

(٧) زيد فى م: و.

(٨) فى م: متنائبة.

(٩) فى مد: النشاط.

(١٠) من ظ، و فى م ومد: فربما، و فى الأصل: بما.

في هذا الدين بعد ما وضحت لديه دلائله و برزت له من حجالها دقائقه و جلائله الحكمة أرادها منزله و أحكمها مجمله و مفصله؛ فاذا استعان بالله[1] و أدام الطرق لباب الفرج بانعام / التأمل و إظهار العجز و الوثوق بأنه في الذروة من أحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى و اللفظ لكونه كلام من جل عن شوائب النقص و حاز صفات الكمال ٥ إيمانا بالغيب و تصديقا للرب قائلا [ما -[2]] قال الراسخون في العلم "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب[3]" فانفتح له ذلك الباب و لاحت له[4] من ورائه بوارق أنوار[5] تلك الأسرار رقص الفكر منه طربا و شكروا الله استغرابا و عجبا و شاط[6] لعظمة ذلك جنانه فرسخ من غير مرية[7] [إيمانه -[8]] و رأى أن المقصود ١٠ بالترتيب معان جليلة الوصف بديعة الرصف[9] عالية[10] الأمر عظيمة

---

(١) من م، و في الأصل و مد، ظ : الله - بدون حرف الجر.

(٢) زيد من م و ظ .

(٣) سورة ٣ آية ٨ .

(٤) ليس في م ومد و ظ .

(٥) ليس في م .

(٦) اى احترق ، وفي م وظ و مد: طاش، أي ذهب .

(٧) من م و ظ و مد: و في الأصل: مرية .

(٨) زيد من م و مد و ظ .

(٩) في النسخ كلها : الوصف، و الصحيح : الرصف ، أي ضم البعض الى البعض .

(١٠) في م و مد : عايته .

القدر مباعدة لمعانى الكلام على أنها منها أخذت، فسبحان[1] من أنزله و أحكمه و فصله و غطاه و جلاه، و بينه غاية البيان و أخفاه؛ و بذلك أيضا يوقف على الحق من معانى آيات حار فيها المفسرون لتضييع[2] هذا الباب من غير ارتياب، منها[3] قوله تعالى فى سورة البقرة «ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت[4]» - الآيتين، و منها قوله تعالى فى سورة النساء ٥ «فضل الله المجٰهدين باموالهم و انفسهم على القٰعدين درجة[5]» مع قوله عقيبه «و فضل الله المجٰهدين على القٰعدين اجرا عظيما ه درجٰت[6]»، و قوله تعالى فى آخر هود «فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء[7]» الآية[8] - إلى غير ذلك، و قوله تعالى فى سبحان «و يسئلونك عن الروح[9]» الآية، و قوله تعالى فى السجدة «قل يتوفٰكم ملك الموت[10]» و قوله تعالى فى يٰس ١٠

(١) فى مد: سبحان.

(٢) من مد و ظ، و فى الأصل و م: لتصييع - كذا.

(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: منه.

(٤) سورة ٢ آية ١٣٣.

(٥) سورة ٤ آية ٩٥.

(٦) سورة ٤ آية ٩٥ و ٩٦.

(٧) سورة ١١ آية ١٠٩.

(٨) ليست فى م من هنا إلى «الموت».

(٩) سورة ١٧ آية ٨٥.

(١٠) سورة ٣٢ آية ١١.

«انهم اليهم لا يرجعون[1]» [2]مما تراه و ينكشف لك غامض معناه، و به يتبين[3] لك أسرار[4] القصص المكررات، و أن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعى فى تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذى سيقت[5] له فى السورة السابقة؛ و من هنا اختلفت الألفاظ ٥ بحسب تلك الأغراض و تغيرت[6] النظوم بالتأخير و التقديم و الإيجاز و التطويل مع أنها[7] لا يخالف[8] شيء من ذلك أصل المعنى الذى تكونت بـه القصة، و على قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها. و لقد شفانى بعض فضلاء العجم و قد سألته عن شيء من ذلك فرآه مشكلا، ثم قررت[9] إليه[10] وجه مناسبته و سألته هل وضح ١٠ له؟ فقال: يا سيدى! كلامك هذا يتسابق إلى الذهن. فلا تظنن أيها الناظر لكتابى هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها

(١) سورة ٣٦ آية ٣١.
(٢) زيد فى م و مد: الى غير ذلك.
(٣) فى م: تتبين.
(٤) فى م: احرار.
(٥) من مد وظ، و فى الأصل و م: سبقت - بالباء الموحدة.
(٦) من م ومد وظ، و فى الأصل: تغير.
(٧) فى ظ و مد: انه.
(٨) فى الأصل و النسخ كلها: تخالف.
(٩) كذا، و الظاهر: قربت.
(١٠) وفى م وظ ومد: له.

و الرفع

و الرفع لسورها[1]، فرب آية أقمت[2] فى تأملها شهورا، منها «و اذ غدوت من اهلك[3]» فى آل عمران، و منها «و يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن[4]»، «يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلٰلة[5]»، و من أراد تصديق ذلك فليتأمل شيئا من[6] الآيات قبل أن ينظر ما قلته ثم لينظره يظهر له مقدار ما تعبت و ما حصل [لى-[7]] من قبل الله و من العون سواء كان ٥ ظهر له وجه لذلك عند تأمله أو لا، وكذا إذا رأى ما ذكر غيرى من مناسبات بعض الآيات. و به أيضا يتضح أنه لا وقف تام فى كتاب الله و لا على آخر سورة «قل اعوذ برب الناس» بل[8] هى متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التى هى[9] أولة كاتصالها بما قبلها بل أشد، إلا أن يحمل/ نفيهم لتعلقه على اللفظ مطلقا و لو خفيا[10]، و[11] فى الكافى[11] على ١٠ ٦/

(١) فى م: لسررها - كذا.

(٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اتت.

(٣) سورة ٣ آية ١٢١. و زيد فى م: تبوئ المؤمنين.

(٤) سورة ٤ آية ١٢٧.

(٥) سورة ٤ آية ١٧٦.

(٦) زيد فى م: ذلك - كذا.

(٧) زيد من م و ظ و مد.

(٨) فى م: هل - كذا.

(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من.

(١٠) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: جفنا - كذا محرفا.

(١١-١١) من م و مد و ظ، فى الأصل: للكافى.

اللفظ بقيد الجلاء، و لا تنكشف هذه[1] الأغراض أتم انكشاف إلا لمن خاض غمرة هذا الكتاب و صار من أوله و آخره و أثنائه على ثقة و صواب، و ما يذّكر إلا اولوا الالباب.

و قد ذكر الزركشي نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات، ٥ و إذا تأملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نفائس الجواهر و بدائع السرائر، و قد أدرجت فيه مما ليس من بابه اليسير من غرائب التفسير مما لم أظفر به في كتاب مع أنه كالمثل يسير، و الله أسأل أن يجعله موجبا لرضوانه و الفوز الدائم في أعلى[2] جنانه.

* * * * *

(١) من ظ، و في الأصل و م و مد: هذا.
(٢) من م و مد و ظ، و في الأصل: املا.

سورة الفاتحة[1]

بسم الله القيوم الشهيد الذى لايعزب شيء عن علمه، و لا يكون شيء إلا باذنه؛ الرحمن الذى عمّت رحمته الموجودات، و طبع فى مرائى القلوب عظمته فتعالت تلك السبحات، و أجرى على الألسنة ذكره فى العبادات و العادات؛ الرحيم الذى تمّت نعمته بتخصيص أهل ولايته ٥ بأرضى العبادات.

قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبى عبدالله محمد ابن العلامة القدوة أبى القاسم محمد المشـــدالى[2] المغربى[3]

(١) فى م و مد و ظ: فاتحة الكتاب.

(٢) من م و ظ، و فى الأصل: المسدالى، و فى مد: المبشرالى، ترجم له فى معجم المؤلفين ٢٠٩/١١ و قال: محمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن عبد الصمد ابن حسن بن عبد المحسن المشدالى، البجائى، المغربى، المالكى، فاضل؛ ولد بعد سنة ٨٢٠ هـ، و توفى بعينتاب (سنة ٨٦٥ هـ). من آثاره شرح جمل الخونجى فى المنطق - انتهى.

(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: العربى؛ قال أبو سعد فى الأنساب (البجاوى) ٨٨/٢: و هذه النسبة إلى بجاية و هى من بلاد المغرب، و علق عليه شيخنا عبد الرحمن المعلمى اليمانى رحمه الله و قال: وقع لأبى سعد رحمه الله فى فصل (البجاوى) أوهام الأول قوله انه نسبة إلى بجاية، و هذا و إن جاز عربية فلم نعلمه استعمل و (بجاية) الموجودة بلدة بساحل المغرب بنيت فى حدود سنة ٤٥٧ و نسب إليها من نسب بعد ذلك «البجائى» الخ.

البجائي[1] المالكي علامة الزمان سقى[2] الله عهده سحائب الرضوان، و أسكنه أعلى[3] الجنان: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، و تنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات [و تنظر إلى مراتب تلك المقدمات - [4]] في القرب و البعد من المطلوب، و تنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه[5] من استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل[6] يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، [7] و إذا [7] فعلته تبين لك إن شاء الله [8] وجه النظم مفصلا بين كل آية و آية في كل سورة سورة و الله الهادي - انتهى. و قد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها

(١) في م و مد: البجاي، و في ظ: البحاى، و في الأصل: البخاري.

(٢) في الأصل و النسخ الأخرى: يبقى - كذا.

(٣) من م و مد و ظ، و في الأصل: عالي.

(٤) زيد من م و مد و ظ.

(٥) من م و ظ، و في الأصل: يستبقه، و في مد: يستقبه.

(٦) في م و ظ و مد: الغليل - كذا بالغين المعجمة.

(٧-٧) في م و مد: فاذا.

(٨) زيد في م: تعالى.

لأن

لأن اسم كل شيء تظهر[١] المناسبة بينه و بين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه، و ذلك هو الذى أنبأ به آدم عليه الصلاة و السلام [٢]عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة و السلام[٢]، و مقصود كل سورة هاد إلى تناسبها[٣]؛ [٤]فأذكر المقصود من كل سورة، و أطبق بينه و بين اسمها، و أفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة، و لا أخرج عن معاني كلماتها[٤]؛ فالفاتحة[٥] اسمها «ام الكتاب» و «الأساس» و «المثانى[٦]» و «الكنز» [و «الشافية»[٧]] و «الكافية» و «الوافية» [و «الواقية»[٨]] و «الرقية» و «الحمد» و «الشكر» و «الدعاء» و «الصلاة»؛ فمدار هذه الأسماء [٩]كما ترى[٩] على[١٠] أمر خفى كاف لكل مراد و هو المراقبة التى

(١) فى م و ظ و مد: تلحظ.
(٢-٢) ليست فى م و مد و ظ.
(٣) فى م: متناسبها.
(٤-٤) ليست فى ظ، و لفظ «لا» فى «لا اخرج» ليس فى م.
(٥) فى تفسير عرائس البيان: سمى الفاتحة لأنها مفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب، و لأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب، بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان، لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات، و يقتبس بسنائها انوار الآيات - انتهى.
(٦) فى مد: المبانى - كذا.
(٧) زيد من م و مد و ظ، لأن المصنف فسرها بعد اسطر بقوله: شافية.
(٨) سقط من الأصل والنسخ الأخرى و قد فسرها المصنف بعد بقوله: واقية من كل سوء، فزدناه.
(٩-٩) ليست فى مد. (١٠) فى م: عن.

سأقول إنها[١] مقصودها فكل شيء لايفتتح بها لا اعتداد به، وهي أم كل خير، وأساس كل معروف، ولايعتد بها إلا إذا ثنيت[٢] فكانت دائمة التكرار، وهي كنز لكل شيء[٣]، شافية لكل داء، كافية لكل هم[٤]، وافية[٥] بكل مرام، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي / هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر[٦] الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين[٧] الدعاء فانه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة[٨].

إذا تقرر[٩] ذلك فالغرض[١٠] الذي سيقت له الفاتحة و[١١]هو إثبات

(١) ليس في م.

(٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: ثبتت، خطأ عن قلم الناسخ وهو تفسير «المثاني».

(٣) من مد، وفي الأصل وم وظ: مني - كذا.

(٤) في مد وظ: مهم.

(٥) من م ومد وظ، وفي الأصل: كافية - كرره الكاتب.

(٦) في م وظ: الشكر.

(٧) في مد: غير.

(٨) زيد في الأصل: الذي - كذا، وليس في م ومد وظ فحذفناه.

(٩) في ظ: تقررت.

(١٠) وفي تفسير المهائمي ما نصه: ومعرفة اسمائه بأنها الوسائط القريبة له بينه وبين خلقه بها يربي ويرحم ويفضل، ومعرفة توحيده بأنه رب كل شيء ما عداه، ومعرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع اليه، ومعرفة =

استحقاق الله تعالى لجميع المحامد و صفات الكمال، و اختصاصه بملك الدنيا و الآخرة، و باستحقاق العبادة و الاستعانة، بالسؤال فى المنّ بالزام صراط الفائزين و الإنقاذ[1] من طريق الهالكين مختصا بذلك كله، و مدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم[2]، [3]لإفراده بالعبادة[3]، فهو مقصود الفاتحة بالذات و غيره وسائل إليه، فانه لا بد فى ذلك من إثبات إحاطته ٥ تعالى بكل شيء و لن يثبت حتى يعلم أنه المختص بأنه الخالق الملِك المالك، لأن المقصود من إرسال الرسل و إنزال الكتب نصب الشرائع، و المقصود[4] من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق، و المقصود من جمعهم تعريفهم الملك[5] و بما يرضيه[6]، و هو مقصود القرآن الذى انتظمته

= افتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب و وسطا بأنه الرحمن الرحيم و انتهاء بأنه مٰلك يوم الدين، و معرفة النبوة و الولاية و الإيمان بالإنعام، و معرفة الكفر و البدعة و الفسق بالغضب و الضلالة، و معرفة السعادة و الشقاوة بذلك أيضا - الخ.

(١) فى الأصل بالفاء الموحدة، و الصواب بالقاف المثناة.

(٢) زيد فى م: و المقصود من جمعهم تعريفهم بالملك و بما يرضيه و هو إفراده بالعبادة و هو مقصود القرآن الذى انتظمته الفاتحة (و لا حاجة إلى هذه الزيادة لأن المصنف قد حررها بعد أسطر، و هى على محلها).

(٣-٣) ليست فى ظ.

(٤) ليس فى م و ظ.

(٥) فى م و مد و ظ: بالملك.

(٦) زيد فى م و مد: و هو افراده بالعبادة.

الفاتحة بالقصد الأول، و لن يكون ذلك إلا بما ذكر علما و عملا؛ و لما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لأجل عباداته[1] و كان التزام اسمه تعالى فى كل حركة و سكون قائـــدا إلى مراقبته و داعيا إلى مخافته و اعتقاد أن مصادر الأمور و مواردها منه[2] و إليه شرعت ٥ التسمية أول كل شيء فصدّرت بها الفاتحة . و قدّم[3] التعوذ الذى هو من [درء - [4]] المفاسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن[5] يتعين لتاليه[6] أن يجتهد فى تصفية سره و جمع متفرق أمره، لينال سُؤله[7] و مراده مما[8] أودعه من خزائن السعادة باعراضه عن العدو الحسود و إقباله على الولى الودود؛ و من هنا[9] تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة[10] . و لما افتتح التعوذ

---

(١) فى م و مد و ظ : عبادته .

(٢) زيد فى م و مد: به .

(٣) أطنب فى تبصير الرحمن تحت عنوان « الكلام فى الاستعاذة » فالتحقيق أنيق، إن شئت الاطلاع عليه فراجع ج ١ ص ٦ .

(٤) زيد من مد، و فى م : درم - كذا، و فى ظ : دراء .

(٥) فى م و ظ و مد: انه .

(٦) فى م: لطاليه - كذا .

(٧) فى م: سواله .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بما .

(٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هذا .

(١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : من الفاتحة .

بالهمزة

بالهمزة إشارة[1] إلى ابتداء الخلق و ختم بالميم إيماء إلى المعاد جُعلت البسملة كلها للعاد لابتدائها بحرف شفوى[2]، و ختام أول كلماتها و آخرها بآخر إشارة إلى أن الرجوع إليه فى الدنيا معنى بتدبير الأمور و إن كان أكثر الخلق غافلا عنه، و فى البرزخ حسا[3] بالموت، و فى الآخرة كذلك بالبعث؛ كما أشار إلى ذلك تكرير الميم[4] المختم [بها - [5]] فى اسمها ٥ بذكرها فيه مرتين إشارة إلى المعادين الحسّيين[6] و الله أعلم؛ و المراد بالاسم[7] الصفات العليا[8]. و قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى[9] فى تفسيره فى

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: أشار.

(٢) فى م: معنوى.

(٣) فى ظ: حسبا - كذا.

(٤) ليس فى مد.

(٥) زيد من م و مد.

(٦) و فى الأصل: الحسين - كذا.

(٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باسم.

(٨) فى م فقط: العلى.

(٩) قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى رحمه الله فى تعليقه على الإكمال ٣/٥٨: والمشهور بهذه النسبة و اللام مشددة ابو الحسن على بن احمد بن الحسن بن احمد بن ابراهيم التجيبى الحرالّى - و حرالّة من اعمال مرسية بالأندلس - رحل إلى المشرق ثم قفل ثم رجع الى المشرق و كان مفننا، ألف فى التفسير و غيره و عنده تفلسف و تصوف و نجوم و تخليط ... و ذكره صاحب القاموس (ح ر ل) و أخطأ فى اسمه فبينه شارحه - اه.

غريب ألفاظ البسملة: الباء معناها[1] أظهره الله سبحانه من حكمة التسبيب[2]؛ «الاسم» ظهور ما غاب أو غمض للقلوب بواسطة الآذان على صورة الأفراد[3]؛ «الله»[4] اسم ما تعنو إليه القلوب عند موقف العقول فتأله[5] فيه أي تتحير فتتالّهه[6] و تلهو به أي تغنى به عن كل شيء[7]؛ «الرحمٰن» شامل الرحمة لكافة ما تناولته الربوبية؛ «الرحيم» خاص الرحمة[8] بما ترضاه الإلهية. و قال في غريب معناها: لما أظهر[9] الله سبحانه حكمة التسبيب و أرى[10] الخلق استفادة[11] بعض الأشياء من أشياء أخر متقدمة عليها كأنها

(١) في م و مد و ظ: معناه اسم ما.

(٢) من ظ، و في الأصل و م و مد: التسبب.

(٣) في عرائس البيان: «بسم» الباء كشف البقاء لأهل الفناء، والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس، و الميم كشف الملكوت لأهل النعوت والباء بره للعموم - و ما بقي من الحقائق فليراجع ثمه.

(٤) زيد في ظ: ظهور ما معما - كذا.

(٥) في الأصل: فقال.

(٦) في ظ و مد: فتتاله، و زيد بعده في م و مد و ظ: أي تتعبد له.

(٧) و في عرائس البيان: و أما «الله» فانه اسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع - ثم كشف المصنف ما أراد الله به فليراجع ثمه.

(٨) من م و ظ و مد، و في الأصل: الربوبية.

(٩) في الأصل و النسخ الأخرى: اظهره - كذا.

(١٠) في م: اولى.

(١١) من م و مد و ظ، و في الأصل: استناده.

أسبابها، وقف بعض الناس عند أول سبب فلم ير ما قبله، و منهم من وقف عند سبب السبب إلى ما عساه ينتهى إليه عقله[١]؛ فطوى[٢] الحق تعالى تلك الأسباب و أظهر بالبسملة أى بتقديم الجار أن كل شيء باسمه لا بسبب[٣] سواه. و قال: [٤] أستفتح أم القرآن بالبسملة لما كانت نسبتها من متلو الصحف و الكتب الماضية نسبة[٥] أم القرآن من القرآن ٥ الكتاب الجامع للصحف و الكتب لموضع طيها الأسباب، كما تضمنت أم القرآن سر ظهور / الأفعال بالعناية[٦] من الحميد المجيد فى آية «اياك /٨ نعبد و اياك نستعين» هذا فى ظاهر الخطاب إلى ما وراء ذلك من باطنه فان لكل آية ظهرا و بطنا و ليلتزمها الخلق فى ابتداء أقوالهم و أفعالهم، هكذا قال. و أشد منه أنه لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة ١٠ من القرآن صُدّرت[٧] بها الفاتحة كما صدّر القرآن بالفاتحة، لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده و ذلك

(١) فى م: غفلة ـ كذا.

(٢) فى ظ: و طوى.

(٣) فى ظ: سبب.

(٤) زيد فى م و ظ: و.

(٥) من م و مد و ظ، وفى الأصل: نسبته.

(٦) و فى م و ظ و مد: بالاعانة، و هو الأظهر، كما يدل عليه «و اياك نستعين».

(٧) و فى تفسير المهائمى: و تقديم الاستعاذة على التسمية مع أنها لاشتمالها على المبدئية بالبداية أولى للاشعار بأنه لا بد من رفع الحجب التى أعظمها الشيطان أولا .... و أما ترتيب الحمد على التسمية مع أنه أيضا ثناء فلأنه لما ذكر =

هو [إجمال تفصيل الفاتحة كما أن الفاتحة - [1]] إجمال تفصيل القرآن من الأصول و الفروع و المعارف و اللطائف . و لما كان اسم الجلالة علما و كان جامعا لجميع معانى الأسماء الحسنى أولية «الرحمن» من حيث أنه كالعلم فى أنه لا يوصف به غيره ، و من حيث أنه أبلغ من «الرحيم»
٥ فأولى الأبلغ [الأبلغ - [2]] ، و ذلك موافق لترتيب الوجود . الإيجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعبادة ، و ذكر الوصفان ترغيبا ، و طويت النقمة فى إفهام اختصاص الثانى[3] لتمام الترغيب بالإشارة[4] إلى الترهيب . و المراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته ، و كررهما بعد تنبيها[5] على وجوب ذلك للربوبية و الملك ، و للدلالة[6] على أن الرحمة
١٠ غلبت[7] الغضب ، و فيهما[8] إلى ما ذكر من الترغيب الدلالة على سائر

= الكامل بذاته و صفاته و أفعاله عقبها بالحمد ليكون على الجميع بعد معرفة المحمود و جهات حمده ، و تخصيص التسمية بهذه الأسماء ليعلم أن الأولى التعلق بجامع الكمالات ليفيض ما يستحق من عامها أو خاصها بحسب الاستعداد الحاصل بالتعلق - انتهى .

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢) زيد من م و مد .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : التانى .

(٤) هكذا فى الأصل و مد و ظ ، و فى م : بلا اشارة .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تبينها .

(٦) فى م : الدلالة .

(٧) فى ظ : سبقت .

(٨) فى م : فيها .

الصفات الحسنى، لأن من[1] عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص، و فى آخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان؛ [2]و كونها تسعة عشر حرفا خطّية و ثمانية عشر لفظية إشارة إلى أنها دوافع النقمة من النار التى أصحابها تسعة عشر[2]، [3]وجوالب للرحمة بركعات الصلوات الخمس و ركعة الوتر اللاتى من أعظم العبادات الكبرى[3] . و لما كانت البسملة نوعا[4] من ٥ الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أفراده، فكأنه قيل: احمدوه لأنه المستحق[5] لجميع المحامد، و خصوا هذا النوع من الحمد فى افتتاح أموركم لما ذكر من استشعار الرغبة إليه و الرهبة منه المؤدى إلى لزوم طريق الهدى، و الله الموفق .

و لما أثبت بقوله «الحمد لله» أنه المستحق لجميع المحامد لا لشىء غير ١٠ ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار إلى أنه يستحقه أيضا من حيث كونه ربا مالكا منعما فقال «رب»، و أشار بقوله «العلمين» إلى ابتداء الخلق تنبيها على الاستدلالات[6] بالمصنوع على الصانع و بالبداءة على الإعادة

---

(١) فى م: ضمن - كذا .

(٢ - ٢) ليست فى ظ ، و وقع فى الأصل: خطيئة - مكان : خطية ، خطأ ، و التصحيح من م و مد .

(٣-٣) ليست فى ظ ، و فى م و مد: الكبر - مكان: الكبرى .

(٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نوع - كذا .

(٥) فى م: مستحق .

(٦) فى م و ظ و مد: الاستدلال .

كما ابتدأ التوراة بذلك [لذلك - [1]] قال الحرالى : [2] و « الحمد » [2] المدح الكامل الذى يحيط بجميع الأفعال و الأوصاف ، على أن جميعها إنما هو من الله سبحانه [3] و تعالى [3] ، و أنه كله مدح لايتطرق إليه ذم ، فاذا اضمحل ازدواج المـــدح بالذم ، و علم سريان المدح فى الكل استحق عند ذلك ٥ ظهور اسم الحمد مكملا معرفا بكلمة « ال » [4] و هى [5] كلمة دالة فيما اتصلت به على انتهائه و كماله - انتهى .

و لما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح [إلا بالرحمة - [1]] اتبع ذلك بصفتى « الرحمن الرحيم » ترغيبا فى لزوم حمده ، و هى تتضمن تثنية [6] تفصيل ما شمله الحمد أصلا ؛ و سيأتى سر لتكرير [7] هاتين الصفتين [8]

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢-٢) ليس فى مد .

(٣-٣) ليس فى م و مد .

(٤) وقع فى م : الى - كذا مصحفا .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : متى - كذا .

(٦) فى ظ : تنبيه .

(٧) و فى م : تكرير .

(٨) فى عرائس البيان مثل ما فى هذا الكتاب و زاد « قال الأستاذ : الرحمن خاص الاسم عام المعنى ، و الرحيم عام الاسم خاص المعنى ، فالرحمن بما روّح و الرحيم بما لوّح ، فالترويح للعاد و التلويح بالأنوار ، و الرحمن بكشف تجليه و الرحيم بلطف توليه » ثم قال « أما من اختراعى أن اسم الرحمن محل طلوع أنوار العناية ، و الرحيم محل إشراق شمس الكفاية ، فبالعناية » - راجع ج ١ ص ٨ إن شئت الإيضاح .

فى الأنعام عند «فكلوا مما ذكر اسم الله عليه[1]» عن الإمام حجة الإسلام الغزالى رحمه الله تعالى[2] أنه لا مكرر فى القرآن .

و لما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا و كانت الربوبية لا تتم إلا بالمِلك المفيد لتمام التصرف ، و كان المالك قد لا يكون مَلِكا[3] و لا يتم مِلكه إلا بالمُلك المفيد للعزة المقرون بالهيبة[4] المثمرة[5] للبطش ٥ و القهر المنتج / لنفوذ[6] الأمر اتبع ذلك بقوله «مَلِك يوم الدين» ترهيبا من سطوات مجده[7] . قال الحرالى : و اليوم مقدار ما يتم فيه أمر ظاهر[8]، ٩/

---

(١) سورة ٦ آية ١١٨ .

(٢) فى النسخ كلها بزيادة الواو .

(٣) فى م فقط : مالكا .

(٤) فى م و مد : للهيبة .

(٥) فى النسخ كلها : المثمر - كذا .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لتعود ، و هو محرف .

(٧) قال المهائمى فى تفسيره : و المادة للربط و الشدة ، فالمالك الشىء من اشتد ارتباطه به فاستقل بالتصرفات فيه لو كمل رأيه ولم يتعلق به حق الغير بعينه ..... و المَلِك من اشتد ارتباط الخلق به لقدرته على حفظ مصالحهم و دفع مفاسدهم و نفوذ أمره و نهيه فيهم - الخ .

(٨) قال المهائمى : و اليوم ما بين طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس و قد يراد به مجرد الوقت و « يوم الدين » يوم القيامة ما بين النفخة الثانية إلى استقرار أهل الجنة و النار فيها و « الدين » الملة أى يوم ظهور نفع ملة الإسلام أو حقيتها للكل - و أطال البحث فليراجع .

ثم قال: و «يوم الدين» فى الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بامضاء المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين، و هو من أول يوم الحشر إلى الخلود فالأبد، و هو فى الحقيقة من أول يوم نفوذ الجزاء عند مقارفة[1] الذنب فى باطن العامل أثر العمل إلى أشد[2] انتهائه فى ظاهره، لأن الجزاء لا يتأخر عن ٥ الذنب و إنما يخفى لوقوعه فى الباطن و تأخره[3] عن معرفة ظهوره فى الظاهر، و لذلك يؤثر عنه عليه الصلاة و السلام: إن العبد إذا أذنب نكت[4] فى قلبه[4] نكتة سوداء. و أيضا فكل عقاب يقع فى الدنيا على أيدى الخلق فانما هو جزاء من الله و إن كان أصحاب الغفلة ينسبونه[5] للعوائد، كما قالوا: «مس اٰباءنا الضراء و السراء[6]» و يضيفونه للعتدين عليهم بزعمهم، و إنما ١٠ هو كما قال[7] تعالى «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم[8]» و كما[9] ورد عنه عليه الصلاة و السلام: الحمى من فيح جهنم، و إن شدة[10] الحر والقر من نفَسها. و هى سوط الجزاء الذى أهل الدنيا بأجمعهم مضروبون

---

(١) من م و ظ. و وقع فى الأصل و مد: مفارقة - خطأ.
(٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اسد - كذا.
(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تأخر، بدون الإضافة الى الضمير.
(٤ - ٤) ليست فى م.
(٥) زيد فى م: معا.
(٦) سورة ٧ آية ٩٥.
(٧) زيد فى م: الله.
(٨) سورة ٤٢ آية ٣٠.
(٩) ليس فى مد.
(١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اشد.

به

به، و منهل التجهّم[1] الذى أجمعهم[2] واردوه[3] من حيث لا يشعر به أكثرهم،
قال عليه الصلاة و السلام: المرض سوط الله فى الأرض يؤدب الله به
عباده . و كذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع الغم و الهم و القلق
و الحرص و غير ذلك، و هو تعالى مَلِك ذلك كله و مالكه، سواء
ادعى فيه مدع أو لم يدع، فهو تعالى بمقتضى ذلك [كله مَلِك-[4]] يوم ٥
الدين و مالكه مطلقا فى الدنيا و الآخرة و إلى الملك أنهى[5] الحق تعالى
تنزل أمره العلى لأن به رجع الأمر عودا على بدء[6] بالجزاء العائد على
آثار ما جبلوا[7] عليه من الأوصاف تظهر[8] عليهم من الأفعال[9] كما قال
تعالى «سيجزيهم وصفهم[10]» و «جزاء بما كانوا يعملون[11]» و به تم انتهاء[12]

---

(١) و فى م: التجهنم - كذا .
(٢) و فى مد و متن م: اكثرهم ، و بهامش م: اجمعهم .
(٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: و اراده - كذا .
(٤) زيد من مد ، و فى م و ظ زيادة «ملك» فقط .
(٥) من م و ظ ، و فى الأصل و مد: انتهى .
(٦) زيد فى ظ: ملك .
(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: حياوا - كذا .
(٨) فى م و مد: و ظهر .
(٩) فى تفسير المهائمى: و حكمته بالتفرقة بين المحسن و المسىء بالإنعام الصرف و الانتقام الصرف و الجزاء مصلح للظاهر و الباطن رافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى و الغضب و به يتم التمدن .
(١٠) سورة ٦ آية ١٣٩ .
(١١) سورة ٣٢ آية ١٧ و سورة ٤٦ آية ١٤ و سورة ٥٦ آية ٢٤ .
(١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط: انتهى - كذا .

الشرف العلى[1] و هو المجد الذى عبر عنه قوله تعالى: مجدنى عبدى - انتهى، و لما لم يكن فرق هنا فى الدلالة على الملك بين قراءة «مَلِك» و قراءة «مٰلك» جاءت الرواية بهما، و ذلك لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر و عرض، فلا يكون لأحد معه أمر و لا معنى للمَلِك سوى هذا، و لما لم تُفد[2] إضافته إلى ٥ الناس هذا المعنى لم يكن خلاف فى «مَلِك الناس». فلما استجمع الأمر استحقاقا[3] و تحبيبا[4] و ترغيبا[5] و ترهيبا[6] كان من شأن كل ذى لب الإقبال إليه وقصر الهمم عليه فقال[7] عادلا عن أسلوب الغيبة إلى الخطاب لهذا[7] مقدما[8]

(١) زيد فى م العبارة السابقة من «لان به رجع» إلى «من الأفعال» مكررة.
(٢) فى م و ظ: لم يفد.
(٣) زيد فى م: أى بتعليق الأمر بالذات فى الحمد لله.
(٤) زيد فى م: أى بالربوبية.
(٥) زيد فى م: بالرحمة.
(٦) زيد فى م: أى بالملك.
(٧) ليس فى مد.
(٨) فى تفسير المهائمى: و تقديم «اياك» للتنبيه على عظمة الله ليعبد على الخشية فلا يلتفت يمينا و شمالا، و لأن الابتداء بذكر المعبود أولى من الابتداء بصفة العبد . . . و إنما خاطبه بعد الغيبة لأنه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه بعد ذكرها فكان فى حكم الغائب قبل ذكرها و المشاهدة بعدها - و إن أردت الاطلاع على ما فيه من وجوه سواها فراجع ج ١ ص ١١. و فى انوار التنزيل للبيضاوى: وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير، و قدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى، و يعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة =

للوسيلة على طلب الحاجة لأنه أجدر بالإجابة[١] : « اياك » أى يا من هذه الصفات صفاته ! « نعبد » إرشادا[٢] لهم إلى ذلك ؛ و معنى « نعبد » كما قال الحرالى: تبلغ الغاية فى أنحاء التذلل ، و أعقبه بقوله مكررا للضمير حثا[٣] على المبالغة[٤] فى طلب العون « و اياك نستعين » إشارة إلى أن عبادته لا تتهيأ إلا بمعونته و إلى أن ملاك[٥] الهداية بيده : فانظر كيف ابتدأ ٥ سبحانه[٦] بالذات ، ثم دل عليه بالأفعال ، ثم رقى إلى الصفات ، ثم رجع إلى الذات إيماء إلى[٧] أنه الأول [و -[٨]] الآخر المحيط ، فلما حصل[٩] الوصول إلى شعبة[١٠] من علم الأفعال و الصفات علم الاستحقاق للأفراد بالعبادة

= ادعى إلى الحاجة ، واقول : لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه اوهم ذلك تبجحا و اعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله « اياك نستعين » ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم و لا يستتب إلا بمعونة منه و توفيق - انتهى .

(١) وقع فى ظ : بلاجابة - كذا مصحفا ، و زيد بعدها فى مد : فقال .

(٢) فى م : ارشا - كذا .

(٣) من م و مد ، و وقع فى الأصل و ظ : حقا - خطأ .

(٤) زيد فى ظ : فى الاخلاص .

(٥) فى مد : ملك - كذا .

(٦) زيد فى م : و تعالى .

(٧) ليس فى ظ .

(٨) زيد من ظ .

(٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : جعل .

(١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سعيه .

فعلم العجز عن الوفاء بالحق[1] فطلبت الإعانة، فهو كقوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه مسلم و أبو داود فى الصلاة و الترمذى و ابن ماجه فى الدعاء و النسائى و هذا لفظه فى التعوذ عن عائشة رضى الله عنها: أعوذ بعفوك[2] من عقوبتك /، و برضاك[3] من سخطك، و بك[4] منك؛ ثم أتبعه فيما زاد[5] عن النسائى الاعتراف بالعجز فى قوله: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. [6] و فى آخر سورة اقرأ شرح بديع لهذا الحديث[6].

قال الحرالى: و هذه الآيات أى هذه و ما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريا على لسان خلقه فان القرآن كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله عن نفسه و منه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق به الخلق على اختلاف

---

(١) وفى تفسير المهائمى ما نصه: «وترتب الاستعانة عليه لأنها إما لخوف الثواب او انقلاب سببه سببا للعقاب او لخوف الحجاب ولو بالعبادة عن المعبود و إنما يتم رفعه يومئذ . . . . الى ان قال المصنف: و نون نعبد للجمع إن قرأ فى الصلاة جماعة و إن صلى فيها منفردا فمعه الملائكة ثم انه يذكر مع عبادته عبادة غيره سعيا فى حقه أو دلالة انه واحد من العبادة نفيا لتوهم ادعاء التفرد بها و استقصار الذكر عبادته وحده من غير أن يضمها إلى عبادة أخيه» إن شئت الاطلاع على ما بعده فراجع - ج ١ ص ٢٦.

(٢) زيد فى م: هذا فعل.

(٣) زيد فى م: صفة الوهية.

(٤) زيد فى م: ذات.

(٥) فى ظ: زاده.

(٦ - ٦) ليست فى ظ.

ألسنتهم

ألسنتهم و أحوالهم و ترقى درجاتهم و رتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه[1] لقصورهم و عجزهم، فتولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء[2] عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ إليه وُسع خلقه و جعل تلاوتهم[3] لما أنبأ به على ألسنتهم نازلا لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهرا منهم لطفا بهم و إتماما للنعمة عليهم[4]، لأنه تعالى لو وكلهم فى ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء تصلح[5] به[6] أحوالهم فى دينهم و دنياهم، و لذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم[7] من كلامه مما[8] يكون[9] أداء لحق[9] فضله عليهم بذلك، و إذا كانوا لا يستطيعون الإنباء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأ عن تحميد الله و تمجيده، فأذًا[10] ليس لهم ٥

(١) فى الأصل: كنه ـ بدون الإضافة إلى الضمير.

(٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الاينبا.

(٣) قال عبد الله بن عمر الشافعى فى تفسيره المسمى بأنوار التنزيل و أسرار التأويل: هذا و ما بعده منقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه و يحمد على نعمه و يسأل عن فضله.

(٤) زيد فى ظ: و.

(٥) فى مد: يصلح.

(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: له.

(٧) و فى م: يلقيهم.

(٨) فى م و مد: ما.

(٩-٩) من م، وكذا هو فى الأصل و ظ بزيادة الألف بعد الهمزة، و فى مد: ادالحق.

(١٠) فى مد: فاذن.

وصلة إلا تلاوة كلامه العلي بفهم كان ذلك أو [1]بغير فهم[1] ؛ و تلك هي صلاتهم المقسمة التي [عبر-[2]] عنها فيما صح عنه عليه[3] الصلاة و[3] السلام من قوله تعالى : قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين - ثم تلا هذه السورة؛ فجاءت الآيات الثلاث الأول بحمد[4] الله تعالى نفسه، فاذا تلاها العبد قبل الله منه تلاوة عبده كلامه و جعلها منه حمدا و ثناء و تمجيدا ، و جاءت هذه الآيات على لسان خلقه فكان ظاهرها التزام عُهَد العبادة و هو ما[5] يرجع إلى العبد[6] و عمادها طلب المعونة من الله سبحانه و هو

(١-١) في م : بعرفهم .

(٢) زيد من م و مد و ظ .

(٣-٣) ليست في م و مد .

(٤) من ظ ، و في الأصل و م و مد : لحمد .

(٥) في م و مد : مما .

(٦) و في أنوار التنزيل : قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك و لا نعبد غيرك ، و تقديم ما هو مقدم في الوجود و التنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولا و بالذات و منه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه و وصلة بينه و بين الحق فان العارف إنما يحق وصوله اذا استغرق فيه في ملاحظة جناب القدس و غاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه و لا حالا من احوالها إلا من حيث انها ملاحظة له و منتسبة إليه .

ما[1] يرجع إلى الحق، فكانت بينه و بين عبده و تقدمت بينيّته[2] تعالى، لأن المعونة متقدمة على العبادة و واقعة بها و هو مجاب فيما طلب من المعونة، فمن كانت عليه مؤنة شيء فاستعان الله فيها على مقتضى هذه الآية جاءته المعونة على قدر مؤنته، فلا يقع لمن اعتمد مقتضى هذه الآية عجز عن مرام أبدا و إنما يقع العجز بخس[3] الحظ من الله تعالى و الجهل[4] ٥ بمقتضى ما أحكمته هذه الآية و الغفلة عن النعمة بها، و فى قوله «نعبد» بنون الاستتباع إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع - انتهى. و فى الآية ندب إلى اعتقاد العجز و استشعار الافتقار و الاعتصام بحوله و قوته، فاقتضى ذلك توجيه الرغبات إليه بالسؤال فقال «اهدنا الصراط المستقيم» تلقينا لأهل لطفه و تنبيها على محل السلوك الذى لا وصول بدونه، و الهدى ١٠ قال الحرالى: مرجع الضال إلى ما ضل عنه، و الصراط الطريق الخطر[5] السلوك[6]، و الآية من كلام الله تعالى على لسان العُلّية[7] من خلقه، و جاء

(١) و فى م و مد: مما.
(٢) و فى ومدوظ، و فى الأصل: بنيته - كذا.
(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لبخس - كذا.
(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الجيل - و هو محرف.
(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الخطو - كذا.
(٦) قال المهائمى فى تفسيره: و الصراط الطريق الواضح و اصله السين، سمى به لأنه يسرط السابلة اى يبتلعهم، و كأنه يشير إلى ان من عظمته انه بحيث لا يظهر سالكوه و إن بلغوا ما بلغوا من بذل و سعهم فيه.
(٧) العُلّية و العِلّية، و هو من عِلّية قومه أى من أهل الشرف و العلاء و الرفعة فيهم (قطر المحيط) و فى ظ: العيلة.

مكملا بكلمة "ال"[1] لأنه الصراط الذى لا يضل بمهتديه[2] لإحاطته و لشمول سريانه[3] وفقا لشمول معنى الحمد فى الوجود كله و هو الذى تشتت الآراء و تفرقت الفرق بالميل إلى واحد من جانبيه و هو الذى ينصب مثاله - و على حذو[4] معناه بين ظهرانى[5] جهنم يوم الجزاء للعيان ٥ و تحفه[6] مثل تلك الآراء خطاطيف و كلاليب، تجرى أحوال الناس معها[7] فى المعاد على حسب مجراهم مع حقائقها التى[8] ابتداء[9] فى يوم العمل، و هذا الصراط الأكمل و[8] هو المحيط المترتب على الضلال الذى يعبر به عن/ حال /١١ من لا وجهة له، و هو ضلال ممدوح لأنه يكون عن سلامة الفطرة لأن من لا علم له بوجهة لحقه[10] الوقوف عن كل وجهة و هو ضلال ١٠ يستلزم هدى محيطا[11] منه «و وجدك ضالا فهدى»، و أما من هدى وجهة مّا

---

(١) فى م: الى - كذا.

(٢) كذا، و الظاهر: مهتديه - بدون الباء.

(٣) من ظ، و فى الأصل و م و مد: سر يايه.

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حذر.

(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: طرانى.

(٦) و فى م: تحضه، و فى ظ: تحفه.

(٧) فى م: معهما - كذا.

(٨) ليس فى م و مد و ظ.

(٩) كذا، و الظاهر: ابتداؤها.

(١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فمنعه.

(١١) زيد فى م و مد «و».

فضل

فضلّ عن[1] مرجعها فهو ضلال مذموم لأنه ضلال بعد هدى و هو
يكون عن اعوجاج فى الجبلة - انتهى . ثم اكد سبحانه و تعالى الإخبار
بأن ذلك لن يكون إلا بانعامه منبها بهذا التأكيد الذى أفاده الإبدال على
عظمة هذا الطريق فقال « صراط الذين انعمت عليهم » فأشار إلى [أن -[2]]
الاعتصام به فى اتباع رسله، و لما كان سبحانه عام[3] النعمة لكل موجود ٥
عدوا كان أو وليا و كان حذف المنعم به لإرادة التعميم[4] من باب تقليل
اللفظ لتكثير المعنى فكان من المعلوم أن محط السؤال بعض أهل النعمة و هم
أهل الخصوصية - يعنى[5] لو قيل: اتبع طريق أهل مصر مثلا لا أهل دمشق ،
علم أن المنفى غير داخل فى الأول لأن شرطه أن يتبعاه[6] متعاطفاه كما
صرحوا به، بخلاف ما لو قيل: اتبع طريق أهل مصر غير الظلمة، فانه ١٠
يعلم أن الظلمة منهم، فأريد هنا التعريف بأن النعمة عامة ولو لم تكن
إلا بالإيجاد ، و من المعلوم أن السلوك لا بد و أن يصادف طريق
بعضهم و هم منعم عليهم فلا يفيد السؤال حينئذ ، فعرف أن المسؤل إنما

(١) فى م و ظ و مد: فى .
(٢) زيد من م و ظ و مد .
(٣) كذا، و الظاهر: عمّ .
(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: المنعم .
(٥) ليس فى م و مد ، و العبارة الآتية إلى « هو طريق اهل النعمة » ليست فى م و مد و ظ .
(٦) فى الأصل: ان يتبعانه - كذا .

هو طريق أهل النعمة بصفة[1] الرحيمية تشوقت النفوس إلى معرفتهم فميزهم[2] ببيان أضدادهم[3] تحذيرا منهم[3]، فعرف أنهم قسمان: قسم أريد للشقاوة فعاند في إخلاله[4] بالعمل فاستوجب الغضب، و قسم لم[5] يرد للسعادة فضل من جهة إخلاله بالعلم فصار إلى العطب فقال مخوفا بعد الترجية[6]
٥ ليكمل الإيمان بالرجاء و الخوف معرفا[7] بأن النعمة عامة و المراد منها ما يخص أهل الكرامة: «غير المغضوب عليهم» أي الذين تعاملهم معاملة الغضبان لمن وقع عليه غضبه، و تعرفت «غير» لتكون صفة للذين باضافتها إلى الضد فكان مثل: الحركة غير السكون، و لما كان المقصود من «غير» النفي[8] لأن السياق له و إنما عبر بها دون أداة استثناء دلالة

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: خاصة.
(٢) زيد في ظ «ببيان انهم قسمان».
(٣-٣) في ظ: تحذرا.
(٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: خلاله.
(٥) ليس في مد.
(٦) من مد و ظ، و وقع في الأصل و م: التوجيه.
(٧) من م و ظ و مد، و في الأصل: معرفان.
(٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: المنفي، و في تفسير المهائمي: و هذا أقرب حذر عن متابعتهم لأنها كتابعة أعداء الملوك بجعل التابع في حكم المتبوع، و ابتدأ باسم الله و حمده و انتهى بذم الغضب و الضلال لأن مطلع الخيرات الإقبال على الله و تمامها بالسلامة عن الغضب و الضلال، و فيه إشارة إلى سبق الرحمة، ثم إن جعل «غير» بدلا فكأن الداعي رأى قصور نفسه عن سلوك صراط المنعم =

على بناء الكلام بادئ[1] بدء على إخراج المتلبس بالصفة[2] و صونا للكلام[3] عن إفهام أن ما يعد[4] أقل و دون لا[5] «ولا الضالين» فعلم مقدار النعمة على القسم الأول و أنه لا نجاة إلا باتباعهم و أن من حاد عن سبيلهم عامدا أو مخطئا شق ليشمّر[6] أولو الجد عن[7] ساق العزم و ساعد الجهد فى اقتفاء[8] آثارهم[9] للفوز بحسن جوارهم فى سيرهم و قرارهم . ٥

قال الحرالى : « المغضوب عليهم » الذين ظهر[10] منهم المراغمة و تعمد

= عليهم فأعرض عن طلبه وأخذ يطلب السلامة........ و لفظة «غير» تشعر بالمغايرة الكلية و زيادة « لا » مشعرة بأن المطلوب الإخلاء عنه سواء قارنه الغضب أم لا .

(١) فى م : بادنى ـ كذا .

(٢) من هنا إلى « اقل » ليست فى ظ .

(٣) فى مد : للفظ .

(٤) من مد ، و فى الأصل وم : بعد .

(٥) زيد فى م وظ ومد : للتنبية على أن الصنفين من أهل النعمة وكانت «لا» مع كونها أخصر و أرشق و أدل (فى مد : اولى) بالنفى و أحق و أوفق تفيد مع التأكيد أن المراد مجانبة كل واحد من الصنفين على حياله قال .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ليستمر .

(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على ، وهو الأوفق بيستمر .

(٨) فى م : الاقتفاء .

(٩) زيد فى م و مد و ظ : و الاهتداء بمنارهم .

(١٠) فى م ومد و ظ : ظهرت .

المخالفة فيوجب[1] ذلك الغضب من الأعلى والبغض من الأدنى . و « الضالين » الذين[2] وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها من غير تعمد لذلك . « امين » كلمة عزم[3] من الأمن ، مدلولها أن المدعو مأمون منه أن يرد من دعاه لأنه [4]لايعجزه شيء و لا يمنعه و هي[4] لا تصلح إلا لله لأن ما دونه لا ينفك عن عجز
٥ أو منع [انتهى -[5]] . و هو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب[6] و قد انعطف المنتهى[7] على المبتدإ بمراقبة القسم الأول اسم الله لحازوا[8] ثمرة الرحمة و خالف هذان[9] القسمان فكانوا من حزب الشيطان فأخذتهم النقمة ، و علم أن نظم القرآن على / ما هو عليه معجز ، و من ثم اشترط /١٢

(١) من م و مد و ظ ، و في الأصل : فوجب .
(٢) في مد : الذي .
(٣) من م ، و في الأصل و مد و ظ : عزمة .
(٤ - ٤) ليست في م .
(٥) زيد من م و مد و ظ .
(٦) و في تفسير المهائمي : آمين بمعنى استجب أو كذلك افعل أو قاصدين نحوك أو عاجزين عن بلوغ الثناء عليك أو راجين إجابة الدعوة أو مشتغلين بها عن سائر الأشياء أو راضين بما قضيت لنا أو علينا ، و بالجملة ففيه رجوع إلى الله و إدامة الانتقار إليه و هو أصل كل خير و به يتم سلوك طريق الحق و يسلم من الآفات - انتهى .
(٧) ليس في م .
(٨) من م و مد و ظ ، و في الأصل : فجازوا .
(٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : هذا .

فى الفاتحة فى الصلاة لكونها واجبة فيها الترتيب، فلو قدم فيها أو[1] أخر لم تصح الصلاة [وكذا لوأدرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم -[2]] .

قال الأصبهانى: فان القرآن معجز و الركن الأبين[4] الإعجاز يتعلق بالنظم و الترتيب - انتهى . و الحاصل أنه لما رفعت[5] تلك الصفات ٥ العلية لمخاطبها الحجب وكشفت[6] له بسمو مجدها و علو جدها [و شرف حمدها -[7]] جلائل الستر[8] و أشرقت[9] به[10] رياض الكرم و نشرت له لطائف[11] عواطفها بسط البر و النعم[12] ثم اخترقت به مهامه العظمة و الكبرياء و طوت فى تيسيرها له مفاوز الجبروت و العز[12] و أومضت له بوارق

(١) زيد فى ظ : و.

(٢) من م ومد، وفى الأصل و ظ : و.

(٣) زيد من م مد .

(٤) زيد فى م و مد : فى .

(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وقعت، و زيدت بعده فى الأصل و ظ : و لذا لوادرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم (و زيد بعد « بالنظم » فى الأصل فقط « لا » .

(٦) من م ومد وظ ، و فى الأصل : كشف .

(٧) زيد من م ومد وظ .

(٨) فى مد : السير .

(٩) فى مد وظ : اشرفت .

(١٠) زيد فى م ومد وظ : على .

(١١) فى م و مد وظ : بلطائف .

(١٢-١٢) ليست فى مد .

النقم من ذلك الجناب الأشم[1] وصل إلى مقام الفناء عن[2] الفانى و تمكن فى[3] رتبة شهود البقاء للباقى فبادر الخضوع له معرضا عن السوى حاكما على الأغيار بما لها من ذواتها [من - [4]] العدم و التوى[5] فقال « اياك نعبد » و فى تلك الحال تحقق العجز عن توفية[6] ذلك المقام ما له من الحق فقال : « و اياك نستعين » . ٥

فكشف له الشهود فى حضرات المعبود عن طرق عديدة و منازل ساميه بعيدة و رأى أحوالا جمة و أودية مدلهمة و بحارا مغرقة[7] و أنوارا[8] هادية و أخرى محرقة ، و رأى لكل أهلا [9]قد أسلكوا[9] فجاء تارة حزنا و أخرى[10] سهلا ، و علم أن لا نجاة إلا بهدايته و لا عصمة بغير عنايته و لا سعادة إلا برحمته و لا سلامة لغير أهل نعمته[11]؛ فلما أشرق و استنار ١٠

---

(١) فى مد فقط : الاسم .
(٢) فى م : من .
(٣) من م و مد وظ ، وفى الأصل : من .
(٤) زيد من م و مد و ظ .
(٥) فى م : الثوى .
(٦) فى م : توقية .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معرفة .
(٨) فى م : انوارها .
(٩-٩) ليست فى م .
(١٠) فى م : تارة .
(١١) فى تفسير المهائمى « فمن الأصول معرفة الله تعالى بأنه الذى قامت به الموجودات قيام الأجساد بالأرواح و معرفة وجوده بأنه الذى رجح من رحمته احد طرف الممكنات ومعرفة صفاته بأنها الكمالات الموجبة للحمد و التربية تقتضى الحياة =

و عرف مواقع الأسرار [بالأقدار -١] كأنه قيل له : ما ذا تطلب [و في -١] أي مذهب تذهب؟ فقال : « اهدنا الصراط المستقيم » .

و لما طلب أشرف طريق سأل أحسن رفيق فقال : « صراط الذين انعمت عليهم » ، و لما كانت النعمة قد تخص الدنيوية عينها و استعاذ[٢] من أولئك الذين شاهدهم في التيه سائرين و عن القصد عائرين حائرين ٥ أو جائرين فقال : « غير المغضوب عليهم و لا الضآلين » .

و قد أشير في أم الكتاب - كما قال العلامة سعد الدين مسعود ابن عمر التفتازاني الشافعي - إلى جميع النعم فانها ترجع إلى إيجاد و إبقاء أولا و[٣] [إلى -[٤]] إيجاد و إبقاء ثانيا في دار الفناء و البقاء ، أما الإيجاد الأول فبقوله « الحمد لله رب العلمين » فان الإخراج من العدم إلى الوجود ١٠ أعظم تربية ، و أما الإبقاء الأول فبقوله « الرحمن الرحيم » أي المنعم بجلائل النعم و دقائقها التي بها البقاء ، و أما الإيجاد الثاني فبقوله « ملك

= و العلم . . . و معرفة أسمائه بأنها الوسائط القريبة له بينه و بين خلقه بها يربي و يرحم و يفضل و معرفة توحيده بأنه رب كل شيء ما عداه و معرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع إليه و معرفة افتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب و وسطا بأنه الرحمن الرحيم و انتهاء بأنه مالك يوم الدين » أطال المصنف و أجاد من شاء الاطلاع عليه فليراجع .

(١) زيد من م وظ و مد .

(٢) في م و مد : فاستعاذ ، و في ظ : و استعاد .

(٣) ليس في م .

(٤) زيد من ظ .

يوم الدين» و هو ظاهر، و أما الإبقاء الثانى فبقوله «اياك نعبد» - إلى آخرها، فان منافع ذلك تعود إلى الآخرة .

ثم جاء التصدير بالحمد بعد الفاتحة فى أربع سور أشير فى [كل - [1]] سورة منها إلى نعمة من هذه النعم على ترتيبها - انتهى، و سيأتى فى ٥ أول [كل - [1]] سورة من الأربع ما يتعلق بها من بقية كلامه إن شاء الله تعالى، و هذا يرجع إلى أصل مدلول الحمد فان مادته بكل ترتيب تدور على بلوغ الغاية و يلزم منه الاتساع و الإحاطة و الاستدارة فيلزمها مطأطأة الرأس و قد يلزم الغاية الرضا فيلزمه الشكر و سيبين و ينزل على الجزئيات فى سورة النحل إن شاء الله تعالى، ثم فى أول ١٠ سبأ تحقيق ما قاله [الناس - [1]] فيه و فى النسبة بينه و بين الشكر فقد بان سر الافتتاح بها من حيث تصديرها بالحمد[2] جزئيا فكليا الذى / كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه[3] فهو أجذم[4]؛ و تعقبه[5] بمدح المحمود بما ذكر من

/ ١٣

(١) زيد من ظ و م و مد .

(٢) قال على المهائمى فى تفسيره: "ثم أشار إلى سر حمده بأنه ربى الكل تربية رحمة بأن خلقه كما ينبغى ثم أفاض ما يحتاج إليه فى بقائه و ما يفيد سائر الكمالات التى لا تتناهى" و قال "(فمنها) فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته و كتابته بها لأن تسميتها وحمدها مبدأ كل أمر ذى بال تحاميا عن البتر لأن وجود كل شيء بظهور اسم الله تعالى فيه و تقرره بشكره بل هو مستزيد" انتهى .

(٣) و فى م و مد : به .

(٤) فى م : جذم .

(٥) و فى م و مد و ظ : تعقيبه .

أسمائه

أسمائه الحسنى مع اشتمالها على جملة[١] معانى القرآن من الحكم النظرية و الأحكام العملية فهى أم القرآن لأنها [له - [٢]] عنوان و هو كله لما تضمنته على قصرها بسط و تبيان .

قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل فى آخر الباب التاسع منه : و لننه هذه الأبواب بذكر ٥ القرآن و محتواه على الكتب و جمعه و قراءته و بيانه و تنزيله و إنزاله و حكيمه[٣] و مبينه و مجيده و كريمه و عظيمه و مرجعه إلى السبع المثانى و القرآن العظيم أم القرآن و محتواها عليه[٤] ، فنذكر جميع ذلك فى الباب العاشر ، الباب العاشر فى محل أم القرآن من القرآن و وجه محتوى القرآن على جميع الكتب و الصحف المتضمنة لجميع الأديان . ١٠

اعلم أن الله سبحانه جمع نبأه العظيم كله عن شأنه العظيم جمعا فى السبع المثانى أم القرآن و أم الكتاب و كنزها تحت عرشه ليظهرها[٥] فى الختم عند تمام أمر الخلق و ظهور بادئ الحمد بمحمد صلى الله عليه و سلم ، لأنه تعالى يختم بما به بدأ و لم يظهرها قبل ذلك ، لأن ظهورها

(١) فى م : جمله .
(٢) زيد من م و مد و ظ .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حكميه ، و هو محرف .
(٤) و فى تفسير المهائمى : و (منها) سورة الكنز لقول على رضى الله عنه : نزلت سورة الفاتحة من كنز تحت العرش ، أى من أسرار المعارف المحيطة معرفة الذات و الأسماء و الأفعال و المعاد و الصراط المستقيم و الجزاء و المحاجة و الأحكام .
(٥) فى ظ : لتظهرها .

يذهب وهل الخلق و يمحو كفرهم و لا [يتم - [1]] بناء القرآن إلا مع قائم بمشهود بيان الفعل ليتم الأمر مسمعا و مرأى [2] و ذلك لمن [3] يكون من خلقه كل خلق ليبين به ما من أمره كل أمر، ثم فيما بين بدء الأمر المكنون و خاتم الخلق الكامل تدرج تَنَشّؤ [4] الخلق و بدو ٥ الأمر على حسب ذلك الأمر صحفا فصحفا و كتابا فكتابا، فالصحف لما يتبدل سريعا ، و الكتاب لما يثبت و يدوم أمدا ، و الألواح لما يقيم وقتا .

ففى التوراة أحكام الله على عباده فى الدنيا بالحدود و المصائب و الضراء و البأساء ، و فى القرآن منها ما شاء الله و ما يظهره الفقه من ١٠ الحدود ، و معارف [5] الصوفية من مؤاخذة المصائب ؛ و فى الإنجيل أصول تلك الأحكام و الإعلام بأن المقصود بها ليست هى بل ما وراءها من أمر الملكوت ، و فى القرآن منها ما شاء الله مما يظهره [6] العلم و الحكمة الملكوتية ، و فى الزبور تطريب الخلق وجدًا و هم عن أنفسهم إلى ربهم ، و فى القرآن منه ما شاء الله مما تظهره الموعظة الحسنة ، ثم أنهى

---

(١) من م و مد .

(٢) فى م و مد : مرأىً ـ كذا ، و وقع فى الأصل و ظ : امرا ـ مصحفا .

(٣) من مد ، و فى الأصل و م و ظ : بمن .

(٤) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : تنشر .

(٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مقارف ـ كذا .

(٦) زيد فى م : الله .

الأمر و الخلق من جميع وجوهه، فصار قرآنا جامعا للكل[٢] متمما للنعمة مكملا للدين «اليوم اكملت لكم دينكم» - الآية، بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - و إن إلى ربك المنتهى.

و وجه فوت[٣] أم القرآن [للقرآن -[٤]] أن القرآن مقصود تنزيله التفصيل و الجوامع، فيه نجوم مبثوثة غير منتظمة، واحدة إثر واحدة، ٥ و الجوامع في أم القرآن منتظمة واحدة بعد واحدة إلى تمام السبع على وفاء لا مزيد فيه و لا نقص عنه؛ أظهر تعالى [٥] بما له[٥] سورة صورة تجليه[٦] من بدء الملك إلى ختم الحمد، و بما لعبده [٧]سور مصورة[٧] تأديه من براءته من الضلال إلى هدى الصراط المستقيم، «و وجدك ضالا فهدى» و بما بينه و بينه قيام ذات الأمر و الخلق فكان ذلك هو القرآن ١٠

(١) زيد بعده في الأصل: و الخلق - كذا.

(٢) و في تفسير المهائمي: و اكمل معنى جمع من علوم جمة ما لا يتناهى من فوائد مهمة في ألفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد له العلوم و يشهد بها و يشتمل على أصول مسائلها مع دلائلها و رفع الشبه عنها لا تجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كلماتـه و ترتيب آياته للذى يفتقر فيه إلى تأمل كامل و تدبر تام من ذى علوم كثيرة و باعتبار استقلالها بالنزول - الخ.

(٣) من م و مد وظ، و في الأصل: يوت - كذا؛ و في تاج العروس: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ... اختلافا و لا اضطرابا و عن الليث فات يفوت فوتا فهو فائت كما يقولون بون ما بيني و بينكم - الخ.

(٤) زيد من م و مد و ظ.

(٥-٥) ليس في مد.

(٦) في ظ: تحيله، و في مد: تجليته - كذا.

(٧-٧) في مد و ظ: سورة صورة.

العظيم الجامع لما حواه القرآن المطلق الذكر بما فيه من ذلك تفصيلا من مبينه[1] و هو ما عوينت آية مسموعة ، و من مجيده و هو ما جربت أحكامه من بين عاجل[2] ما شهد/ و آجل ما علم ، يعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة[3] بما تواتر من القصص الماضى[4] و ما شهد له من الأثر الحاضر و ما يتجدد مع الأوقات من أمثاله و أشباهه ، و من كريمه و هو ما ظهرت فيه أفانين إنعامه فيما دق و جل و خفى و بدا ، و من حكيمه[5] و هو ما ظهر فى الحكمة المشهورة[6] تقاضيه و انتظام مكتوب خلقه على حسب تنزيل أمره ، و ما كان منه بتدريج و تقريب للأفهام ففاءت[7] من حال إلى حال و حكم إلى حكم كان تنزيلا ، و ما أهوى به[8] من علو إلى سفل[9] كان إنزالا ، و هو إنزال حيث لا وسائط و تنزيل حيث الوسائط ؛ و بيانه حيث الإمام العامل به مظهره فى أفعاله و أخلاقه كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ، و قرآنه تلفيق تلاوته على حسب ما تتقاضاه النوازل .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بينه .
(٢) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : جاعل ، و هو محرف العاجل القابل بآجل .
(٣) فى ظ : المتقنة .
(٤) كذا ، و لعله : الماضية .
(٥) فى مد : حكيه - كذا .
(٦) و فى م : المشهودة .
(٧) فى م و مد و ظ : تأت .
(٨) زيد فى م و ظ : اهواء ، و فى مد : اهوى .
(٩) من م ، مد و ظ ، و فى الأصل : اسفل .

آخر

آخر آية أنزلت «و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله[1]» قال صلى الله عليه و سلم فى مضمون قوله تعالى «ان علينا جمعه [2]و قرآنه[2]»: اجعلوها بين آية الدين و الآية التى قبلها، [لأنه-[3]] ربما تقدم[4] كيان الآية و تأخر فى النظم قرآنها[5] على ما تقدم عليها، آية «يأيها النبي انا احللنا لك ازواجك[6]» الآية متأخرة الكيان متقدمة[7] القرآن على آية «لا يحل لك النساء من بعد[8]» فقد يتطابق[9] قرآن الأمر و تطوير الخلق و قد لا يتطابق و الله يتولى إقامتهما؛ و أما الجمع فى قلبه نسبة جوامعه السبع فى أم[10] القرآن إلى القرآن بمنزلة نسبة[11] جمعه فى قلبه لمحا واحدا إلى أم القرآن «و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر[12]» فهو جمع فى قلبه، و قرآن على لسانه،

---

(١) سورة ٢ آية ٢٨١ .

(٢-٢) ليست فى م . سورة ٧٥ آية ١٧ .

(٣) زيد من م و ظ و مد .

(٤) من م و مد وظ ، و فى الأصل : يقدم .

(٥) فى ظ : قرأتها .

(٦) سورة ٣٣ آية ٥٠ .

(٧) فى م : بتقدمة .

(٨) سورة ٣٣ آية ٥٢ .

(٩) من م و مد وظ ، وفى الأصل : تطابق .

(١٠) من م و مد وظ ، و فى الأصل : امر .

(١١) زيد فى ظ فقط : امر القرآن إلى ، و بهامشه : نسبة القرآن فى .

(١٢) سورة ٥٤ آية ٥٠ .

و بيان فى أخلاقه و أفعاله، و جملة فى صدره، و تنزيل فى تلاوته، «و قال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة[1]» قال الله تعالى: كذلك - أى كذلك أنزلناه[2]، إلا[3] ما هو منك بمنزلة سماء[4] الدنيا من الكون «انا انزلنه فى ليلة مبركة[5]» أى إلى سماء الدنيا «و[6] نزلنه تنزيلا[6]» على لسانه فى أمد أيام النبوة، و قال فى تفسيره: القرآن باطن[7] و ظاهره محمد صلى الله عليه و سلم، قالت عائشة رضى الله عنها: كان خلقه القرآن، فمحمد صلى الله عليه و سلم صورة باطن سورة القرآن، فالقرآن باطنه و هو ظاهره[8] «نزل به الروح الأمين ه على قلبك[9]».

و قال فى تفسير الفاتحة: و كانت سورة الفاتحة أمّا للقرآن، لأن القرآن جميعه مفصل من مجملها، فالآيات الثلاث الأول شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى و الصفات العلى، فكل ما فى القرآن من ذلك فهو مفصل من جوامعها، و الآيات الثلاث الأخر من قوله

(١) سورة ٢٥ آية ٣٢ .
(٢) فى م و مد: نزلناه .
(٣) فى م ومد: الى .
(٤) من م ومد و ظ، و فى الأصل: اسماء .
(٥) سورة ٤٤ آية ٣ .
(٦-٦) سورة ١٧، آية ١٠٦، و فى م و مد و ظ: رتلناه ترتيلا، و زيد بعده فى ظ: اى .
(٧) فى م: باطنه .
(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ظاهر .
(٩) سورة ٢٦ آية ١٩٤ .

« اهدنا » شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق فى الأصول إلى الله و التحيز إلى رحمة الله و الانقطاع دون ذلك ، فكل ما فى القرآن منه فمن تفصيل جوامع هذه ، و كل ما يكون وصلة بين ذلك مما ظاهرهن[1] هذه[2] من الخلق و مبدؤه و قيامه من الحق فمفصل ٣من آية٣ « اياك نعبد و اياك نستعين » انتهى . ٥

و من أنفع الأمور فى ذوق هذا المشرب استجلاء الحديث القدسى الذى رواه مسلم فى صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن أبى هريرة[4]

(١) فى م و مد: ظاهره .

(٢) ليس فى م و مد .

(٣-٣) ليس فى م و مد و ظ .

(٤) نقل العلامة المهائمى فى تفسيره هذا الحديث بزيادة و شرح شرحا انيقا ما نصه: روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم عن الله تعالى قال: قسمت الصلاة - اى السورة التى هى اعظم اركان الصلاة - بينى و بين عبدى نصفين - اى قسمين - فاذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى ذكرنى عبدى - اى الذكر الجامع لذاتى و أسمائى و صفاتى و أفعالى ، و إذا قال: الحمد لله رب العلمين ، يقول الله : حمدنى عبدى - اى بالحمد الجامع المحامد للكل ، و إذا قال: الرحمن الرحيم ، يقول الله : عظمنى عبدى - اى بنسبة إيجاد الكل إلى على ما ينبغى ، و إذا قال: ملك يوم الدين ، يقول الله : مجدنى عبدى - اى أفردنى عبدى بالعظمة إذ لاملك يومئذ لغيره اصلا ، و إذا قال: اياك نعبد ، يقول الله : عبدنى عبدى - اى بعبادة الكل على أتم وجوه الإخلاص ، و إذا قال: واياك نستعين ، قال: هذا بينى و بين عبدى - اى جامع لحق العبودية من الاستعانة وحق الربوبية من الاعانة ، و اذا قال: اهدنا الصراط المستقيم - الآية ، قال الله : هذا لعبدى و لعبدى ما سأل - ما بقى من الشرح فليطلب من ج ١ ص ١٣ .

رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: قال الله
عز و جل: قسمت الصلاة بيني و بين عبدى نصفين و لعبدى ما سأل .
فاذا قال العبد « الحمد لله رب العٰلمين » قال الله تعالى: حمدنى[1] عبدى ، و إذا
قال « الرحمن / الرحيم » قال الله : أثنى علىّ عبدى ، و إذا قال « مٰلك /١٥
يوم الدين » قال الله : مجدنى عبدى - و قال مرة: فوض إلىّ عبدى ، و إذا ٥
قال: « اياك نعبد و اياك نستعين » قال: هذا بيني و بين عبدى و لعبدى
ما سأل ، و إذا قال « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال: هذا لعبدى و لعبدى ما سأل -
[2]و الله أعلم[2] .

(١) فى م: حمد .
(٢-٢) ليس فى م و مد و ظ .

سورة البقرة[1]

مقصودها إقامة الدليل على [أن - [2]] الكتاب [هدى - [2]] ليتبع[3] فى كل [ما -[4]] قال، وأعظم ما يهدى إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، فداره[5] الإيمان بالبعث[6] الذى أعربت[7] عنه قصة البقرة [التى مدارها الإيمان بالغيب - [8]] فلذلك سميت بها السورة ٥

(١) سميت بها لدلالة قصتها على وجود الصانع إذ حياة القتيل ليست من ذاته وإلا لحيى كل قتيل ولا يضرب بعض البقرة عليه وإلا لحصلت متى ضرب، وعلى قدرته لأنه أحيى بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده، وعلى حكمته لأنه أشار بذلك إلى إحياء القلب بذبح النفس الأمارة المظلمة له، وعلى النبوة لكونها معجزة، وفيها إشارة إلى وجوب طاعة الأنبياء من غير تفتيش لتقل المؤنة ولا تقع الفضيحة التى وقعت للقائلين «اتتخذنا هزوا»، وعلى الاستقامة لأن طلب الدنيا ذلة وطلب ما سوى الله شية - من تفسير المهائمى، وليطلب ما فيه من التحقيق.

(٢) زيد من م ومد وظ.

(٣) فى مد: فيتبع.

(٤) زيد من م.

(٥) من مد، وفى الأصل: مداره، وفى م وظ: ومداره.

(٦) من م وظ ومد، وفى الأصل فقط: بالغيب.

(٧) فى م: اعرب.

(٨) زيد من ظ ومد.

وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه [1] الصلاة و [1] السلام لأنها فى نوع البشر و مما تقدمها فى قصة بنى إسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق [2] و كذلك ما شاكلها [2]، لأن الإحياء فى قصة البقرة عن سبب ضعيف فى الظاهر بمباشرة من كان من آحاد الناس فهى أدل على القدرة و لا سيما

٥ وقد اتبعت بوصف القلوب [3] و الحجارة [3] [بما عم - [4]] المهتدين بالكتاب و الضالين فوصفها [5] بالقسوة الموجبة للشقوة [6] و وصفت [6] الحجارة [7] بالخشية الناشئة فى الجملة عن التقوى [8] المانحة للمدد [9] المتعدى نفعه إلى عباد الله، و فيها [10] إشارة [11] إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا [12] خليفة من أولى العزم من الرسل يرشدنا فى كل أمر إلى صواب

(١-١) ليس فى م و مد .

(٢-٢) فى ظ : كذا ما ساكلها، و فى م و مد : كذا ما شاكلها .

(٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالحجارة .

(٤) زيد من م و مد و ظ ، غير أن فى مد «مما» مكان «بما» .

(٥) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : بوصفها .

(٦-٦) فى ظ : من وصف ، و فى م : و ضعف .

(٧) زيد فى م «و» .

(٨) فى ظ : القوى - كذا .

(٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المداد - كذا .

(١٠) ليس فى م ، و فى مد : فيهما .

(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الاشارة .

(١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيمن .

المخرج منه[1] فمن أعرض خاب، و من تردد كاد، و من أجاب اتقى و أجاد.

و سميت بالزهراء[2] لإنارتها[3] طريق الهداية و الكفاية فى الدنيا و الآخرة[4]، و[5] لإيجابها إسفار الوجوه فى يوم الجزاء لمن آمن بالغيب ولم يكن فى شك مريب فيحال[6] بينه و بين ما يشتهى، و بالسنام لأنه[7] ٥ ليس فى الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذى هو الأساس الذى ينبنى[8] عليه كل خير و المنتهى[9] الذى هو غاية[10] السير و العالى[11] على كل غير بأعلى[12]

(١) ليس فى مد .

(٢) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : الزهراء . والعبارة الآتية إلى « والآخرة » ليست فى م وظ .

(٣) من مد ، و فى الأصل و م وظ : لاثارتها - بالثاء المثلثة .

(٤) فى مد : الأخرى.

(٥) ليس فى ظ .

(٦) من ظ ولكنه بلا نقط فيه ، وليس فى م ، وفى مد : فاحيل ، وفى الأصل : فيما .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لأن .

(٨) من م ومد وظ ، و فى الأصل : ينبنى .

(٩) و فى ظ و مد : التاج .

(١٠) فى م و مد و ظ : نهاية .

(١١) من م و مد وظ ، و فى الأصل : المعالى .

(١٢) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : اعلى .

و لا أجمع من الإيمان بالآخرة، و[1] لأن السنام أعلى ما فى بطن[2] المطية الحاملة و الكتاب الذى هى سورته[3] هو أعلى ما فى الحامل للأمر[4] و هو الشرع الذى أتاهم به رسولهم صلى الله عليه و سلم[5].

«بسم الله» الذى نصب مع كونه باطنا دلائل الهدى حتى كان ظاهرا، «الرحمن» الذى أفاض رحمته على سائر خلقه بعد الإيجاد ببيان الطريق، «الرحيم» الذى خص أهل وده بالتوفيق[6] .[7] قال العلامة أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة لمفتاح الباب [المقفل - [8]] فى معنى ما رواه عن ابن وهب من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: كان الكتاب الأول ينزل من باب

(١) ليس فى مد و ظ .

(٢) ليس فى م و مد و ظ .

(٣) زيد فى الأصل «او» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

(٤) فى م و ظ : للامة، و فى مد: للامر، و فى الأصل: للامرة .

(٥) زيد بعده فى الأصل «عن حياة عن عقيل بن خالد عن سلمة بن ابى سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكر من غير ذكر النبي صلى الله عليه و سلم» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها و ستجىء.

(٦) و فى تفسير المهائمى، ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم أى باسم الله الذى تجلى بذاته و صفاته فى كتابه الشامل على بيان كمالاته، الرحمن بنفى الريب عنه بجعله معجزا للكل، الرحيم بجعله هدى للمتقين - اه .

(٧) زيد هنا فى الأصل فقط «و» .

(٨) زيد من م و مد و ظ .

واحد على حرف واحد و نزل[1] القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر و آمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال[2] فأحلوا حلاله و حرموا حرامه و افعلوا/ ما أمرتم به و انتهوا عما نهيتم عنه /١٦ و اعتبروا بأمثاله و اعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه و قولوا: آمنا به، كل من عند ربنا - وهذا الحديث رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ٥ و أبو يعلى الموصلي و من طريقه ابن حبان في صحيحه، كلهم من طريق ابن وهب[3] عن حَيْوَة[4] عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه - فذكره من غير ذكر النبي صلى الله عليه و سلم؛ و قال العلامة الحافظ أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي [الشافعي - [5]] في كتابه «المرشد الوجيز[6] ١٠ إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» بعد أن ساق هذا الحديث من رواية سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود[7] رضي الله عنه:

---

(١) في ظ: فنزل.

(٢) في م: امثاله.

(٣) من هنا إلى «و سلم» الآتي ليست في مد.

(٤) من م و ظ، و في الأصل و مد: حياة - كذا؛ و هو حَيْوَة بن شُرَيح، روى عن أبي هانئ و شرحبيل بن شريك المعافري و جماعة، و عنه الليث و ابن لهيعة و نافع بن يزيد و ابن وهب و غيرهم - راجع تهذيب التهذيب ٣/٦٩.

(٥) زيد من م و مد و ظ.

(٦) من م و مد و ظ، و في الأصل: الرجيز - كذا.

(٧) من هنا إلى «ابن مسعود» الآتي ليست في م.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث عند أهل الحديث لم يثبت، و أبو سلمة لم يلق ابن مسعود، و ابنه سلمة ليس بمن يحتج به، و هذا الحديث مجمع على ضعفه من جهة إسناده و قد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران فيما سمعه الطحاوى منه، و يرويه الليث عن
٥ عقيل عن ابن شهاب عن أم سلمة [عن أبي سلمة -[1]] عن النبي صلى الله عليه و سلم مرسلا[2]، قال أبو شامة: و هكذا رواه البيهقى فى كتاب المدخل و قال: هذا مرسل جيد، أبو سلمة لم يدرك ابن مسعود، ثم رواه موصولا و قال: فان صح فمعنى قوله: سبعة أحرف، أى سبعة أوجه، و ليس المراد به[3] اللغات التى أبيحت القراءة عليها
١٠ و هذا المراد به الأنواع التي[4] نزل القرآن عليها و الله أعلم[5].

قلت[6]: عزاه شيخنا العلامة مقرئ زمانه شمس الدين محمد بن محمد بن[7] محمد بن[7] الجزرى[8] الدمشقى الشافعى فى أوائل كتابه[9] « النشر فى

(١) زيد من م و مد و ظ.
(٢) ليس فى م.
(٣) زيد فى م و مد و ظ: ماورد فى الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة احرف ذلك المراد به.
(٤) فى ظ: الذى.
(٥) زيد فى م و مد: انتهى.
(٦) فى مد: و - مكان: قلت، و زيد بعده فى م و ظ: و.
(٧-٧) ليس فى م.
(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: جزرى - كذا.
(٩) فى م فقط: كتاب.

القراءات العشر» إلى الطبراني من حديث عمر بن أبي سلمة المخزومي رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لابن مسعود رضي الله عنه: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد و إن القرآن أنزل من[1] سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال و حرام و محكم و متشابه و ضرب أمثال و [آمر و-[2]] زاجر[3]، فأحل حلاله و حرم ٥ حرامه و اعمل بمحكمه وقف عند متشابهه و اعتبر أمثاله، فان كلا من عند الله و ما يذكر إلا أولوا الالباب . و رواه الحافظ أبو بكر بن أبي داود في «كتاب[4] المصاحف» من وجه آخر عن عبد الله قال: إن القرآن أنزل على نبيكم صلى الله عليه و سلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو: حروف - و إن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو: نزل - ١٠ من باب واحد على حرف واحد . و رواه البيهقي في فضل القرآن من الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: نزل القرآن على خمسة أوجه: حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال .

قال الحرالي: و في حديث آخر من طريق ابن عمر رضي الله عنهما: إن الكتب كانت تنزل من باب واحد و إن هذا القرآن أنزل من ١٥

(١) من م و مد و ظ ، و في الأصل : على .

(٢) زيد من م و ظ و مد، غير ان في مد : و اوامر .

(٣) في مد: زواجر .

(٤) في م فقط : كتابه .

سبعة أبواب على سبعة أحرف، و قال فى معنى ذلك[١] : اعلم أن القرآن منزل[٢] عند انتهاء الخلق و كمال كل الأمر بدءا فكان[٣] المتخلق به جامعا لانتهاء كل خلق و كمال كل أمر، فلذلك هو صلى الله عليه و سلم قُثَم[٤] الكون - و هو الجامع الكامل - [و -[٥]] لذلك كان خاتما، وكان كتابه[٦] ٥ ختما، و بدأ المعاد من حد ظهوره، إنه هو يبدئ و يعيد، فاستوفى[٧]

/١٧

(١) قال فى حاشية الإتقان: قوله: انزل القرآن على سبعة احرف، قال فى القاموس: اى سبع لغات من لغات العرب، و ليس معناه ان يكون فى الحرف الواحد سبعة اوجه و ان جاء على سبعة و عشر او اكثر و لكن المعنى هذه اللغات السبعة مفرقة فى القرآن - انتهى. و فى التوشيح: اختلف فى المراد بها على نحو اربعين قولا و بسطتها فى الإتقان و أقربها قولان: أحدهما أن المراد سبع لغات. و تعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة، و أجيب أن المراد بها أفصحها، و عليه أبو عبيدة و ثعلب و الأزهرى وآخرون و صححه ابن عطية و البيهقى؛ و الثانى أن المراد سبعة اوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة - ان شئت مزيد تحقيق فراجع الى حاشية الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٧٤٦.

(٢) و فى مد: ينزل.

(٣) من م و مد، و فى الأصل: و كان.

(٤) من مد و ظ، و فى م: قشم، و فى الأصل: فثم - بالفاء الموحدة، و الصواب بالقاف - راجع قطر المحيط ص ١٦٦.

(٥) زيد من م و ظ و مد.

(٦) فى متن م و مد: كختامه، و فى هامشها: كتابه.

(٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فاستوى.

صلاح

صلاح هذه[1] الجوامع الثلاث التى قد خلت فى الأولين بداياتها و تمت عنده نهاياتها[2]؛ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - رواه أحمد عن معاذ رضى الله عنه رفعه ، و هى صلاح الدنيا و الدين و المعاد التى جمعها فى قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: اللهم! أصلح لى دينى الذى[3] هو عصمة أمرى، و أصلح لى دنياى التى فيها ٥ معاشى، و أصلح لى آخرتى التى إليها[4] معادى . و فى كل صلاح إقدام و إحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة مفصلات هى حروف القرآن الستة التى لم يبرح يستزيدها[5] من ربه حرفا[6] حرفا، فلما استوفى الستة وهبه[7] ربه حرفا جامعا سابعا فردا لا زوج له، فتم إنزاله على سبعة أحرف.

فأدنى[8] تلك الحروف هو [9]حرف إصلاح[9] الدنيا ، فلها حرفان: ١٠

---

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هداه - كذا .

(٢) فى م : غاياتها .

(٣) ليس فى م .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيها .

(٥) فى الصحيح للامام البخارى فضائل القرآن باب ٥ : ان ابن عباس رضى الله عنهما حدثه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أقرأنى جبرئيل على حرف فراجعته فلم ازل أستزيده و يزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف .

(٦) زيد فى ظ : واحد .

(٧) زيد فى م: من .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فاوتى .

(٩-٩) فى م و مد: حرفا صلاح .

أحدهما حرف الحرام الذى لا تصلح[1] النفس و البدن إلا بالتطهير[2] منه لبعده عن تقويمها[3]؛ و الثانى حرف الحلال الذى تصلح النفس و البدن عليه لموافقته لتقويمها؛ و أصل هذين الحرفين فى التوراة، و تمامها فى القرآن .

٥ ثم يلى[4] هذين حرفا صلاح المعاد: أحدهما حرف الزجر و النهى التى لا تصلح الآخرة إلا بالتطهير[2] منه لبعده عن حسناها ، و الثانى حرف الأمر الذى تصلح الآخرة عليه لتقاضيه بحسناها[5]، و قد يتضرر على ذلك حال الدنيا، لأنه يأتى على كثير من حلالها لوجوب إيثار[6] الآخرة لبقائها و كليتها على الدنيا لفنائها و جزئيتها، لكون خير الدنيا ١٠ جزءا من مائة[7] و شر الدنيا جزءا من سبعين [جزءا - [8]] و لا يؤثر[9]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لا تصح ، و هو كما ترى .
(٢) من مد، و فى الأصل و م و ظ : بالتطهر .
(٣) فى الأصول: تقويها .
(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: تلى .
(٥) من ظ ، و فى الأصل وم و مد : لحسناها .
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : آثار .
(٧) فى م: امامه - كذا .
(٨) زيد من ظ .
(٩) من م و مد وظ ، و فى الأصل : يوس - كذا .

هذا الجزء الأدنى لحضوره على ذلك الكل الأنهى لغيابه إلا من سفه نفسه و ضعف إيمانه ، فتخلص المرء[1] من حرف الحرام طهره و تخلصه من النهى طيبه ؛ و أصل هذين الحرفين فى الإنجيل و تمامهما فى القرآن .

ثم يلى[2] هذين حرفا صلاح الدين : أحدهما حرف المحكم الذى بان للعبد فيه خطاب ربه من جهة أحوال قلبه و أخلاق نفسه و أعمال بدنه ٥ فيما بينه و بين ربه من غير التفات لغرض النفس فى عاجل الدنيا و لا آجلها ، و الثانى حرف المتشابه الذى لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن إدراكه و وجوب تسبيح ربه عن تمثل[3] عبده إلى أن يؤيده الله بتأييده . و الحروف الخمسة للاستعمال و هذا الحرف السادس للوقوف ليكون العبد قد وقف لله بقلبه عن حرف كما قد ١٠ كان أقدم لله على تلك الحروف ، و لينسخ بعجزه[4] و إيمانه عند هذا الحرف السادس انتهاء ما تقدم من طوقه[5] /[6] و علمه[6] فى تلك الحروف ١٨/ ابتداء ؛ و أصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدمة كلها و تمامها[7]

---

(١) فى ظ : المراء - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تلى .

(٣) و فى مد : تمثيل .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بمعجزه .

(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طرقه .

(٦-٦) كرره فى الأصل ثانيا .

(٧) فى مد : تمامهما .

فى القرآن .

فهذه الحروف الستة يشترك فيها القرآن مع سائر الكتب و يزيد عليها تمامها و بركة جمعها ، و يختص القرآن بالحرف السابع الجامع مبين المثل الأعلى و مظهر الممثول الأعظم حرف الحمد الخاص بمحمد صلى الله ٥ عليه و سلم و هو حرف المثل ، و عن جمعه و كمال جمعه لمحمد[1] صلى الله عليه و سلم فى قلبه و قراءته على لسانه و بيانه فى ذاته ظهرت عليه خواص خَلْقه الكريم و خُلُقه العظيم، و لا ينال إلا موهبة من الله تعالى لعبده بلا واسطة ، و الستة[2] تتنزل بتوسطات من استواء الطبع و صفاء العقل بمثابة وحى النبي و إلهام الولى .

١٠ و لما كان حرف الحمد هو سابعها الجامع افتتح الله به[3] سبحانه و تعالى الفاتحة أم القران و أم الكتاب و جمع فيها جوامع الحروف السبعة التى بثها فى القرآن كما جمع فى القرآن ما بث فى جميع الكتب المتقدمة ، كفضة[4] ثقلت على مريد[5] السفر [فابتاع بها ذهبا فذلك مثل القرآن ثم ثقل عليه الذهب -[6]] فابتاع به جوهرا ، فذلك مثل أم القرآن ١٥ فاذن كمال الحروف [التى أنزل عليها القرآن -[6]] موجودة فى جوامع

(١) فى ظ : بمحمد .

(٢) فى م و مد : ستة .

(٣) ليس فى م و مد .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كقعبة - كذا .

(٥) فى مد : تريد .

(٦) زيد من م و ظ و مد .

أم القرآن، فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع، و الثانية تشتمل على حرفى الحلال و الحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما[١] الدنيا، يريد - [٢]و الله سبحانه و تعالى أعلم[٢]- أن الرحمانية وسعت على العباد الاستمتاع بالمخلوق من النعم و الخيرات الموافقة لطباعهم و أمزجتهم و قبول نفوسهم فى جميع جهات الاستمتاع، فكان فى ذلك رحمتان: رحمة ٥ بالإباحة و هى إزالة حرج الحظر، و رحمة يمنع لحاق حرج الإثم أو يجعل المباح شهيا للطبع، و أما الرحيمية فطهرتهم من مضار أبدانهم و رجاسة نفوسهم و بجهلة قلوبهم، فى ذلك رحمة واحدة و هى حمية المحبوب عن المضار[٣] من المحبوب. أو يريد - و هو و الله تعالى[٤] أعلم أقرب[٥] - أن الرحمانية أقامت بعمومها [٦]كل ما[٦] شملتــــه الربوبية من إفاضة النعم ١٠ و إزاحة النقم على وجه مسعد أو مشق، و الرحيمية أقامت بخصوصها كما تقدم بما ترضاه الإلهية إدرار النعم و دفع النقم على الوجه المسعد خاصة - انتهى.

و الآية الثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفى الأمر و النهى

(١) من م وظ و مد، و فى الأصل: بهم.

(٢ - ٢) فى م و مد و ظ: الله اعلم.

(٣) من مد، و فى الأصل و م وظ: الضار.

(٤) ليس فى م و مد.

(٥) قدمه فى ظ على «و الله».

(٦-٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: كلما - كذا.

اللذين يبدو أمرهما فى الدين ؛ و الرابعة تشتمل على حرفى المحكم فى قوله « اياك نعبد » و المتشابه فى قوله « و اياك نستعين » ، و لما كانت بناء[١] خطاب محاضرة لم تردد[٢] مسألتها فى السورة فانفرد هذان[٣] الحرفان عن الدعاء فيهما ، و عادت مسألة الآية الخامسة على حرف الحمد و مسألة الآية ٥ السادسة على آية النعمة من حرفى الحلال و الحرام و مسألة الآية السابعة على آية[٤] الملك من حرفى الأمر والنهى ؛ فجمعت الفاتحة جوامع/الحروف ١٩/ السبعة .

و لما ابتدئت[٥] الفاتحة[٦] أم القرآن بالسابع[٧] الجامع الموهوب[٨] ابتدئ[٩] القرآن بالحرف السادس[١٠] المعجوز عنه و هو حرف المتشابه ، لأنه[١١] عن

(١) فى م و مد : نبأ ـ كذا .

(٢) فى ظ فقط : لم تردد .

(٣) فى م : هذا .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انه ـ و هو محرف .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ابتدينا .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لفاتحة .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : السامع ـ كذا .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الرهوب ـ كذا .

(٩) زيد فى الأصل فقط « من » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها.

(١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط : السابع .

(١١) فى الأصول كلها : لأن .

إظهار العجز و محض الإيمان كانت الهبة[١] و التأييد[٢]، و ليكون العبد يفتتح القرآن بالإيمان بغيب[٣] متشابه فى قوله «الٓمٓ» فيكون أتم انقيادا لما دونه و بريئا من الدعوى فى مستطاعه فى سائر الحروف؛ ثم ولى السادس المفتتح به القرآن الخامس المحكم من وجه فى قوله [٤]سبحانه و[٤] تعالى «و يقيمون الصلوة[٥] و مما رزقنٰهم ينفقون» لأن من عمل بها ٥ من قلبه شعبة إيمان و علم كانت له من المحكم، و من عمل بها ائتمارا و إلجاء و لم يدخل الإيمان فى قلبه كانت له حرف أمر «وان تطيعوا الله و رسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا[٦]».

و هذا إنما وقع ترتيبه هكذا فى القرآن المتلو[٧]، و أما تنزيله فى ترتيب البيان فان أول ما نزل على النبى صلى الله عليه و سلم هو حرف ١٠ المحكم و هو قوله [٤]سبحانه و[٤] تعالى «اقرا باسم ربك الذى خلق»

(١) فى م: الهية.

(٢) ليس فى م و مد.

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالغيب.

(٤-٤) ليس فى م و مد.

(٥) زيد بعده فى الأصل «و يوتون الزكوة» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ و لا فى القرآن فحذفناها.

(٦) سورة ٤٩ آية ١٤.

(٧) فى الأصل فقط: المتلوا - كذا.

[١]خلق الانسان من علق ۝ اقرا و ربك الاكرم ۝[١]، الآيات الخمس[٢]، و أول ما أنزل إلى الآمة فى ترتيب البيان هو من حرف الزجر و النهى و هو قوله [١٢]سبحانه و [١٢]تعالى «يايها المدثر ۝ قم فانذر ۝[٣]»[٤] [أى -[٥]] «نذير لكم بين يدى عذاب شديد[٦]» أعلمهم بما[٧] تخاف[٨] عاقبته[٩] فى الآخرة و إن كانوا قد اتخذوا فى الدنيا مودة بأوثانهم و قال تعالى[١٠] «انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض[١١]» الآية، فابتدأ [١٢]سبحانه و[١٢] تعالى ترتيل الآمة باصلاح المعاد الأهم لأن عليه يصلح[١٣] أمر الدنيا، من استقل بآخرته كفاه الله أمر دنياه؛

(١-١) ليس فى م و مد .

(٢) سورة ٩٦ آية ١ - ٥ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ و ٢ .

(٤) زيد فى الأصل فقط: و ربك فكبر الى قوله تعالى .

(٥) زيد من م و مد و ظ .

(٦) سورة ٣٤ آية ٤٦ .

(٧) فى م و ظ: ما .

(٨) من م و ظ، و فى الأصل و مد: يخاف .

(٩) فى ظ فقط: عاقبة .

(١٠) ليس فى م و مد و ظ .

(١١) سورة ٢٩ آية ٢٥ .

(١٢-١٢) ليس فى م و ظ، و فى مد: الله .

(١٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تصلح - كذا .

و بدأ منها بحرف الزجر و النهى و هو المبدوء به فى الحديث و ردد النبى صلى الله عليه و سلم لفظ الزجر بلفظ النهى لأن المقصود بهما واحد وهو الردع عما يضر فى المعاد ، إلا أن الردع على وجهين: خطاب لمعرض و يسمى زجرا كما يسمى فى حق البهائم ، و خطاب لمقبل على التفهم و يسمى نهيا ؛ فكأن الزجر يزيغ[1] الطبع والنهى يزيغ[1] العقل - ٥ انتهى . و قد بان[2] من هذا سر افتتاح البقرة بالحروف المقطعة .

و لما كان الذى ابتدئت به السور[3] من ذلك شطر حروف المعجم كان كأنه قيل من زعم أن القرآن ليس كلام الله فليأخذ الشطر الآخر و يركب عليه كلاما يعارضه به ، نقل ذلك الزركشى فى البرهان عن القاضى أبى بكر قال: و قد علم ذلك بعض أرباب الحقائق ، و جمعها ١٠

---

(١) من مد ، و فى م : يزيع ، و فى الأصل و ظ : يريع - بالمهملتين .

(٢) و فى أنوار التنزيل و أسرار التأويل ما نصه: ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام و بسائطه التى تركب منها افتتحت السور بطائفة منها إيقاظا لمن تحدّى بالقرآن و تنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم و قوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيهم و ليكون اول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فان النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط و درس فأما من الأمى الذى لم يخالط الكتاب فمستغرب مستبعد خارق للعادة كالكتابة و التلاوة سيما و قد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق فى فنه .

(٣) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : السورة .

الزركشي في قوله: نص حكيم قاطع له سر. وعن أبي بكر رضي الله عنه[1]: في كل كتاب [سر-[2]] و سر الله في القرآن أوائل السور. و عن علي[3] رضي الله تعالى عنه [4]وكرم وجهه[4]: ان[5] لكل كتاب صفوة، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي.

٥ و لما كانت حروف المعجم تسعة[6] و عشرين حرفا بالهمزة [و-[7]] كان أحد[8] شطرها على التحرير متعذرا فقسمت خمسة عشر و أربعة عشر، و أخذ[9] الأقل من باب الأنصاف و فرق في[10] / تسع[6] و عشرين سورة /٢٠

(١) زيد في م ومد: لله تعالى.

(٢) زيد من م و مد وظ. و في أنوار التنزيل للبيضاوي: وقيل إنه سر استأثره الله بعلمه، وقد روى عن الخلفاء الأربعة و غيرهم من الصحابة ما يقرب منه - انتهى. و في الحاشية: روى عن أبي بكر أنه قال: في كل كتاب سر و سر الله في القرآن أوائل السور، وعن عمر وعثمان و ابن مسعود أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر، و عن علي: في كل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف الهجاء.

(٣) زيد في م و مد وظ: ابن ابي طالب.

(٤-٤) ليست في م و مد.

(٥) من م، و ليس في مد، و في الأصل وظ: عينان - و هو خطأ.

(٦) من م ومد، و في الأصل وظ: تسعا.

(٧) لا بد من الواو فزيدت.

(٨) في مد فقط: احر - كذا.

(٩) من م ومد وظ، و في الأصل: احد.

(١٠) زيد في الأصل: وفرق بين في، ولم تكن الزيادة في م ومد وظ فحذفناها.

على عدد الحروف[1]، وتحدّى به على هـذا الوجه. و أبدى الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقي[2] الحنبلي في كتاب له كالتذكرة سماه «بدائع الفرائد[3]» سرا غريبا في ابتداء القرآن بقوله «الٓمٓ» حاصله أن حروفه الثلاثة جمعت[4] المخارج الثلاثة: الحلق و اللسان و الشفتان[5] - على ترتيبها، و ذلك[6] إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق و النهاية ٥ التي[7] هي المعاد و الوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر و النواهي؛ و في ذلك تنبيه على أن هذا الكتاب الذي ركب من هذه الحروف التي لا تعدو المخارج الثلاثة التي بها يخاطب جميع الأمم جامع لما

(١) قال البيضاوي في تفسيره: وهو أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسما - هي نصف أسامي حروف المعجم إن لم تعدّ فيها الألف حرفا برأسها - في تسع وعشرين سورة بعددها إذا عُدّ فيها الألف مشتملة على انصاف انواعها - إلى ان قال: و لو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكور.

(٢) ليس في ظ.

(٣) في م و مد: الفوايد.

(٤) في ظ: جمع.

(٥) كذا، و الظاهر: الشفتين.

(٦) قال البيضاوي في تفسيره: و قيل الألف من أقصى الحلق و هو مبدأ المخارج، و اللام من طرف اللسان و هو وسطها، و الميم من الشفة و هي آخرها؛ جمع بينها إيماء إلى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه و أوسطه و آخره ذكر الله تعالى.

(٧) ليس في م و مد.

يصلحكم من أحوال بدء الخلق و إعادته و ما بين ذلك، و كل سورة افتتحت بهذه الحروف ذكرت فيها الأحوال الثلاثة .

و قال الحرالى فى تفسيره : « الف » اسم للقائم الأعلى المحيط ثم لكل مستخلف فى القيام كآدم و الكعبة ، « ميم » اسم للظاهر الأعلى ٥ الذى من أظهره مُلك يوم الدين ، و اسم للظاهر الكامل المؤتى جوامع الكلم[١] محمد صلى الله عليه و سلم ، ثم لكل ظاهر دون ذلك كالسماء و الفلك و الأرض ، « لام » اسم لما بين باطن الإلهية التى هى محار العقول[٢] و ظاهر الملك الذى هو متجلى يوم الجزاء من مقتضى الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى هى وُصُلٌ تنزل ما بينهما كاللطيف و نحوه ، ١٠ ثم للوصل الذى[٣] كالملائكة و ما تتولّاه[٤] من أمر الملكوت . و هذه الألفاظ عند انعجام[٥] معناها تسمى حروفا ، و الحرف طرف الشيء الذى لا يؤخذ منفردا و طرف القول الذى لا يفهم وحده ، و أحق ما تسمى[٦] حروفا إذا نظر إلى صورها و[٧] وقوعها أجزاء من الكلم

---

(١) من م ومد وظ ، وفى الأصل : العلم - كذا ؛ و الظاهر : الكلم، كما قال النبى صلى الله عليه و سلم : اوتيت جوامع الكلم .

(٢) فى م : العقل .

(٣) فى م : الدنى - كذا .

(٤) من م ، و فى الأصل : ما تنزلاه - و هو محرف تتولاه .

(٥) فى م : العجام .

(٦) فى ظ : يسمى .

(٧) ليس فى م .

و لم تفهم لها دلالة فتضاف إلى مثلها جزء من كلمة مفهومة تسمى[١]
عند ذلك حروفا و عند النطق بها هكذا ألف لام ميم [فينبغي أن يقال
فيها أسماء و إن كانت غير معلومة الدلالة كحروف ألف باء تاء -[٢]]
فانها كلها أسماء على ما فهمه الخليل و إنها إنما تسمى حروفا عند ما تكون
أجزاء كلمة محركة للابتداء أو مسكنة للوقف و الانتهاء[٣] . ٥

و أما حقيقتها فهى جوامع[٤] أصلها فى ذكر أول من كلام الله
تعالى فنزلت إلى الكلم العربية و ترجمت بها و نظم منها هذا القرآن
العربى المبين ، فهى فى الكتب العلوية الملكوتية المترتبة فى الجمع و التفصيل
آية و كلم[٥] و ذات كتاب ، فلما نزلت إلى غاية مفصل القرآن أبقيت[٦]

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيسمى .

(٢) زيدت من م و مد و ظ .

(٣) و فى أنوار التنزيل : "الـم" و سائر الألفاظ التى يتهجأ بها أسماء مسمياتها الحروف التى ركبت منها الكلم لدخولها فى حد الاسم و اعتوار ما يختص به من التعريف و التنكير و الجمع و التصغير و نحو ذلك عليها و به صرح الخليل و أبو على ، و ما روى ابن مسعود أنه قال : من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة و الحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : "الـم" حرف ، بل ألف حرف و لام حرف و ميم حرف ، فالمراد به المعنى الذى اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المراد المعنى اللغوى و لعله سماه باسم مدلوله - انتهى .

(٤) فى م : جامع .

(٥) فى مد : كلمة .

(٦) من م و ظ ، و فى مد : ما بقيت ، و فى الأصل : ألقت .

فى افتتاحه لتكون علما على نقله للتفصيل من ذلك الكتاب ، و لأنها
أتم و أوجز فى الدلالة على الجمع من المفصل منها و دلالتها جامعة
للوجود كله من أبطن قيمه إلى أظهره و أظهر مقامه و ما بينهما من
الوصلة [و - [1]] الواصلة و هى جامعة الدلالة على الكون المرئى للعين[2]
٥ بالعين و الوحى المسموع ؛ و لأجل ما اقتضته من الجمع لم تنزل فى كتاب
متقدم لأن كتاب كل وقت مطابق بحال الكون فيه و الكون كان
بعد لم يكمل فكانت كتبه و صحفه بحسبه ، و لما كمل الكون فى وقت
سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم كان كتابه كاملا[3] جامعا فوجب ظهور
هذه الجوامع فيه[4] ليطابق الختم البدء ، لأنها طرفا كمال و ما بينهما
١٠ تدرج[5] إليه ، و قد كان وعد بانزالها فى بعض تلك الكتب فكان
نزولها نجازا[6] لذلك - انتهى[7] .

---

(١) زيد من ظ .

(٢) ليس فى م و مد .

(٣) فى ظ : كلا ، و فى مد : كله ما - كذا .

(٤) فى م : فيها .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يدرج .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نجارا .

(٧) فى السراج المنير للعلامة محمد الشربينى الخطيب : وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود إنزاله بقوله تعالى « انا سنلقى اليك قولا ثقيلا » أو فى الكتب المتقدمة لأن سورة البقرة مدنية كما مر وأكثرها احتجاج على اليهود وعلى بنى إسرائيل= أما

و أما مناسبة ما بعد ذلك[1] للفاتحة[2] فهو أنه لما أخبر سبحانه [3]و تعالى[3] أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو [غير - [4]] طريق الهالكين أرشدهم في أول التي تليها[5] إلى أن الهدى المسؤل إنما هو في [هذا - [6]] الكتاب ، و بين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلق بها و الممنوعين منها زجرا ٥ عن قربها. فكان / ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة، لأنها / ٢١ سيقت لنفي الريب عن هذا الكتاب و لأنه هدى للمتقين، و لوصف المتقين و ما يجازون به بما[7] في الآيات الثلاث و لوصف الكافرين الذين لا يؤمنون لما وقع من الختم على حواسهم و الختم[8] لعقابهم ليعلم أن ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم و ما اتصف به من ١٠

= و قد كانت بنو إسرائيل أخبرهم موسى و عيسى عليهما السلام أن الله يرسل محمدا وينزل عليه كتابا فقال تعالى «ذلك الكتب» أي الذي أخبر الأنبياء المتقدمون بأن الله سينزل على النبي المبعوث من ولد إسماعيل .

(١) ليس في ظ .

(٢) في ظ : الفاتحة .

(٣ - ٣) ليس في م ومد وظ .

(٤) زيد من م و مد و ظ .

(٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : يليها .

(٦) زيد من م و ظ .

(٧) ليس في مد .

(٨) و في م ومد و ظ : الختم - كذا .

عدامهم[1] هو طريق الهالكين فيترك؛ و فى الوصف بالتقوى بعد ذكر المغضوب عليهم و[2] الضالين إشارة إلى أن المقام مقام الخوف.

و إن شئت قلت: مقصود[3] هذه السورة وصف الكتاب فقط[4] و ما عدا ذلك فتوابع و لوازم و لن يثبت أنه هدى إلا باثبات أنه حق[5] معنى ٥ و نظما، و لما كان المعنى أهم قدم الاستدلال عليـــه فأخبر من تماديهم على الكفر بما يكون تكذيبهم به تصديقا له، و اتبع ذلك بذكر المنافقين إعلاما بأن المنفى الإيمان[6] بالقلب و أنه لا عبرة باللسان إذا تجرد عنه،

---

(١) فى م: عذابهم.

(٢) زيد فى م «لا».

(٣) ليس فى م.

(٤) فى تفسير المهائمى: الأصل اللازم للمستدل ذلك الكتاب البعيد درجة كماله لجمعه ما فى الكتب الإلهية قبله مع رفعه كل ريب باقامة الحجج ورفع الشبه مؤيدا بالإعجاز و تصديق الكتب الإلهية له قبله و كشوف الأولياء بعده بل إنما يعرف صدق الجميع به، و الأدلة العقلية المحضة قلما تخلو عن معارضة او مناقضة اونقض و النقلية المحضة من سائر الكتب تحتمل التحريف و قد ارتفع من هذا الكتاب ما ذكر مع كمال هدايته لما لايتناهى من المطالب العلمية و العملية او اعلى لامع ماح للظلمات ذلك الكتاب.

(٥) و فى م: احق.

(٦) و فى م: للايمان.

و ساق

و ساق ذلك على وجه يعلمون به أنه الحق بما هتك من سرائرهم و كشف من ضمائرهم ، فلما تم ذلك و كان المقصود منه الدعاء إلى الله انتهزت تلك الفرصة بقوله تعالى « يايها الناس اعبدوا ربكم » لما أسس لها من الترغيب بالترهيب ، ثم أقيم الدليل على حقية نظمه بتقصيرهم عن مدى سهمه ، فرجع حاصل ذلك إلى إثباته بعجزهم عن معارضته فى معناه بايجاد ٥ ما أخبر بنفيه و فى نظمه بالإتيان بمثله ، فلما ثبت ذلك ثبت أنه من عند الله فثبت تأهله لتعليم الشرائع فجعلها ضمن مجادلة أهل الكتاب بما يعلمون حقيته[1] بلا ارتياب من الدعاء إلى ما أخفوه من الدعائم الخمس التى بنى عليها الإسلام .

و لما كان معنى « الٓمٓ » هذا كتاب[2] من جنس حروفكم التى قد فقتم ١٠ [3]فى التكلم[3] بها سائر الخلق فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لأنه كلام الله أنتج ذلك كماله ، فأشير إليه بأداة البعد و لام الكمال [4]فى قوله[4] « ذلك الكتب » لعلو مقداره بجلالة آثاره و بعد رتبته عن نيل المطرودين . و لما علم كماله أشار إلى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه و يستلزمه ذلك التعظيم فقال « لا ريب فيه » أى فى شىء من[5] معناه و لا نظمه فى ١٥

---

(١) فى مد : حقيقته .

(٢) فى ظ : الكتاب .

(٣-٣) ليس فى مد .

(٤-٤) فى مد : فقال .

(٥) فى ظ : فهى - كذا .

نفس الأمر عند من تحقق بالنظر[١] فالمنفي[٢] كونه متعلقا للريب و مظنة له ، و لم يقدم الظرف لأنه كان يفيد الاختصاص فيفهم أن غيره[٣] من الكتب[٣] محل الريب .

قال الحرالي : « ذا » اسم مدلوله المشار إليه ، و اللام مدلوله معها ٥ بُعد مّا « الكتاب » من الكتب و هو وصل الشيء المنفصل بوصلة خفية من أصله كالخرز[٤] في الجلد بقد منه و الخياطة في الثوب بشيء من جنسه ليكون أقرب لصورة اتصاله الأول ، فسمي به ما ألزمه الناس من الأحكام و ما أثبت بالرقوم من الكلام ، « لا » لنفي ما هو ممتنع مطلقا أو في وقت ، « الريب » التردد بين موقعي تهمة بحيث يمتنع من الطمأنينة على ١٠ كل واحد منهما - انتهى . و أصله قلق النفس و اضطرابها[٥] ، و منه

(١) من ظ ، و في الأصل و مد و م : النظر .

(٢) في تفسير النسفي : و إنما نفى الريب على سبيل الاستغراق و قد ارتاب فيه كثير لأن المنفي كونه متعلقا للريب و مظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لاينبغي لمرتاب ان يقع فيه لا ان احدا لا يرتاب ، وإنما لم يقل : لا فيه ريب ، كما قال « لا فيها غول » لأن المراد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه و إثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار ، و لو اولى الظرف ابعد عن المراد و هو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه .

(٣-٣) ليس في ظ .

(٤) في م : كالخَرَز .

(٥) وفي تفسير النسفي ، «لا ريب» لاشك، وهو مصدر رابني إذا حصل فيك =

ريب[1] الزمان لنوائبه المقلقة ، و لما كان ذلك يستلزم الهدى قال : « هدى » ، و خص المنتفعين[2] لأن الألد[3] لا دواء له و المتعنت[4] لا يرده شيء فقال: « للمتقين » ، أي الذين جبلوا في أصل الخلقة على التقوى ؛ فافهم ذلك أن غيرهم لا يهتدى به بل يرتاب و إن كان ليس موضعا للريب أصلا[5] .

قال الحرالي : جمع المتقي و هو المتوقف عن الإقدام على كل أمر ٥ لشعوره بتقصيره عن الاستبداد و علمه[6] بأنه غير مستغن بنفسه فهو متق لوصفه و حسن فطرته و المتقي[7] كذا متوقف لأجل ذلك ، و التقوى[8]

= الريبة ، وحقيقة الريبة قلق النفس و اضطرابها ، و منه قوله عليه السلام : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فان الشك ريبة و إن الصدق طمأنينة ، أي فان كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس و لا تستقر ، وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له و تسكن ، و منه ريب الزمان و هو ما يقلق النفوس و يشخص بالقلوب من نوائبه - انتهى .

(١) في م : مريب .

(٢) بهامش م : لعله المتقين .

(٣) في م : الدأ - كذا .

(٤) في م : المنعت - كذا .

(٥) ليس في مد .

(٦) في ظ : علم .

(٧) و في الأصول كلها : متقي - كذا .

(٨) في انوار التنزيل : في الأصل مصدر كالسرى و التقى و معناه الدلالة - إلى =

أصل يتقدم[1] الهدى و كل عبادة ، لأنها فطرة توقف تستحق الهدى و كل خير و هى وصية الله [لأهل الكتاب - [2]] - انتهى .

ثم وصفهم بجامع الأعمال تعريفا لهم فقال: « الذين يؤمنون بالغيب » ، أى الأمر الغائب الذى[3] لا نافع فى الإيمان غيره ، و عبر بالمصدر[4] للبالغة . « و يقيمون الصلوة » أى / التى هى حضرة المراقبة و أفضل ٢٢/ ٥ أعمال البدن بالمحافظة عليها و بحفظها فى ذاتها و جميع أحوالها[5] . و لما ذكر[6] وصلة الخلق بالخالق و كانت النفقة مع أنها من أعظم دعائم الدين صلة بين الخلائق اتبعها بها فقال مقدما للجار ناهيا عن الإسراف و منبها

= ان قال: و اختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به و المنتفعون بنصبه و ان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر، و بهذا الاعتبار قال: « هدى للناس » .

(١) فى ظ : تقدم .

(٢) زيد من ظ ، و فى م و مد : لأهل الكتب ، و قد سقط من الأصل و لكن علامة الزيادة ثابتة فيه ايضا .

(٣) ليس فى مد .

(٤) و فى انوار التنزيل : و الغيب مصدر وصف به للبالغة كالشهادة فى قوله تعالى « عالم الغيب و الشهادة » و المراد به الخفى الذى لا يدركه الحس و لا يقتضيه بداهة العقل .

(٥) ليس فى م .

(٦) زيد بعده فى مد و م و ظ : و قد ضمن (فى م: و قد فسر) بمض (فى م: يومئذ ، و فى مد: يومن) يقرأ (فى ظ: نص ا) و يعترف كما يأتى بيانه عند « و منهم من (ليس فى ظ) يستمعون اليك » فى يونس .

بالتبعيض

بالتبعيض على طيب النفقة لأن الله[1] طيب لا يقبل إلا طيبا و آمرا بالورع و زاجرا عما فيه شبهة [لأن الرزق يشمل الحلال و الحرام و المشتبه -[2]] « و مما رزقنهم » أى مكناهم من الانتفاع[2] به على عظمة خزائننا و هو لنا دونهم . « ينفقون » أى فى مرضاتنا مما يلزمهم من الزكاة و الحج و الغزو و غيرها و مما يتطوعون به من الصدقات و غيرها، والمراد ٥ بهذه الأفعال هنا إيجاد حقائقها على الدوام[3] .

قال أبو حيان و غيره فى قوله تعالى فى سورة الحج « ان الذين كفروا و يصدون[4] » المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار - انتهى . و هذا مما لا محيد عنه و إلا لم يشمل[5] هذا فى هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة ١٠ [6] و قوله[6] تعالى « فلم تقتلون انبياء الله من قبل[7] » قاطع فى ذلك .

(١) ليس فى مد .

(٢) زيد من م و مد و ظ غير ان فى م و مد « يشتمل » مكان « يشمل » .

(٣) و فى أنوار التنزيل : و الظاهر من إنفاق ما رزقهم الله صرف المال فى سبل الخير من الفرض او النفل . و يحتمل ان يراد به الإنفاق من جميع المعادن التى آتاهم الله من النعم الظاهرة و الباطنة ، و يؤيده قوله عليه السلام : إن علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه ؛ و إليه ذهب من قال : و مما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون - انتهى .

(٤) سورة ٢٢ آية ٢٥ .

(٥) و فى مد : لم يشتمل .

(٦-٦) ليس فى ظ .

(٧) سورة ٢ آية ٩١ .

و قال الحرالي: «يؤمنون»، من الإيمان و هو مصدر آمنه يؤمنه إيمانا إذا آمن من ينبهه على أمر ليس عنده أن يكذبه أو يرتاب فيه، و «الغيب» ما غاب عن الحس و لم يكن عليه علم يهتدى [1] به العقل [1] فيحصل به العلم [2]؛ و صيغة «يؤمنون» و «يقيمون» تقتضى الدوام إلى الختم، و إدامة العمل إلى الختم تقتضى ظهوره عن فطرة أو جبلة و أنه ليس عن تعمل و مُراءاة، و عند ذلك يكون علما على الجزاء؛ و «الصلوٰة» الإقبال بالكلية على أمر، فتكون من الأعلى عطفا شاملا، و من الأدنى وفاء بأنحاء التذلل [3] و الإقبال بالكلية على التلق، و إيمانهم بالغيب قبولهم من النبي صلى الله عليه و سلم ما تلقاه بالوحي من أمر غائب الدنيا الذى هو الآخرة و ما فيها و أمر غائب الملكوت و ما فيه إلى غيب الجبروت و ما به بحيث يكون عملهم على الغائب الذى تلقته قلوبهم على سبيل آذانهم كعملهم على ما تلقته أنفسهم على سبيل

(١-١) في م و مد: العقل، و في ظ: بالعقل.

(٢) قال البيضاوي في تفسيره: و إن جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة و الخفاء، و المعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين «اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا و اذا خلوا الى شيٰطينهم قالوا انا معكم»، و قيل المراد بالغيب القلب، و المعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

(٣) من م و مد و ظ، و في الأصل: التدلل - بالدال المهملة.

أعينهم و سائر حواسهم و داموا على عملهم ذلك على حكم إيمانهم إلى الخاتمة .

و لما كانت الصلاة التزام عهد العبادة مبنيا على تقدم الشهادة متممة بجماع[١] الذكر و أنواع التحيات لله من القيام له تعالى و الركوع له[٢] و السجود الذى هو أعلاها و السلام بالقول الذى هو أدنى التحيات ٥ كانت لذلك تعهدا للإيمان و تكرارا ، و لذلك[٣] من لم يدم الصلاة ضعف إيمانه و ران عليه كفر فلا إيمان لمن لا صلاة له ، و التقوى وحده[٤] أصل [٥]و الإيمان[٥] فالصلاة ثمرته ، و الإنفاق خلافة و لذلك البخل عزل عن خلافة الله « و انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه[٦] » و هذا الأمر بتمامه هو الذى جعلت الخلافة لآدم به إلى ما وراء ذلك من كمال أمر الله ١٠ الذى أكمله بمحمد صلى الله عليه و سلم ، فالتقوى قلب باطن ، و الإنفاق وجه ظاهر ، و الإيمان فالصلاة وصلة بينهما . و وجه ترتب الإيمان بالغيب على التقوى أن المتقى[٧] لما كان متوقفا غير متمسك بأمر كان إذا أرشد

(١) فى م فقط : بالجماع - كذا .

(٢) ليس فى مد و ظ .

(٣) فى ظ : كذلك .

(٤) ليس فى ظ .

(٥ - ٥) فى م فقط : فالايمان .

(٦) سورة ٥٧ آية ٧ .

(٧) قال المهائمى فى تفسيره : المتقى من وقى نفسه عما يضرها فى الآخرة من =

إلى غيب لا يعلمه لم يدفعه بمقتضى ما تقدم له علمه؛ و وجــه ترتب الإنفاق على الإيمان بالغيب أن المدد غيب، لأن الإنسان لما كان لا يطلع على جميع رزقه كان رزقه غيبا، فاذا أيقن بالخلف جاد بالعطية، فتى أمد بالأرزاق تمت خلافته وعظم فيها سلطانه و انفتح له باب إمداد
٥ برزق أعلى و أكمل من الأول. فاذا أحسن الخلافة فيه بالإنفاق منه أيضا انفتح له باب إلى أعلى إلى أن ينتهى إلى حيث ليس[1] وراءه مرأى[2] و ذلك هو الكمال المحمدى، و إن بخل فلم ينفق و استغنى بما عنده فلم يتق فكذب تضاءل أمر خلافته وانقطع عنه المدد من الأعلى؛ فبحق سمى الإنفاق زكاة[3]؛ و فى أول الشورى كلام فى الإيمان عن
١٠ على رضى الله عنه نفيس - انتهى[4].

و لما وصفهم بالإيمان جملة أشار[1] إلى بعض تفصيله على وجه يدخل

= اعتقاد و خلق وعمل كلت هدايتهم لأنهم لما اتقوا لم يعطلوا النظر ولم يقصروا فيه ولا الجوارح و لم يتركوا الأخلاق الرديئة فيها وغيرهم يتمسكون بالشبهات الداعية إلى التعطيل و التقصير و الترك، اما الاعتقادات فلأنهم الذين «يؤمنون بالغيب» وأما الأعمال فلأنهم الذين «يقيمون الصلوة» و أما الأخلاق فلأنهم الذين «مما رزقنهم ينفقون».

(١) ليس فى م.

(٢) و فى م: مرمى.

(٣) زيد فى م و مد: انتهى.

(٤) ليس فى م و مد.

(٥) و فى تبصير الرحمن للهائمى: و كيف لا يكون هذا الكتاب هدى إلى =

فيه[1] أهل الكتاب دخولا أوليا فقال: «و الذين يؤمنون»، أى يوجدون هذا الوصف بعد سماعهم للدعوة إيجادا مستمرا «بما انزل اليك» أى من القرآن و السنة سواء كان قد وجد أو سيوجد؛ «و ما انزل /٢٣ من قبلك» أى على الأنبياء الماضين، و لما كان الإيمان بالبعث[2] من الدين بمكان عظيم جدا[3] بينه بالتقديم إظهارا لمزيد الاهتمام فقال: «و بالآخرة»، ٥ أى التى هى دار الجزاء و محل التجلى و كشف الغطاء و نتيجة الأمر. قال الحرالى: الآخرة معاد الأمر بعد تمامه على أوليته - انتهى. و لما تقدم من الاهتمام عبر بالإيقان و أتى بضمير الفصل فقال[4]: «هم يوقنون»،

= ما لا يتناهى وهو يوجب الإيمان بكل ما انزل إليك منه ومن السنة و بما انزل على الأنبياء من كتبهم و سننهم من قبلك؟ فلا شك ان الذين يؤمنون بما انزل إليك و ما انزل من قبلك احاطوا بالهدايات كلها، كيف [و] قد زاد اهل هذا الكتاب بمزيد تفصيل و تحقيق للأمور الأخروية، فلا شك أنهم بالآخرة هم يوقنون فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك ان اولئك مستولون على هدى عظيم من ربهم الذى ربى الأمم كلها بتلك الهدايات بالإيمان بها إجمالا بل بما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها و ليست شاملة على ما فيه، فلا شك ان اولئك هم المفلحون بالهدايات كلها.

(١) زيد فى ظ: دخول.

(٢) فى مد: بالغيب.

(٣) ليس فى م.

(٤) ليس فى ظ.

لأن ذلك قائد إلى كل خير و ذائد عن كل ضير، و الإيقان كما قال الحرالى صفاء العلم و سلامته من شوائب الريب و نحوه، من يقن الماء و هو ما نزل من السماء فانحدر إلى كهف جبل فلم يتغير من قرار و لا وارد - انتهى. فهو[1] يكون بعد شك و لذا[2] لا يوصف [3]به الله[3].
و الوصف[4] بهذه الأوصاف كما ترى إشارة إلى أمهات الأعمال البدنية

---

(١) و فى السراج المنير ج ١ ص ١٧ ما نصه: هم يوقنون أى يعلمون أنها كائنة، لأن اليقين و العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاكا فيه - قاله الإمام الرازى، ولذلك لا يوصف به العلم القديم و لا العلم الضرورى فلا يقال تيقن الله كذا و لا تيقنت ان الكل اكبر من الجزء. و فى تفسير المظهرى: الإيقان إتقان العلم بنفى الشك عنه نظرا و استدلالا فلا يسمى الله موقنا - انتهى.

(٢) فى م: لهذا.

(٣-٣) فى ظ: الله به.

(٤) و فى أنوار التنزيل و أسرار التأويل: الذين يؤمنون بالغيب، إما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية و التصوير على التصقيل او موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات و ترك السيئات لاشتماله على ما هو أصل الأعمال و أساس الحسنات من الإيمان و الصلاة و الصدقة فانها أمهات الأعمال النفسانية و العبادات البدنية و المالية المستتبعة لسائر الطاعات و التجنب من المعاصى غالبا، ألا ترى إلى قوله تعالى «ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر» و قوله عليه الصلاة و السلام: الصلاة عماد الدين و الزكاة قنطرة الإسلام.

و المالية من الأفعال[١] و التروك، فالإيمان أساس الأمر و الصلاة مشار بها
إلى التحلي[٢] بكل خير و التخلي[٣] عن كل شر «ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء و المنكر[٤]»، و كلاهما من أعمال البدن، و النفقة عمل مالي، فحصل
بذلك[٥] حصر الفعل و الترك الضابطين لجميع الأعمال كيف ما تشعبت،
و صرح بالفعل و أومى إلى الترك إيماء لا يفهمه[٦] إلا البصراء تسهيلا ٥
على السالكين، لأن الفعل من حيث هو و لو[٧] كان صعبا أيسر على
النفس من الكف عما تشتهي. و في وصفهم أيضا بالإيمان بما أنزل إليه
و إلى من قبله من التقريع و التبكيت لمن سواهم ما ستراه في
الآيات الآتية.

و لما أخبر عن أفعالهم الظاهرة و الباطنة أخبر بثمرتها[٨] فقال: ١٠
«اولئك» أي الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات، و لما تضمن ما مضى
أن إيمانهم كان عن أعظم استدلال فأثمر لهم التمسك بأوثق العرى من
الأعمال استحقوا[٩] الوصف بالاستعلاء الذي معناه التمكن فقال: «على

---

(١) و في م: الاعمال.

(٢) في م: التخلي.

(٣) في ظ: التحلي - كذا.

(٤) سورة ٢٩ آية ٤٥.

(٥) في مد: بذكر.

(٦) في مد: لايشهده.

(٧) في مد: ان.

(٨) في مد: عن ثمرتها.

(٩) و في تفسير المظهري: ففيه ايذان بأن تلك الصفات موجبة لهذا الحكم و في =

هدى » أى عظيم ، و زاد فى تعظيمه بقوله: « من ربهم » أى المحسن إليهم بتمكينهم منه و لزومهم له تمكين من علا[1] على الشيء ، و لما لم يلازم الهدى الفلاح عطف عليه[2] قوله مشيرا بالعاطف إلى مزيد تمكنهم فى كل من الوصفين « و اولئك » [3] أى العالو الرتبة[3] « هم » [4] أى خاصة[4]

٥ « المفلحون » أى الكاملون فى هذا الوصف الذين انفتحت لهم وجوه الظفر ، و التركيب دال على معنى الشق و الفتح و كذا أخواته من الفاء و العين نحو فلج بالجيم و فلق و فلذ و فلى .

= كلمة « على » إيذان على تمكنهم واستقرارهم على الهداية ونكر « هدى » للتعظيم و أكد التعظيم بأن الله معطيه و موفقه ، و « اولئك هم المفلحون » اى الفائزون بالمطلوب . هذا اللفظ و ما يشاركه فى الفاء و العين من فلق وفلذ و فلى يدل على الشق والقطع كأن المفلح انشق من غيره وصار بينهما بون بعيد او صاروا مقطوعا لهم بالخير فى الدنيا و الآخرة . و فى أنوار التنزيل : و معنى الاستعلاء فى « على هدى » تمثيل تمكنم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء و ركبه... وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل .

(١) فى الأصل : على ، و لعله : اعتلى .

(٢) فى مد على .

(٣-٣) ليس فى مد .

(٤-٤) ليس فى م .

قال الحرالي: و خرج الخطاب فى هذه الآية مخرج المخاطبة للنبى صلى الله عليه و سلم و مخرج إحضار المؤمنين بموضع الإشارة و هى مكانة حضرة دون مكانة حضرة المخاطب - انتهى . وكونها للبعد إعلام بعلو مقامهم . و الفلاح[1] الفوز و الظفر بكل مراد و نوال البقاء الدائم فى الخير . ٥

و لما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين وكانوا قد انقسموا على[2] مصارحين و منافقين[3] وكان المنافقون قسمين جهالا من مشركى العرب و علماء من كفار بنى إسرائيل كان الأنسب ليفرغ من قسم برأسه على عجل البداءة أولا بالمصارحين فذكر ما أراد من أمرهم فى آيتين، لأن أمرهم أهون و شأنهم أيسر لقصدهم بما يوهنهم ١٠ بالكلام أو بالسيف على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام[4] فقال

(١) زيد فى الأصل و مد «و» و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها .

(٢) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الى .

(٣) قال البيضاوى : لما ذكر خاصة عباده و خالصة اوليائه بصفاتهم التى أهلتهم الهدى و الفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى و لا يغنى عنهم الآيات و النذر .

(٤) و فى السراج المنير : ينقسم إلى اربعة اقسام : كفر إنكار و كفر جحود و كفر عناد و كفر نفاق ، فكفر الإنكار هو ان لايعرف الله اصلا ولايعترف به ، وكفر الجحود هو ان يعرف الله بقلبه و لايقر بلسانه ككفر ابليس و اليهود ، قال =

مخاطبا[1] لأعظم المنعم[2] عليهم على وجه التسلية و الإعجاز فى معرض الجواب لسؤال من كأنه قال[3]: هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟ « ان الذين كفروا » أى حكم، بكفرهم دائما[4] حكما نفذ و مضى فستروا[5] ما أقيم من الأدلة على الوحدانية عن العقول التى هيئت لإدراكه و الفطر ٥ الأولى التى خلصت عن مانع يعوقها عن الانقياد له و داموا على ذلك بما دل عليه السياق بالتعبير عن أضدادهم بما يدل على تجديد الإيمان

= الله تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه و يعترف بلسانه و لا يدين به ككفر ابى طالب حيث يقول:

و لقد علمت بأن دين محمد من خير أديان للبرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

و أما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان و لا يعتقد بالقلب؛ و جميع هذه الأقسام من لقى الله بواحد منها لا يغفر له.

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: مخاطباه - كذا.

(٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المنقم - و هو محرف.

(٣) و فى تفسير البيضاوى: و لم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى « ان الابرار لفى نعيم و ان الفجار لفى جحيم » لتباينهما فى الغرض فان الأولى سيقت لذكر الكتاب و بيان شأنه و الأخرى مسوقة لشرح تمردهم و انهماكهم فى الضلال.

(٤) ليس فى ظ.

(٥) من م و ظ، و فى الأصل و مد: فيستروا.

على الدوام و اللحاق بالختم[1] و العذاب، و لعله عبر بالماضى و الموضع للوصف تنفيرا من مجرد إيقاع الكفر و لو للنعمة و ليشمل[2] المنافقين و غيرهم .

و لما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضد ما عمله المؤمنون من الانقياد كان المعنى[3] «سواء عليهم ا انذرتهم» أى إنذارك[4] فى هذا الوقت ٥ بهذا الكتاب[5] «ام لم تنذرهم» أى و عدم إنذارك[6] فيه و[7] بعده و قد انسلخ عن أم و الهمزة معنى الاستفهام، قال سيبويه: جرى/ هذا على /٢٤

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بالختم - كذا .

(٢) فى مد: يشمل .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى م و مد: انذارا .

(٥) وفى السراج المنير: «ا انذرتهم ام لم تنذرهم» أى خوفتهم و حذرتهم ام لا، و الإنذار إعلام مع تخويف و تحذير، فكل منذر معلم و ليس كل معلم منذرا، و إنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع فى القلب و أشد تأثيرا فى النفس من حيث إن دفع الضرر أهم من جلب النفع، فاذا لم ينفع فيهم الإنذار كانت البشارة بعدم النفع أولى لا يؤمنون بما جئت به، و هذه الآية فى أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة فى سابق علم الله تعالى كأبى جهل و أبى لهب و غيرهما فلا تطمع فى إيمانهم - انتهى .

(٦) فى م: انذارهم .

(٧) ليس فى مد .

حرف [1]الاستفهام كما جرى على حرف[1] النداء في[2] قولك: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة - انتهى. و لعله عبر بصورة الاستفهام و قد سلخت عن معناه إفهاما لأنهم توغلوا في الكفر توغل من وصل في الحمق إلى أنه لو شاهد[3] الملك يستفهمك عنه ما آمن.

٥ و لما كان كأنه قيل في أي شيء استوت حالتاهم[4] قيل في أنهم «لا يؤمنون» و هي دليل على خصوص كونه هدى للتقين[5] و على وقوع التكليف بالممتنع لغيره فانه سبحانه كلفهم الإيمان و أراد منهم الكفران، فصار ممتنعا لإرادته عدم وقوعه، و التكليف به جار على سنن الحكمة فان إرادة عدم إيمانهم لم تخرج إيمانهم عن حيز الممكن فيما ١٠ يظهر، لعدم العلم بما أراد الله من كل شخص بعينه، فهو على سنن الابتلاء ليظهر في عالم الشهادة المطيع من غيره لإقامة الحجة؛ و يأتي في الصّفّت عند «افعل ما تؤمر[6]» تتمة لهذا[7].

(١-١) ليست في ظ.

(٢) في م: و.

(٣) في مد: شا هذا - كذا.

(٤) في م: حالناهم - كذا.

(٥) من مد، و في الأصل و م و ظ: بالمتقين.

(٦) سورة ٣٧ آية ١٠٢.

(٧) و في أنوار التنزيل و أسرار التأويل: و إنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد، و حسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء و تأكيده، فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جرد حرف =

قال

قال الحرالي: فحصل بمجموع قوله «سواء عليهم» إلى آخره بقوله «لا يؤمنون» خبر تام عن سابقة أمرهم و لاحقة كونهم، فتم بالكلامين الخبر عنهم خبرا واحدا ملتئما كتبا سابقا وكونا لاحقا - انتهى. و كل موضع ذكر فيه الكفر فانما عبر به إشارة إلى أن الأدلة الأصلية فى الوضوح بحيث لا تخفى[1] على أحد و لا يخالفها إلا من ستر مرآة عقله ٥ إما عنادا و إما باهمال النظر السديد و الركون إلى نوع تقليد.

و لما كان من أعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله «ختم الله» أى بجلاله «على قلوبهم» أى ختما مستعليا عليها فهى لاتعى حق الوعى[2]، لأن الختم على الشيء يمنع

=النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، والآية مما احتج به من جوز التكليف ما لا يطاق، فانه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون و أمرهم بالإيمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا و شمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان، و الحق أن التكليف بالممتنع لذاته و إن جاز عقلا من حيث أن الأحكام لا تستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه واقع للاستقراء و الإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره - انتهى.

(١) فى ظ: لا يخفى.

(٢) و فى تفسير البيضاوى: فى الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن اريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهى من المعجزات، و تعليل للحكم السابق و بيان ما يقتضيه. وفى تفسير المهائمى: والكفر إنكار شيء مما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله=

الدخول إليه و الخروج منه[1]، و أكد المعنى باعادة الجار فقال «و على سمعهم» [2]فهم لا[2] يسمعون حق السمع، و أفرده لأن التفاوت فيه نادر. قال الحرالى: و شرّكه فى الختم مع القلب لأن أحدا لا يسمع إلا ما عقل - انتهى. «و على ابصارهم غشاوة» فهم لا ينظرون بالتأمل.

٥ و لما سوى هنا بين الإنذار و عدمه كانت البداءة بالقلوب أنسب تسوية لهم بالبهائم، و لما كان الغبي قد يسمع أو يبصر فيهتدى و كان إلى السمع أضر[3] لعمومه و خصوص البصر بأحوال الضياء نفى السمع ثم البصر تسفيلا لهم عن حال البهائم، بخلاف ما فى الجاثية فانه لما أخبر فيها بالإضلال و كان الضال أحوج شيء إلى سماع الهادى نفاه، و لما

عليه و سلم بأن لا ينقاد له عرف حقيته او اعترف بها ام لا، ثم أشار إلى أن الدلائل و إن كانت قطعية فانما تفيد من فتح الله عليه باب النظر و هؤلاء «ختم الله» - الآية.

(١) و فى تفسير البيضاوى: الختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له و البلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل فى إحرازه .... و لا ختم و لا تغشية على الحقيقة و إنما المراد بهما أن يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر و المعاصى و استقباح الإيمان و الطاعات بسبب غيهم و انهماكهم فى التقليد و إعراضهم عن النظر الصحيح.... و الباقى يطلب من أنوار التنزيل ج ١ ص ١٨.

(٢-٢) فى ظ: فلا.

(٣) فى م: اخو - كذا.

كان الأصم إذا كان ذا فهم أو بصر أمكنت هدايته و كان الفهم أشرف نفاهما على ذلك الترتيب .

و لما وصفهم بذلك أخبر بمآلهم[١] فقال : « و لهم عذاب عظيم » ، قال الحرالي : و في قوله « و لهم » إعلام[٢] بقوة تداعي[٣] حالهم لذلك العذاب و استحقاقهم له و تنشؤ ذواتهم إليه حتى يشهد[٤] عيان المعرفة ٥ به - [٥]أي العذاب[٥] - و بهم أنه لهم و كان عذابهم عظيما آخذا في عموم ذواتهم لكونهم لم تلتبس[٦] أبدانهم و لا نفوسهم و لا أرواحهم بما يصد عنهم شيئا من عذابها كما يكون للعاقبين من مذنبي مؤمني[٧] الأمم حيث يتنكب العذاب عن وجوههم و مواضع وضوئهم و نحو ذلك - انتهى .

---

(١) في مد : بما لهم .

(٢) و في تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل و حقائق التأويل : وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها بجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيه من الإيمان ، وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة و الضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه ، و عند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم و لا يدعون لهم بخير .

(٣) من م و مد و ظ ، و في الأصل : تراعي .

(٤) في م : تشهد .

(٥-٥) كذا في الأصل ، و ليس في م و مد و ظ .

(٦) زيد بعده في الأصل : إيمانهم ، و ضرب عليه .

(٧) ليس في مد .

و سيأتى عند قوله تعالى « و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا[1] » ما يلتفت إلى هنا[2].

قال الحرالى: «الكفر» تغطية ما حقه الإظهار، و «الإنذار[3]» الإعلام بما يحذر، و «الختم» إخفاء خبر الشيء بجمع أطرافه عليه على ٥ وجه يتحفظ به، و «القلب» مبدأ[4] كيان الشيء من غيب قوامه، فيكون تغير كونه بحسب تقلب قلبه فى الانتهاء و يكون تطوره و تكامله بحسب مدده فى الابتداء و النماء، و القلب من الإنسان بمنزلة السكان من السفينة بحسب تقلبه يتصرف سائره، و بوضعه للتقلب و التقليب سمى قلبا، و للطيف معناه فى ذلك كان أكثر[5] قسمه صلى الله عليه و سلم بمقلب ١٠ القلوب، و «الغشاوة» غطاء مجلل لا يبدو[6] معه من المغطى شيء، و «العذاب[7]» إيلام لا إجهاز فيه، و «العظيم» الآخذ فى الجهات كلها -

(١) سورة ٢ آية ١٦٥.

(٢) فى م: هذا.

(٣) فى ظ: الانداد.

(٤) و فى أنوار التنزيل: وبالقلب ما هو محل العلم و قد يطلق و يراد به العقل و المعرفة كما قال تعالى «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب».

(٥) و فى الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٩٧٩: عن سالم عن عبد الله قال: كثيرا مما كان النبى صلى الله عليه وسلم يحلف: لا و مقلب القلوب. و راجع قول ابن بطال على حاشيته.

(٦) فى ظ: لا يبدوا.

(٧) وفى السراج المنير: و العذاب كل ما يعى الإنسان و يشق عليه، و قال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، و منه الماء العذب لأنه يمنع العطش؛ =

انتهى

انتهى . و فى تعقيب ذكر المؤمنين بذكر المختوم على مداركهم المختوم بمهالكهم تعظيم للنعمة على من استجاب له . إذ قال « اهدنا » فهداه ، و إعلام بأن الهدى ليس إلا بيده ليلحوا فى الطلب و يبرؤا من ادعاء حول أو قوة .

و لما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم فى الإيمان و ثنى بالمجاهرين من الكافرين[1] الذين / طابق إعلانهم إسرارهم فى الكفران ٥ ٢٥ / اتبعه ذكر المساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم فى الإذعان و هم المنافقون ، و أمرهم أشد لإشكال أحوالهم و التباس أقوالهم و أفعالهم ، فأضر الأعداء من يريك الصداقة فيأخذك من المأمن ؛ و ما أحسن ما ينسب إلى الإمام أبى سليمان الخطابى فى المعنى :

١٠ تحرّز من الجهال جهدك أنهم و إن أظهروا فيك المودة أعداء[2]
و إن كان فيهم من يسرك فعله فكل لذيذ الطعم أو جله داء

لا جرم ثنى سبحانه باظهار أسرارهم و هتك أستارهم فى سياق شامل لقسميهم ،

= وإنما وصف العذاب بالعظيم دون الكبير لأن العظيم فوقه لأن العظيم نقيض الحقير و الكبير نقيض الصغير و إذا كان الحقير مقابلا للعظيم و الصغير للكبير كان العظيم فوق الكبير لأن العظيم لا يكون حقيرا و الكبير قد يكون حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما . و فى تفسير النسفى : العذاب كالنكال بناء ومعنى ، لذلك تقول: أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه ، كما تقول : نكل عنه .

(١) زيد فى ظ : اى .

(٢) من ظ و مد ، و فى م : اعداءه ، و فى الأصل : اعدائه .

فقبح أمورهم و وهّى مقاصدهم و ضرب لهم الأمثال و بسط لهم بعض البسط فى المقال فقال تعالى «و من الناس»[1] أى لما أرسلنا رسولنا انقسم الناس قسمين : مؤمن و كافر، و انقسم الكافر قسمين : فمنهم من جاهر و قال : لانؤمن أبدا، و منهم من يقول، و لعله أظهر و لم يضمر ٥ لانفرادهم عن المجاهرين ببعض الأحكام، أو لأنه سبحانه لما ذكر طرفى الإيمان و الكفر و أحوال المؤمنين و أحوال الذين كفروا ذكر المنافقين المترددين بين الاتصاف بالطرفين بلفظ الناس لظهور معنى النوس فيهم لاضطرابهم بين الحالين، لأن النوس هو حركة الشيء اللطيف المعلق فى الهواء كالخيط المعلق الذى ليس فى طرفه الأسفل ما يثقله[2] فلا يزال

(١) و فى السراج المنير : نزل فى المنافقين حكاية لحالهم قوله تعالى «ومن الناس» أجمع المفسرون على أن ذلك وصف المنافقين، قالوا : صنف الله الأصناف الثلاثة من المؤمنين و الكافرين و المنافقين فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله و واطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، و ثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا و باطنا، وثلث بالصنف الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم، و هذا الصنف أخبث الكفرة و أبغضهم إلى الله تعالى لأنهم مع مشاركتهم للكفار الأصليين فى أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان من حيث أنهم ينسبون إلى الله ما هو برىء منه كالولد و الزوجة و الشريك زادوا عليهم بأمور منكرة منها أنهم قصدوا التلبيس و رضوا لأنفسهم بسمة الكذب و لبسوا الكفر على المسلمين فخلطوا به خداعا و استهزاء و لذلك طول الله فى بيان خبثهم و جهلهم و استهزائهم - و ما بقى يطلب من ج ١ ص ٢٠ .

(٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل : ما ينقله .

مضطربا[1] بين جهتين، و لم يظهر هذا المعنى فى الفريقين لتحيزهم إلى جهة واحدة - قاله الحرالى، و عرف للجنس[2] أو للعهد فى الذين كفروا لأنهم نوع منهم، و سر الإظهار موضع الإضمار على هذا ما تقدم، «امنا بالله» أى وحده بما[3] له من الجلال و الجمال مستحضرين لذلك، و لما كانوا متهمين أكدوا باعادة الجار فقالوا «و باليوم الأخر» الذى ٥ جحده المجاهرون، و ما هم «بمؤمنين» أى بعريقين فى الإيمان كما ادعوه بذكر الاسم الأعظم و إعادة الجار، و لعله نفى العراقة فقط لأن منهم من كان مُزَلْزَلًا حين هذا القول غير جازم بالكفر و آمن بعد ذلك، و حذف متعلق الإيمان تعميما فى السلب عنهم لما ذكروا و غيره، و جمع هنا و أفرد فى «يقول» تنبيها على عموم الكفر لهم كالأولين و قلة ١٠

---

(١) فى ظ : مطربا - كذا.

(٢) قال البيضاوى : و اللام فيه للجنس و من موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال: و من الناس ناس يقولون، أو للعهد و المعهود هم الذين كفروا و من موصولة مراد بها أبي بن كعب و أصحابه و نظراؤه . . . فعلى هذا يكون الآية تقسيما للقسم الثانى، و اختصاص الآية بالله و اليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان و ادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه، «و ما هم بمؤمنين» انكار ما ادعوه و نفى ما انتحلوا إثباته و كان أصله و ما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا و مبالغة فى التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الإيمان عنهم فى ماضى الزمان، و لذلك أكد النفى بالباء و أطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان فى شىء.

(٣) فى م : مما.

من يسمح[1] منهم بهذا القول إشارة إلى غلظتهم و شدة غثاوتهم[2] فى الكفر و قوتهم.

و فى ذكر قصتهم و تقبيح أحوالهم تنبيه على وجوب الإخلاص وحث على الاجتهاد فى الطهارة من الأدناس فى سؤال الهداية إلى الصراط ٥ المستقيم.

و تصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف: مهتدين و معاندين و ضالين، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة: متقين وكافرين مصارحين و هم المعاندون و ضالين و هم المنافقون، و إجمالهم فى الفاتحة و تفصيلهم هنا من بديع الأساليب و هو دأب القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل.

١٠ و قد سمى ابن إسحاق كثيرا من المنافقين[3] فى السيرة الشريفة فى أوائل أخبار ما بعد الهجرة[4]، قال ابن هشام فى تلخيص ذلك: وكان ممن انضاف إلى يهود ممن سمى لنا من المنافقين من الأوس و الخزرج، من الأوس زوى بن الحارث و بجاد بن عثمان بن عامر و نبتل بن الحارث و هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أحب ١٥ أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل! وكان يأتى رسول الله صلى الله

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يسنمح - كذا.

(٢) من ظ لكن الثاء غير منقوطة فيه، و فى الأصل: عماوتهم - كذا، و فى م: غشاوتهم، و فى مد: خسارتهم.

(٣) ليست العبارة من هنا إلى «من المنافقين» فى م.

(٤) و فى تفسير النسفى: الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة و النساء المنافقات مائة و سبعين.

عليه و سلم يتحدث إليه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، و هو الذى قال: إنما محمد أذن، و عباد بن حنيف أخو سهل و عمرو بن خذام[١] و عبد الله ابن نبتل و بَحْزَج و هو ممن كان بنى مسجد الضرار و كذا جارية[٢] بن عامر ابن العطاف و ابنه زيد و خذام[١] بن خالد و هو الذى أخرج مسجد الضرار من داره و مِرْبع بن قيظى و هو الذى قال لرسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم و هو عامد إلى أحد: لا أحل لك يا محمد إن كنت نبيا أن تمر فى حائطى[٣]! فابتدره المسلمون ليقتلوه فنهاهم النبى صلى الله عليه و سلم و قال: هذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، و أخوه أوس بن قيظى و هو الذى قال يوم الخندق: "ان بيوتنا عورة[٤]" و حاطب بن أمية بن رافع و كان شيخا جسيما قد عسى فى الجاهلية و كان ابنه يزيد[٥] ١٠ من خيار المسلمين، قتل رضى الله عنه يوم أحد فقال أبوه لمن بشره بالجنة: غررتم و الله هذا المسكين من نفسه!/ و بشير بن أبيرق[٦] أبو طعيمة - ٢٦/ و فى نسخة: طعمة[٧]، و هو سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه " و لا

---

(١) هكذا فى الأصل و ظ، و فى م: حذام، و لا يتضح فى مد.

(٢) فى الأصول: حارثة، و التصحيح من سيرة ابن هشام ١ / ١٨٦.

(٣) زيد فى السيرة و اخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال: و الله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به.

(٤) سورة ٣٣ آية ١٣.

(٥) فى الأصول: زيد، و التصحيح من سيرة ابن هشام.

(٦) فى ظ: ابريق.

(٧) و هو الثابت فى سيرة ابن هشام.

تجادل عن الذين يختانون انفسهم[1] " و قزمان[2] حليف لهم أجاد يوم أحد القتال و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول[3]: إنه من أهل النار، فجرح فبشر بالجنة فقال: و الله ما قاتلت إلا حمية لقومى[4]! فلما اشتدت به الجراحة قطع رواهش[5] يده فمات.

٥ و من الخزرج رافع بن وديعة و زيد بن عمرو و عمرو بن قيس و قيس ابن عمرو بن سهل [6]و الجد بن قيس[6] - و هو الذى قال " ائذن لى و لا تفتنى[7] "[8] و عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين و إليه كانوا يجتمعون

(١) سورة ٤ آية ١٠٧.

(٢) و فى حاشية الصحيح للبخارى ج ١ ص ٤٠٦: و فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل اسمه قزمان هذا فى عداد المنافقين و كان قد غاب يوم احد فعيره النساء فخرج و قاتل و بالغ، و فى الصحيح بعد سرد القصة: ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض و ذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه - الحديث.

(٣) ليس فى م.

(٤) فى سيرة ابن هشام: عن قومى.

(٥) الرواهش عروق ظاهر الكف - قطر المحيط ص ٨٠٧ - قطع اولا ثم إذا اشتد الوجع قتل نفسه بما ذكر.

(٦-٦) ليست فى م.

(٧) سورة ٩ آية ٤٩.

(٨) فى تفسير النسفى: قال الجد بن قيس المنافق: قد علمت الأنصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الأصفر - يعنى نساء الروم.

و هو القائل: " ليخرجن الاعز منها الاذل[١] "، و فيه و فى وديعة العوفى[٢]
و مالك بن أبى قوقل و سويد و داعس و هم من رهطه نزل " الم ترالى
الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتب"[٣] - الآية،
حكاية لما كانوا يدسونه إلى بنى النضير إذ حاصرهم رسول الله صلى الله
عليه و سلم فصدق الله و كذبوا . ٥

و كان ممن تعوذ بالإسلام و أظهره و هو منافق من أحبار يهود
من بنى قينقاع سعد بن حنيف و زيد بن اللُّصَيت و هو الذى قال فى
غزوة تبوك: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء و هو لا يدرى أين ناقته!
فأعلمه الله بقوله و بمكان الناقة، و نعمان بن أوفى بن عمرو و عثمان
ابن أوفى و رافع بن حُريملة و هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه ١٠
و سلم حين مات: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين، و رفاعة بن
زيد بن التابوت و هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ هبت
تلك الريح و هو قافل من غزوة بنى المصطلق: لا تخافوا، إنما هبت لموت
عظيم من عظماء المنافقين، و سلسلة بن برهام و كنانة بن صوريا - فكان
هؤلاء من المنافقين و من نحا نحوهم يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث ١٥
المسلمين و يسخرون منهم و يستهزؤن بدينهم - انتهى. و فيه اختصار فأنزل الله
تعالى فيهم[٤] هذه الآيات .

---

(١) سورة ٦٣ آية ٨ .
(٢) فى مد: العوق - كذا .
(٣) سورة ٥٩ آية ١١ .
(٤) ليس فى ظ .

و ابتدئت قصتهم بالتنبيه على قلة عقولهم و خفة حلومهم من حيث أن محط حالهم أنهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع و أن الذى حملهم على ذلك أنهم ليس لهم نوع شعور و لا شىء من إدراك بقوله تعالى - جوابا لسؤال من كأنه قال: فما قصدهم باظهار[1] الإيمان و [2] الإخبار عن أنفسهم بغير ما هى متصفة به مع معرفتهم بقبح الكذب و شناعته و فظاعته و بشاعته ؟ "يخدعون الله" أى يبالغون فى معاملته هذه المعاملة بابطان غير ما يظهرون مع ما له من الإحاطة بكل شىء ، و الخداع[3] أصله الإخفاء[4] و المفاعلة فى أصلها للمبالغة لأن الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ و أحكم منه إذا زاوله وحده "و الذين اٰمنوا" أى يعاملونهم تلك المعاملة ، و أمره[5] تعالى باجراء أحكام الإسلام عليهم فى الدنيا صورته صورة الخدع[6] و كذا امتثال المؤمنين أمره تعالى فيهم . قال

---

(١) فى ظ : بالاظهار .

(٢) فى م : فى .

(٣) قال البيضاوى فى تفسيره : الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده ، من قولهم : خدع الضب - إذا توارى فى جحره ، و ضب خادع و خدع إذا أوهم الحارش إقباله عليه ثم خرج من باب آخر ، و اصله الإخفاء . . . و المخادعة تكون بين اثنين ، و خداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية .

(٤) فى ظ فقط : الاختفاء .

(٥) زيد فى ظ : سبحانه .

(٦) فى ظ : الخداع .

الجرالى : و جاء بصيغة المفاعلة لمكان إحاطة علم الله بخداعهم و لم يقرأ غيره و لا ينبغى ، و الخداع إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر[١] - انتهى .

" و ما يخدعون[٢] " أى بما يغرون به المؤمنين " الا انفسهم " يعنى أن عقولهم لخباثتها[٣] إنما[٤] تسمى نفوسا ، و النفس[٥] قال الحرالى ما به ٥ ينفس المرء[٦] على غيره[٧] استبدادا منه و اكتفاء بموجود نفاسته على من سواه - انتهى . و قراءة الحذف هذه لا تنافى قراءة يخادعون لأن المطلق لا يخالف المقيد بالمبالغة ، و عبر هنا[٨] بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال الحرالى بفساد

---

(١) فى أنوار التنزيل : و يحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للغالبة و الفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض و مبار استصحبت ذلك و يعضده قراءة من قرأ يخدعون - الخ .

(٢) فى م و مد و ظ : ما يخادعون .

(٣) فى م و مد : بجنايتها .

(٤) ليس فى مد .

(٥) فى أنوار التنزيل : و النفس ذات الشىء وحقيقته ، ثم قيل للروح لأن نفس الحى به ، و للقلب لأنه محل الروح او متعلقه ، و للدم لأن قوامها به ، و للماء لفرط حاجتها إليه ، و للرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها ؛ و المراد بالأنفس ههنا ذواتهم ، و يحتمل حملها على أرواحهم و آرائهم - انتهى .

(٦) فى ظ : المراء - كذا .

(٧) من م و مد و ظ . و فى الأصل : غره - كذا .

(٨) فى ظ : هاهنا .

[١] أحوالهم فى بعض الأوقات و من بعض الأشخاص ، بصيغة المجرد لعمههم عن فساد[١] أحوالهم فى أكثر أوقاتهم وعمه عامتهم و لا يكون من الله سبحانه إلا بلفظ الخدع لأنهم لا يعلمون ما يخفى[٢] عنهم من أمره و لذلك جاء فى آية النساء "يخدعون الله و هو خادعهم[٣]" - انتهى .

٥ "و ما يشعرون" أى نوع شعور لإفراط جهلهم بأنهم لا يضرون غير أنفسهم لأن الله يعلم سرهم كما يعلم جهرهم[٤] ، و حذف[٥] متعلق الشعور للتعميم[٦] و الشعور كما قال الحرالى أول الإحساس بالعلم كأنه مبدأ إنباته قبل / أن تكمل صورته تتميز - و انتهى . / ٢٧

ثم بين سبحانه أن سبب الغفلة عن هذا الظاهر كون آلة إدراكهم ١٠ مريضة ، شغلها المرض عن إدراك ما ينفعها فهى لا تجنح إلا إلى ما يؤذيها ، كالمريض لا تميل نفسه إلى غير مضارها فقال جوابا لمن كأنه قال: ما سبب فعلهم هذا من الخداع[٧] و عدم الشعور[٧] ؟ « فى قلوبهم مرض »[٨] أى من

(١-١) ليست فى م .

(٢) زيد فى م و مد وظ : الله .

(٣) سورة ٤ آية ١٤٢ .

(٤) قال البيضاوى : « ما يشعرون » لا يحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق و بال الخداع و رجوع ضرره إليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الاعلى ماؤف الحواس و الشعور الإحساس ، و مشاعر الإنسان حواسه .

(٥) فى مد : حذفه .

(٦) و فى ظ : التعيم - كذا .

(٧-٧) ليست فى مد .

(٨) المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به و يوجب =

أصل الخلقة يوهن قوى الإيمان فيها و يوجب ضعف أفعالهم الإسلامية و خللها ، لأن المرض كما قال الحرالي ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الأفعال « فزادهم الله » أي[1] بما له من صفات الجلال و الإكرام لمخادعتهم [2]بما يرون من عدم تأثيرها[2] « مرضا » أي سوء اعتقاد بما يزيد من خداعهم و ألما في قلوبهم بما يرون من خيبة مطلوبهم ، فانسد عليهم باب الفهم ٥ و السداد جملة ، و الزيادة قال الحرالي استحداث أمر لم يكن في موجود الشيء - انتهى . « و لهم » أي مع ضرر الغباوة في الدنيا الملحقة بالبهائم « عذاب اليم » في الآخرة أي شديد الألم و هو الوجع اللازم - قاله الحرالي . « بما كانوا » قال الحرالي : من كان الشيء و كان الشيء كذا إذا ظهر وجوده و تمت صورته أو ظهر ذلك الكذا من ذات نفسه - ١٠ انتهى . « يكذبون » أي يوقعون[3] الكذب و هو الإخبار عن أنفسهم بالايمان مع تلبّسهم بالكفران ، و المعنى[4] على قراءة التشديد يبالغون

= الخلل في أفعاله . و مجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل و سوء العقيدة و الحسد و الضغينة و حب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل ، أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية ؛ و الآية تحتملهما .

(١) ليس في مد .

(٢-٢) ليست في م .

(٣) و في أنوار التنزيل : و المعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء له و هو قولهم « آمنا » .

(٤) و في أنوار التنزيل : « يكذّبون » من كذّبه لأنهم كانوا يكذّبون الرسول بقلوبهم ، أو من كذب الوحشي إذا جرى شوطا و وقف لينظر ما وراءه فان =

فى الكذب، أو ينسبون الصادق إلى الكذب، و ذلك أشنع الكذب .

و لما أخبر تعالى عن بواطنهم اتبعه من الظاهر ما يدل عليه فبين أنهم إذا نهوا عن الفساد العام ادّعوا الصلاح العام بقوله « و اذا قيل لهم » و بناؤه للجهول إشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائنا من كان « لا تفسدوا ٥ فى الارض » أى بما نرى[1] لكم من الأعمال الخبيثة . و الفساد[2] انتقاض صورة الشيء - قاله الحرالى ، « قالوا » قاصرين فعلهم على الصلاح نافين عنه كل فساد مباهتين غير مكترثين « انما نحن مصلحون »[3] و الإصلاح تلافى خلل الشيء - قاله الحرالى[4] .

و لما كان حالهم مبنيا على الخداع باظهار الخير و إبطان الشر و كانوا ١٠ يرون إفسادهم لما لهم من عكس الإدراك إصلاحا فكانوا يناظرون عليه

= المنافق متحير متردد .

(١) و فى م و ظ : يرى .

(٢) قال البيضاوى : و الفساد خروج الشيء عن الاعتدال ، و الصلاح ضده .

(٣) قال البيضاوى : جواب لإذا و رد للناصح على سبيل المبالغة ، و المعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس إلا الإصلاح و إن حالنا متمحضة من شوائب الفساد . و فى تفسير النسفى : نحن مصلحون بين المؤمنين و الكافرين بالمداراة ، يعنى أن صفة المصلحين خلصت لنا و تمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد .

(٤) قال البيضاوى : و إنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال تعالى « افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا » - انتهى .

بأنواع

بأنواع الشبه كان قولهم ربما غرّ من سمعه من المؤمنين لأن المؤمن غرّ كريم و الكافر خِبّ لئيم فقال تعالى محذرا من حالهم مثبتا لهم ما نفوه عن أنفسهم من الفساد و قاصرا له عليهم «الا انهم هم» أى خاصة «المفسدون» أى الكاملو[1] الإفساد البالغون من العراقة فيه ما يجعل إفساد غيرهم بالنسبة إلى إفسادهم عدما لما فى ذلك من خراب ذات البين ٥ و أخذ المؤمن من المأمن. و قال الحرالى: و لما كان حال الطمأنينة بالإيمان إصلاحا وجب أن يكون اضطرابهم فيه إفسادا لا سيما مع ظنهم أن كونهم مع هؤلاء تارة و مع هؤلاء تارة من الحكمة و الإصلاح و هو عين الإفساد لأنه بالحقيقة مخالفة هؤلاء و هؤلاء فقد أفسدوا طرفى الإيمان و الكفر، و لذلك قيل: ما يصلح المنافق، لأنه لا حبيب مصاف ١٠ و لا عدو[2] مبائن، فلا يعتقد منه على شيء - انتهى.

و لما كان هذا الوصف موجبا لعظيم الرهبة اتبعه ما يخففه[3] بقوله «و لكن لا يشعرون» أى هم[4] فى غاية الجلافة حتى لا شعور لهم

---

(١) فى مد: الكاملون.

(٢) زيد فى ظ: مبين.

(٣) و فى ظ: يحققه.

(٤) و فى تفسير النسفى: لا يشعرون أنهم مفسدون لحذف المفعول للعلم به، «الا» مركبة من همزة الاستفهام و حرف النفى لإعطاء معنى التنبية على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفى أفاد تحققا كقوله تعالى «ا ليس ذلك بقادر» و لكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم و قد رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد و أدله على سخط =

يحسنون به التصرف فيما يحاولونه من الفساد الآن بما دلت عليه ما فى الآية السابقة الدالة على أن المضارع للحال و لا فيما يستقبل من الزمان لأن لا لا تقارنه إلا و هو بمعنى الاستقبال، فلأجل ذلك لا يؤثر إفسادهم إلا فى أذى أنفسهم، فلا تخافوهم فانى كافيكموهم .

٥ و لما بين حالهم إذا أمروا بالصلاح العام بين أنهم إذا دعوا إلى الصلاح الخاص الذى هو أس كل صلاح سموه سفها فقال « و اذا قيل » أى من أى قائل كان « لهم اٰمنوا » أى ظاهرا و باطنا « كما اٰمن الناس[١] » أى الذين هم الناس ليظهر عليكم ثمرة ذلك من لزوم الصلاح و اجتناب الفساد و الإيمان المضاف إلى الناس أدنى مراتب الإيمان[٢] - قاله الحرالى ،

= عظيم ، و المبالغة فيه من جهة الاستئناف و ما فى « الا » و « ان » من التأكيد و تعريف الخبر و توسيط الفصل و قوله « لايشعرون » - انتهى .

(١) قال ابوحيان الأندلسى فى تفسيره الكبير المسمى بالبحر المحيط : الناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومرادفه اناسى جمع انسان او إنسى ، قد قالت العرب : ناس من الجن ، حكاه ابن خالويه و هو مجاز إذ اصله فى بنى آدم ، و مادته عند سيبويه و الفراء همزة و نون و سين وحذفت همزته شذوذا وأصله أناس و نطق بهذا الأصل قال تعالى « يوم ندعوكل اناس بامامهم » فمادته و مادة الإنس واحدة ، وذهب الكسائى إلى أن مادته نون و واو و سين و وزنه فعل مشتق من النوس و هو الحركة .

(٢) و فى تفسير النسفى : نصحوهم من وجهين : احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب و جره إلى الفساد ، و ثانيهما تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام ، فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادى جهلهم ، و فيه =

و هو[1] مفهم لما صرح به[2] قوله: و ما هم بمؤمنين «قالوا انؤمن» أى ذلك الإيمان «كما امن السفهاء» أى الذين[3] استدرجهم إلى ما دخلوا فيه بعد ترك ما كان عليه آباؤهم خفة نشأت عن ضعف العقل، ثم رد سبحانه قولهم بحصر السفه فيهم فقال «الا انهم هم السفهاء» لا غيرهم[4] لجودهم / على رأيهم مع أن بطلانه أظهر من الشمس ليس فيه لبس ٥ /٢٨ «و لكن لا يعلمون» أى ليس لهم علم أصلا لا بذلك و لا بغيره، و لا يتصور لهم علم لأن جهلهم مركب و هو أسوأ الجهل. و العلم، قال الحرالى: ما أخذ بعلامة و أمارة نصبت آية عليه - انتهى. و لما كان الفساد يكفى فى معرفته و السد عنه أدنى تأمل و السفه لا يكفى فى إدراكه و النهى عنه إلا رزانة[5] العلم ختمت كل آية بما يناسب ذلك ١٠ من الشعور و العلم[6] و لما كان العام جزء الخاص قدم عليه.

= تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة - انتهى.

(١) فى ظ: هم.

(٢) زيد فى مد: فى.

(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الذى - كذا.

(٤) قال النسفى: و انما سفهوهم و هم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل، ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل و خفة الحلم - اه.

(٥) فى م: رزاية - كذا.

(٦) و فى تفسير النسفى: لا يعلمون أنهم هم السفهاء و إنما ذكرهنا «لا يعلمون» =

و لما بيّن نفاقهم و علته و سيرتهم عند دعاء الداعى إلى الحق بهذه الآيات بين سيرتهم فى أقوالهم فى خداعهم دليلا على إفسادهم بقوله «و اذا لقوا» و اللقاء[١] اجتماع باقبال «الذين ءامنوا» أى حقا ظاهرا و باطنا، و لكن إيمانهم كما قال الحرالى[٢] فعل من أفعالهم لم ينته إلى أن ٥ يصير صفة لهم، و أما المؤمنون الذين صار إيمانهم صفة لهم فلا يكادون[٣] يلقونهم بمقتضاه، لأنهم لا يجدون معهم مدخلا فى قول و لا مؤانسة، لأن اللقاء لا بد فيه من إقبال ما من[٤] المتقيين[٥] - انتهى. «قالوا» خداعا «ءامنا» معبرين بالجملة الفعلية الماضية التى يكفى[٦] فى إفادتها[٧] لما سبقت له ادنى الحدوث[٨].

= وفيما تقدم «لا يشعرون» لأنه قد ذكر السفه و هو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له، ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر و استدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة، أما الفساد فى الأرض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس - انتهى.

(١) وفى السراج المنير لمحمد الشربينى الخطيب: اللقاء المصادفة وهى الاجتماع من غير مواعدة، يقال لقيته ولاقيته إذا صادفته و استقبلته - الخ.

(٢) زيد فى ظ: الى.

(٣) فى ظ: فلا يكادوا.

(٤) كذا، والظاهر: بين.

(٥) فى الأصل: المتقين - كذا.

(٦) من مد، و فى ظ: يلفى - كذا، وفى م: يكفى، و فى الأصل: تكفى.

(٧) فى ظ: افادتهم.

(٨) قال البيضاوى: خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية و الشياطين بالجملة الاسمية =

و اذا

« و اذا خلوا » منتهين « إلى شيٰطينهم » أى الذين هم رؤوسهم من غير أن يكون معهم مؤمن، و الشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير - قاله الحرالى، « قالوا انا معكم » [1]معبرين بالاسمية الدالة على الثبات مؤكدين لها دلالة على نشاطهم لهذا الإخبار لمزيد حبهم لما أفاده و دفعا لما قد يتوهم من تبدلهم من رأى نفاقهم للؤمنين[1]، ثم استأنفوا فى موضع الجواب ٥ لمن قال: ما بالكم تلينون للؤمنين قولهم[2]؟ « انما نحن مستهزؤن » أى طالبون للهُزء[3] ثابتون عليه فيما نظهر من الإيمان و الهزء إظهار الجد و إخفاء الهزل فيه - قاله الحرالى .

فأجيب من كأنه قال: بما ذا جوزوا؟ بقوله « الله[4] يستهزئ بهم » أى يجازيهم على فعلهم بالاستدراج بأن يظهر لهم من أمره[5] ١٠

= المؤكدة بأن لأنهم قصدوا دعوى إحداث الإيمان و بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه، ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة و صدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الإيمان على المؤمنين من المهاجرين و الأنصار بخلاف ما قالوه مع الكفار - انتهى .

(١-١) ليست العبارة فى ظ .

(٢) ليس فى مد .

(٣) فى مد: للهزو، و فى ظ: للهزاء .

(٤) زيد فى م و مد: أى الملك الاعلى . والعبارة الآتية من هنا إلى « وجهه » ساقطة من م .

(٥) قال أبو البركات محمود النسفى فى تفسيره المسمى بمدارك التنزيل: و استئناف قوله « الله يستهزئ بهم » من غير عطف فى غاية الجزالة و الفخامة، و فيه ان =

المرذى[1] لهم ما لا يدركون وجهه فهو يجرى عليهم فى الدنيا أحكام أهل الإيمان و يذيقهم فى الدارين أعلى هوان مجددا لهـم ذلك بحسب استهزائهم ، و ذلك أنكأ من شىء دائم توطّن النفس عليه ، فلذلك عبر بالفعلية دون الاسمية ، مع أنها تفيد صحة التوبة لمن تاب دون الاسمية .

٥ « و يمدهم » من المد[2] بما يلبس عليهم . و قال الحرالى : من المدد و هو مزيد متصل فى الشىء من جنسه ، « فى طغيانهم »[3] أى تجاوزهم الحد فى الفساد . و قال الحرالى : إفراط اعتدائهم حدود الأشياء و مقاديرها - انتهى . و هذا المد بالإملاء لهم حال كونهم « يعمهون » أى يخبطون خبط الذى لا بصيرة له أصلا . قال الحرالى : من العمه و هو انبهام الأمور

= الله تعالى هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال و الذل و الهوان ، و لما كانت نكايات الله و بلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل « الله يستهزئ بهم » و لم يقل : الله مستهزئ بهم .

(١) هكذا فى الأصل و مد ، و فى م و ظ : المردى .

(٢) قال البيضاوى : من مد الجيش و أمده إذا زاده و قواه ، و منه مددت السراج و الأرض اذا استصلحتها بالزيت و السماد ، لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام .

(٣) و الطغيان بالضم و الكسر كلُقيان و لِقيان تجاوز الحد فى العتو و الغلو فى الكفر ، و أصله تجاوز الشىء عن مكانه . . . و العمه فى البصيرة كالعمى فى البصر و هو التحير فى الأمر ، يقال رجل عامه و عمه و ارض عمهاء لا منار بها ، قال : أعمى الهدى بالجاهلين العمه - انتهى .

التى فيها دلالات ينتفع بها عند فقد الحس فلا يبقى له سبب يرجعه عن طغيانه ، فلا يتعدون حدا إلا عمهوا فلم يرجعوا عنه فهم أبدا متزايدو الطغيان - انتهى .

فلما تقرر ذلك كله كانت فذلكته من غير توقف « اولئك » أى الشديدو[1] البعد من الصواب « الذين اشتروا » أى لجوا فى هواهم ٥ وكلفوا أنفسهم ضد[2] ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الأدلة حتى أخذوا « الضللة » أى التى هى أقبح الأشياء « بالهدى »[3] الذى هو خير الأشياء و مدار كل ذى شعور عليه، فكأنه لوضوح ما قام عليه من الأدلة مع ما ركز منه[4] فى الفطر كان فى أيديهم فباعوه بها، و سيأتى فى سورة يوسف عليه السلام بيان[4] أن مادة شرى بتراكيبها الاثنى عشر تدور ١٠ على اللجاجة « فما » أى فتسبب عن فعلهم هذا أنه ما « ربحت تجارتهم »[5] مع ادعائهم أنهم[6] أبصر الناس بهـا « و ما كانوا » فى نفس جبلاتهم « مهتدين »[7] لأنهم مع أنهم لم يربحوا أضاعوا رأس المال، لأنه لم يبق

---

(١) فى م : الشديد .

(٢) فى م : عند .

(٣) وفى أنوار التنزيل : المعنى أنهم أخلو بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا إليها ، أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى - انتهى .

(٤) ليس فى م .

(٥) قال النسفى : معناه فما ربحوا فى تجارتهم إذا التجارة لا تربح .

(٦) فى ظ : انه .

(٧) « وما كانوا مهتدين » لطرق التجارة ، والمعنى أن مطلوب التجار سلامة =

فى أيديهم غير الضلال الذى صاحبه فى[1] دون رتبة البهائم مع زعمهم أنه لا مثل لهم فى الهداية.

فلما علم ذلك كله و كانت الأمثال ألصق بالبال و أكشف للأحوال مثل حالهم فى هداهم الذى باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة، لأن /٢٩ ٥ / للتمثيل بها شأنا عظيما فى إيصال المعانى حتى إلى الأذهان الجامدة و تقريرها فيها بقوله تعالى «مثلهم»[2] أى فى حالهم هذه التى طلبوا أن يعيشوا بها «كمثل الذى استوقد نارا»[3] أى طلب أن توقد له و هى هداه ليسير فى نورها، و أصلها من نار إذا نفر لتحركها و اضطرابها، فوقدت و أنارت.

١٠ «فلما اضاءت» أى[4] النار، و أفرد الضمير باعتبار لفظ «الذى» فقال

=رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوهما فرأس مالهما الهدى و لم يبق لهم إلا الضلالة، و إذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح و إن ظفروا بالأغراض الدنيوية، لأن الضال خاسر.

(١) فى ظ: من.

(٢) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان، و لضرب الأمثال فى إبراز خفيات المعانى و رفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر.

(٣) و النار جوهر لطيف مضىء حار محرق، و اشتقاقها من نار ينور إذا نفر، لأن فيها حركة و اضطرابا، و وقود النار سطوعها.

(٤) قال النسفى: الإضاءة فرط الإنارة و مصداقه قوله تعالى «هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا» وهى فى الآية متعدية، و يحتمل أن تكون غير=

ما

« ما حوله » و أراد أن ينتفع بها فى إبصار ما يريد ، و هو كناية عما حصل لهم من الأمنة بما قالوه من كلمة الإسلام من غير اعتقاد « ذهب الله » الذى له كمال العلم و القدرة ، و جمع الضمير نظرا إلى المعنى لئلا يتوهم أن بعضهم انتفع دون بعض بعد أن أفرده تقليلا للنور و إن كان قويا فى أوله لانطفائه فى آخره فقال « بنورهم »[1] أى الذى نشأ ٥ من تلك النار باطفائه لها و لا نور لهم سواه؛ و لم يقل: بضوئهم، لئلا يتوهم أن المذهوب به الزيادة فقط، لأن الضوء أعظم من مطلق النور « هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا[2] » فذهب نورهم و بقيت نارهم ليجتمع عليهم حرّها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور ، و عبر[3] بالإضاءة أولا إشارة إلى قوة أولهم و انمحاق آخرهم، لأن محط حالهم الباطل ١٠ و الباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها ليتبين[4] الصادق من الكاذب ، و عبر بالذهاب به[5] دون إذهابه ليدل نصا على أنه سبحانه ليس معهم و حقق ذلك[5] بالتعبير عن صيّر بترك[5] فقال «و تركهم فى ظلمٰت»

= متعدية مسندة إلى ما حوله، و التأنيث للحمل على المعنى .

(١) و معنى ذهب به استصحبه و مضى به، و المعنى أخذ الله بنورهم و أمسكه « و ما يمسك فلا مرسل له» فكان أبلغ من الإذهاب ، و النور ضوء النار و ضوء كل منير، و المراد إزالة النور عنهم رأسا ، ألا ترى كيف ذكر عقيبه « و تركهم فى ظلمٰت لا يبصرون » .

(٢) سورة ١٠ آية ٥ .

(٣) فى مد: غبر - كذا .

(٤) فى ظ : ليتميز .

(٥) ليس فى م .

أى بالضلالة[1] من قلوبهم و أبصارهم و ليلهم أى ظلمات لا ينفذ[2] فيها بصر، فلذا كانت نتيجته «لا يبصرون»[3] أى لا إبصار لهم أصلا [4]يبصر و لا بصيرة[4].

و لما فرغ من المثل كشف المراد بظلماتهم بأنها ما فى آذانهم من الثقل المانع من الانتفاع بالسماع، و ما فى ألسنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشىء عن عدم الإدراك الناشىء عن عمى[5] البصائر و فساد الضمائر و السرائر، و ما على أبصارهم من الغشاوة المانعة من الاعتبار و على بصائرهم من الأغطية المنافية للادّكار[6] فقال[7] «صم» أى عن السماع النافع «بكم» عن النطق المفيد لأن قلوبهم مختوم عليها فلا ينبعث منها

---

(١) زيد فى ظ: اى.

(٢) فى الأصل: لاينفد - كذا بالدال المهملة.

(٣) قال الشربينى الخطيب: لا يبصرون ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين، فذكر الظلمة التى هى عدم النور و انطماسه بالكلية، كيف جمع الظلمة و كيف نكرها و كيف اتبعها بما يدل على أنها ظلمة خالصة و هو قوله «لا يبصرون» و ظلماتهم ظلمة الكفر و ظلمة النفاق و ظلمة يوم القيامة «يوم ترى المؤمنين و المؤمنٰت يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم».

(٤ - ٤) فى م: و لا بصيرة لهم اصلا و لا بصيرة.

(٥) فى م: علم - كذا.

(٦) فى م: للاذكار، و الادكار و الاذكار كلاهما بمعنى.

(٧) قال البيضاوى: لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق و أبوا أن ينطقوا به ألسنتهم و يتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم و انتفت =

خير تقذفه[1] إلى الألسنة «عمى» فى البصر و البصيرة عن الإبصار المرشد لما تقدم من الختم على مشاعرهم، و لما كان فى مقام إجابة الداعى إلى الإيمان قدم السمع لأنه العمدة فى ذلك، و ثنى بالقول لأنه يمكن الأصم الإفصاح عن المراد، و ختم بالبصر لإمكان الاهتداء به بالإشارة؛ وكذا ما يأتى فى هذه السورة سواء بخلاف ما فى الإسراء، «فهم» أى فتسبب ٥ عن ذلك أنهم «لا» و لما كان المراد التعميم فى كل رجوع لم يذكر المرجوع عنه فقال «يرجعون»[2] أى عن طغيانهم و ضلالهم إلى الهدى الذى باعوه و لا إلى حالهم الذى كانوا عليه و لا ينتقلون[3] عن حالهم هذا[4] أصلا، لأنهم كمن هذا حاله، و من هذا حاله لا يقدر على مفارقة موضعه بتقدم و لا تأخر. ١٠

= قواهم كقوله:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به   و إن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

و قوله:

أصم عن الشيء الذى لا أريده   و أسمع خلق الله حين أريد

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تقدفه - كذا بالدال المهملة.

(٢) لا يعودون إلى الهدى الذى باعوه و ضيعوه أو عن الضلالة التى اشتروها، أو فهم يتحيرون لا يدرون أ يتقدمون أو يتأخرون و إلى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون و الفاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم و احتباسهم - انتهى.

(٣) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: ينتقون - كذا.

(٤) ليس فى ظ.

« او » مثلهم فى سماع القرآن الذى فيه المتشابه و الوعيد و الوعد « كصيب » أى أصحاب صيب أى مطر عظيم، و قال الحرالى: سحاب عطر دارٍّ ثم اتبعه تحقيقا لأن المراد الحقيقة قوله « من السماء » و هو كما قال الحرالى ما علا فوق الرأس، يعنى هذا أصله[١] و المراد هنا معروف، ٥ و مثل القرآن [٢]بهذا لمواترة[٢] نزوله و علوه و إحيائه القلوب كما أن الصيب يحيي الأرض، ثم أخبر عن حاله بقوله « فيه ظلمٰت » أى لكثافة السحاب و اسوداده « و رعد » أى صوت مرعب يرعد عند سماعه[٣] « و برق » أى نور مبهت للمعانه و سرعته - قاله الحرالى، و الظلمٰت مثل ما لم يفهموه، و الرعد ما ينادى عليهم بالفضيحة و التهديد و البرق ما ١٠ يلوح لهم معناه و يداخلهم رأى فى استحسانه.

---

(١) قال الشربينى الخطيب: و السماء كل ما علاك و أظلك، و هى من أسماء الأجناس فيكون واحدا و جمعا. و قال البيضاوى: و الصيب فيعل من الصوب وهو النزول و يقال للمطر و السحاب، قال الشماخ: و اسحم وان صادق الوعد صيب، و فى الآية يحتملهما. و تنكيره لأنه أريد به نوع من المطر الشديد، و تعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل أفق منها سماء كما أن كل طبقة منها سماء، قال: و من بعد أرض بيننا و سماء.

(٢-٢) فى ظ: بهذه المواتره - كذا.

(٣) و الرعد صوت يسمع من السحاب، و المشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح من الارتعاد، و البرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا و كلاهما مصدر فى الأصل و لذلك لم يجمعا - انتهى.

و لما تم مثل القرآن استأنف[1] الخبر عن حال الممثل لهم [2] و الممثل بهم[2] حقيقة [2] و مجازا[2] فقال « يجعلون اصابعهم » [3] أى بعضها و لو قدروا لحشوا الكل لشدة خوفهم[3] « فى اذانهم من الصواعق » أى من أجل قوتها، لأن هولها يكاد / أن يصم، و قال الحرالى: جمع[4] صاعقة[5] و هو الصوت الذى يميت[6] سامعه أو يكاد، ثم علل هذا بقوله « حذر الموت و الله » أى و الحال أن المحيط بكل شىء قدرة و علما « محيط بالكفرين »[7] فلا يغنيهم من قدره حذر[8] ، و أظهر موضع الإضمار لإعراضهم عن القرآن و سترهم لأنواره .

/ ٣٠

٥

ثم استأنف[9] الحديث عن بقية حالهم فقال « يكاد البرق » أى من

---

(١) قال البيضاوى: و الجملة استيناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة و الهول قيل: فكيف حالهم مع مثل ذلك ؟ فأجيب بها، و إنما أطلق الأصابع دون الأنامل للمبالغة .

(٢-٢) ليس فى مد .

(٣-٣) ليست العبارة فى ظ ، و لفظ « لحشوا » ليس فى مد أيضا .

(٤) فى ظ : لجمع .

(٥) و الصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر على شىء إلا أتت عليه الصعق و هو شدة الصوت، و قد يطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد، و يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت - انتهى .

(٦) فى مد : تميت ، و فى م : يبهت .

(٧) زيد فى م : اى .

(٨) « و الله محيط بالكفرين » لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع و الحيل .

(٩) استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول: ما حالهم مع تلك الصواعق؟ و الخطف =

قوة لمعه و شعاعه و شدة حركته و إسراعه « يخطف ابصارهم » فهم يغضونها عند لمعه بخفضه فى ترائبه و رفعه، و لما كان من المعلوم أن البرق ينقضي لمعانه بسرعة كان كأنه قيل: ماذا[1] يصنعون عند ذلك؟ فقال[2] « كلما »[3] و عبر بها دون إذا[4] دلالة على شدة حرصهم على إيجاد المشي[5] عند الإضاءة « اضاء لهم مشوا فيه » مبادرين إلى ذلك حراصا عليه لا يفترون عنه فى وقت من أوقات[6] ٥ الإضاءة مع أنهم يغضون أبصارهم و لا يمدونها غاية المد خوفا عليهم و وقوفا مع الأسباب و وثوقا بها و اعتمادا عليها و غفلة عن رب الأرباب، و هو مثل لما وجدوا من القرآن موافقا لآرائهم، و عطف باذا لتحقق خفوته بعد خفوقه قوله « و اذا اظـلم عليهم قاموا » أى أول حين الإظلام ١٠ لا يقدرون على التقدم خطوة واحدة إشارة إلى أنه ليست لهم[7] بصائر يسيرون بها فيما كشف البرق لأبصارهم من الأرض قبل الإظـلام

= الأخذ بسرعة و قرئ يخطف بكسر الطاء و يخطف على انه يختطف و يخطّف بكسر الخاء.

(١) فى م: فما.

(٢) قال البيضاوى: استيناف ثالث، كأنه قيل: ما يفعلون فى تارتى خفوق البرق و خفيته؟ فأجيب بذلك. و أضاء إما متعد و المفعول محذوف بمعنى كلما نوّر لهم ممشى أخذوه، أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره.

(٣) العبارة من هنا إلى « الإضاءة » ليست فى ظ.

(٤) و إنما قال مع الإضاءة « كلما » ومع الإظلام « اذا » لأنهم حراص على المشى وكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها و لا كذلك التوقف.

(٥) فى م: الشى.

(٦) من مد و م و ظ، و فى الأصل: الاوقات.

(٧) زيد فى ظ: فيها.

بل[١] حال انقطاع اللعان يقفون لعمى بصائرهم و وحشتهم و جبنهم و غربتهم و شدة جزعهم و حيرتهم، و هكذا حال هؤلاء لا يقيسون ما أشكل عليهم من القرآن على ما فهموه.

« و لو شاء الله » الذي له العظمة الباهرة مع شدة حرصهم و تناهي جزعهم، و دل على مفعول شاء بقوله « لذهب بسمعهم » أي بقاصف الرعد ٥ و لم يغنهم سدّ آذانهم « و ابصارهم » بخاطف البرق و لم يمنعه غضهم لها، ثم علل ذلك بقوله « ان الله » أي الذي له جميع صفات الكمال « على كل شيء » أي مشيء أي يصح أن تقع عليه المشيئة هذا المراد و إن كان الشيء كما قال سيبويه يقع على كل ما أخبر عنه، و هو أعم العام كما أن الله أخص الخاص، يجري على الجسم و العرض و القديم و المعدوم و المحال، ١٠

---

(١) قال البيضاوي بعد بيان التمثيل مع قسميه المفرد و المؤلف: قيل شبه الإيمان و القرآن و ما أوتي الإنسان من المعادن التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة الأرض، و ما ارتبكت بها من الشبه المبطلة و اعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات، و ما فيها من الوعد و الوعيد بالرعد، و ما فيها من الآيات الباهرة بالبرق، و تصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها، و هو معنى قوله تعالى « و الله محيط » و اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم و تحيرهم و توقفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم، ونبه بقوله تعالى « و لو شاء الله لذهب بسمعهم و ابصارهم » على أنه تعالى جعل لهم السمع و الأبصار ليتوسلوا بها على الهدى و الفلاح ثم إنهم إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة و لو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير - انتهى.

و قول الأشاعرة: إن المعدوم ليس بشيء[1]، بمعنى أنه ليس بثابت فى الأعيان [2]متميز فيها[2] « قدير » إعلاما بأن قدرته لا تتقيد بالأسباب ، [2]قال الحرالى: القدرة إظهار الشيء من غير سبب ظاهر - انتهى[2] .

و لعله سبحانه قدم المثل الأول لأنه كالجزء من الثانى، أو لأنه مثل المنافقين، جعلت مدة[3] صباهم بنمو هم و ازدياد عقولهم استيقادا[4] مع جعل الله إياهم على الفطرة القويمة و زمان بلوغهم بتمام العقل الغريزى إضاءة؛ و الثانى مثل المنافقين و هو أبلغ. لأن الضلال فيه أشنع و أفظع. فالصيب القرآن الذى انقادوا له ظاهرا، و الظلمات متشابهه[5]، و الصواعق

(١) و فى تفسير المظهرى : و الشيء مصدر شاء يطلق بمعنى الفاعل أى الشائى فيتناول البارى تعالى، قال الله تعالى « قل اى شيء اكبر شهادة قل الله »، وبمعنى المفعول أى المشيء وجوده وهو الممكن، و منه قوله تعالى «خالق كل شيء» فهو على عمومه .... وقال الشربينى الخطيب : والشيء يختص بالموجود فلا يطلق على المعدوم؛ و القدرة هو التمكن من إيجاد الشيء، و القادر هو الذى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، و القدير الفعال لما يشاء، و لذلك قلما يوصف به غير البارى تعالى: و اشتقاق القدير من القدرة، لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته، و فى ذلك دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران، وأن مقدور العبد مقدور الله تعالى - انتهى .

(٢ - ٢) ليس فى مد .

(٣) زيد فى م: اصابتهم .

(٤) من ظ ، وفى الأصل: استيقاذا - كذا بالذال المعجمة، و فى م ومد : استقادا .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: متشابهة - كذا .

وعيده

وعيده ، و البرق وعده ، كلما أنذروا بوعيد انقطعت قلوبهم خوفا «يحسبون كل صيحة عليهم[١]» ، و كلما بشروا انقادوا رجاء ، و إذا عرض المتشابه وقفوا تحيرا و جفاء و كل ذلك وقوفا مع الدنيا و انقطاعا إليها ، لا نفوذ[٢] لهم إلى ما وراءها أصلا ، بل هم كالأنعام ، لا نظر لهم إلى ما[٣] سوى الجزئيات و الأمور المشاهدات ، «فان كان[٤] لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم[٥]» ، «يٰليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما[٦]» ، و الكلام[٧] الجامع النافع فى ذلك أن يقال إنه سبحانه شبّه فى الأول مثلهم بمثل المستوقَد لا بالمستوقِدِ ، و[٣] فى الثانى شبه مثلهم فى خوفهم اللازم و رجائهم المنقطع[٨] بأصحاب

---

(١) سورة ٦٣ آية ٤ .

(٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا نفود - كذا بالدال المهملة .

(٣) ليس فى م و مد .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) سورة ٤ آية ١٤١ .

(٦) سورة ٤ آية ٧٣ .

(٧) قال أبو حيان فى التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ج ١ ص ٧٦ ما نصه : المعنى تشبيه المثل بالمثل لا بمثل المثل ، و المثل هنا بمعنى القصة و الشأن ، فشبه شأنهم و وصفهم بوصف المستوقد نارا ، فعلى هذا لا تكون الكاف زائدة ؛ و فى جهة المماثلة بينهم و بين الذى استوقد نارا وجوه ذكروها - و ليطلب ما ذكر من التفصيل فيه .

(٨) من مد ، و فى الأصل و م : المتقطع ، و فى ظ : المقطع - كذا .

الصيب لا بمثلهم[1]؛ فتقدير الأول مثلهم فى أنهم سمعوا أولا الدعاء و رأوا الآيات فأجابوا الداعى إما بالفعل كالمنافقين و إما بالقوة فى أيام الصبا[2] لما عندهم من سلامة الفطر و صحة النظر، ثم تلذذوا فرجعوا بقلوبهم من نور ما قالوه بألسنتهم من كلمة التقوى نطقا أو تقديرا إلى ظلمات الكفر، فلم ينفعهم سمع و لا بصر و لا عقل[3]، فصاروا مثل البهائم التى لا تطيع الراعى إلا بالزجر البليغ، مثلهم فى هذا يشبه مثل المستوقد فى أنه لما أضاءت ناره رأى ما حوله، فلما ذهبت لم يقدر على تقدم و لا تأخر، لأنه لا ينفع فى ذلك سمع و لا كلام فاذن[4] استوى وجودهما و عدمها،

(١) فى م: مثلهم.

(٢) من م، و فى الأصل و مد و ظ: الصبى.

(٣) قال أبو حيان فى البحر المحيط: و قيل وصفهم الله بذلك لأنهم كانوا يتعاطون التصامم و التباكم و التعامى من غير أن يكونوا متصفين بشىء من ذلك فنبه على سوء اعتمادهم و فساد اعتقادهم، و العرب إذا سمعت ما لا تحب أو رأت ما لا يعجب طرحوا ذلك كأنهم ما سمعوه و لا رأوه، قال تعالى «كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا و قالوا قلوبنا فى اكنة» الآية، قيل و يجوز أن يكون أريد بذلك المبالغة فى ذمهم و أنهم من الجهل و البلادة أسوأ حالا من البهائم و أشبه حالا من الجمادات التى لا تسمع و لا تتكلم و لا تبصر، فمن عدم هذه المدارك الثلاثة كان من الذم فى الرتبة القصوى، و لذلك لما أراد إبراهيم على نبينا و عليه السلام المبالغة فى ذم آلهة أبيه قال «يا ابت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغنى عنك شيئا» - انتهى.

(٤) فى م: ماذا.

فصار عادما للثلاثة ، فكان من هذه الجهة[1] مساويا / للأصم الأبكم الأعمى ، /٣١
فهو مثله لكونه لا يقدر على مراده إلا أن قاده قائد حسى ، فهو حينئذ[2]
مثل البهائم التى لا تقاد[3] للمراد إلا بقائد ، فاستوى المثلان و سيتضح
ذلك عند قوله تعالى « كمثل الذى ينعق[4] » و لذلك كانت النتيجة فى كل
منهما صم[5] - إلى آخره و« او » بمعنى الواو ، و لعله عبر بها دونها لأنه[6] وإن ٥
كان كل من[7] المثلين صالحا لكل من القسمين فان احتمال التفصيل غير
بعيد ، لأن[8] الأول أظهر فى الأول[9] و الثانى فى الثانى[10] .

---

(١) فى ظ : الحيثية .

(٢) فى ظ : ح .

(٣) فى ظ : لا يقاد .

(٤) فى م : ينفق - كذا . سورة ٢ آية ١٧١ .

(٥) فى ظ : ضم - كذا .

(٦) فى مد : لانها .

(٧) زيد فى م : فى .

(٨) فى ظ : فان .

(٩) فى م : الثانى - كذا .

(١٠) قال أبو حيان فى البحر المحيط : و إنما المعنى الظاهر فيها كونها للتفصيل ، وهذا التمثيل الثانى أتى كاشفا لحالهم بعد كشف الأول ، و إنما قصد بذلك التفصيل والإسهاب بحال المنافق ، و شبهه فى التمثيل الأول بمستوقد النار و إظهار الإيمان بالإضاءة و انقطاع جدواه بذهاب النور ؛ و شبه فى الثانى دين الإسلام بالصيب ، وما فيه من الوعد و الوعيد بالرعد و البرق ، و ما يصيبهم من الأفزاع و الفتن من جهة المسلمين بالصواعق ؛ و كلا التمثيلين من التمثيلات المتفرقة كما =

و جعل الحرالى المثلين للنافقين فقال: ضرب لهم مثلين لما كان لهم حالان و للقرآن عليهم تنزلان ، منه ما يرغبون فيه لما فيه من مصلحة دنياهم ، فضرب لهم المثل الأول ، و قدمه لأنه سبب دخولهم مع الذين آمنوا [1] لما رأوا من [1] معاجلة عقاب الذين كفروا فى الدنيا ؛ و منه ما يرهبونه و لا يستطيعون سماعه لما يتضمنه ٥ من أمور شاقة عليهم لا يحملها إلا مؤمن حقا و لا يتحملها إلا من أمن ، و لما يلزم منه من [2] فضيحة خداعهم فضرب له المثل الثانى ؛ فلن يخرج حالهم عند نزول نجوم القرآن عن مقتضى هذين المثلين - انتهى . و ضرب الأمثال المنهى إلى الحمد [3] المنتهى إلى الإحاطة بكل حد لا سيما فى أصول الدين الكاشف لحقيقة التوحيد الموصل إلى اليقين فى الإيمان بالغيب ١٠ المحقق لما لله تعالى [4] من صفات الكمال الدافع للشكوك الحافظ فى طريق السلوك مما [5] اختص به القرآن من حيث كان منهيا إلى الحمد مفصحا به [6] فكان حرف [7] الحمد ، و ذلك أنه حرف عام [8] محيط شامل

= شرحناه . والأحسن أن يكون من التمثيلات المركبة دون المفردة فلا نتكلف مقابلة شيء بشيء .

(١-١) فى م : لمال اورا من - كذا .

(٢) ليس فى م .

(٣) فى م فقط : الحد - كذا .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : بما .

(٦) فى ظ : مفضحا .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حروف - كذا .

(٨) فى ظ : تمام تمام .

لجميع

لجميع الأمور كافل بكل الشرائع فى سائر الأزمان؛ فكان أحق الرسل به من كانت رسالته عامة لجميع الخلق و كتابه شاملا لجميع الأمر و هو أحمد و محمد صلى الله عليه و سلم .

قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه « عروة المفتاح »: هذا الحرف لإحاطته أنزل وترا و سائر الحروف أشفاع لاختصاصها، و وجه ٥ انزاله تفهيم ما غمض[1] من المغيبات بضرب مثل من المشهودات، و لما كان للأمر تنزلات و للخلق تطورات كان الأظهر منها مثلا لما هو دونه فى الظهور، و كلما ظهر ممثول صار مثلا[2] لما هو أخفى منه، فكان لذلك أمثالا عددا منها مثل ليس بممثول لظهوره و ممثولات تصير أمثالا لما هو أخفى منها إلى أن تنتهى الأمثال إلى غاية محسوس أو معلوم، فتكون ١٠ تلك الغاية مثلا أعلى كالسماوات و الأرض فيما يحس و العرش و الكرسى[3] فيما يعلم « و له المثل الأعلى فى السموٰت و الارض[4] » « الذين يحملون

(١) بهامش ظ : بفتح الميم وضمها . و بهامش الأصل : و فى القاموس : الغامض المطمئن من الأرض ، جمع غوامض ، كالغمض جمع غموض و أغماض ، و قد غمض المكان غموضا ككرم غموضة ؛ والخامل الذليل و الحسب الغير المعروف والغاص من الخلاخل فى الساق و غمض عنه يغمض تساهل كأغمض و دار غامضة غير شارعة و ما اكتحلت غماضا و يكسر و غمضا بالضم و تغماضا بالفتح ما نمت ـ إلى أن قال : و غمض على هذا الأمر مضى وهو يعلم ما فيه ، والكلام أبهمه ـ اه .

(٢) فى م : ممثلا .

(٣) ليس فى م .

(٤) سورة ٣٠ آية ٢٧ .

العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم[1] » وذلك المثل الأعلى لإحاطته اسمه الحمد « وله الحمد فى السموٰت و الارض[2] » و أحمده أنهاه و أدناه إلى الله تعالى بحيث لا يكون بينه و بين الله تعالى واسطة ، فلذلك ما استحق أكمل الخلق و أجمعه و أكمل الأمر و أجمعه الاختصاص بالحمد ، فكان
٥ أكمل الأمور سورة الحمد و كان اكمل الخلق صورة محمد صلى الله عليه و سلم ، كان خُلقه القرآن « و لقد اٰتينٰك سبعا من المثانى و القراٰن العظيم[3] » و دون المثل الأعلى الجامع الأمثال العلية المفصلة منه « ضرب لكم مثلا من انفسكم[4] » و لإحاطة أمر الله و كماله فى كل شيء يصح أن يضربه مثلا « ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها[5] »
١٠ « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا[6] » و للمثل حكم من ممثوله ، إن كان حسنا حَسُنَ مثله ، وإن كان سيئا ساء مثله ؛ و لما كان أعلى الأمثال الحمد كان أول الفاتحة الحمد ، و لما كان أخفى أمر الخلق النفاق كان أول مثل فى الترتيب مثل النفاق ، و هو أدنى مثل لما خفى من أمر الخلق ، كما أن الحمد أعلى مثل لما غاب من أمر الحق ؛

(١) سورة ٤٠ آية ٧ .
(٢) سورة ٣٠ آية ١٨ .
(٣) سورة ١٥ آية ٨٧ .
(٤) سورة ٣٠ آية ٢٨ .
(٥) سورة ٢ آية ٢٦ .
(٦) سورة ٢٩ آية ٤١ .

و بين الحدين أمثال حسنة و سيئة « مثل الجنة التى وعد المتقون[1] » الآيتين، « مثل الذين حملوا التورىة ثم لم يحملوها[2] » « فمثله كمثل الكلب[3] » الآيتين. و بقدر علو المثل أو دنوه أو توسطه يتزايد للؤمن الإيمان و للعالم العلم و للفاهم الفهم، و بضد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصاف، « فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم و اما الذين كفروا فيقولون ٥ ما ذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا » و معرفة أمثال القرآن المعرفة إحاطة بمثولاتها و علم آياته / المعلمة اختصاص معلوماتها هو حظ /٣٢ العقل و اللب و حرفه من القرآن، و لكل حرف اختصاص بحظ من تدرك[4] الإنسان و أعمال القلوب و الأنفس و الأبدان، فمن يسر[5] له القراءة و العمل بحرف منه اكتفى، و من جمع له قراءة جميع أحرفه علما ١٠ و عملا فقد أتم و وفى، و بذلك يكون القارئ من القراء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنهم أعز من الكبريت الأحمر، « يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم[6] ».

ثم قال فيما به يحصل[7] قراءة هذا الحرف: اعلم أن قراءة الأحرف

(١) سورة ١٣ آية ٣٥.
(٢) سورة ٦٢ آية ٥.
(٣) سورة ٧ آية ١٧٦.
(٤) بهامش ظ: اى ادرك.
(٥) زيد فى م: الله.
(٦) سورة ٣ آية ٧٤.
(٧) فى م و مد: تحصل.

الستة تماما وفاء بتفصيل العبادة، لأنها أشفاع ثلاثة للتخلص و التخلى و ثلاثة للعمل و التحلى، لأن ترك الحرام طهرة البدن و ترك النهى طهرة النفس و ترك التعرض للتشابه طهرة القلب، و لأن تناول الحلال زكاء البدن و طاعة الأمر زكاء النفس و تحقق العبودية بمقتضى حرف المحكم ٥ نور القلب؛ و أما قراءة حرف الأمثال فهو وفاء العبادة بالقلب جمعا و دواما «و له الدين واصبا[1]» و «الذين هم على صلاتهم دائمون[2]» فالذى يحصل قراءة هذا الحرف إنما هو خاص بالقلب، لأن أعمال الجوارح و أحوال النفس قد استوفتها الأحرف الستة التفصيلية، و الذى يخص القلب بقراءة هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بأن كل الخلق دقيقة و جليلة خلق الله ١٠ وحده لا شريك له فى شيء منه، و أنه جميعه مثل لكلية أمر الله القائم بكلية ذلك الخلق، و ان كلية ذلك الأمر الذى هو ممثول لمثل الخلق هو مثل لله تعالى «و له المثل الاعلى» وأن تفاصيل[3] ذلك الخلق المحيطات أمثل لقيامها من تفاصيل ذلك الأمر المحيطات بها، وأن تفاصيل الأمر المحيطات أمثال لأسماء الله تعالى الحسنى بما هى محيطة؛ و[4] لجمع هذا الحرف ١٥ لم يصح إنزاله إلا على الخلق الجامع الآدمى الذى هو صفوة الله و فطرته، و على سيد الآدميين محمد خاتم النبيين و هو خاصته و خاصة آله، و عنه

---

(١) سورة ١٦ آية ٥٢ .

(٢) سورة ٧٠ آية ٢٣ .

(٣) فى ظ : تفصيل .

(٤) ليس فى ظ .

كمل

كمل الدين بالإحسان، و صفا العلم بالإيقان، و شوهد فى الوقت الحاضر، ما بين حدى الأزل الماضى و الأبد الغابر، و عن تمام اليقين و الإحسان ٥ تحقق الفناء لكل فان، و بقى وجه رب محمد ذى الجلال و الإكرام، وكان هذا الحرف بما اسمه الحمد هو[1] لكل شى بداء[2] و ختام - انتهى[3].

و لما ثبت بهذا البيان عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام القدرة شمول[4] العلم المستلزمان للوحدانية أنتج قطعا إفراده بالعبادة الموجبة

---

(١) ليس فى ظ .

(٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : بدء ، و فى م : بدؤ .

(٣) و فى البحر المحيط لأبى حيان : و قد تقدم لنا بعض كلام على تناسق الآى التى تقدم الكلام عليها و نحن نلخص ذلك هنا فنقول : افتتح تعالى هذه السورة بوصف كلامه المبين ، ثم بين أنه هدى لمؤمنى هذه الأمة و مدحهم ، ثم مدح من ساجلهم فى الإيمان تلاهم من مؤمنى أهل الكتاب و ذكر ما هم عليه من الهدى فى الحال و من الظفر فى المآل ثم تلاهم بذكر أضدادهم المختوم على قلوبهم وأسماعهم المغطى أبصارهم اليؤس من إيمانهم و ذكر ما أعد لهم من العذاب العظيم ثم اتسع هؤلاء بأحوال المنافقين المخادعين المستهزئين و أخر ذكرهم و إن كانوا أسوأ أحوالا من المشركين لأنهم اتصفوا فى الظاهر بصفات المؤمنين و فى الباطن بصفات الكافرين ؛ فقدم الله ذكر المؤمنين ، و ثنى بذكر أهل الشقاء الكافرين ، و ثلث بذكر المنافقين الملحدين ، و أمعن فى ذكر مخازيهم فأنزل فيهم ثلاث عشرة آية ، كل ذلك تقبيح لأحوالهم و تنبيه على مخازى أعمالهم ، ثم لم يكتف بذكر ذلك حتى أبرز أحوالهم فى صورة الأمثال ، فكان ذلك أدعى للتنفير عما اجترحوه من قبيح الأفعال ؛ فانظر إلى حسن هذا السياق الذى توقل فى ذروة الإحسان وتمكن فى براعة أقسام البديع و بلاغة معانى البيان - انتهى . (٤) فى ظ : لشمول .

للسعادة المضمنة لا ياك نعبد ، فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد الإعراض عنهم عند التقسيم إيذانا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال وغيرها من[2] حيز المتأهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم فى عبادته و ترغيبا و تحريكا إلى رفع أنفسهم باقبال الملك الأعظم عن
٥ الخضوع لمن هو[3] دونه بل دونهم و بشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضا عنه بدوام الترقية . فيزال ما أشار إليه حرف النداء[4] و التعبير عن المنادى[4] من بقية البعد بالسهو و الغفلة و الإعراض بالتقصير فى العبادة و الاضطراب و الذبذبة « يٰأيها الناس » .

قال الحرالى فى تفسيره : « يا » تنبيه من يكون بمسمع[5] من المنبه
١٠ ليقبل على الخطاب ، و هو تنبيه فى ذات نفس المخاطب و يفهم توسط البعد بين آيَا الممدودة و أى[6] المقصورة ، « أيّ »[7] اسم مبهم ، مدلوله

(١) ليس فى ظ .
(٢) كذا ، والظاهر : فى .
(٣) ليس فى مد .
(٤ - ٤) ليست فى م .
(٥) و فى م : يسمع .
(٦) قال أبو حيان : « يا » حرف نداء ، وزعم بعضهم أنها اسم فعل معناه أنادى ، وعلى كثرة وقوع النداء فى القرآن لم يقع نداء إلا بها ، وهى أعم حروف النداء إذ ينادى بها القريب والبعيد و المستغاث و المندوب ، وأمالها بعضهم ، وقد تنجرد للتنبيه قبلها المبتدأ و الأمر و التمنى و التعليل ، والأصح أن لا ينوى بعدها منادى ، أى استفهام و شرط و صفة و صلة لنداء ما فيه الألف واللام ....=

اختصاص ما وقع عليه من مقتضى اسم شامل، «ها» كلمة مدلولها تنبيه على أمر يستفيده المنبه - انتهى. [١]و أكد سبحانه الكلام بالإبهام و التنبيه و التوضيح بتعيين[٢] المقصود بالنداء تنبيها على أن ما يأتى بعده أمور مهمة يحق لها تشمير الذيول و القيام على ساق الجد.

و قال الحرالى: اعلم أنه كما اشتمل على القرآن كله فاتحة الكتاب ٥ فكذلك أيضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوى على جميع مثانى آيها، وخاتمة تلتئم و تنتظم بترجمتها، و لذلك تترجم السورة عدة سور، و سيقع التنبيه على ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى. و اعلم مع ذلك أن كل[٣] نبي[٤] منبأ[٥] - يقرأ بالهمز - من النبأ و هو الخبر، فانه شرع فى دعوته و هو غير عالم بطية أمره و خبر / قومه، و أن الله عز و جل جعل نبيه محمدا ١٠ /٣٣

= «ها» حرف تنبيه، أكثر استعمالها مع ضمير رفع منفصل ..... و وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر المكلفين من المؤمنين والكفار و المنافقين و صفاتهم و أحوالهم و مايؤل إليه حال كل منهم انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء، و هو التفات تنبيه بقوله «اياك نعبد» بعد قوله «الحمد لله» و هذا من أساليب الفصاحة فانهم يخصون ثم يعمون. (٦) زيد فى م: المقصورة.

(١) ليست العبارة من هنا إلى «الجد» فى ظ.

(٢) فى مد: بتعبير، و فى م: التعبير.

(٣) و فى ظ: لكل.

(٤) زيد فى مد: و.

(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منباه.

صلى الله عليه و سلم نبيا منَبِّيا[١] من النبوة - يقرأ بغير همز . و معناه رفعة القدر و العلو ، فمما أعلاه الله به أن قدم له بين يدى دعوته علم طيّة[٢] أمره و مكنون علمه تعالى فى سر التقدير الذى لم يزل خبأ فى كل كتاب ، فأعلمه بأنه[٣] تعالى جبل[٤] المدعوين الذين هم بصفة النوس مترددين بين الاستغراق فى أحوال أنفسهم و بين مرجع إلى ذكر ربهم على ثلاثة أضرب : منهم من فُطِر على الإيمان و لم يطبع عليه أى على قلبه فهو مجيب و لا بد ، و منهم من طبع على الكفر فهو آب و لا بد ، و منهم من ردد بين طرفى الإيمان ظاهرا و الكفر باطنا ، و إن كلا ميسر لما خلق له ؛ فكان بذلك انشراح صدره فى حال دعوته و زال به ضيق صدره الذى شارك به[٥] الأنبياء - بالهمز ، ثم علا بعد ذلك إلى مستحق رتبته العلية ، فكان أول ما افتتح له كتابه أن عرفه معنى ما تضمنته « الٓمٓ » ثم فصل من ذلك ثلاثة أحوال المدعوين بهذا الكتاب ، و حينئذ[٦] شرع فى تلقينه الدعوة العامة[٧] للناس ، فافتتح بعد ذلك[٨] الدعوة و النداء و الدعوة[٨]

(١) فى الأصول : منبى - كذا .

(٢) فى ظ : بطيه .

(٣) ليس فى مد .

(٤) فى ظ : جيل - كذا .

(٥) فى م : فيه .

(٦) فى ظ : ح .

(٧) قال المهائمى : ثم اشار بأن هذا التمثيل لايفيد علما فلا يعارض الدليل القاطع على وجوب عبادة الله بالإسلام له و الانقياد لأحكامه فقال « يٰايها الناس » =

إلى

[١]إلى العبادة يعني بهذه الآية، و تولى الله سبحانه دعوة الخلق في هذه[١] الدعوة العامة التي هي جامعة لكل دعوة في القرآن.

و لما ضمن صدرها من الوعيد[٢] في حق رسوله[٣] فلم يجر خطاب ذلك على لسانه، و لما فيها من السطوة و خطاب الملك و الجزاء و محمد صلى الله عليه و سلم رسول رحمة للعالمين فلم ينبغ[٤] إجراؤها على لسانه لذلك، ٥ و غيره من الرسل فعامة دعوة من خص الله سبحانه خبر دعوته فهي مجراة على ألسنتهم و لذلك كثرت مقاواة قومهم و مدعويهم[٥] لهم، و لما أجرى الحق تعالى هذه الدعوة من قبله كان فيها بشرى بالغلبة و إظهار

= أي يامن نسي الأصل الذي يتمسك به في مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل الضعيف «اعبدوا ربكم» فان مقتضى حقيقة الرب أن يكون معبودا و حقيقة العبد أن يكون عابدا سيما إذا أنعم عليه بأجل النعم و هو الإيجاد و ما يتوقف عليه إذ هو «الذي خلقكم و الذين من قبلكم» من مقدمات وجودكم، فهذا الخلق يقتضي اجل وجوه الشكر و هو العبادة «لعلكم تتقون» سخطه بترككم مقتضى ربوبيته وعبوديتكم و إهمالكم شكر أجل نعمه، ثم التمثيل مقلوب عليكم على أبلغ الوجوه و هو أن ما جعلتموه مشبها به للهرب عن الإسلام أولى بأن يكون من أسبابه باعتبار ذاته و مبداه و منتهاه و ما يحصل منه إذ هو «الذي جعل لكم الارض فراشا». (٨ - ٨) ليس في مد.

(١ - ١) ليست في مد.

(٢) زيد بعده في هامش الأصل: أي بسبب حق رسوله.

(٣) زيد في مد: صلى الله عليه و سلم.

(٤) في م: فلم يتبع.

(٥) في م: مدعوهم.

دينه، لأن الله سبحانه [1]و تعالى[1] لا يقاويه خلقه[2]، و لما انتهى إلى البشرى التى هى رحمة أجرى الكلام على مخاطبته عليه السلام بقوله: «و بشر»، و مع إجراء دعوة المرسلين على ألسنتهم علقت باسم الله بلفظ «ان اعبدوا الله[3]» و نحوه فعزّ على أكثر النفوس الإجابة لفوات[4] اسم الله عن إدراك العقول، ٥ و مع تولى الله سبحانه لهذه الدعوة بسلطانه العلى أجراها باسم الربوبية[5] و هو اسم أقرب مثالا[6] على النفوس، [7]لأنها تشاهد[7] آياته بمعنى التربية و الربابة[8]، و مع ذلك أيضا فذكر اسم الله فى دعوة المرسلين غير متبع و لا موصوف بآيات الإلهية، و لو ذكر لما قرب مثال علمها فهى[9]

(١ - ١) ليس فى م و ظ .

(٢) فى ظ : الخلق .

(٣) زيد فى م : ربى و ربكم - سورة ٥ آيه ١١٧ .

(٤) من م ، و فى الأصل و مد : لفوت ، و فى ظ : لقوة .

(٥) قال أبوحيان فى البحر المحيط: و لما واجه تعالى الناس بالنداء أمرهم بالعبادة و الأمر بالعبادة شمل المؤمنين و الكافرين ، لا يقال المؤمنون العابدون فكيف يصح الأمر بما هم ملتبسون به لأنه فى حقهم أمر بالازدياد من العبادة فصح مواجهة الكل بالعبادة و انظر لحسن مجىء الرب هنا فانه السيد و المصلح وجدير بمن كان مالكا أو مصلحا أحوال العبد أن يخص بالعبادة و لا يشرك مع غيره فيها - انتهى .

(٦) من م و مد ، و فى الأصل : منالا .

(٧ - ٧) فى ظ : لانا نشاهد .

(٨) بهامش الأصل و ظ : اى كونه ربا .

(٩) ليس فى مد .

كالشمس و القمر و نحو ذلك، و ذكر تعالى الربوبية[1] في هذه الدعوة متبعة بآياتها الظاهرة التي لا تفوت العقل و الحس و لا يمكن إنكارها، و وجه بعد النفوس عن الانقياد عند الدعوة باسم الله أن آيات الربوبية التي يسهل عليها[2] الانقياد من جهتها التي بيسير منها تنقاد للملوك و[3] أولي الإحسان، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها تبقى عند الدعوة باسم الله بمعزل ٥ عن الشعور باضافتها لاسم الله و يحار العقل في المتوجه له بالعبادة، و تضيف النفوس الغافلة آيات الربوبية إلى ما تشاهده من أقرب الأسباب في العوائد، كالفصول التي نيطت المولد[4] و الأقوات بها في مقتضى حكمة الله سبحانه أو[5] إلى أسباب هذه الأسباب كالنجوم و نحو ذلك، فلا يلتئم للدعو حال قوامه بعبادته فيكثر التوقف و الإباء، و اقتضى اليسر الذي ١٠

(١) قال المهائمي: الرب المالك فلا يتعين عليه تصرف دون ضده فهو متفضل بالإنعام فله الحمد من جهة استيلائه و تفضله، أو السيد الذي علت رتبته فله أعلى المحامد لعلوه وباعلائه للعبيد بانعامه عليهم، أو الخالق فله أتم المحامد على كمال أفعاله و صفاته التي تتوقف عليها و إنعامه قبل الاستحقاق، أو المربي و هو المصلح أو المدبر بتبليغ الشيء أعلى مراتبه بجعل النطفة علقة ثم مضغة ثم أعضاء مختلفة ثم إفاضة الروح عليها و إعطاء كل عضو قوة تليق به ثم تكميله بالشريعة و الطريقة و الحقيقة؛ فله أجمع المحامد - انتهى.

(٢) زيد في ظ: من.

(٣) ليس في م.

(٤) بهامش الأصل: اى النبات و المعادن.

(٥) في م: و.

أراد الله بهذه الآمة ذكر الربوبية منوطا بـآياتها - انتهى .

و لما كانت العبادة المختلّة بشرك أو غيره ساقطة و الازدياد من الصحيحة و الاستمرار عليها عبادة [1]جديدة يحسن الأمر بها خاطب الفريقين فقال « اعبدوا ربكم » أى الذى لا رب لكم غيره عبادة[2] هى[3] بحيث يقبلها الغنى . ثم وصفه بما أشارت إليه صفة الرب من الإحسان تنبيها على وجوده و وجوب العبادة له[4] بوجوب شكر المنعم فقال « الذى خلقكم »[5]، قال الحرالى : « الذى »[6] اسم مبهم مدلوله ذات موصوف بوصف

(١) سقطت العبارة من ظ من هنا إلى « العبادة له » .

(٢) فى تفسير النسفى : « اعبدوا ربكم » وحدوه ، قال ابن عباس رضى الله عنهما: كل عبادة فى القرآن فهى توحيد . وفى البحر المحيط لأبى حيان : الرب السيد و المالك و الثابت و المعبود و المصلح ، و زاد بعضهم بمعنى الصاحب و بعضهم بمعنى الخالق - انتهى .

(٣) زيدت قبله فى م : جديدة يحسن الأمر بها .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) قال أبوحيان : و الخطاب إن كان عاما كان قوله « الذى خلقكم » صفة مدح ، و إن كان لمشركى العرب كانت للتوضيح ، إذ لفظ الرب بالنسبة إليهم مشترك بين الله و بين آلهتهم ؛ و نبه بوصف الخلق على استحقاقه العبادة دون غيره « أفمن يخلق كمن لا يخلق » أو على امتنانه عليهم بالخلق على الصورة الكاملة و التميز عن غيرهم بالعقل و الإحسان إليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة - و من أراد الاطلاع على ما حرر بعده فلينظر ما فيه .

(٦) ليس فى م .

يعقب به و هى الصلة[1] اللازمة له ، و الخلق[2] تقدير أمشاج[3] ما يراد إظهاره بعد الامتزاج و التركيب صورة « و الذين من قبلكم » القبل ما إذا عاد المتوجه إلى مبدإ وجهته أقبل عليه - انتهى .

ثم بين نتيجتها بقوله « لعلكم تتقون » أى لتكون حالكم بعبادته لأنها كلها محاسن و لا حسن فى غيرها حال من ترجى له/ التقوى ، ٥ ٣٤/ و هى اجتناب القبيح من خوف الله ، و سيأتى فى قوله « لعلكم تشكرون » ما ينفع هنا . و قال الحرالى : لعل كلمة ترج لما تقدم سببه ، و بدأ من آيات الربوبية بذكر الخلق لأنه فى ذواتهم ، و وصل ذلك بخلق[4] من قبلهم حتى لا يستندوا بخلقهم إلى من قبلهم و ترجى لهم التقوى لعبادتهم[5] ربهم من حيث نظرهم إلى خلقهم و تقدير أمشاجهم ، لأنهم إذا أسندوا ١٠ خلقهم لربهم كان أحق أن يسندوا إليه ثمرة ذلك من صفاتهم

---

(١) فى م : صفة .

(٢) الخلق هو الإيجاد على تقدير و ترتيب ، و الخلق و الخليقة تنطلق على المخلوق ، و معنى الخلق الإيجاد و الإحداث و الإبداع و الاختراع و الإنشاء متقارب ، و إذا كان بمعنى الاختراع و للإنشاء فلا يتصف به إلا الله تعالى ؛ و قد أجمع المسلمون على أن لا خالق إلا الله ، و إذا كان بمعنى التقدير فمقتضى اللغة أنه قد يوصف به غير الله تعالى و قال تعالى « فتبارك الله احسن الخالقين » و « اذ تخلق من الطين » - انتهى .

(٣) بهامش الأصل : اى اخلاط .

(٤) فى م : بخلق الله .

(٥) فى م : لعبادة .

و أفعالهم فيتوقفون عن[1] الاستغناء بأنفسهم فينشأ لهم بذلك تقوى - انتهى .

و ما أحسن الأمر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق الأولين و الآخرين[2] و ما بعده عقب إثبات قدرة الداعي المشيرة[3] إلى الترهيب من سطواته ! و لقد بدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق عقب أحوال من قرر أنهم في غاية الجمود بأمور مشاهدة يصل إليها كل عاقل بأول وهلة من دحو الأرض و ما بعده مما به قوام بقائهم من السكن و الرزق في سياق منبّه على النعمة[4] محذر من سلبها[5] دال على الإلـه[6] بعد

(١) و في م : على - كذا .

(٢) قال أبو حيان الأندلسي : وعطف قوله « والذين من قبلكم » على الضمير المنصوب في خلقكم و المعطوف متقدم في الزمان على المعطوف عليه و بدأ به وإن كان متأخرا في الزمان ، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره ، اذ أقرب الأشياء إليه نفسه ، ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة فتنبيههم أولا على أحوال أنفسهم آكد وأهم ، وبدأ أولا بصفة الخلق إذ كانت العرب مقرة بأن الله خالقها وهم المخاطبون و الناس تبع لهم إذ نزل القرآن بلسانهم - انتهى كلامه ثم قال : و إنما ذكر « و الذين من قبلكم » وإن كان خلقهم لا يقتضي العبادة علينا لأنهم كالأصول لهم فخلق أصولهم يجري مجرى إنعام على فروعهم فذكرهم عظيم إنعامه تعالى عليهم وعلى أصولهم بالإيجاد .

(٣) من م ومد ، و وقع في الأصل : المنيرة ، و في ظ : المبشرة - كذا .

(٤) سقطت العبارة من هنا إلى « الانقياد » من ظ .

(٥) وقع في م : النقمة - مصحفا .

(٦) في ظ : الالة - كذا .

الدلالة بالأنفس من حيث أن كل أحد يعرف[1] ضرورة[2] أنه وُجد بعد أن لم يكن، فلا بد له من موجد غير الناس، لما يشاهد من أن حال الكل كحاله بالدلالة بالآفاق من حيث أنها متغيرة، فهى مفتقرة إلى مغير هو الذى أحدثهـا ليس بمتغير، لأنه ليس بجسم و لا جسمانى فى سياق مذكر بالنعم الجسام الموجبة لمحبة المنعم و ترك المنازعة و حصول الانقياد ٥ فقال «الذى جعل»، قال الحرالى: من الجعل و هو إظهار أمر عن سبب و تصيير «لكم الارض» أى المحل الجامع لنبات كل نابت ظاهر أو باطن، فالظاهر كالموالد و كل[3] ما الماء أصله، و الباطن كالأعمال و الأخلاق و كل ما أصله ما الماء آيته كالهدى و العلم و نحو ذلك؛ و لتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها فقيل: أرض ١٠ أريضة، للكريمة المنبتة، و أصل معناها ما سفل فى مقابلة معنى السماء الذى

---

(١) من م وظ، ولا يتضح فى مد، وفى الأصل: يصرف، وهو كما ترى.

(٢) قال الشربينى الخطيب: و الآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى و العلم بوحدانيته و العلم باستحقاقه للعبادة و النظر فى صنعه و الاستدلال بأفعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه تعالى ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل - انتهى.

(٣) و فى تفسير النسفى: نعم خروج الثمرات بقدرته و مشيته و إيجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد و هو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب و المواد ولكن له فى إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال و ناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار - انتهى.

هو ما علا على سفل الأرض كأنها[1] لوح قلمه الذى يظهر فيها كتابه - انتهى[2] .

« فراشا » وهى بساط سقفه السماء وهى مستقر الحيوان من الأحياء والأموات ، وأصله كما قال الحرالى بساط يضطجع عليه للراحة ونحو ذلك[3] ، « والسماء بناء » أى خيمة تحيط بصلاح موضع السكن وهو لعمرى بناء جليل القدر ، محكم الأمر ، بهى المنظر ، عظيم المَخْبَر .

[4]ورتبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحكم ترتيب ، قدم[5] الإنسان لأنه أعرف بنفسه والنعمة عليه أدعى إلى الشكر ، وثنى[6]

---

(١) فى ظ : كانه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) قال المهائمى : أى وطأ قرركم عليها بأن جعل بعض أجزائها بارزة عن الماء مع اقتضاء طبعه الإحاطة بها وجعلها بين الصلابة واللطافة لتقعدوا وتناموا عليها كالفراش ، « والسماء بناء » أى سقفا مرفوعا تستظلون به عن أشعة أنوار الملائكة العلوية .

(٤) سقطت العبارة من هنا إلى « فقال » من ظ .

(٥) قال أبو حيان الأندلسى : ذكر خمسة أنواع من الدلائل : اثنين من الأنفس خلقهم وخلق من قبلهم ، وثلاثة من غير الأنفس كون الأرض فراشا وكون السماء بناء والحاصل من مجموعهما ، تقدم خلق الإنسان لأنه أقرب إلى معرفته وثنى بخلق الآباء وثلث بالأرض لأنها أقرب إليه من السماء ، وقدم السماء على نزول المطر وإخراج الثمرات لأن هذا كالأمر المتولد بين السماء والأرض والأثر متأخر عن المؤثر .

(٦) فى م : تلى .

بمن قبله لأنه أعرف بنوعه، و ثلث بالأرض لأنها مسكنه الذى لا بد له منه، و ربع بالسماء لأنها سقفه، و خمس بالماء لأنه كالأثر و المنفعة الخارجة منها و ما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما فقال «و انزل» قال الحرالى: من الإنزال و هو الإهواء بالأمر من علو إلى سفل - انتهى. «من السماء» أى باثارتها[1] الرياح المثيرة للسحاب الحامل للماء «ماء» أى جسما ٥ لطيفا يبرد غلة[2] العطش، به حياة كل نام. قال الحرالى: و هو أول ظاهر للعين من أشباح الخلق[3] «فاخرج» من الإخراج[4] و هو إظهار من حجاب، و فى سوقه بالفاء تحقيق للتسبيب فى الماء - انتهى[5].

و أتى بجمع القلة فى الثمر و نكر الرزق مع المشاهدة لأنها بالغان فى الكثرة إلى حد لا يحصى تحقيرا لها فى جنب قدرته إجلالا له فقال ١٠

(١) قال البيضاوى: من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جو الهواء فيعنقد سحابا ماطرا، و من الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى «فأخرجنا به ثمرت» و اكتناف المنكرين له أعنى ماء و رزقا كأنه قال و أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم، و هكذا الواقع لم ينزل من السماء الماء كله و لا أخرج بالمطر كل الثمار و لا جعل كل المرزوق ثمارا - انتهى.

(٢) فى م: دغلة - كذا.

(٣) ليس فى م.

(٤) فى مد: الاظهار.

(٥) ليس فى ظ.

« به من الثمرٰت رزقا » و إخراج الأشياء فى حجاب الأسباب أوفق بالتكليف بالإيمان بالغيب ، لأنه كما قيل: لو لا الأسباب لما ارتاب المرتاب ، و الثمر كما قال الحرالى مطعومات النجم و الشجر و هى عليها ، و عُبر بمِن لأن ليس كل الثمرات رزقا لما يكون عليه و فيه من العصف و القشر ٥ و النوى ، و ليس أيضا من كل الثمرات[1] رزق فمنه ما هو للداواة[2] و منه سموم و غير ذلك . و فى قوله « لكم » إشعار بأن فى الرزق تكملة لذواتهم و مصيرا إلى أن يعود بالجزاء[3] منهم .

و قد[4] وصف الرب فى هذه الآية بموصولين ذكر صلة[5] الثانى بلفظ

---

(١) فى م و مد و ظ : الثمر .

(٢) وقع فى ظ : للداراة - كذا .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الجزء .

(٤) قال : أبو حيان الأندلسى : ثم إنه تعالى لما عرفهم أنه خالقهم أخبرهم أنه جعل لهم مكانا يستقرون عليه إذ كانت حكمته اقتضت ذلك فيستقرون فيه جلوسا و نوما و تصرفا فى معائشهم و جعل منه سهلا للقرار و الزرع و وعرا للاعتصام و جبالا لسكون الأرض عن الاضطراب ، ثم لما من عليهم بالمستقر أخبرهم بجعل ما يقيهم و يظلهم و جعله كالخيمة المضروبة عليهم و أشهدهم فيها من غرائب الحكمة بأن أمسكها فوقهم بلا عمد و لا طنب لتهتدى عقولهم أنها ليست مما يدخل تحت مقدور البشر ، ثم نبههم على النعمة العظمى وهى إنزال المطر الذى هو مادة الحياة و سبب اهتزاز الأرض بالنبات و أجناس الثمرات .

(٥) فى ظ : صفة .

الجعل، لأن حال القوام مرتب على حال الخلق و مصيّر منه، فلا يشك
ذو عقل فى استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه و أقام تركيبه؛ و لا يشك
ذو حس/ إذا تيقظ من نوم أو غفلة فوجد بساطا قد فرش له و خيمة /٣٥
قد ضربت عليه و عولج له طعام و شراب قدم له أن نفسه تنبعث بذاتها
لتعظيم من فعل ذلك بها و لتقلد نعمته و إكباره؛ فلتنزيل هذه الدعوة ٥
إلى هذا البيان الذى يضطر النفس إلى الإذعان و يدخل العلم بمقتضاها
فى رتبة الضرورة و الوجدان كانت هذه الدعوة دعوة عربية[1] جارية على
مقتضى أحوال العرب، لأن العرب لا تعدو بأنفسها العلم الضرورى و ليس
من شأنها تكلف الأفكار و التسبب إلى توانى[2] العلوم النظرية المأخوذة
من مقتضى الأمارات و الأدلة[3]، فعوملت بما جبلت عليه فتنزل لها لتكون ١٠

---

(١) فى ظ: غريبة.

(٢) و فى ظ: تولد، و بهامشه: توانى، و فى م و مد: ثوانى - كذا.

(٣) قال أبو حيان الأندلسى: و قد تضمنت هاتان الآيتان من بدائع الصنعة و دقائق الحكمة و ظهور البراهين ما اقتضى تعالى انه المنفرد بالإيجاد المتكفل للعباد دون غيره من الأنداد التى لا تخلق و لا ترزق و لا لها نفع و لا ضر الا لله الخلق و الأمر. قال البيضاوى: و اعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة الله تعالى، و النهى عن الإشراك به، و الإشارة إلى ما هو العلة و المقتضى؛ و بيانه أنه رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية إشعارا بأنها العلة لوجوبها، ثم بين ربوبيته بأنه خالقهم و خالق أصولهم و ما يحتاجون إليه فى معاشهم من المقلّة و المظلة و المطاعم و الملابس، فان الثمرة أعم من المطعوم و الملبوس، و الرزق أعم من المأكول و المشروب.

نقلتها من فطرة إلى فطرة و من علم وجدانى إلى علم وجدانى عَلَيّ لتحفظ عليها رتبة الإعراب و البيان بأن لا يتسبب لها إلى دخول ريب فى علومها، لأن كل علم مكتسب يتكلف التسبب له بآيات و علامات و دلائل تبعد من الحس و أوائل هجوم[1] العقل تتعارض عليه الأدلة و يعتاده ٥ الريب ، فحفظت هذه الدعوة العربية عن التكلف و أجريت على ما أحكمه صدر السورة فى قوله تعالى « لا ريب فيه » .

و اعلم أن حال المخلوق فى رزقه محاذى[2] به حاله فى كونه ، فيعلم بالاعتبار و التناسب الذى شأنه أن تتعلم من جهته المجهولات أن الماء بزر[3] كون[4] الإنسان كما أن الماء أصل رزقه ، و لذلك قال عليه السلام ١٠ لمن سأله ممن هو فلم يرد أن يعين له نفسه : نحن من ماء . و يعلم كذلك

(١) فى م : هجرهم .

(٢) فى م : مجازى .

(٣) فى ظ : بَزْرُ ـ كذا .

(٤) قال البيضاوى : ثم لما كانت هذه أمور لا يقدر عليها أحد غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهى عن الإشراك به و لعله سبحانه و تعالى أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر و سيق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق الإنسان و ما أفاض عليه من المعانى و الصفات على طريقة التمثيل ، فمثّل البدن بالأرض و النفس بالسماء و العقل بالماء و ما أفاض عليه من الفضائل العملية و النظرية المحصلة بوساطة استعمال العقل و للحواس و ازدواج القوى النفسانية و البدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلية و الأرضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار ، فان لكل آية ظهرا و بطنا و لكل حد مطلعا ـ انتهى الكلام .

أيضا

أيضا أن للأرض و السماء مدخلا فى أمشاج الإنسان رتب عليه مدخلها فى كون رزقه ، و فى ذكر الأرض معرفة أخذ للأرض إلى نهايتها وكمالها ، و لذلك قال عليه السلام : من اغتصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين ، وكذاك ذكر السماء أخذ لها إلى نهايتها وكمالها ؛ و قدم الأرض لأن نظر النفوس إلى ما تحتها أسبق لها من نظرها إلى ما علا ٥ عليها . ثم قال : و لوضوح آية الربوبية تقلدها الأكثر و إنما توقفوا فى الرسالة و لذلك وصل ذكر الرسالة بالتهديد - انتهى .

و لما [١]أمر بعبادته و[١] ذكرهم سبحانه بما يعلمون[٢] أنه فاعله وحده حسن النهي عن أن يشرك به ما لا أثر له فى شيء من[٣] ذلك بفاء التسبب[٤] [٥]عن الأمرين كليهما فقال معبرا بالجلالة على ما هو الأليق بالتوبيخ على ١٠ تأله الغير[٥] « فلا تجعلوا لله »[٦] أى مع إحاطته بصفات[٧] الكمال . [٨]يجوز أن[٨]

(١ - ١) ليس فى ظ . (٢) فى ظ : تعلمون .

(٣) ليس فى ظ . (٤) فى مد و ظ : السبب .

(٥ - ٥) فى ظ : فقال .

(٦) قال على المهائمى : « فلا تجعلوا لله اندادا » أى أمثالا فى استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك فى الإلهية أو الصفات الكمالية . و قال عبد الله البيضاوى : و الفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتداء معنى الشرط ، و المعنى من حفكم بهذه النعم الجسام و الآيات العظام ينبغى ان لا يشرك به - و قال : « فلا تجعلوا » متعلق باعبدوا على أنه نهى معطوف عليه أو نفى منصوب باضمار ان جواب له .

(٧) فى مد : بجميع صفات .

(٨ - ٨) ليست فى م و ظ .

[1] يكون مسببا عن التقوى المترجاة فتكون لا نافية و الفعل منصوب[1] «اند ادا»[2] أى على حسب زعمكم أنها تفعل ما تريدون[2]. قال الحرالى: جمع ند[3] و هو المقاوم فى صفة القيام و الدوام، و عبر بالجعل لأن بالجعل و المصير من حال إلى حال أدنى منها تزين الغفلة على القلوب، حتى ٥ لا تشهد فى النعم و النقم إلا الخلق من ملك أو ذى إمرة أو من أى ذى يد عليا كان، و لما شهدوا ذلك منهم تعلق بهم رجاؤهم و خوفهم و عاقبهم ربهم على ذلك بأيديهم فاشتد داعى رجائهم لهم و سائق خوفهم منهم فتذللوا لهم و خضعوا، فصاروا بذلك عبدة[4] الطاغوت و جعلوهم لله أندادا - انتهى. و ما أحسن قوله فى تأنيبهم و تنبيههم على ما أزروا ١٠ بأنفسهم «وانتم تعلمون» أى [2]و الحال[2] أنكم[5] ذوو[6] علم[2] على ما تزعمون[2]

(١-١) ليست فى م وظ.

(٢ - ٢) ليس فى ظ.

(٣) و الند المثل المنادى قال جرير شعرا:

أتيما تجعلون إلىّ ندا   و ما تيم لذى حسب نديد

من ند ندودا إذا نفر و ناددت الرجل خالفته، خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى للماثل فى القدر و تسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا وما زعموا أنها تساويه فى ذاته و صفاته إلا أنها تخالفه فى أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها و سموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم و شنع عليهم بأن جعلوا لله أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند.

(٤) فى الأصل: عبد - كذا.

(٥) و فى تفسير البيضاوى: أى وحالكم أنكم من أهل العلم و النظر و إصابة الرأى، =

فانه يلوّح إلى أن من أشرك به مع قيام هذه الأدلة لم يكن ممن يصح منه العلم فكان فى عداد البهائم . [١] و فيه كما [١] قال الحرالى إعلام بظهور آيات ما يمنع جعل الند لما يشاهد أن جميع الخلق أدناهم و أعلاهم مقامون من السماء [١] و فى الأرض و من الماء، فمن جعل لله ندا مما حوته السماء [١] و الأرض و استمد من الماء فقد خالف العلم الضرورى الذى ٥ به [٢] تقلد التذلل للربوبية فى نفسه فان يحكم بذلك على غيره مما حاله كحاله أحق فى العلم - انتهى . و فى تعقيبها لما قبلها غاية التبكيت [٣] على

= فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد الممكنات ، متفرد بوجوب الذات ، متعال عن مشابهة المخلوقات .

وقال على المهائمى ، « و انتم تعلمون » أنه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء و لا الأرض و لا أنزل الماء ولا أخرج الثمرات ، و هذا هو الإسلام الذى يقتضيه المطر مع لواحقه و لم يمنع طاعة الغير إذ هى امتثال أمر من له الأمر كالرسول والحاكم ، بخلاف العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة .

و فى البحر المحيط لأبى حيان : « فلا تجعلوا لله اندادا » ظاهره أنه نهى عن اتخاذ الأنداد ، وسموا أندادا على جهة المجاز من حيث أشركوهم معه تعالى التسمية بالإلٰهية والعبادة صورة لا حقيقة لأنهم لم يكونوا يعبدونهم لذواتهم بل للتقرب إلى الله . « و انتم تعلمون » جملة حالية و فيها من التحريك إلى ترك الأنداد و إفراد الله بالوحدانية ما لا يخفى .

(٦) فى مد : ذو ، و فى م : ذوا .

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) ليس فى م .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و مد : التنكيت ، و فى م : التنكيب .

من ترك هذا[1] القادر على كل شىء و عبد ما لا يقدر على شىء .

و هذه الآية من المحكم الذى اتفقت عليه الشرائع و اجتمعت عليه الكتب، و هو عمود الخشوع ،/ و عليه مدار الذل و الخضوع . قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى العروة: وجه إنزال هذا الحرف تحقيق اتصاف العبد بما هو اللائق به فى صدق وجهته إلى الحق بانقطاعه عن نفسه و براءته منها و التجائه إلى ربه استسلاما ، و جهده فى خدمته إكبارا و استناده[2] إليه اتكالا ، و سكونه له طمأنينة « يايتها النفس المطمئنة ه ارجعى الى ربك راضية مرضية ه[3] » ، و يتأكد تحلى العبد بمستحق أوصافه لقراءة[4] هذا الحرف و العمل به بحسب براءته من التعرض لنظيره المتشابه، لأن اتباع المتشابه زيغ لقصور العقل و الفهم عن نيله، و وجوب الاقتصار على الإيمان به من غير موازنة بين ما خاطب الله به عباده للتعرف و بين ما جعله للعبد للاعتبار ، سبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

و جامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل فى قوله تعالى « اقرا باسم ربك[5] » الآيات، و ما قدم فى الترتيب فى قوله تعالى « يايها الناس

(١) فى ظ ، لهذا .

(٢) و فى م: اسناده .

(٣) سورة ٨٩ آية ٢٧ و ٢٨ .

(٤) فى مد و ظ : بقرأة .

(٥) سورة ٩٦ آية ١ .

اعبدوا ربكم» - إلى ما ينتظم بذلك من ذكر عبادة القلب التي هي المعرفة «و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون[١]» فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فاذا عرفوا الله، و من[٢] ذكر عبادة النفس التي هي الإجمال في الصبر وحسن الجزاء «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم[٣]» «و يدرؤن[٤] بالحسنة السيئة[٥]» الذين هم في صلاتهم خاشعون[٦]» لو خشع قلب هذا ٥ لخشعت جوارحه إلى سائر أحوال العبد التي يتحقق بها في حال الوجهة إلى الرب، و ما تقدم من حرفي الحلال و الحرام لإصلاح الدنيا، وحرفي الأمر و النهي لإصلاح العقبى معاملة كتابه، و العمل بهذا الحرف اغتباط بالرق و عياذ[٧] من العتق[٨]، فلذلك هو أول الاختصاص و مبدأ الاصطفاء و إفراد موالاة الله وحده من غير شرك[٩] في نفس و لا غير، و لذلك ١٠ بدئ بتنزيله النبي العبد صلى الله عليه و سلم، و هو ثمرة ما قبله و أساس

---

(١) سورة ٥١ آية ٥٦.

(٢) زيد في م: هو.

(٣) سورة ١٨ آية ٢٨.

(٤) وقع في م: يذرون - كذا مصحفا.

(٥) سورة ١٣ آية ٢٢.

(٦) سورة ٢٣ آية ٢.

(٧) من م و مد، و في الأصل: عياد - كذا بالدال المهملة، و في ظ: عباده.

(٨) في ظ: للعتق - مكان: من العتق.

(٩) ليس في م.

ما بعده، و هو للعبد أحوال محققة لا يشركه فيها ذو رئاء و لا نفاق، و يشركه
في الأربعة المتقدمة - يعنى النهى و الأمر و الحلال و الحرام، لأنها أعمال
ظاهرة فيتحلى بها المنافق، و ليس يمكنه مع نفاقه التحلى بالمعرفة،
و لا بالخشوع و لا بالخضوع، و لا بالشوق للقاء و لا بالحزن فى الإبطاء،
٥ و لا بالرضا بالقضاء، و لا بالحب الجاذب[1] للبقاء فى طريق الفناء، و لا بشيء
مما شمله آيات المحكم المنزلة فى القرآن و أحاديثه الواردة للبيان، و إنما
يتصف بهذا الحرف عباد الرحمن «و عباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا و اذا خاطبهم الجٰهلون قالوا سلٰما[2]» الذين ليس للشيطان
عليهم سلطان «ان عبادى ليس لك عليهم سلطٰن[3]».

١٠ و لما كان حرف المحكم مستحق العبد فى حق الرب فى فطرته التى
فطر عليها كان ثابتا فى كل ملة و فى كل شرعة فكانت آياته لذلك
هن أم الكتاب المشتمل على الأحرف الأربعة، لتبدلها و تناسخها
و تناسبها فى الشرع و الملل و اختلافها على مذاهب الأئمة فى الملة
الجامعة، مع اتفاق الملل فى الحرف المحكم فهو أمها و قيامها الثابت حال
١٥ تبدلها و هو حرف الهدى الذى يهدى به الله من يشاء، و قرأته العملة به
هم المهتدون أهل السنة و الجماعة، كما أن المتبعين لحرف المتشابه هم
المتفرقون فى الملل و هم أهل البدع و الأهواء المشتغلون بما لا يعنيهم،

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الجادب - بالدال المهملة كذا.
(٢) سورة ٢٥ آية ٦٣.
(٣) سورة ١٥ آية ٤٢ و سورة ١٧ آية ٦٥.

و بهذا الحرف المتشابه يضل الله من يشاء؛ فحرف المحكم[1] للاجتماع و الهدى، و حرف المتشابه للافتراق و الضلال - و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل.

ثم قال: اعلم أن قراءة الأحرف الماضية الأربعة هو حظ العامة من الأمة العاملين لربهم على الجزاء المقارضين له على المضاعفة، و قراءة ٥ هذا الحرف[2] تماما هو حظ[2] المتحققين بالعبودية المتعبدين بالأحوال الصادقة المشفقين من وهم المعاملة، لشعورهم أن العبد لسيده مصرّف فيما شاء و كيف شاء، ليس له فى نفسه حق و لا حكم، و لا حجة له على سيده فيما أقامه فيه[3] من صورة سعادة أو شقاوة «فى اىّ صورة ما شاء ركبك»[4]، «على ان نبدل امثالكم / و ننشئكم فى ما لا تعلمون»[5]. ١٠ /٣٧

و الذى تحصل[6] به قراءة هذا الحرف إما من جهة القلب فالمعرفة بعبودية الخلق للحق رقّ خلق و رزق و تصريف فيما شاء مما بينه و بين ربه و مما بينه و بين نفسه و مما بينه و بين أمثاله من سائر العباد، لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا، و لا يأخذ إلا ما أعطاه سيده، و لا يتقى

(١) زيد فى الأصل فوقه بين السطرين: اى المحكم.

(٢) فى ظ: حرف.

(٣) ليس فى م.

(٤) سورة ٨٢ آية ٨.

(٥) سورة ٥٦ آية ٦٣.

(٦) فى م: يحصل.

إلاما وقاه سيده، و لا يكشف [١] السوء عنه [١] الاهو، فيسلم له مقاليد أمره في ظاهره و باطنه، و ذلك هو الدين عند الله الذى لايقبل سواه «ان الدين عند الله الاسلام[٢]» و «من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه[٣]» و هو دين النبي العبد، و ما يتحقق للعبد من ذلك عن اعتبار العقل و خلوص

٥ اللب هي الملة الحنيفية ملة النبي الخليل - هذا من جهة القلب؛ و إما من جهة حال النفس فجميع أحوال العبد القن المعرق في الملك: إنما أنا عبد آكل مثل ما يأكل العبد؛ و جماع ذلك و أصله الذل انكسارا و[٤] الذل عطفا و البراءة من الترفع و الفخر على سائر الخلق و التحقق بالضعة دونهم على وصف النفس، بذلك ينتهى حسن التخلق[٥] مع الخلق و صدق

١٠ التعبد للحق؛ و إما من جهة العمل فتصرف الجوارح و إسلامها[٦] لله قولا و فعلا و بذلا، و مسالمة[٧] الخلق لسانا و يدا، و هو تمام الإسلام[٨] و ثبته، لا يكتب[٩] أحدكم في المسلمين حتى سلم[١٠] الناس من لسانه و يده، و يخص

(١-١) و في ظ: عنه السوء.

(٢) سورة ٣ آية ١٩.

(٣) سورة ٣ آية ٨٥.

(٤) من مد و ظ، و في الأصل و م: او.

(٥) في ظ: الخلق.

(٦) في م: استلامها.

(٧) في ظ: مسامله.

(٨) زيد في ظ: لا.

(٩) من م و مد و ظ، و في الأصل: لاتكتب.

(١٠) في م: يسلم.

الهيئة من ذلك ما هو أولى بهيئات العبيد كالذى بنيت عليه هيئة الصلاة
من الإطراق فى القيام و وضع اليمنى على اليسرى بحذاء الصدر هيئة العبد
المتأدب المنتظر لما لا يدرى خبره من أمر سيده و كهيئة الجلوس فيها
الذى هو جلوس العبيد، كذلك كان صلى الله عليه و سلم يجلس لطعامه
ليستوى حال تعبده فى أمر دنياه و أخراه و يقول: إنما أنا عبد آكل كما ٥
يأكل العبد، و يؤثر جميع ما هو هيئة العبيد فى تعبده و مطعمه و مشربه
و ملبسه و مركبه و ظعنه و إقامته «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله[1]» فبهذه الأمور من تحقق العبودية للقلب و ذل النفس و انكسار
الجوارح تحصل قراءة حرف الحكم و الله الولى الحميد - انتهى.

و لما ثبتت هذه الأدلة فوجب امتثال ما دعت إليه و لم يبق لمتعنت ١٠
شبهة إلا أن يقول: لا أفعل حتى أعلم أن هذا الكتاب الذى تقدم أنه
الهدى كلام الله، قال مبينا إنه[2] من عنده نظما كما كان من عنده معنى
محققا ما ختم به التى قبلها من أن من توقف عما دعا إليه من التوحيد
و غيره لا علم له بوجه، و أتى بأداة الشك سبحانه مع علمه بحالهم تنبيها
على أنه من البعيد جدا أن يجزم بشكهم بعد هذا البيان «و ان» أى ١٥
فان كنتم من ذوى البصائر الصافية و الضمائر النيرة علمتم بحقية
هذه المعانى و جلالة هذه الأساليب و جزالة تلك التراكيب أن هذا

---

(١) سورة ٣ آية ٣١.

(٢) من مد، و فى الأصل و م و ظ: لانه.

كلامي[١]، فبادرتم إلى امتثال ما أمر و الانتهاء عما عنه زجر. «و ان كنتم في ريب» أي [٢]شك محيط بكم[٢] من الكتاب[٣] الذي قلت - و من أصدق مني قيلا - إنه «لا ريب فيه».

(١) قال البيضاوي في تفسيره: لما قرر وحدانيته و بين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و هو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق و إفحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم و إفراطهم في المضادة و المضارة و تهالكهم على المعازة و المعارة، و عرف ما يتعارف به إعجازه و يتيقن أنه من عند الله كما يدعيه. و قال أبو حيان في تفسيره المسمى بالبحر المحيط: و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحدانية و يبطل الإشراك و عرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم و التمييز أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته و هو كون القرآن معجزة و بين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله أم من عنده بأن يأتوهم و من يستعينون به بسورة هذا وهم الفصحاء البلغاء المجيدون حوك الكلام من النثار و النظام و المتقلبون في أفانين البيان و المشهود لهم في ذلك بالإحسان - انتهى كلامه.

(٢ - ٢) ليست في ظ.

(٣) قال المهائمي: يشير إلى أنه لا ينبغي أن يرتاب فيه لكونه محض الحكمة البالغة، فان فرض فلا ينبغي أن يدوم لوجود ما يزيله لحقه المضي، فان دام فلا ينبغي أن يحيط بالجوانب إحاطة الظرف بالمظروف لظهور محاسنه، فان كان فغايته أن يكون نوعا أو فردا منه، فان كنتم فيه مع أنا جعلناه معجزا حال تفرقته في الإنزال فحال الاجتماع أشد إعجازا ودل إعجازه على أنه مقام عظمتنا و لا يبعد لكون المنزل عليه عبدا منزلا إليه لغاية كماله «وان كنتم في ريب منه فاتوا بسورة».

 و أشار

و أشار هنا أيضا إلى عظمته و عظمة المنزل عليه بالنون [1]التفاتا من الغيبة إلى التكلم[1] فقال « مما نزلنا »[2] قال الحرالى : من التنزيل و هو التقريب للفهم بتفصيل و ترجمة و نحو ذلك - انتهى . « على عبدنا »[3] أى الخالص[4] لنا الذى لم يتعبد لغيرنا قط[5] ، فلذلك استحق الاختصاص دون عظماء القريتين و غيرهم ، فارتبتم فى أنه كلامنا نزل بأمرنا و زعمتم أن عبدنا ٥ محمدا أتى به من عنده لتوهمكم أن[6] فيما سمعتم [7]من الكلام شيئا[7] مثله

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو البركات النسفى : وقيل « نزلنا » دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدريج و التنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى ، وذلك أنهم كانوا يقولون : لوكان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة و آيات غب آيات على حسب النوازل و على سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا ، لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبته ضربة ، فلو أنزله الله لأنزله جملة ؛ قال الله تعالى « وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فقيل إن ارتبتم فى هذا الذى هكذا على تدريج « فاتوا بسورة » .

(٣) و العبد اسم لمملوك من جنس العقلاء ، والمملوك موجود قهر بالاستيلاء .

(٤) و فى البيضاوى : و أضاف العبد إلى نفسه تنويها بذكره و تنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه ، وقرئ « عبادنا » يريد محمدا صلى الله عليه و سلم و أمته - انتهى كلامه .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى م : اى .

(٧-٧) فى ظ : شيئا من الكلام .

[١]لأجل الإتيان به منجما أو غير ذلك من أحواله[١] .

« فاتوا » أى على سبيل التنجيم[٢] أو غيره[٣] ، قال الحرالى : الآتى بالأمر[٤] يكون عن[٥] مكنة و قوة « بسورة » [١]أى نجم واحد . قال الحرالى[١] : السورة[٦] تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة - انتهى . [١]و تفصيل القرآن إلى سور و آيات ، لأن الشيء ٥ إذا كان جنسا[١] / [٧]و جعلت له أنواع[٨] و اشتملت أنواعه على أصناف كان /٣٨ أحسن و أفخم لشانه و أنبل[٩] و لا سيما إذا [١٠]تلاحقت الأشكال[١٠] بغرابة

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : التنجز .

(٣) من « اى على » إلى هنا سقط من ظ .

(٤) فى ظ : بالامور .

(٥) فى م : على .

(٦) قال البيضاوى : السورة الطائفة من القرآن الترجمة التى أقلها ثلاث آيات ، من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة من القرآن أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها .

(٧) سقطت العبارة من هنا إلى « و غير ذلك » من ظ .

(٨) قال البيضاوى : و الحكمة فى تقطيع القرآن سورا و افرادا لأنواع و تلاحق الأشكال و تجارب النظم و تنشيط القارئ و تسهيل الحفظ و الترغيب فيه ، فانه إذا ختم سورة نفّس ذلك منه . . . فعظم ذلك عنده و ابتهج به ؛ إلى غيرها من الفوائد - انتهى .

(٩) فى م : انيل .

(١٠ - ١٠) فى م : تلاحيقة الاشكال .

الانتظام ، و تجاوبت النظائر بحسن الالتيام ، و تعانقت الأمثال بالتشابه في تمام الأحكام و جمال الأحكام ، و ذلك أيضا أنشط للقارئ و أعظم عنده لما يأخذه منه مسمى بآيات معدودة أو سورة معلومة و غير ذلك «من مثله» أي من الكلام الذي يمكنكم أن تدعوا أنه مثل ما نزلنا[1] كما قال «قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله[2]» ، فان عبدنا منكم [3] و نشأبين[3] أظهركم ، فهو لا يقدر على أن يأتي بما لا تقدرون على مثله إلا بتأييد منا .

و لما كانوا يستقبحون الكذب قال «و ادعوا شهداءكم»[4] أي من تقدرون[5] على دعائه من الموجودين بحضرتكم في بلدتكم أو ما قاربها ،

(١) قال أبو حيان : و في الثلية على كون الضمير على المنزل أقوال : الأول من مثله في حسن النظم و بديع الرصف و عجيب السر و غرابة الأسلوب و إيجازه و إتقان معانيه ، الثاني من مثله في غيوبه من إخباره بما كان و بما يكون - و من أراد الاطلاع على جميع الأقوال فليطلب من البحر المحيط ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) سورة ١٧ آية ٨٨ .

(٣ - ٣) في م : لشايين - كذا .

(٤) قال المهائمي : أي من يشهد لكم ، فالعاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بما يظهر اختلاله . و قال النسفي : جمع شهيد بمعنى الحاضر و القائم بالشهادة . و قال البيضاوي : و الرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله «فاتوا بسورة من مثله» و لسائر آيات التحدي ، و لأن الكلام فيه لا في المنزل عليه ، فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب و النظم ، و لأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته و لا يلائمه قوله تعالى «و ادعوا شهداءكم» فانه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم و يعينهم - انتهى .

(٥) في ظ : يقدرون .

و الشهيد كما قال الحرالى من يكثر الحضور لديه و استبصاره فيما حضره - انتهى .

« من دون الله » أى لينظروا [١] بين الكلامين فيشهدوا [٢] بما تؤديهم [٣] إليه معرفتهم من [٤] المماثلة أو المباينة فيزول الريب و يظهر إلى الشهادة ٥ الغيب أو ليعينوكم على الإتيان بمثل القطعة المحيطة التى تريدون معارضتها .
قال الحرالى: و الدون [٥] منزلة القريب فالقريب من جهة سفل ، و قد عقلت العرب أن اسم الله لا يطلق على ما ناله إدراك العقل فكيف بالحس ! فقد تحققوا أن كل ما أدركته حواسهم و نالته عقولهم فانه من دون الله - انتهى .

---

(١) فى ظ : فينظروا .

(٢) فى م : فشهدوا .

(٣) فى م : يوديه .

(٤) ليس فى م .

(٥) قال البيضاوى ، و معنى دون أدنى مكان من الشىء ، و منه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ، و دونك هذا أى خذ من أدنى مكان منك ، ثم استعير للرتب فقيل ، زيد دون عمرو ، أى فى الشرف ، و منه الشىء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد و تخطى أمر إلى آخر ، قال الله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكفرين اولياء من دون المؤمنين » أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ، و من متعلقه بادعوا و المعنى ادعوا لمعارضته من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم و جنكم و آلهتكم غير الله فانه لا يقدر على أن يأتى بمثله إلا الله ، أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله و لا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة .

فنى التعبير به[1] توبيخ لهم بأنهم لم يرضوا بشهادته سبحانه.

و حكمة الإتيان بمن التبعيضية فى هذه السورة دون بقية القرآن أنه سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذى يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثيل أو سمعوا أن أحدا عثر له على شبيه اقتضى الحال الإتيان بها ليفيد أن المطلوب منهم فى التحدى قطعة من ذلك المثل الذى ادعوه ٥ حكيمة[2] المعانى متلائمة المبانى منتظم أولها بآخرها كسور[3] المدينة فى صحـة الانتظام و حسن الالتيام و الإحاطة بالمبانى[4] التى هى كالمعانى و التقاء[5] الطرفين حتى صار بحيث لا يدرى أوله من آخره سواء كانت القطعة المأتى بها تبارى آية أو ما فوقها لأن آيات القرآن كسورة[6] يعرف من ابتدائها ختامها و يهدى إلى افتتاحها تمامها، فالتحدى ١٠ هنا منصرف[7] إلى الآية بالنظر الأول و إلى ما فوقها بالنظر الثانى.

و المراد بالسورة هنا مفهومها[8] اللغوى، لأنها من المثل[9] المفروض

---

(١) فى ظ: بها.

(٢) و فى ظ: حكمية.

(٣) فى ظ: كسورة.

(٤) فى ظ: المبادى.

(٥) زيد فى ظ: من.

(٦) من مد و ظ، و فى الأصل و م: كسوره.

(٧) فى ظ: صرف.

(٨) فى ظ: مفهومها - كذا.

(٩) قال المهائمى: «من مثله» أى مما يماثله بعض المماثلة.

و هو لا وجود له فى الخارج حتى يكون لقطعه اصطلاح فى الأسماء معروف، و لأن معرفة المعنى الاصطلاحى كانت[1] مخصوصا بالمصدقين و لو أريد التحدى بسورة من القرآن لقيل: فائتوا بمثل سورة منه، و لما كان هذا هو المراد قصرهم فى الدعاء على من بحضرتهم[2] من الشهداء و سيأتى إن شاء الله
٥ تعالى فى سورة يونس عليه السلام و بقية السور المذكورة[3] فيها هذا المعنى ما يتم به هذا الكلام. و فى قوله «ان كنتم صدقين» إيماء[4] إلى كذبهم فى دعوى الشك فيه، قال الحرالى: و الصادق الذى يكون قول لسانه و عمل[5] جوارحه مطابقا لما احتوى عليه قلبه مما له حقيقة ثابتة بحسبه، و قال: اتسقت آية تنزيل الوحى بآية إنزال الرزق لما[6] كان نزول ما نزل
١٠ على الرسول[7] المخصص بذلك ينبغى اعتباره بمقابلة نزول الرزق، لأنهما رزقان: أحدهما ظاهر يعم الكافر فى نزوله، و الآخر و هو الوحى رزق

---

(١) فى النسخ كلها: كان - كذا.
(٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بحصرتهم.
(٣) من ظ، و فى الأصل و م و مد: المذكور.
(٤) قال المهائمى: «ان كنتم صدقين» فى أن للريب دخلا فيه. وقال البيضاوى: انه من كلام البشر، والصدق الإخبار المطابق، و قيل مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن دلالة أو أمارة، لأنه تعالى كذب المنافقين فى قولهم «انك لرسول الله» لما لم يعتقدوا مطابقته. و فى السراج المنير للشربينى الخطيب: «ان كنتم صدقين» فى أن محمدا صلى الله عليه و سلم يقول من تلقاء نفسه وأن آلهتكم تشهد لكم بذلك.
(٥) فى ظ: على.
(٦) فى مد: كما.
(٧) زيد فى مد: صلى الله عليه و سلم.

باطن يخص الخاصة بنزوله و يتعين له[1] أيهم أتمهم فطرة و أكملهم ذاتا؛ و لم يصلح أن يعم بنزول هذا الرزق الباطن كعموم الظاهر، فتبطل حكمة الاختصاص فى الرزقين، فان نازعهم ريب فى الاختصاص فيفرضون أنه عام فيحاولون معارضته، وكما أنهم يشهدون بتمكنهم من الحس[2] عند محاولته عمومه فكذلك يجب أن يشهدوا بعجزهم عن سورة ٥ من مثله تحقق اختصاص من نزل عليه به و أجرى ذكره باسم العبودية إعلاما بوفائه بأنحاء التذلل[3] و إظهارا لمزية انفراده بذلك دونهم ليظهر به سبب الاختصاص.

و انتظم النون فى «نزلنا» من يتنزل بالوحى من روح القدس و الروح الأمين و نحو ذلك، لأنها تقتضى الاستتباع، و اقتضت النون ١٠ فى لفظ «عبدنا» ما[4] يظهره النبى صلى الله عليه و سلم لهم من/ الانقياد /٣٩ و الاتباع و ما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح، حتى أنه يوافق من وقع على وجه من الصواب من أمته صلى الله عليه و سلم، و حتى أنه يتصف بأوصاف العبد فى أكله كما قال: آكل كما يأكل العبد انتهى.

و التحدى بسورة يشمل[5] أقصر سورة كالكوثر و مثلها فى التحدى ١٥

---

(١) فى مد: لهم.

(٢) هكذا فى الأصل و مد، و فى م و ظ: الحسن.

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التدلل.

(٤) كرره فى ظ.

(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تشمل.

آية مستقلة توازيها و آيات، كما قاله[1] الإمام جلال الدين[2] محمد بن أحمد المحلى فى شرح جمع الجوامع، و سبقه الإمام[3] شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى فنظمه فى القنية[4] فى الأصول و نقله فى شرحها عن ظاهر كلام إمام الحرمين فى الشامل و عن كلام الفقهاء فى الصداق فيما لو أصدقها ٥ تعليم سورة فلقنها بعض آية، و سبقهما العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى فقال فى تلويحه على توضيح صدر الشريعة: المعجز هو السورة أو مقدارها[5]، هكذا ذكر الذين تكلموا فى الإعجاز من الأصوليين و غيرهم أن التحدى وقع بسورة من القرآن، و الصواب أنه إنما وقع بقطعة آية فما فوقها، لأن المراد بالسورة مفهومها اللغوى لا الاصطلاحى[6] ١٠ كما تقدم بيانه.

و الحاصل أنه لما كان فى آيات المنافقين ذكر الأمثال و كانوا قد استغربوا بعض أمثال القرآن و جعلوها موضعا للشك من حيث كانت موضعا لليقين فقالوا: لو كان هذا من عند الله لما ذكر فيه أمثال هذه الأمثال، لأنه أعظم من أن يذكر ما[7] دعاهم إلى المعارضة فى[8] هذه السورة

(١) فى مد: قال.
(٢) زيد فى م: بن.
(٣) ليس فى ظ.
(٤) فى ظ و مد: الفتية، و فى م: الغيبة.
(٥) فى م: مقدارا.
(٦) فى م: الاسطلاحى - كذا.
(٧) من م، و فى الأصل و مد وظ: يذكرها.
(٨) فى ظ: من.

المدنية بكل طريق[1] يمكنهم، و أخبرهم بأنهم عاجزون عنها وأن عجزهم دائم[2] تحقيقا لأنهم فى ذلك الحال معاندون لا شاكون.

و لما[3] كان سبحانه عالما بأن الأنفس الآبية و الأنوف الشامخة الحمية التى[4] قد لزمت شيئا فمرنت[5] عليه حتى صار لها خلقا يصعب عليها انفكاكها عنه و يعسر خلاصها منه عبر عن هذا [6]الإخبار بالعجز[6] مهددا فى سياق ٥ ملجئ إلى الإنصاف[7] بالاعتراف أو تفطر القلوب بالعجز عن المطلوب بقوله تعالى «فان لم تفعلوا» فأتى بأداة الشك تنفيسا لهم و تهكما فى نفس الأمر بهم و استجهالا لهم، ثم لم يتمم[8] ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة

(١) فى ظ: طرف.

(٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دائما.

(٣) قال أبوالبركات النسفى فى تفسيره ما نصه: لما أرشدهم إلى الجهة التى منها يتعرفون صدق النبى عليه السلام قال لهم: فاذا لم تعارضوه و بان عجزكم و وجب تصديقه فآمنوا و خافوا العذاب المعد لمن كذب و عاند، و فيه دليلان على إثبات النبوة: صحة كون المتحدى به معجزا، و الإخبار بأنهم لن يفعلوا، وهو غيب لا يعلمه إلا الله، و لما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم و اعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم بجيء بان الذى للشك دون إذا الذى للوجوب.

(٤) من م و مد و ظ، فى الأصل: الذى.

(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فمريت.

(٦ - ٦) و فى م: العجز بالاخبار - بالتقديم و التأخير.

(٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الاتصاف.

(٨) كذا بفك الادغام، و فى ظ: لم يتم.

فضمت ظهورهم و قطعت قلوبهم فقال لتكون الآية كافلة لصحة[١] نسبة النظم[٢] و المعنى آيد[٣] [٤]و آكد لادعائهم المقدرة[٥] [٦]بقوله تعالى[٦] «و لن تفعلوا» [٧]فألزمهم الخزى بما حكم عليهم به من العجز، فلم يكن لهم فعل إلا المبادرة إلى تصديقه بالكف، فكانوا كمن ألقم الحجر فلم يسعه
٥ إلا السكوت، و استمر ذلك التصديق لهم و لأمثالهم على وجه الدهر فى كل[٨] عصر ينادى مناديه[٩] فتخضع له الرقاب و يصدّح مؤذنه فتنكسر

(١) فى مد: بصحة.

(٢) فى الأصل: العظم.

(٣) فى الأصل ومد: اليه، و فى م: اليد - كذا.

(٤) من هنا إلى « تعالى » ليست فى ظ.

(٥) و فى م و مد: القدرة.

(٦ - ٦) ليس فى م.

(٧) قال أبو حيان: و هذه الأقوال أعنى التوكيد و التأبيد و نفى ما قرب أقاويل المتأخرين و إنما المرجوع فى معانى هذه الحروف و تصرفاتها لأئمة العرب المقانع الذين يرجع إلى أقاويلهم، قال سيبويه و لن نفى لقوله سيفعل، وقال: و تكون لا نفيا لقوله تفعل و لم تفعل - انتهى كلامه، وقال البيضاوى: لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول عليه الصلاة و السلام و ما جاء به و ميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له: و هو انكم إذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الإتيان بما يساويه أويدانيه ظهر أنه معجز و التصديق به واجب فآمنوا به و اتقوا العذاب المعد لمن كذب - الخ.

(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: سل.

(٩) فى ظ: منادية.

الرؤس، [1] و التعبير [2] بالفعل الأعم من الإتيان أبلغ لأن نفيه [3] نفى الأخص و زيادة . و الفعل قال الحرالى ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم أو غير علم لتدين كان أو لغيره [4] كما تقدم مرارا [5] - انتهى .

/٤٠ / فقد ثبت أن هذا الكتاب الذى بين أنه الهادى إلى الصراط المستقيم أعظم دليل على إفراده بالعبادة و اختصاصه بالمراقبة التى أرشدنا إليها ٥ بقوله « إياك نعبد [6] و إياك نستعين [6] » الآية بما ثبت فيه من أدلة التفرد بالإلهية بما ثبت من عجزهم عن معارضته [7] و عجز جميع العرب الذين كانوا أفصح الخلق و كذا جميع من ولد فى بلادهم و انطبع بلسانهم من اليهود و النصارى الذين لهم من الفصاحة [8] و العلم ما هو مشهور فقد كان لليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا فى المدينة الشريفة و خيبر و اليمن و غيرها، ١٠

---

(١) ليست العبارة من هنا الى « و زيادة » فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : نعبر من الإتيان المكيف بالفعل الذى يعم الإتيان به وغيره إيجاز أو نزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه و تهويلا لشأن العناد و تصريحا بالوعيد مع الإيجاز .

(٣) من م و مد ، و فى الأصل : نفسه .

(٤) فى ظ : غيره .

(٥) سقطت العبارة من « كما » إلى هنا من م و مد ، و لفظ « مرارا » فقط ليس فى ظ .

(٦ - ٦) ليست فى م و مد .

(٧) ليست العبارة من هنا إلى « سائر البلدان » فى م و ظ .

(٨) من مد ، و فى الأصل : النتاجة - كذا .

و من دخل فى دينهم من العرب من الفصاحة و البلاغة و العلم ما لا يحتاج من طالع السيرة فيه إلى توقف[1]، و كان[2] النصارى من بنى إسرائيل و من دان دينهم من العرب و هم [3]كثير كثرة قوم[3] المنذر بن ماء السماء، و ما قارب الشيء من عبد القيس و تنوخ و عامله و غسان كلهم فصحاء بلغاء، و زاد كثير منهم على ذلك العلم و كان منهم الشعراء المبرزون؛

٥ و مع ذلك فلم يقدر أحد منهم على طعن فى هذا القرآن و لا عارضه منهم إنسان إلا ما قاله مسيلمة و الأسود العنسى[4] فيما[5] افتضحوا به و أكذبهم الله تعالى[6] فيه[7] و سارت بفضائحهم الركبان فكانوا بها مثلا فى سائر البلدان.

---

(١) فى مد: موقف.

(٢) فى مد: كذا.

(٣ - ٣) فى الأصل: كسير كسر قوم، و فى مد: كثير كقوم.

(٤) من مد، و فى الأصل: العبسى.

(٥) فى مد: مما.

(٦) ليس فى مد.

(٧) قال أبو حيان الأندلسى: و فى قوله «و لن تفعلوا» إثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ و أبدع، و فى ذلك دليلان على إثبات النبوة: أحدهما صحة كون التحدى به معجزا، الثانى الإخبار بالغيب من أنهم لن يفعلوا، و هذا لا يعلمه إلا الله و يدل على ذلك أنهم لو عارضوه لتوفرت الدواعى على نقله خصوصا من الطاعنين عليه، فاذا لم ينقل دل على أنه إخبار بالغيب و كان ذلك معجزة؛ و أما ما أتى به مسيلمة الكذاب فى هذره و أبو الطيب المتنبى فى عبره و نحوهما فلم يقصدوا به المعارضة و إنما ادعوا أنه نزل عليهم وحى بذلك فأتوا من ذلك =

قال عمرو بن بحر الجاحظ « فى كتاب الحجة فى تثبيت خبر الواحد »
إن الله [1]تبارك و[1]تعالى بعث محمدا صلى الله عليه و سلم أكثر ما كانت
العرب شاعرا و خطيبا و أحكم ما كانت لغة و أشد ما كانت عدة فدعا[2]
أقصاها و أدناها إلى توحيد الله و تصديق رسالته فدعاهم إلى حظهم[3] بالحجة،
فلما قطع العذر و أزال الشبهة و صار الذى يمنعهم من الإقرار الهوى ٥
و الحمية دون الجهل و الحيرة حملهم على حظهم[3] بالسيف، فنصب لهم
الحرب و نصبوا له[4] و قتل[5] من عليتهم و أعلامهم و أعمامهم و بنى
أعمامهم و قتلوا أعمامه و بنى أعمامه و علية[6] أصحابه و أعلام أهله،
و هو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن و غيره[7] و يدعوهم صباحا[8] و مساء

= باللفظ الغث والمعنى السخيف واللغة المهجنة والأسلوب الرذل والفقرة غير المتمكنة و المطلع المستقبح و المقطع المستوهن بحيث لو قرن ذلك بكلامهم فى غير ما ادعوا أنه وحى كان بينهما من التفاوت فى الفصاحة و التباين فى البلاغة ما لا يخفى عمن له يسير تميز فى ذلك فكيف الجهابذة النقاد و البلغاء الفصحاء فسلبهم الله فصاحتهم بادعائهم و افترائهم على الله الكذب - انتهى كلامه .

(١ - ١) ليس فى ظ .
(٢) فى ظ : و ربما .
(٣) فى الأصل : خطهم .
(٤) ليس فى ظ .
(٥) فى م و ظ : قيل - كذا، و لا يتضح فى مد .
(٦) فى الأصل : عليه .
(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غيرهم - كذا .
(٨) فى م و مد و ظ : صباح .

إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة[١] واحدة أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحديا[٢] لهم بها و تقريعا بعجزهم عنها تكشف من نقصهم ماكان مستورا و ظهر منه ماكان خفيا[٣]، [٤]فحين لم يجدوا حيلة و لا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف[٥] فلذلك يمكنك ٥ ما لا يمكننا؛ قال: فهاتوها مفتريات[٦]، فلم يرم[٧] ذلك خطيب و لا طمع فيه شاعر و لا طبع فيه لتكلفه، و لو تكلفه / لظهر ذلك، و لو ظهر لوجد /٤١ من يستجيده[٨] و يحامى عليه[٩] و يكابر فيه و يزعم أنه قد عارض و قابل و ناقض، فدل ذلك العاقل[١٠] على عجز القوم مع كثرة كلامهم و اتساع لغتهم و سهولة ذلك عليهم و كثرة شعرائهم و كثرة من[١١] هجاه منهم

---

(١) العبارة من هنا إلى «بعزهم» ليست فى ظ.

(٢) من م و مد، و فى الأصل: تحدثا.

(٣) من م و ظ، و لايتضح فى مد، و فى الأصل: خطيا.

(٤) العبارة من هنا إلى «ما» ليست فى ظ.

(٥) فى الأصل و م: لا تعرف، ولايتضح فى مد، و فى ظ: لايعرف، والظاهر لا نعرف - بنون الجمع.

(٦) فى م: مقترنات - كذا.

(٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فلم يدم.

(٨) فى ظ: تستجيده.

(٩) ليس فى مد.

(١٠) كذا، و الظاهر: للعاقل.

(١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ما.

و عارض

و عارض[١] شعراء أصحابه و خطباء أمته ، لأن سورة واحــدة و آيات يسيرة كانت أنقض[٢] لقوله[٣] و أفسد لأمره و أبلغ فى تكذيبه و أسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس و الخروج من الأوطان و إنفاق الحرائب ؛ و هذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش و العرب فى العقل و الرأى بطبقات ، و لهم القصيــــد[٤] العجيب و الرجز الفاخر[٥] ٥ و الخطب الطوال البليغة و القصار الموجزة ، و لهم الأسجاع[٦] و المزدوج و اللفظ المنثور ، ثم يتحدى به أقصاهم[٧] بعد أن ظهر[٨] عجز أدناهم ؛ فمحال أكرمك[٩] الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر

(١) قال أبو حيان: « فاتوا بسورة » طلب منهم الإتيان بمطلق سورة وهى القطعة من القرآن التى أقلها ثلاث آيات فلم يقترح عليهم الإتيان بسورة طويلة فيتعنتوا فى ذلك بل سهل عليهم و أراح عليهم بطلب الإتيان بسورة ، وهـذا هو غاية التبكيت و التخجيل لهم ، فاذا كنتم لا تقدرون أنتم ولا معاضدوكم بالإتيان بسورة من مثله فكيف تزعمون أنه من جنس كلامكم وكيف يلحقكم فى ذلك ارتياب أنه من عند الله - انتهى كلامه .

(٢) فى م : انقص - بالصاد المهملة .

(٣) فى م : لقومه .

(٤) فى م : القصيدة .

(٥) ليس فى ظ .

(٦) من م ، و لايتضح فى مد ، و فى الأصل و ظ : الاشجاع .

(٧) العبارة من هنا إلى « المكشوف » كررها ثانيا فى الأصل .

(٨) من ظ ، و فى الأصل وم : اظهر ، و لايتضح فى مد .

(٩) جملة دعائية .

و الخطاء المكشوف البين مع التقريع بالنقص و التوقيف على العجز و هم[1] أشد الخلق أنفة و أكثرهم مفاخرة و الكلام سيد[2] علهم[3] و قد احتاجوا إليه و الحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض فكيف بالظاهر! و كما أنه محال أن يطبقوا ثلاثا و عشرين سنة على الغلط فى الأمر الجليل[4] المنفعة فكذلك أيضا محال أن يتركوه و هم يعرفونه و يجدون السبيل إليه و هم يبذلون[5] أكثر منه - انتهى . فثبت بهذا عجزهم و خرس قطعا إفصاحهم و رمزهم و طأطأ ذلا[6] كبرهم و عزهم ، وكيف يمكن المخلوق مع تمكنه فى سمات النقص و دركات الافتقار و الضعف معارضة من اختص بصفات

---

(١) قال البيضاوى : و فى الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه : الأول ما فيهما من التحدى و التحريض على الجد و بذل الوسع فى المعارضة بالتقريع و التهديد و تعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم و اشتهارهم بالفصاحة و تهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة و التجؤا إلى جلاء الوطن و بذل المهج ، و الثانى أنها تتضمن الإخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما و الطاعنون فيه أكثف من الذابين عنه فى كل عصر ، والثالث أنه عليه الصلاة والسلام لو شك فى أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته - انتهى كلامه .

(٢) كذا فى النسخ كلها ، و لكن الملائم هنا : سند .

(٣) فى ظ و م و مد : عملهم .

(٤) كرره فى الأصل ثانيا .

(٥) فى ظ : يبدلون - كذا بالدال المهملة .

(٦) فى م : دلا .

الكمال و تعالى عن الأنداد[١] و الأشباه[٢] و الأشكال .

و قد اختلف الناس فى سبب الإعجاز و أحسن ما وقفت عليه من ذلك ما نقله الإمام بدر الدين الزركشى الشافعى فى كتابه البرهان عن الإمام أبى سليمان الخطابى - و قال : و إليه ذهب الأكثرون من علماء النظر - أن وجه الإعجاز فيه ٣من جهة٣ البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها[٤] ٥ و وضعوا فيه إلى حكم الذوق[٥] ، قال[٦] : و التحقيق[٧] أن أجناس الكلام /مختلفة و مراتبها فى درجات البيان متفاوتة ، فمنها البليغ الرصين ٤٢/ الجزل ، و منها الفصيح القريب السهل ، و منها الجائز الطلق الرسل ؛

---

(١) فى الأصل : الاندل ـ كذا .

(٢) ليس فى م و مد و ظ .

(٣-٣) فى الأصل مكرر .

(٤) ليس فى م .

(٥) فى م : الزوق ـ كذا بالزاى .

(٦) فوقه فى ظ : اى الخطابى .

(٧) و فى مقدمة البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : اختلفوا فيما به إعجاز القرآن ، فمن توغل فى أساليب الفصاحة و أفانينها و توقل فى معارف الآداب و قوانينها أدرك بالوجدان أن القرآن أتى فى غاية من الفصاحة لا يوصل إليها و نهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها ، فمعارضته عنده غير ممكن للبشر ، و لا داخلة تحت القدر ؛ و من لم يدرك هذا المدرك ولا سلك هذا المسلك رأى أنه من نمط كلام العرب و أن مثله مقدور لمنشئ الخطب ، فاعجازه عنده إنما هو بصرف الله تعالى إياهم عن معارضته و مناضلته و إن كانوا قادرين على مماثلته .

و هذه [١]الأقسام هى الكلام[١] الفاضل المحمود، فالقسم الأول أعلاه[٢] و القسم[٣] الثانى أوسطه و القسم[٣] الثالث أدناه و أقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة و أخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى ٥ الفخامة و العذوبة، و هما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لأن[٤] العذوبة نتاج السهولة و الجزالة و المتانة[٥] يعالجان نوعا من الزعورة، فكان اجتماع الأمرين فى نظمه مع نبو كل واحد منهما عن[٦] الآخر فضيلة خص بها القرآن لتكون[٧] آية بينة لنبيه صلى الله عليه و سلم، و إنما تعذر على البشر جميعا[٣] الإتيان[٣] بمثله لأمور، منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة ١٠ العربية و أوضاعها التى هى ظروف المعانى، و لا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، و لا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظوم التى[٨] بها يكون ائتلافها و ارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا

(١ - ١) فى م و مد و ظ: اقسام الكلام.

(٢) فى الأصل، و م و ظ: اعلاها، و لا يتضح فى مد.

(٣) ليس فى م و مد و ظ.

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من.

(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المتانة - كذا.

(٦) فى م: على.

(٧) فى ظ و مد: ليكون.

(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الذى.

باختيار

باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها[1] إلى أن يأتوا بكلام مثله ،
و إنما يقوم الـــكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل و معنى به قائم
و رباط[2] لهما ناظم ؛ و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية
الشرف و الفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا
أعذب من ألفاظه ، و لا ترى نظما أحسن تأليفا و[3] أشد تلاؤما و تشاكلا[4] ٥
من نظمه ؛ و أما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم فى أبوابه و الترقى
إلى أعلى درجاته ، و قد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع
الكلام ، فاما أن يوجد بمجموعه فى نوع واحد منه فلم توجد إلا فى كلام
العليم القدير ، فخرج من هذا أن[5] القرآن إنما[6] صار معجزا لأنه جاء بأفصح
الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف ، مضمنا / أصح المعانى من توحيد الله ١٠ /٤٣
تعالى و تنزيه له فى صفاته ، و دعاء إلى طاعته و بيان لطريق عبادته ، فى
تحليل و تحريم و حظر و إباحة ، و من وعظ و تقويم و أمر بمعروف
و نهى عن منكر ، و إرشاد إلى محاسن الأخلاق و زجر عن مساويها ،
واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء[7] أولى منه و لا يتوهم

(١) فى م : وجوهما - كذا .
(٢) فى ظ : ارباط .
(٣) زيد فى م : لا .
(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يشكلا - كذا .
(٥) ليس فى ظ .
(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الا ، و هو محرف « انما » فصحح .
(٧) فى ظ و م : شيئا .

فى صورة العقل أمر أليق به منه، مودعا أخبار القرون الماضية و ما نزل
من مثلات الله بمن مضى و عاند منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة فى
الأعصار الآتية من الزمان، جامعا فى ذلك بين الحجة و المحتج له
و الدليل و المدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، و أنبأ
٥ عن وجوب ما أمر به و نهى عنه، و معلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور
و الجمع بين أشتاتها حتى تنتظم و تتسق أمر تعجز عنه قوى البشر و لا تبلغه
قدرتهم؛ فانقطع الخلق دونه و عجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى
شكله، ثم صار المعاندون له يقولون مرة: إنه شعر - لما رأوه منظوما -
و مرة: إنه سحر - لما رأوه[1] معجوزا عنه غير مقدور عليه، و قد كانوا
١٠ يجدون له وقعا[2] فى القلوب و فزعا فى النفوس يريبهم[3] و يحيرهم، فلم يتمالكوا
أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف[4]، و لذلك قالوا: إن له لحلاوة و إن عليه

---

(١) فى ظ: رواه.

(٢) فى ظ: موقعا.

(٣) فى ظ: يربيهم.

(٤) و فى البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى: فمن أدرك إعجازه فوفق أسلم بأول سماع سمعه أبو ذر رضى الله عنه، قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من أوائل فصلت آيات فأسلم للوقت، و خبره فى إسلامه مشهور، و ممن أدرك إعجازه و كفر عنادا عتبة بن ربيعة و كان من عقلاء الكفار حتى كان يتوهم أمية بن الصلت أنه هو يعنى عتبة يكون النبى المنبعث فى قريش، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم حسده عتبة و أضرا به مع علمهم بصدقه و أن ما جاء به معجز، و كذلك الوليد بن المغيرة، روى عنه أنه قال لبنى مخزوم: و الله لقد =

لطلاوة، و كانوا مرة بجهلهم يقولون: إنه[1] «اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و اصيلا»[2]، مع علمهم أن صاحبه أمى و ليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الأمور التى أوجبها العناد و الجهل و العجز - انتهى.

و أول كلامه يميل إلى أن الإعجاز بمجرد النظم من غير نظر إلى ٥ المعنى، و آخره يميل إلى أنه بالنظر إلى النظم و المعنى معا من الحيثية التى ذكرها، و هو الذى ينبغى أن يعتقد لكن فى التحدى بسورة واحدة و أما بالعشر[3] فبالنظر إلى البلاغة فى النظم فقط - نقله البغوى فى تفسير سورة هود عن المبرد و قد مر آنفا مثله فى كلام الجاحظ.

و قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى مفتاح الباب المقفل الباب ١٠ الأول فى علو بيان القرآن على بيان الإنسان: اعلم أن بلاغة البيان تعلو على قدر علو المبين، فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه، فبيان كل مبين على قدر إحاطة علمه، فاذا أبان الإنسان عن[4] الكائن أبان بقدر ما يدرك منه و هو لا يحيط به علمه فلا يصل إلى غاية البلاغة

= سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن! إن له لحلاوة، و إن عليه لطلاوة، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق، و إنه يعلو و لا يعلى، و مع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد و الأشر حتى قال ما حكى الله عنه «ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر».

(١) ليس فى ظ.

(٢) سورة ٢٥ آية ٥.

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العثر.

(٣) فى م: على، و هو كما ترى.

فيه بيانه ، و إذا أنبأ عن الماضى فبقدر ما بقى من ناقص علمه به كائنا فى ذكره لما لزم الإنسان من نسيانه ، و إذا أراد أن ينبئ[1] عن الآتى أعوزه البيان كله إلا ما يقدّره أو يزوّره ؛ فبيانه فى الكائن ناقص و بيانه فى الماضى[2] أنقص و بيانه فى الآتى ساقط « بل يريد الانسان ليفجر امامه ¤[3]» و بيان الله

٥ سبحانه عن الكائن بالغ إلى غاية ما أحاط به علمه « قل انما العلم عند الله[4] » و عن المنقطع كونه بحسب إحاطته بالكائن و سبحانه من النسيان « لا يضل ربى و لا ينسى ¤[5] » و عن الآتى بما هو الحق الواقع « فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين ¤ و الوزن يومئذ الحق[6] » و المبين الحق الذى لا يوهن بيانه إيهام نسبة النقص إلى بيانه[7] ، و الإنسان يتهم نفسه فى البيان و يخاف

١٠ أن ينسب إلى العى فيقصد استقراء البيان و يضعف مفهوم بيانه ضعفا من منته و مفهوم بيان القرآن أضعاف أضعاف أنبائه و قل ما ينقص عن نظيره - انتهى .

و قال الإمام محمد بن عبد الرحمن المراكشى[8] الأكمه فى شرح نظمه

(١) فى ظ : ينباء - كذا .
(٢) فى ظ : الآتى .
(٣) ٧٥ آية ٥ .
(٤) سورة ٦٧ آية ٢٦ .
(٥) سورة ٢٠ آية ٥٢ .
(٦) سورة ٧ آية ٧ و ٨ .
(٧) فى مد : بيان .
(٨) فى ظ : الزاركشى ، و زاد بعده « فى » .

لمصباح ابن مالك فى المعانى و البيان ما يصلح أن يكون متنا [١] و جملة [١] و ما تقدم شرحا له و تفصيلا قال : الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكر فى علم البيان و هو كما اختاره جماعة فى تعريفه ما يحترز به [٢] عن الخطأ فى تأدية المعنى و عن تعقيده ، و تعرف به وجوه تحسين الكلام [٣] بعد رعاية [٣] تطبيقه [٤] لمقتضى الحال ، لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه و إلا لكانت قبل نزوله معجزة ، ٥ و لا مجرد تأليفها و إلا لكان كل تأليف معجزا ، و لا إعرابها و إلا لكان كل كلام معرب معجزا ، و لا مجرد أسلوبه و إلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا - و الأسلوب الطريق - و لكان هذيان [٥] مسيلمة معجزا ، و لأن الإعجاز يوجد دونه أى الأسلوب فى نحو « فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا [٦] » « فاصدع بما تؤمر [٧] » ، و لا بالصرف عن معارضته ، لأن تعجبهم كان [٨] من فصاحته ، و لأن ١٠ مسيلمة و ابن المقفع و المعرى و غيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه [٩] الأسماع

(١-١) ليس فى ظ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٣) فى مد : بقدر غاية .

(٤) فى م : تطيقه .

(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هديان - كذا .

(٦) سورة ١٢ آية ٨٠ .

(٧) سورة ١٥ آية ٩٤ .

(٨) من م و مد ، و لا يتضح فى الأصل ، و فى ظ : كانت - كذا .

(٩) فى ظ : يمجه .

و تنفر[1] منه الطباع و يضحك منه فى أحوال[2] تركيبه و[3] يهان بتلك[3] الأحوال، أعجز البلغاء و أخرس الفصحاء؛ فعلى إعجازه دليل إجمالى و هو أن العرب عجزت عنه و هو بلسانها فغيرها أحرى، و دليل تفصيلى[4] مقدمته[5] التفكر فى خواص تركيبه، و نتيجته العلم[6] بأنه تنزيل من المحيط بكل[7] شيء علما[8] - انتهى. و سيأتى إن شاء الله تعالى فى أواخر العنكبوت[9] ما ينفع ههنا و أشار سبحانه فى تهديدهم[10] بقوله «فاتقوا النار»[11] [12] كذا قال الحرالى، و هى[12] جوهر لطيف يفرط لشدة لطافته فى تفريط

٥

(١) فى ظ: ينفر.

(٢) فى م: احول - كذا.

(٣-٣) كذا فى ظ، و فى الأصل و م: بها اى، و زيد بعده فى م: بذلك.

(٤) فى ظ: تفصيله.

(٥) فى ظ: قدمته - كذا.

(٦) بهامش ظ: علما - و كتب عليه «صح».

(٧) فى ظ: لكل، و لا يتضح فى الأصل.

(٨) ليس فى ظ.

(٩) زيد فى ظ: و.

(١٠) فى ظ: تصديهم.

(١١) زيد فى م و مد «ايجازا و تهويلا كما مر العناد لاغنائه به (ليس فى مد) عن أن يقال فاتركوا عنادكم لئلا تعذبوا بالنار التى صفتها.

(١٢-١٢) فى ظ: و هى كما قال الحرالى. و قال أبو حيان: «فاتقوا النار» جواب للشرط و كنى به عن ترك العناد لأن من عاند بعد وضوح الحق له لاستوجب العقاب بالنار، و اتقاء النار من نتائج ترك العناد و من لوازمه - انتهى

المتجمد بالحر المفرط و في تجميد[1] المتمتع بالبرد المفرط . و قال غيره: جسم لطيف مضيء حار من شأنه الإحراق « التي وقودها » أي الشيء الذي[2] يتوقد[3] و يتأجج[4] به « الناس و الحجارة » التي هي أعم من أصنامهم [5]التي قرنوا بها أنفسهم في الدنيا إلى أنهم لم يقدروا على المعارضة و استمروا على التكذيب، كانوا معاندين و من عاند استحق النار ، و[5] إلى أنهم إذا أحرقوا فيها أوقد عليهم بأصنامهم تعريضا[6] بأنها و إن كانت في الدنيا لاضرر فيها و لا نفع باعتبار ذواتها فهي في الآخرة ضرر لهم بلا نفع بشفاعة و لا غيرها؛ [7]و تعريف النار و صلة الموصول لأن أخبار القرآن بعد[8] ثبوت أنه من عند الله معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل منزلة العالم تنبيها على أن ما جهله لم يجهله أحد . ١٠

---

(١) في مد : تفريط .

(٢) في ظ : التي .

(٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : توقد .

(٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تتاجج .

(٥-٥) ليست في مد و ظ ، و في تفسير البيضاوي : و الوقود بالفتح ما توقد به النار و بالضم المصدر ، « و الحجارة » و هي جمع حجر و المراد بها الأصنام التي نحتوها و قرنوا بها أنفسهم و عبدوها طمعا في شفاعتهم و الانتفاع بها و استدفاع المضار بمكانتهم ، و يدل عليه قوله تعالى « و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم » و عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه .

(٦) من ظ ، و في الأصل و م و مد : تعريفا .

(٧) العبارة من هنا إلى «احد» ليست في ظ . و في مد : لايجهله - مكان : لم يجهله .

(٨) في م : تعد - كذا .

و قال الحرالى: الحجارة ما تحجّر أى اشتد تصامّ[1] أجزائه من الماء و التراب، «و اتقوا» أى توقفوا عن هذه التفرقة بين الله و رسوله حيث تذعنون لربوبيته و ترتابون فى رسوله، فالنار معدة للعذاب بأشد التفريق لألطف الأجزاء الذى هو معنى الحرق لمن فرق و قطع ما يجب وصله، ٥ أى لما فاتتكم التقوى بداعى العلم فلا تفتكم التقوى[2] بسائق[3] الموجع[4] المخصوص المناسب عذابه لفعلكم، فانها نار غذاؤها و اشتعالها بالكون [5]كله أنهاه[5] تركيبا و هم الناس الملائمون لمارجها[6] بالنوس و أطرفه[7] و أجمده و هى[8] الحجارة فهى تسع ما بين ذلك من باب الأولى، و فيه[9]

---

(١) من م، و فى الأصل ومد: تضام - بالضاد المعجمة.

(٢) ليس فى ظ فقط.

(٣) فى م: لسائق.

(٤) بهامش ظ: أى الوجع السابق و هو النار.

(٥ - ٥) فى ظ: كلما نهاه.

(٦) فى ظ: لما رجح.

(٧) فى ظ: ادفى انكون كما.

(٨) كذا فى الأصل، و فى م و مد و ظ: هو.

(٩) قال المهائمى فى تفسيره «فاتقوا النار التى» هى أثر غضب الله، «وقودها» أى ما تتقد بها ابتداء «الناس و الحجارة» مع أنهما سببا انطفاء نيران الدنيا، فذلك من غاية شدة حرارتها، و لا يتراخى التعذيب بها عن موتكم لأنها «أعدت» أى هيئت «للكفرين» أى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم و معاصيهم، لأنه غضب عليهم فى الأزل نخوفهم به - انتهى. وقال الشربينى الخطيب: و أيضا حجارة الكبريت أشد حرا و أكثر التهابا و تزيد على غيرها من الأحجار سرعة الإيقاد ونتن الريح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان - انتهى. =

إشعار

إشعـار بمُنتها و قوتها و أنها بحكم هذا الوسع للالتصاق[1] بخلق[2] يعنى و ليست كنار الدنيا التى غذاؤهـا من ضعيف الموالد و هو النبات و لا تفعل[3] فى الطرفين إلا بواسطة و كان غذاؤها و وقودها النبات إذ كانت متقدحة[4] منه كما قال « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا[5] » ، و تقول[6] العرب : فى كل شجر نار و استمجد المرخ[7] و العفار[8] ، و ذلك على حكم ٥ ما تحقق أن الغذاء للشيء مما منه أصل كونه و قال « وقودها » لأن النار أشد فعلها فى وقودها لأن[9] بتوسطه تفعل فيما سواه ، فاذا كان وقودها محرقها كانت فيه أشد [10]عملا لتقويها[10] به عليه ، و يفهم اعتبارها بنار الدنيا

= و قال أبو البركات عبد الله النسفى : و معنى قوله تعالى « وقودها الناس و الحجارة » أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس و الحجارة و هى حجارة الكبريت فهى أشد توقدا و أبطأ خمودا و أنتن رائحة و ألصق بالبدن ، أو الأصنام المعبودة فهى أشد تحسرا .

(١) فى م : لاتصاق .

(٢) فى ظ : لخلق .

(٣) فى م : لا يفعل .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : منقدحة ـ كذا .

(٥) سورة ٣٦ آية ٨٠ .

(٦) فى م : يقول .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المرح .

(٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العقار ـ بالقاف .

(٩) كذا فى النسخ كلها ، و الظاهر : لأنها .

(١٠ - ١٠) فى ظ فقط : تقومها .

انقداحها[1] من أعمال المجزيين بها و من كونهم، فهم منها مخلوقون و بها مغتذون إلا أنها منطفية الظاهر فى الدنيا متأججة فى يوم الجزاء و مثال كل مجزى منها بمقدار ما فى كونه من جوهرها .

قلت : و يؤيده « ان المبذرين كانوا اخوان الشيٰطين[2] » أى فى أن ٥ الغالب عليهم العنصر النارى المفسد لما قاله[3] « الم تر انا ارسلنا الشيٰطين على الـكٰفرين تؤزهم ازا[4] » ، قال: و فى ذكر الحجارة إفهام عموم البعث و الجزاء لما حوته السماء و الأرض و أن كل شيء ليس الثقلين فقط يعمه القسم بين الجنة و النار كما عمه القسم بين الخبيث و الطيب؛ و إنما اقتصر فى مبدإ عقيدة الإيمان على الإيمان ببعث الثقلين و جزائهم تيسيرا[5] و استفتاحا ، ١٠ و ما سوى ذلك فمن زيادة الإيمان و تكامله كما قال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم[6] » و من العلماء من وقف بايمانه على بعث الثقلين و جزائهما ، حتى أن منهم من ينكر جزاء ما سواهما و يتكلف تأويل مثل قوله عليه السلام: يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء - انتهى .

و لما تم ذلك وكان « الناس » عاما للكافر و غيره كان كأنه قيل: ١٥ هذه النار لمن؟ فقيل[7] « اعدت » أى هيئت و أكملت قبل زمن استعمالها

(١) كذا فى الأصل و م و مد، و فى ظ : ان قداحها ـ كذا .
(٢) سورة ١٧ آية ٢٧ .
(٣) فى م : ناله .
(٤) سورة ١٩ آية ٨٣ .
(٥) فى م و ظ : تيسرا .
(٦) سورة ٤٨ آية ٤ .
(٧) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : لقيل .

[1] و تقاد[2] للجهول لأن المشتكى[3] إذا جهل فاعله كان أنكأ[4] «للكفرين» فبين أنها موجودة مهيأة لهم[5] ولكل من اتصف بوصفهم و هو ستر ما ظهر من آيات الله . قال الحرالى : وهى عدة الملك الديان لهم بمنزلة سيف الملك من ملوك الدنيا - انتهى . و لما ذكر ما[6] لهم ترهيبا اتبعه ما للؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة صلى الله عليه و سلم عاطفا ٥ على ما تقديره : فأنذرهم بذلك ، و لكنه طواه لأن السياق للاستعطاف[7] «و بشر» من البشرى قال الحرالى إظهار غيب[8] المسرة بالقول «الذين آمنوا» أى صدقوا الرسل «وعملوا» قال الحرالى : من العمل و هو فعل بُنى على علم[9] أو زعمه «الصلحت» من الأقوال و الأفعال ، قال الحرالى : جمع صالحة ،

(١) العبارة من هنا إلى «انكأ» ليست فى ظ .

(٢) فى م و مد : بيان .

(٣) فى م و مد : المنكر .

(٤) من م و مد ، و فى الأصل : اتكا .

(٥) و فى البيضاوى : هيأت لهم و جعلت عدة (و العدة ما أعددت لحوادث الدهر من المال و السلاح) و قوله «اعدت للكفرين» دل على أن النار مخلوقة معدة لهم الآن - انتهى .

(٦) لفظة «ما» زيدت من م و مد .

(٧) زيد فى م و مد : على لسان نبى الرحمة .

(٨) فى م : عيب - كذا بالعين المهملة .

(٩) فى م : عمل .

و هو العمل المتحفظ به من مداخل الخلل فيه، و إذا كانت البشرى لهؤلاء فالمؤمنون أحق بما فوق البشرى، و إنما يبشر من يكون على خطر، و المؤمن مطمئن فكيف بما فوق ذلك من رتبة الإحسان إلى ما لا عين رأت و لا أذن سمعت، و ما لا يناله[2] علم نفس و لا خطر على قلب بشر.

٥ و لما ذكر المبشر اتبعه المبشر[3] به فقال[4]: «ان لهم جنّت» أي متعددة، قال الحرالي: لتعدد رتب أفعالهم التي يطابق الجزاء ترتبها و تعددها [كما -[5]] قال عليه الصلاة و السلام للتي[6] سألت عن ابنها: إنها جنان و إن

---

(١) من م و مد، و في ظ: لهم، و الأصل مطموس.

(٢) في م: يباله - كذا.

(٣) ليس في ظ فقط.

(٤) قال النسفي: سنة الله في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف و تثبيطا عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار و أعمالهم و أوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين و أعمالهم و تبشيرهم بقوله: «و بشر» الآية، و البشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به، و المأمور بقوله «و بشر» الرسول عليه السلام أو كل أحد، و هذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه و فخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة - انتهى. و الصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم، و الصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل و الكتاب و السنة - تفسير النسفي ج ١ ص ٢٧.

(٥) زيد من م و مد، و ليس في ظ، و لا يتضح في الأصل.

(٦) و هي أم حارثة بن سراقة اتت النبي صلى الله عليه و سلم فقالت: يا نبي الله! ألا تحدثني عن حارثة؟ و كان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فان كان =

انك

ابنك أصاب الفردوس الأعلى . و في التعبير بلهم إشعار بأن[1] ذلك الذى لهم ينبغى لحاقه[2] بذواتهم ليحصل به من كمال أمرهم و صلاح حالهم نحو مما يحصل بكمال خلقهم و تسويتهم . و الجنات[3] مبتهجات للنفوس تجمع ملاذ جميع حواسها، تُجن المتصرف فيها أى تخفيه[4] و تجن وراء نعيمها مزيدا دائما - انتهى . ٥

ثم وصفها بأنها « تجرى »[5] قال الحرالى: من الجرى و هو إسراع

= فى الجنة صبرت و إن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء؛ قال : يا أم حارثة ! إنها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى - أخرجه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ج ١ ص ٣٩٤ .

(١) فى ظ : بانه .

(٢) و فى م : لحاقهم ، و فى ظ : لحاق .

(٣) فى تفسير النسفى: الجنة البستان من النخل و الشجر المتكاثف ، والتركيب دائر على معنى الستر ، و سميت دار الثواب « جنة » لما فيها من الجنان ؛ و معنى جمع الجنة و تنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها و هى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين ، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان .

(٤) فى م : تحفيه - كذا .

(٥) « تجرى من تحتها الانهر » المراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية ؛ و أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود ، و أنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة و الأنهار فى خلالها مطردة ، و الجرى الاطراد ؛ و الماء الجارى من النعمة العظمى و اللذة الكبرى ، و لذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها - انتهى .

حركة الشيء و دوامها، «من تحتها» أي من تحت غرفها، و التحت ما دون المستوى، «الانهر» جمع نهر، و هو المجرى الواسع للماء - انتهى. [1]فاسناد الجرى إليها مجاز، و التعريف لما عهده السامع من الجنس[1] و يحتمل أن يكون المعنى أن أرضها منبع الأنهار، فتحت كل شجرة و غرفة منبع ٥ نهر، فهى لا تزال غضّة يانعة متصلة الزهر و الثمر لا كما يجلب إليه الماء و ربما انقطع فى وقت فاختلّ بعض أمره. قال الحرالى: و إذا تعرف حال العامل من وصف جزائه علم أن أعمالهم كانت مبنية على الإخلاص الذى هو حظ العاملين من التوليد الذى الماء آيته - انتهى.

فلما كانت الجنان معروفة بالثمار ساق وصفها بذلك مساق ما لا ١٠ شك[2] فيه بخلاف جرى الأنهار فقال: «كلما» و هى كلمة تفهم تكرر الأمر فى عموم الأوقات «رزقوا منها من ثمرة» أيّ ثمرة كانت رزقا «قالوا» لكونه على صورة ما فى الدنيا «هذا» [1] أى الجنس لاستحكام الشبه[1] «الذى رزقنا من قبل» أى فى الدنيا، [3] و لما كان الرزق[4] معلوما و لم يتعلق غرض[5] بمعرفة[6] الآتى بالرزق بُنيا للمجهول فقال تعالى عاطفا

(١ - ١) ليست فى ظ.

(٢) فى م: وصف.

(٣) ليست العبارة من هنا إلى «كأنه واحد» فى ظ.

(٤) من م، و فى الأصل و مد: الرازق - كذا.

(٥) ليس فى مد.

(٦) فى مد: لعرفه.

على ما تقديره لأنا خلقناه على شكل ما كان ليكونوا به أغبط و لمزيته أعرف و له أقبل و إليه أميل موحدا للضمير إشارة إلى أنه لاستحكام الشبه كأنه واحد «و اتوا به» أي[1] جيء لهم [2]بهذا الجنس المرزوق لهم فى الدارين فى الجنة[2] من غير تطلب و تشوق «متشابها» فى مطلق اللون و الجنس ليظن أنه متشابه فى الطعم، فيصير فضله فى ذلك بالذوق نعمة أخرى[3] ٥ و التشابه المراد هنا اشتراك فى ظاهر الصورة، [4] و الإتيان بأداة التكرار يدل على أن الشبه يزداد عظمة[5] فى كل مرة فيزداد العجب و جعل الحرالى[6]

---

(١) زيد فى م و مد: و.

(٢ - ٢) كذا فى الأصل و م و مد، ولكن ضرب عليه فى م، و فى ظ: به، و زيد بعدها فى م و مد: وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما و غيره، و زيد بعدها فى مد: الجنس المرزوق لهم فى الدارين فى الجنة.

(٣) وفى تفسير النسفى: كلما رزقوا من الجنات أىّ من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك. و المعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل و شبهه بدليل قوله «واتوا به متشابها» كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة - تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته؛ و إنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لأن الإنسان بالمألوف آنس و إلى المعهود أميل، و لأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد و رأى فيه مزية ظاهرة و تفاوتا بينا كان استعجابه أكثر و استغرابه أوفر، و المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه.

(٤) ليست العبارة من هنا إلى «العجب» فى ظ.

(٥) زيد بعده فى مد: مرة.

(٦) زيدت فى م: الجنس المرزوق لهم فى الدارين فى الجنة، و ليس هذا موضعها.

هذا خاصا بثمار الجنة فقال: من قبل إعلام بأن أشخاص ثمر الجنة وآحادها لا تمايز[1] لأنها على أعلى صورتها لا تتفاوت بأعلى و أدنى و لا يتراخى زمان عودها ، فهى تتخلف لآنِ قطفها و لا تمايز[1] صور المقطوف من الخالف حتى يظن القاطف أن المتخلف عين الأول؛ فحال

٥ ثمر الجنة كحال الماء الذى هو أصله، و بسرعة الخلف من ثمر الجنة و أنه متصل جرية[2] الوجود قال عليه السلام فى عنقود من ثمرها: لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا . و يشعر ذلك عند اعتبار العمل به بأن نياتهم فى الأعمال صالحة ثابتة مرابطة حتى جرّوا[3] بها هذا الاتصال و كمال الصورة فى الرزق[4] و منه [5]حديث مرفوع أخرجه الطبرانى عن سهل بن

١٠ سعد[5]: نية المؤمن خير من عمله . « و اتوا به متشابها[6] » أظهر عذرهم فى توهم

(١) من مد، و فى الأصل و م و ظ : يتمايز .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : جزية .

(٣) هكذا فى الأصل ، و فى م و مد: جزوا ، و فى ظ : خيروا .

(٤) فى مد: الذوق .

(٥ - ٥) من هامش ظ ، و ليست فى م و مد ، و ثبتت فى الأصل بين السطرين بعد « عمله » .

(٦) و قال المهائمى فى تفسيره المسمى تبصير الرحمن و تيسير المنان : « الانهٰر » جمع نهر ، و هو المجرى الواسع مما أجروا من أنهار الحكمة إلى ألسنتهم ثم إلى العالم و « كلما رزقوا منها » من تلك الجنات « من ثمرة رزقا » حقيقيا حسا أو عقليا أو خياليا « قالوا هذا » جزاء « الذى رزقنا من قبل » من المقامات والأحوال التى هى ثمرات الإيمان والأعمال «و» لما كانت لكل عمل ثمرات =

اتحاد

اتحاد الثمر و عرف بأمنتهم من العنا ، لأنه لو تفاوت تبعه الكراهة للأدنى و تكلف [1]للانتقاء للأعلى[1] و ذلك إنما هو لائق بكيد الدنيا لا بنعيم الجنة، و قد ذكر بعض العلماء[2] اطراد هذا التشابه فى ثمر الجنة و إن اختلفت أصنافه[3] ، و يضعفه ما يلزم منه كمال الدلالة فى المعنى و الصورة فى نحو

= متشابهة يفضل بعضها بعضا « اتوا به متشابها » يشبه بعضه بعضا فى الصورة مع التفاوت فى اللذات ـ انتهى كلامه . و فى التفسير المظهرى : « هذا » إشارة إلى نوع ما رزقوا المستمر بتعاقب أفراده « من قبل » أى من قبل هذا يعنى فى الدنيا جعلت متشابهة بثمار الدنيا كيلا يتنفر الطبع عن غير المألوف و يظهر المزية ، وقيل الثمار فى الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم والداعى لهم على تكرار هذا القول كلما رزقوا تبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه العظيم فى الصورة . « واتوا به » بالرزق « متشابها» يعنى ثمار الجنة كلها خيار لا رذالة فيها .

(١ - ١) فى م : الانتقا لاعلى ، و فى مد : الانتقاء الاعلى ـ كذا .

(٢) و فى التفسير المظهرى للقاضى محمد ثناء الله العثمانى المظهرى : روى البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد و التسبيح كما يلهمون النفس ، طعامهم جشاء و رشحهم المسك ـ رواه مسلم؛ وللآية محمل آخر أن يكون المعنى هذا ثواب الذى رزقنا من قبل فى الدنيا من المعارف و الأعمال ، نظيره فى الوعيد « ذوقوا ما كنتم تعملون » روى الترمذى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، و إنها قيعان ، و إن غراسها هذه ـ يعنى التسبيح و التحميد والتكبير . قوله تعالى « و اتوا به متشابها » أى مماثلا لمعارفهم و طاعاتهم فى الشرف =

قوله تعالى «فيهما فاكهة و نخل و رمان[1]» و ما يجرى مجراه - انتهى .

و لما [2]ذكر المسكن الذى هو محل اللذة و اتبعه المطعم المقصود بالذات و[2] كانت لذة الدار لاتكمل إلا بأنس الجار [2]لا سيما المستمتع به[2] قال «و لهم فيها» أى مع ذلك «ازواج» [3]و لما كن على خلق واحد ٥ لا نقص فيه أشار إليه بتوحيد الصفة ، و أكد ذلك بالتعبير بالتفعيل إلماما بأنه عمل فيه عمل ما يبالغ فيه بحيث لا مطمع فى الزيادة فقال «مطهرة» . قال الحرالى : و الزوج ما لا يكمل المقصود من الشيء إلا معه على نحو من الاشتراك و التعاون[4] ، و التطهير[5] /٤٦ تكرار إذهاب مجتنب بعد مجتنب عن الشيء ؛ و لما ذكر تعالى الرزق المستثمر من أعمال ١٠ الذين آمنوا وصل به ذكر الأزواج المستثمرة[6] من حال نفوسهم من

= و المزية متفاوتا على حسب تفاوت أعمالهم . (٣) فى ظ فقط : اضافنه ـ كذا .

(١) سورة ٥٥ آية ٦٨ .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ .

(٤) و فى التفسير المظهرى : الزوج يقال للذكر والأنثى ، و فى الأصل يقال لما له قرين من جنسه كزوج الخف .

(٥) و فى تفسير النسفى : «مطهرة» من مساوى الأخلاق ، لا طمحات و لا مرحات ، أومما يختص بالنساء من الحيض و الاستحاضة ، و ما لا يختص بهن من البول و الغائط و سائر الأقذار و الأدناس . و لم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان ، و لم يقل : طاهرة ، لأن مطهرة أبلغ ، لأنها تكون للتكثير ؛ و فيها إشعار بأن مطهرا طهرهن ، وما ذلك إلا الله عز و جل .

(٦) فى م : المستمرة ـ كذا .

حسن أخلاقها و جمال صورتها الباطنة فى الدنيا، و كانت المرأة زوج الرجل لما كان لا يستقل أمره فى النسل و السكن إلا بها - انتهى .

و لما كان [1]خوف الزوال أو الانتقال إلى أدنى منغصًا فلا[1] تروق[2] اللذة[3] إلا مع الاستقرار [4]و كان هذا الوصف عاما فى جميع الجنان العلى و غيرها قال مقدما للجار إشارة إلى أنهم لا يكونون فى جنة إلا و هذه ٥ صفتها و أن نعيمهم لا آخر له[4] « و هم فيها »[5] و لما أفاد تقديم الظرف تخصيص الكون بها و عدم الكون فى غيرها و كان ذلك معنى الخلود و كان قد يطلق على الإقامة بلا نهاية و على طول الإقامة و إن كان له آخر صرح به بيانا بأن المراد ما لا آخر له و إلا لم يفد شيئا جديدا فقال « خلدون »[6]

(١-١) فى ظ : ذلك الأمر لا . و فى م « جوف » مكان « خوف » و « و » مكان « او » و « ولا » مكان « فلا » .

(٢) فى م : تذوق .

(٣) ليس فى ظ .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) العبارة من هنا إلى « جديدا فقال » ليست فى ظ و م ، و قد ضرب عليها فى الأصل ولكن السياق يقتضيها فأثبتناها .

(٦) قال البيضاوى : واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن و المطاعم و المناكح على ما دل عليه الاستقراء و كان ملاك ذلك كله الثبات و الدوام فان كل نعم جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها و مثّل ما أعد لهم فى الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها و أزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم و السرور .

و الخلود[1] طول الإقامة بالقرار، و سياق الامتنان أغنى[2] عن تقييده بالتأييد و الدوام .

و لما ثبت بعجزهم عن المعارضة أن هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت أن ما فيه من الأمثال أقواله فهددهم فى هذه السورة المدنية على العناد
٥ و تلاه بالآية التى أخبر فيها بأن ثمار الدنيا و أزواجها و إن شابهت ما فى الجنة بالاسم و بعض الشكل فقد باينته بالطعوم و الطهارة و ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى فاضمحلت نسبتها إليها، و كان فى ختم الآية بخلدون إشارة إلى أن الأمثال التى هى أحسن كلام الناس و إن شابهت أمثاله سبحانه فى الاسم و دوام الذكر فلا نسبة لها إليها لجهات لا تخفى[3]
١٠ على المنصف فلم يبق إلا طعنهم بأنها لكونها بالأشياء الحقيرة لا تليق بكبريائه فبين حسنها و وجوب الاعتداد بها و إنعام النظر فيها بالإشارة بعدم الاستحياء من ضربها لكونها حقا إلى أن الأشياء كلها و إن عظمت حقيرة بالنسبة إلى جلاله و عظمته و كماله ، فلو ترك التمثيل بها لذلك

(١) و الخلد و الخلود فى الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم ، و لذلك قيل للأثافى و الأحجار : خوالد ، لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات و السنن - انتهى . و قال على المهائمى فى تفسيره : « و هم فيها خلدون » لغلبة الروحانية على أجسامهم و بقاء هيئات الإيمان و الأعمال على أرواحهم و قلوبهم - انتهى كلامه .

(٢) فى م : اغنى - كذا .

(٣) فى ظ : لا يخفى .

لانسد ذلك الباب الذى هو من أعجب العجاب[1] فقال تعالى على طريق ٥ الاستنتاج[2] من المقدمات المسلمات[3] و أكد سبحانه دفعا لظن أنه يترك لما لبّسوا[4] به الأمثال التى هى أكشف شيء للاشكال و أجلى فى[5] جميع الأحوال[6]. و قال الحرالى: لما كانت الدعوة تحوج مع المتوقف[7] فيها

---

(١) و فى م: العجايب .

(٢) و فى م: الاستفتاح ، و ما فى الأصل هو الظاهر .

(٣) العبارة من هنا إلى « الاحوال » ليست فى ظ .

(٤) فى م و مد: لسوا - كذا . (٥) فى م: من .

(٦) قال البيضاوى و اجاد فى قوله: لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه و ما هو الحق له و الشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق به التمثيل فى العظم و الصغر و الخسة و الشرف دون الممثل فان التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له و رفع الحجاب عنه و إبرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل و يصالحه عليه ، فان المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم ، لأن من طبعه ميل الحس و حب المحاكاة ، و لذلك شاعت الأمثال فى الكتب الإلهية و فشت فى عبارات البلغاء وإشارات الحكماء ، فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم و إن كان الممثل أعظم من كل عظيم لاما قالت الجهلة من الكفار لمّا مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين و أصحاب الصيب و عبادة الأصنام فى الوهن و الضعف ببيت العنكبوت ، و أيضا لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحى منزل و رتب عليه وعيد من كفر به و وعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال « ان الله لا يستحى » أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى أن يمثل بها لحقارتها - انتهى كلامه .

(٧) فى ظ: التوقف .

و الآبي لها إلى تقريب للفهم بضرب الأمثال و كانت هذه الدعوة جامعة الدعوات وصل بها هذه الآية الجامعة لإقامة الحجة فى ضرب الأمثال و أن ذلك من الحق سبحانه « و الله لايستحي من الحق[1] » [2]و ليختم[3] ذكر ما تضمنه صدر السورة من الحروف[4] التى أنزل عليها القرآن
٥ بسابعها الذى هو حرف المثل ، و بين تعالى أن مقدار الحكمة الشاهد للمثل[5] فى البعوضة و فيما هو أظهر للحس و آخذ[6] فى العلم ، و إنما يجب الالتفات للقدر لا للمقدار و لوقع[7] المثل[8] على ممثله قل أو جل دنا أو علا فتنزه تعالى[9] عما يجده الخلق عندما ينشأ من بواطنهم و همهم أن يظهروا أمرا[10] فيتوهمون فيه نقصا فيرجعهم ذلك عن إظهاره قولا أو فعلا -
١٠ انتهى . فقال[11] تعالى « إن الله » أى المحيط بكل شيء جلالا و عظمة

---

(١) سورة ٣٣ آية ٥٣ .

(٢) زيد فى الأصل : «وليتضمن» ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

(٣) من ظ ، و فى الأصل : لينختم ، و فى م و مد : لينختم .

(٤) زيد فى م : الذى .

(٥) فى ظ : للمثل .

(٦) فى م و مد و ظ : احد ، و زيد فى مد : مما - كذا .

(٧) فى م : لواقع .

(٨) و فى ظ : للمثل .

(٩) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى ظ .

(١٠) فى م : امر .

(١١) قال على المهايمى فى تفسيره : و لما كان ذكر الدال على مزيد عنايته بنوع =

و كالا « لا يستحي » أى لا يفعل ما يفعله المستحي من ترك ما يستحي منه ، و الحياء[1] قال الحرالى انقباض النفس عن عادة انبساطها فى ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصا حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن « ان »[2] كلمة مدلولها ممن أجريت عليه حقيقة باطن من ذاته و علمه يتصل بها ما يظهرها ، و سيبويه رحمه الله يراها اسما ، و عامة النحاة لانعجام معناها عليهم ٥ يرونها حرفا « يضرب » من ضرب المثل و هو[3] وقع المثل على الممثل ،

= الإنسان باصلاح معاشه ومعاده بارسال الرسل ، و ذكر النحل و النمل لبيان عظيم عنايته بأحقر الأشياء حتى ألهم الأول طريق تحصيل العسل و الثانى شأن سليمان عليه السلام ، و ذكر الذباب و العنكبوت لتحقير الأصنام ضربا لهم حتى كأنهم قالوا لو دل إعجازه على أنه كلام الله دل ذكرها على أنه ليس بكلامه ، إذ لا يليق لعظمته رد الله عليهم بقوله « ان الله لا يستحى » - انتهى كلامه .

(١) قال أبو حيان الأندلسى : الحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به و يذم ، و محله الوجه ، و منبعه من القلب ، و اشتقاقه من الحياة و ضده القحة ، و الحياء و الاستحياء و الانخزال و الانقماع و الانقلاع متقاربة المعنى فتنوب كل واحدة منها مناب الأخرى . و قال النسفى : و لا يجوز على القديم التغير و خوف الذم و لكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه ، و يجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا : أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب و العنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة و إطباق الجواب على السؤال ؛ وهو فن من كلامهم بديع - انتهى .

(٢) قال البيضاوى : و « ان » بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه .

(٣) و ضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم ، و أصله وقع شيء على آخر .

لأن أصل[١] الضرب وقع شيء على شيء، و المعنى أن يوجد الضرب متجددا[٢] مستمرا و هذا لا يساويه أن يقال من ضربه[٣] مثلا، فانه يصدق لمثل واحد سابق أو لاحق، و تحقيقه أن المصدر لايقع[٤] إلا على كمال الحقيقة من غير نظر إلى زمان[٥] و لا غيره و أما بفعل[٦] فانه يفهم إيقاع الحقيقة من غير ٥ نظر أيضا إلى زمان، و بفهمها مع[٧] النظر إلى الزمان مع التجدد[٨] و الاستمرار و مع كمال الحقيقة و قبل كمالها عند الشروع فيها و إلى هذا القيد الأخير ينظر قول الحرالي: إن الحياء من أن يضرب المثل استحياء من وقعة فى الباطن، و الحياء من ضربه المثل استحياء من إظهاره بالقول، فنفى الأصل الأبلغ[٩] الذى بنفيه[١٠] يكون نفى الضرب أحق، فليراجع هذا المعنى مع تكرار كلمة ١٠ «ان» فانها كثيرة الدور[١١] / فى القرآن جليلة قدر المعنى فى مواقعها، و إنما يجرى ‎/٤٧

(١) فى مد: امثل.

(٢) و فى م: متجرد.

(٣) فى م: ضرب.

(٤) و فى م: لا يوثر.

(٥) و فى م: الى برهان إلى برهان - كذا.

(٦) فى ظ: يفعل.

(٧) و فى م: منه.

(٨) فى م: التجدر.

(٩) فى م: كلا بلغ - كذا.

(١٠) فى م: ينفيه.

(١١) و فى م: القدر.

على ترك الالتفات إلى موقع معناها ما يقوله النحاة فى معنى التقريب إنّ أنّ و الفعل فى[1] معنى المصدر ، و الواجب فى الإعراب و البيان الإفصاح عن ترتب معانيها ، و عند هذا يجب أن تكون[2] ان اسما و الفعل صلتها نحو[3] من و ما « مثلا ما » مثل أمر ظاهر للحس و نحوه ، يعتبر به أمر خفى يطابقه فينفهم معناه باعتباره و « ما »[4] فى نحو هذا الموقع لمعنى الاستغراق، ٥ فهى هنا لشمول الأدنى و الأعلى من الأمثال - انتهى . ثم بين ذلك بقوله « بعوضة » .

و قال الحرالى : و لما كان ضرب المثل متعلقا بمثل و ممثل كان الضرب واقعا عليهما ، فكان لذلك متعديا إلى مفعولين : مثلا ما و بعوضة ، و البعوض[5] جنس معروف من أدنى الحيوان الطائر مقدارا و فيه استقلال و تمام خلقة[6] ، يشعر به معنى البعض الذى منه لفظه ، لأن البعض يوجد[7] فيه

(١) فى م : هى .

(٢) فى مد : يكون .

(٣) فى مد : مثل .

(٤) قال البيضاوى : « ما » إبهامية تزيد النكرة إبهاما و شياعا و تسد عنها طرق التقييد ، و استفهامية هى المبتدأ ، كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال قال بعده : ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل ؟

(٥) و فى م : البعوضة .

(٦) و فى ظ : خلقته .

(٧) فى مد و ظ : توجد .

جميع أجزاء الكل فهو بذلك كل، «فما فوقها» أي من[1] معنى يكون أظهر منها، و الفاء تدل على ارتباط مّا إما تعقيب و اتصال أو تسبيب، ففيه هنا إعلام بأقرب ما يليه على الاتصال و التدريج إلى أنهى ما يكون - انتهى. و المعنى أن ذلك إن اعتبر بالنسبة إليه سبحانه كان هو ٥ و أنتم و غيركم بمنزلة واحدة فى الحقارة، و إن اعتبر بالنسبة إليكم كان الفريقان بمنزلة واحدة فى أنه خلق حقير ضعيف صغير من تراب، و أما شرف بعضه على بعض فانما كان بتشريف الله له و لو شاء لعكس الحال.

ثم ذكر شأن[2] قسمى المؤمنين و الكافرين بقسمى كل منهم فى ١٠ قبول أمثاله فقال[3] مؤكدا بالتقسيم لأن حال كل من القسمين حال المنكر لما وقع للآخر[4]: «فاما»[5]، قال الحرالى: كأنها مركبة من «ان»

(١) فى البيضاوى: و معناه ما زاد عليها فى الجثة كالذباب و العنكبوت، كأنه قصد به رد ما استنكروه، و المعنى أنه لا يستحيى ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا و هو الصغر و الحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا؛ أو ما زاد عليها فى القلة كنخبة النمل لقوله عليه السلام: ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة - انتهى.

(٢) ليس فى ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى «للآخر» ليست فى ظ و مد.

(٤) فى مد: الاخر - كذا.

(٥) فى تفسير النسفى: و «اما» حرف فيه معنى الشرط و لذا يجاب بالفاء، =

دالة على باطن ذات ، «ما» دالة على ظاهر مبهم، يؤتى به للتقسيم - انتهى . «الذين آمنوا» أى بما ذكرنا أول السورة ،[1] و لما تضمن أما معنى الشرط كما فسره سيبويه بمهما يكن من شيء أجيب بالفاء فى قوله «فيعلمون[2] أنه» أى ضرب المثل «الحق» كائنا[3] «من ربهم» أى المحسن إليهم بجميع أنواع الإحسان ، و أنه ما أراد بهم إلا تربيتهم بالإحسان ٥ بضربه على عوائد فضله[4]، و أما أمثال غيره فان لم يكن فيها نوع من الباطل فلا بد فيها من ضرب من التسمح تكون به غير جديرة باسم الحق و لا عريقة فيه .

قال الحرالى : لما كان الذين آمنوا ممن بادر فأجاب و كان ضرب المثل تأكيد دعوة و موعظة لمن حصل منه توقف حصل للذين آمنوا ١٠ استبصار بنور الإيمان فى ضرب المثل ، فصاروا عالمين بموقع الحق فيه، و كما استبصر فيه الذين آمنوا استغلق معناه على الذين كفروا و جهلوه[5]

= و فائدته فى الكلام أن يعطيه فضل توكيد، و لذا قال سيبويه فى تفسيره : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب ، وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا و أنه فى معنى الشرط ؛ و فى إيراد الجملتين مصدرتين به إحماد عظيم لأمر المؤمنين و اعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق و نعى على الكافرين إغفالهم حظهم و رميهم بالكلمة الحمقاء .

(١) العبارة من هنا إلى «قوله» ليست فى ظ و مد .

(٢) زيد فى م و مد : علما نافعا .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) زيد فى م و مد : فيقولون إذعانا و تسليما «آمنا به كل من عند ربنا» .

(٥) فى م : جهلوا ، و فى مد : جهلوا عنه .

فاستفهموا[1] عنه استفهام إنكار لموقعه - انتهى . فلذا[1] قال « و اما الذين كفروا » أي المجاهرون منهم و المساترون[2] « فيقولون » [3]أي قولا مستمرا[3] « ما ذا[4] » [5]أي الذي[5] « اراد الله » الذي هو أجل جليل « بهذا » الحقير [6]أي بضربه له[6] « مثلا » [6]أي على جهة المثلية[6] استهزاء و جهلا[7] و عنادا

٥ و جفاء[8]؛ ثم وصل بذلك ذكر ثمرته عند الفريقين جوابا لسؤال من سأل

(١) في م: فكذا . (٢) زيد في م و مد: فيجهلون ذلك .

(٣ - ٣) ليست في ظ ، و زيد بعدها في مد: اعتراضا و استهزاء .

(٤) قال علي المهائمي « فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق » أي الثابت الذي لا يمكن تبديله ، إذ لا يمكن بيان خسة الشيء بتمثيله بأعظم الأشياء « من ربهم » أي الذي رباهم بما بين لهم من مراتب الأشياء ليضعوا كل شيء موضعه ، « و اما الذين كفروا فيقولون » مع علمهم بحقيته « ما ذا اراد الله » مع غاية عظمته « بهذا » أي بجعل هذا الحقير مثلا مع أنه لا يناسب عظمته - انتهى كلامه .

(٥ - ٥) ليس في ظ .

(٦-٦) ليست في ظ .

(٧) قال أبو البركات النسفي: و سياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار و استغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار و الاستغراب ، لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى و إدناء المتوهم من المشاهد ، و لبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف و النظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه لحق وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا و عاندوا و قضوا عليه بالبطلان و قابلوه بالإنكار ، وأن ذلك سبب هدى للمؤمنين و ضلال الفاسقين .

(٨) زيد في مد: فالآية من الاحتباك . ذكر أولا العلم دليلا على حذف ضده ثانيا ، و ثانيا الاعتراض دليلا على حذف ضده أولا .

منهم فقال « يضل به كثيرا » أى منهم بأن لا يفهمهم المراد منه فيظنون بذلك الظنون . و قال الحرالى: و كان إضلالا لهم، لأن فى ضرب المثل بما يسبق لهم استزراؤه بنحو الذباب و العنكبوت الذى استزروا ضرب المثل به تطريق لهم إلى الجهالة فكان[1] ذلك إضلالا، و قدم الجواب بالإضلال لأنه مستحق المستفهم، و الإضلال التطريق للخروج ٥ عن الطريق الجادة[2] المنجية[3] - انتهى .

« و يهدى به كثيرا » أى ببركة اعتقادهم الخير و تسليمهم له الأمر يهديهم ربهم بإيمانهم فيفهمهم المراد منه و يشرح صدورهم لما فيه من المعارف فيزيدهم به إيمانا و طمأنينة و إيقانا[4]، و المهديون[5] كثير فى الواقع قليل بالنسبة إلى الضالين . و لما كان المقام للترهيب كما مضى فى قوله ١٠ « فاتقوا النار » اكتفى فى المهتدين بما سبق[6] من بشارتهم و قال فى ذم القسم الآخر و تحذيره: « و ما يضل به الا »، قال الحرالى : كأنها مركبة

(١) فى ظ : و كان .

(٢) فى ظ : الجارة - كذا .

(٣) فى م: المنحية .

(٤) العبارة من هنا إلى « الضالين » ليست فى ظ .

(٥) و فى تفسير النسفى: و أهل الهدى كثير فى أنفسهم و إنما يوصفون بالقلة بالقياس إلى أهل الضلال، و لأن القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة و إن قلوا فى الصورة:

إن الكرام كثير فى البلاد و إن قلوا كما غيرهم قل و إن كثروا

(٦) و فى م: سيق .

من « إن » و « لا » مدلولها نفي حقيقة ذات عن حكم ما قبلها - انتهى .
« الفسقين » أي الخارجين[1] عن العدل و الخير . و قال الحرالي : الذين خرجوا عن إحاطة الاستبصار و جهات تلقي الفطرة و العهد الموثق و حسن الرعاية ، لأن الفسق خروج عن محيط كالكمام للثمرة و الجحر[2]
٥ للفأرة - انتهى .

ثم بينهم بقوله « الذين ينقضون » من النقض[3] و هو حل أجزاء الشيء بعضها عن بعض « عهد الله » أي الذي[4] أخذه عليهم على ماله من العظمة بما ركز فيهم من العقول و نصب لهم من الدلائل و العهد التقدم في الأمر - قاله الحرالي .

---

(١) وقال البيضاوي : أي خارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى « ان المنفقين هم الفسقون » من قولهم : فسقت الرطبة عن قشرها - إذا خرجت ، وأصل الفسق الخروج عن القصد .
(٢) في ظ : الجحرة .
(٣) النقض فسخ التركيب ، و أصله في طاقات الحبل ، و استعماله في إبطال العهد من حيث أن العهد يستعار له الحبل ، لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر والعهد الموثق و وضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية و اليمين ؛ وهذا العهد إما العهد المأخوذ بالعقل و هو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده وجوب وجوده و صدق رسوله و عليه نزل قوله تعالى « و اشهدهم على انفسهم » أو المأخوذ بالرسل على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه و اتبعوه و لم يكتموا أمره و لم يخالفوا حكمه .
(٤) ليس في ظ .

[1] و لما كان المراد عهدا خاصا و هو إرسال الرسل عليهم السلام أثبت الخبر[2] فقال « من بعد ميثاقه »[3] أى بدلالة الكتب على ألسنة الرسل مع تقريبه من الفطر و تسهيله / للنظر، و الوثاق شدة الربط /٤٨ و قوة ما به يربط - قاله الحرالى . « و يقطعون ما امر الله » أى الملك الأعظم، و لما كان البيان بعد الإجمال أروع للنفس قال « به » ثم فسره[4] بقوله ٥ « ان يوصل »[5] أى من الخيرات، قال الحرالى : و القطع الإبانة فى الشيء[6] الواحد و الوصل مصيرا لتكملة مع المكمل شيئا واحدا كالذى يشاهد فى إيصال الماء و نحوه و هو إعلام بأنهم يقطعون متصل الفطرة و نحوها فيسقطون عن مستواها و قد أمر الله أن يوصل[7] بمزيد علم يتصل بها حتى يصل نشوها إلى أتم ما تنتهى إليه، وكذلك حالهم فى كل أمر ١٠

---

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٢) فى م و مد : الجار .

(٣) قال البيضاوى : الميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام، و المراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب و ما وثقوه به من الالتزام و القبول.

(٤) فى م : فسر .

(٥) يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم و الإعراض عن موالاة المؤمنين و التفرقة بين الأنبياء عليهم السلام و الكتب فى التصديق و ترك الجماعات المفروضة و سائر ما فيه رفض خير و تعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله و بين العبد المقصود بالذات من كل وصل و فصل - انتهى .

(٦) فى ظ : النفى - كذا .

(٧) من ظ ، وفى الأصل و م و مد : توصل .

يجب أن يوصل فيأتون فيما يطلب[1] فيه الأمر الأكمل بضده الأنقص - انتهى . « و يفسدون »؛[2] و لما قصر الفعل ليكون أعم قال « فى الارض» أى بالنكوب[3] عن طريق الحق . قال الحرالى[4] : و لما كانت الأرض موضوعة للنشئ منها و فيها و موضع ظهور عامة الصور الرابية[5] اللازمة ٥ الجسمية و محل تنشؤ صورة النفس بالأعمال[6] و الأخلاق وكان الإفساد نقض الصور كما قال تعالى « و اذا تولّى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد »[7]، كان[8] فعلهم فيها من نحو

---

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تطلب .

(٢) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٣) بهامش الأصل : اى الاعراض .

(٤) قال على المهائمى فى البحر المحيط « و قال الزمخشرى : الإفساد فى الأرض تهييج الحروب و الفتن ، قال : لأن فى ذلك فسادا فى الأرض و انتفاء الاستقامة عن أحوال الناس و الزروع و المنافع الدينية و الدنيوية ، قال تعالى « ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل » « اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء » و الأرض متى كثرت معاصى أهلها و تواترت قلت خيراتها و نزعت بركاتها ومنع عنها الغيث الذى هو سبب الحياة ، فكان فعلهم الموصوف أقوى الأسباب لفساد الأرض وخرابها . و قال : وليس ذكر الأرض لمجرد التوكيد بل فى ذلك تنبيه على أن هذا المحل الذى فيه نشأتكم و تصرفكم ومنه مادة حياتكم و هو سترة أمواتكم .

(٥) فوقه فى ظ : اى النامية . (٦) فى ظ : باعمال .

(٧) سورة ٢ آية ٢٠٥ .

(٨) بهامش ظ : جواب لما كانه و لما عطف عليها امر لا بدونه - كذا .

فعلهم

فعلهم فى وضع الضد السيئ موضع ضده الأكل و التقصير بما شأنه التكملة فكان إفسادا لذلك - انتهى .

و لما كان كأنه قيل: إن فعل هؤلاء لقبيح جدا فما حالهم ؟ قال « اولئك » أى الأباعد من الصواب « هم الخسرون ه » [1] أى الذين قصروا [2] الخسران عليهم، و الخسارة النقص فيما شأنه النماء - قاله الحرالى ، ٥ و من المعلوم أن هذا نتيجة ما مضى من أوصافهم . قال الحرالى : و لما كان الخاسر من كان عنده رأس مال مهيأ للنماء و الزيادة فنقصه عن سوء تدبير ، و كان أمرهم فى الأحوال الثلاث المنسوقة [3] حال من نقص ما شأنه

(١) قال النسفى : « الخسرون » أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء و القطع بالوصل و الفساد بالصلاح و العقاب بالثواب . و قال البيضاوى : الذين خسروا باهمال العقل عن النظر و اقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية و استبدال الإنكار والطعن فى الآيات بالإيمان بها و النظر فى حقائقها والاقتباس من أنوارها و اشتراء النقض بالوفاء و الفساد بالصلاح و العقاب بالثواب . قال أبوحيان: «اولئك» أى أولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة من النقض و القطع والإفساد « هم الخسرون » و فسر « الخسرون » بالناقصين حظوظهم و شرفهم و بالهالكين . قال القفال: الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا يجزى عليه .

(٢) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : قصر .

(٣) فى الأصل : المنشوقة - بالشين المعجمة ، و فى م : منسوقة ، و فى مد : المتسوقة ؛ و لا يتضح فى ظ .

النماء كانوا بذلك خاسرين فلذلك اختتمت الآية بهذا، و أشير إليهم بأداة البعد لوضعهم فى أبعد المواضع عن محل الخير - انتهى.

و لما دعا سبحانه إلى التوحيد و دل عليه و أنذر من أعرض و بشر من أقبل و ذكر حال الفريقين فى قبول الأدلة التى زبدتها[1] الأمثال و إبائها التفت إلى تبكيت المدبر لعله يستبصر، و استمر سبحانه فى دلائل التوحيد حتى قامت قيام الأعلام و نفذت نفوذ السهام حتى تخللت صميم العظام لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يبصر[2] القمر فى أسلوب مشيرا إلى البعث منبه على التخلص من الخسارة، و ما أبدع افتتاح ذلك عقب «الخسرين» بقوله على طريق التفات المغضب المستعطف المعجب! «كيف»[3]

(١) فى ظ: تربيتها.
(٢) فى م: لاتبصر، و فى ظ: لايعرف؛ و بهامش الأصل: معرّف - كذا.
(٣) قال المهائمى: ثم أشار إلى أن الكفر بكتاب الله لبيانه حقارة ما دونه بطريق التمثيل بأحقر الأشياء لئلا يعبدوا عظمة عنايته بأحقر ما للحث على عبادته كفر بالله لاستدعائه عبادة الغير دون عبادته على أن فيه تكذيب الله و تكذيب ما بين من كمال معرفته فأنكر الحالة التى يكون عليها الكفر ليكون إنكارا له بطريق برهانى. و فى البحر المحيط: قال الزمخشرى و تحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها و قد علم أن كل موجود لاينفك من حال وصفة عند وجوده و محال أن يوجد تغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهانى انتهى كلامه. قال البيضاوى: استخبار فيه إنكار وتعجيب لكفرهم بانكار حال التى يقع الكفر عليها على الطريق البرهانى لأن صدوره لاينفك عن حال وصفة فاذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده فهو أبلغ و أقوى فى إنكار الكفر من اتكفرون و أوثق لما بعده.... و المعنى أخبرونى على أى حال تكفرون - انتهى.

و قال الحرالی : لما تقدمت الدعوة للناس فأجاب مبادر و توقف متوقف فضربت الأمثال فاستدرك و آمن[1] و تمادى متماد على كفره صرف وجه الخطاب عن المواجهة من الحق تعالى و أجرى على لسان لوم و إنكار ، فجاء هذا الاستفهام لإيضاح انقطاع العذر فى التمادى على الكفر ، و جاء بلفظ كيف لقصور نظرهم على الكيفيات المحسوسة[2] فان كيف كلمة ٥ مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التى شأنها أن تدرك بالحواس ، فكأنه يقال لهم بمدرك[3] : أى حاسة تماديتم على الكفر بالله ؟ على ما تقتضيه صيغة الفعل الدائم فى « تكفرون » انتهى . و قال « بالله » أى مع ظهور عظمته و علوه[4] ، و الإنكار الموجب لنفى المنكر[5] ، كما فى قولك : أتطير بغير جناح ، يفيد أنه كان ينبغى أن يكون الكفر فى حيز الممتنع لما ١٠ على بطلانه و صحة التوحيد من الأدلة التى تفوت الحصر ، و إنكار حاله إنكار لوجوده على طريق البرهان ، لأنه إذا امتنع أن يوجد فى حال

(١) من مد ، و فى الأصل : ارمن - كذا ، و فى م و ظ : امن .

(٢) فى م : المحسوسات .

(٣) كتب فوقه فى الأصل : اى ادراك .

(٤) العبارة من هنا إلى « مطلقا » ليست فى ظ .

(٥) و فى تفسير النسفى : كيف « تكفرون » معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك : أتكفرون بالله ، و معكم ما يصرف عن الكفر و يدعو إلى الإيمان و هو الإنكار و التعجب ، و نظيره قولك : أتطير بغير جناح ؟ و كيف تطير بغير جناح ؟ و الواو فى « و كنتم امواتا » نطفا فى أصلاب آبائكم للحال و « قد » مضمرة . وقال البيضاوى : «كنتم امواتا» أى أجساما لا حياة لها عناصر و أغذية و أخلاطا و نطفا و مضغا مخلقة وغير مخلقة - انتهى .

من الأحوال امتنع وجوده مطلقا .

قال الحرالي : و اعلى هذا الخطاب فأبعدوا عن تيسيره بذكر اسم « الله » لما لم يكونوا من أهل قبول التنزل بدعوى اسم الربوبية حيث لم يكونوا ممن أجاب مبادرا و لا تاليا حسيا تشعر به آية تحقيق ضرب الأمثال . و لما ٥ جرى هذا الخطاب بذكر اسم الله أعقب بذكر الأفعال الإلهية التي هي غايات من الموت و الإحياء المعروف اللذين لاينكر الكفار أمرهما - انتهى[1] . « و كنتم » أي و الحال [2]أنكم تعلمون[2] أنكم كنتم « امواتا » بل مواتا ترابا[3] ثم نطفا . قال الحرالي : من الموت و هو حال خفاء و غيب يضاف إلى ظاهر عالم يتأخر عنه أو يتقدمه تفقد فيه خواص ١٠ ذلك الظهور الظاهرة - انتهى . و إطلاق الموت على ما لم تحله حياة مجاز ، و سرّ التعبير به التنبيه على أنه أكثر ما تكون[4] الإعادة[3] التي ينكرونها[5] مثل الابتداء ، فلا وجه أصلا لإنكارها مع الاعتراف بالابتداء ، فكيف[6] و الإعادة دونه « فاحياكم » فصرتم ذوى حس و بطش و عقل[7] . قال

(١) ليس في م و ظ .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) ليس في ظ .

(٤) في م و ظ : يكون .

(٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : ينكروها .

(٦) ليس في م .

(٧) قال البيضاوي : بخلق الأرواح و نفخها فيكم ، و إنما عطف بالفاء لأنه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي . و قال المهائمي : « و » قد عظمت عنايته بكم إذ « كنتم امواتا » أي أجساما لا حياة فيها عناصر أو أغذية أو نطفا أو مضغا =

الحرالي

الحرالى : و جاء بالفاء المشعرة / بالتعقيب لما لم يكن لهم معرفة بمهل الموت[1] الذى قبل حياة الولادة ، و الحياء تكامل فى ذات مّا أدناه حياة النبات بالنمو و الاهتزاز مع انغراسه إلى حياة ما يدب بحركته و حسه إلى غاية حياة الإنسان فى تصرفه و تصريفه إلى ما وراء ذلك من التكامل - انتهى[2] .

٥ « ثم يميتكم » بعد مد الأعمار و التقليب فى الأطوار فاذا أنتم أجساد كالفخار كأنه لم تحل بها حياة ساعة قط ، و بدلتم بعد الأنس بكم الوحشة ، و إثر محبة القرب منكم النفرة؛ و تمثيل الموت بما نعهده أن طلب الملك كما أنه يحصل به من الروع ما يكاد يتلف و ربما أتلف كان طلب ملك الملوك موجبا للموت . قال الحرالى[3] : و هذه الأحوال الثلاثة أى الموت المعبر به عن

١٠ العدم ثم الحياة ثم الموت معروفة لهم لا يمكنهم إنكارها ، و إذا صح منهم الإقرار بحياة موت لزمهم الإقرار بحياة موت آخر لوجوب الحكم بصحة وجود ما قد سبق مثله ، كما قال تعالى « او ليس الذى خلق السموٰت و الارض

= ثم أمواتا بالجهل « فاحياكم » بنفخ الأرواح فيكم و إنزال الكتب عليكم « ثم يميتكم » باذهاب صفات نفوسكم بمقتضى الكتاب و بالموت الطبيعى لا لإعدامكم بل لينقلكم إلى دار أكمل من داركم - انتهى .

(١) ليس فى ظ .

(٢) ليس فى م .

(٣) قال البيضاوى : فان قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنهم يحييهم ثم إليه يرجعون ، قلت : تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى إزاحة العذر سيما و فى الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما و هو أنه تعالى لما قدر أن أحياهم أولا قدر أن يحييهم ثانيا ، فان بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته - انتهى .

بقدر على ان يخلق مثلهم[1] » ولَدُن ذلك من العلم أن[2] الموت و الحياة مزدوجان متضايفان ، و إذا استوفى الموت الأول إحياءه فلا بد من استيفاء الموت الثانى إحياءه أيضا ، لأنه لو لا استقبال الحياة لما كان موتا بل بُطلا و فقدا و اضمحلالا[3] ، لأن حقيقة الموت حال غيب بين يديه ٥ ظهور ، و الحياة نهاية ثابتة ، و الموت مبدأ غيب زائل ، فجنس الموت كله متقض و نهاية ، و الحياة ثابتة دائمة ؛ و لذلك ورد ما صح عنه عليه الصلاة و السلام فى أن الموت يُذبح ، إعلام بانقضاء جنسه و ثبات الحياة ، و لذلك قدم فى الذكر و أعقب بالحياة حيث استغرقتهما[4] كلمة « أل » فى

---

(١) سورة ٣٦ آية ٨١ .

(٢) و قال الشربينى الخطيب فى السراج المنير : و الحياة حقيقة فى القوة الحاسة وما يقتضيها و بها سمى الحيوان حيوانا ، مجاز فى القوة النامية لأنها من طلائعها و مقدماتها ، و فيما يخص الإنسان من الفضائل كالعلم و العقل و الإيمان من حيث أنها كمالها و غايتها ، و الموت بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة ؛ مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى « قل الله يحييكم ثم يميتكم » و مثال ما يقابل المجاز قوله تعالى « اعلموا ان الله يحى الأرض بعد موتها » و قوله تعالى « ا و من كان ميتا فاحيينه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس » .

(٣) قال البيضاوى : فان قيل : كيف يعد الإماتة من النعم المقتضية للشكر ؟ قلت : لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال تعالى « و ان الدار الاخرة لهى الحيوان » كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل ، فان بعضها ماض و بعضها مستقبل وكلاهما لايصح أن يقع حالا - انتهى .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : استغرقتها - بالضمير المفرد المؤنث .

قوله « خلق الموت و الحيوة[1] » و ثبت[2] الخطاب على إقرار الحياة و الكمال، كما ورد عنه صلى الله عليه و سلم فى قوله: نعيم الجنة لا آخر له، فوجب بظاهر ما أحسه الكفار و باطن ما اقتضاه هذا النحو من العلم دونه انتشار حياة ثانية[3] بعد ميتة الدنيا - انتهى.

و لما كان على البعث و الحشر من الأدلة ما جعلهما كالمحسوسين ٥ عدهما فى حيز المعلوم لهم كالإحياء الأول و الموت فقال: « ثم يحييكم »، فينشركم بعد طيكم و يبعثكم بعد [4]حبسكم فى البرزخ، فتكونون كما كنتم أول مرة ذوى قدرة على الانتشار[4] بتلك القدرة التى ابتدأكم بها و أماتكم[5]،

(١) سورة ٦٧ آية ٢.

(٢) و فى م: اثبت.

(٣) فى مد و ظ: ثابتة.

(٤ - ٤) ليست فى ظ.

(٥) قال على المهائمى: « ثم يحييكم » بصفاته بمقتضى الكتاب و بالنشر ولا يكون كالإحياء الأول بالحجاب « ثم إليه ترجعون » بالبقاء به بعد الفناء بمقتضى الكتاب و فى الموت الطبيعى للجزاء الفارق بين الولى و العدو، و لا يترك ذلك لأنه قد خلق لكم جميع النعم فلا بد أن يسألكم عنها هل صرفتموها فيما خلقها من أجله أم لا - انتهى. و قال البيضاوى: « ثم يحييكم » بالنشور يوم نفخ الصور أو للسؤال فى القبور « ثم اليه ترجعون » بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم، أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب، فما أعجب كفركم بعد علمكم بحالكم هذه - انتهى. قال التفتازانى: ولم لا يجوز أن يراد مطلق الإحياء بعد الإماتة على ما يعم الإحياء فى القبور و النشور، ولا بعد فيه لشدة ارتباط الإحياءين و اتصالها فى الانقطاع عن أمر الدنيا - السراج المنير ص ٣٩.

[1] و هذا لا ينفى أن يكون لهم فى البرزخ إحساس بدون هذه الهيئة الكاملة [1]، «ثم اليه ترجعون» فيحشركم بعد طول الوقوف [2] للجزاء من الثواب و العقاب؛ و فى هذا كما قال الحرالى إعلام بأنهم إن لم يرجعوا إلى الله سبحانه بداعى العلم فى الدنيا فبعد مهل من الإحياء الثانى يرجعون
٥ إليه قهرا حيث يشاهدون انقطاع أسبابهم ممن تعلقوا به و يتبرأ منهم ما عبدوه من دون الله، و إنما جاء هذا المهل بعد البعث لما يبقى لهم من الطمع فى شركائهم حيث يدعونهم فلم يستجيبوا لهم، فحينئذ يضطرهم انقطاع أسبابهم إلى الرجوع إلى الله فيرجعون قسرا و سوقا فحينئذ يجزيهم بما كسبوا فى دنياهم، كما قال تعالى فى خطاب يعم كافة أهل الجزاء [2] «و اتقوا
١٠ يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون [3]» و هذا آخر خطاب الإقبال عليهم من دعوة الله لهم و لسان النكير عليهم، و لذلك كانت آية «و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله» آخر آية أنزلت فى القرآن، لأنها نهاية ليس وراءه قول يعم أهل الجزاء؛ و الرجع [4] عود

(١ - ١) ليست فى ظ .
(٢) العبارة من هنا إلى «كانت آية» ليست فى ظ .
(٣) سورة ٢ آية ٢٨١ .
(٤) و فى البحر المحيط: و الرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة التى للبعث، فدل ذلك على أن تلك الحياة المذكورة هى للمسألة، و قيل إن الهاء فى قوله «اليه» عائدة على الإحياء المدلول بقوله «فاحياكم» (و شرح) هذا أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التى كنتم عليها فى ابتداء الحياة الأولى من كونكم لا تملكون أنفسكم شيئا .

الشيء عند انتهاء غايته إلى مبدئها - انتهى .

و لما أجمل سبحانه في أول[1] هذه الآية أول أمرهم و أوسطه و آخره[2] على الوجه الذي تقدم أنه منبه على أن الكفر ينبغي أن يكون من قبيل الممتنع[3] لما عليه من باهر[4] الأدلة شرع[5] يفصله على وجه داع لهم إلى جنابه[6] بالامتنان بأنواع الإحسان [7]بأمر أعلى في إفادة المقصود مما قبله ٥ على عادة القرآن في الترقي من العالي إلى الأعلى فساق[8] سبحانه ابتداء الخلق الذي هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما فيه من منافعهم ليكون داعيا إلى توحيده من وجهين: كونه دالا

(١) ليس في م و ظ ، و كتب في الأصل فوق « في » ، و زيد بعد « في » في متن مد .

(٢) العبارة من هنا إلى « الادلة » ليست في ظ .

(٣) في م : التمتع .

(٤) و في م : تاثير .

(٥) في ظ : بشرع .

(٦) في ظ : جنانه .

(٧) العبارة من هنا إلى « الاعلى » ليست في ظ .

(٨) قال أبو حيان في البحر المحيط : مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة و هو أنه لما ذكر أن من كان منشئا لكم بعد العدم و مفنيا لكم بعد الوجود و موجدا لكم ثانية إما في الجنة و إما إلى نار كان جديرا أن يعبد و لا يجحد و يشكر و لا يكفر ، ثم أخذ يذكرهم عظيم إحسانه و جزيل امتنانه من خلق جميع ما في الأرض لهم و عظيم قدرته و تصرفه في العالم العلوي و أن العالم العلوي و العالم السفلي بالنسبة إلى قدرته على السواء و أنه عظيم بكل شيء .

على عظمة مؤثرة وكمال قدرته، وكونه إحسانا إلى عباده ولطفا بهم، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فقال[1] «هو»[2]، قال الحرالي: وهي كلمة مدلولها العلي[3] غيب الإلهيـــة القائم بكل شيء الذي لا يظهر لشيء، فذاته أبدا غيب، وظاهره الأسماء المظهرة من علو إحاطة اسم ٥ الله إلى تنزل اسم الملك، فما بينهما من الأسماء المظهرة، ثم قال: لما انتهى الخطاب بذكر إرجاعهم إلى الله وكان هذا خطابا خاصا مع المتمادي على كفره اتبع عند إعراضه وإدباره بهذا الحتم[4] تهديدا رمى به بين أكتافهم[5] وتسبيبا نيط بهم ومُدّ لهم كالمرخي له في السبب[6] الذي يراد

(١) ليس في ظ.

(٢) أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام: مظهرات ومضمرات ومستترات، فالمظهرات أسماء ذات وأسماء صفات وهذه كلها مشتقات وأسماء الذات مشتقات هي كثيرة وغير مشتق واحد وهو الله، فالله أعظم أسمائه المظهرات الدالة على الذات، ولفظة هو من أعظم أسمائه المظهرات والمضمرات للدلالة على ذاته، وينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة من حيث هو هو، فلفظة هو توصلك إلى الحق وتقطعك عما سواه - من يريد زيادة التحقيق فليطلب فيه ج ١ ص ١٣٣.

(٣) من ظ ومد، وفي الأصل وم: للعلي.

(٤) هكذا في الأصل وظ بالحاء المهملة، وفي م: الختم - كذا بالخاء المعجمة، ولا يتضح في مد.

(٥) في م: اكنافهم.

(٦) زيد في م: الحبل.

أن يجذب / به ، إما بأن يتداركه لطف فيرجع عليه طوعا ، أو يراد به /٥٠
قسرا عند انتهاء مدى إدباره ، و انتظم به ختم آية الدعوة بنحو من
ابتدائها ، إلا أن هذه على نهاية الاقتطاع بين طرفيها و تلك على أظهر
الاتساق ؛ فأبعدوا فى هذه كل البعد باسناد الأمر إلى اسم هو الذى
هو غيب اسم الله و أسند إليه خلق ما خلق لهم فى الأرض الذى هو ٥
أظهر شيء للحس - انتهى .

« الذى خلق لكم »[1] [2]دينا و دنيا[2] لطفا بكم « ما فى الارض » أى[3] بعد
أن سواهن سبعا ، قال الحرالى : و قوله « جميعا » إعلام بأن حاجة
الإنسان لاتقوم بشيء دون شيء و إنما تقوم بكلية ما فى الأرض حتى
لو بطل منها شيء تداعى سائرها - انتهى . [4]و الآية دليل على أن الأصل ١٠
فى الأشياء الإباحة ، فلايمنع شيء إلا بدليل[4] .

(١) و فى البحر المحيط : و « لكم » متعلق بخلق ، و اللام فيه قيل للسبب أى لأجلكم و لانتفاعكم و قدر بعضهم : لاعتباركم ، و قيل للتمليك و الإباحة ، فيكون التمليك خاصا و هو تمليك ما ينتفع الخلق به و تدعو الضرورة إليه ، و قيل للاختصاص وهو أعم من التمليك ؛ والأحسن حملها على السبب فيكون مفعولا من أجله ، لأنه بما فى الأرض يحصل الانتفاع الدينى والدنيوى ، فالدينى النظر فيه و فيما فيه من عجائب الصنع ولطائف الخلق الدالة على قدرة الصانع وحكمته و من التذكير بالآخرة و الجزاء ، و أما الدنيوى فظاهر ، و هو ما فيه من المآكل و المشرب و الملبس و المنكح و المركب و المناظر البهية و غير ذلك .

(٢-٢) ليس فى ظ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤-٤) ليست فى م و ظ .

و لما كانت السماء[1] أشرف من جهة العلو الذى لا يرام ، و الجوهر البالغ فى[2] الأحكام ، و الزينة[3] البديعة النظام ، المبنية على المصالح الجسام ، و كثرة المنافع و الأعلام ، عبر فى أمرها بثم فقال[4] : « ثم استوى إلى السماء » ، أى [5]و شرف على ذلك جهة العلو بنفس الجهة و الحسن و الطهارة و كثرة المنافع ، ثم علق إرادته و مشيته بتسويتها من غير أدنى عدول و نظر إلى غيرها ، و فخم أمرها بالإبهام ثم التفسير ، و الإفراد[6] الصالح لجهة العلو

(١) ليس فى م .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) و فى ظ : الرتبة .

(٤) قال أبو حيان فى النهر من البحر : ثم ذكر تعالى عظيم قدرته فى العالم العلوى أنه و العالم السفلى بالنسبة إلى قدرته على السواء و أن علمه محيط بكل شىء و « ثم » تقتضى التراخى فى الزمان و لا زمان ولما كان بين خلق الأرض و السماء أعمال من جعل الرواسى و السمك و تقدير الأقوات عطف بثم ، إذ بين خلق الأرض و ما فيها و بين الاستواء تراخ و إن لم يقع ذلك فى زمان . و قال فى البحر المحيط : و معنى التسوية تعديل خلقهن و تقويمه و إخلاؤه من العوج و الفطور ، أو إتمام خلقهن و تكميله من قولهم : درهم سواء ، أى وزن كامل تام ، أو جعلهن سواء من قوله « اذ نسويكم برب العٰلمين » أو تسوية سطوحها لا ملاس . قال الزمخشرى : والضمير فى « فسوٰهن » ضمير مبهم و « سبع سمٰوٰت » تفسيره كقوله : ربه رجلا - انتهى كلامه .

(٥) العبارة من هنا إلى « ثم » ليست فى ظ و مد ، و لفظ « ثم » فقط ليس فى م .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لافراد .

تبيها

تنبيها على الشرف ، و للجنس الصالح للكثرة ، و لذلك أعاد الضمير جمعا ، فكان خلق الأرض و تهيئتها لما يراد منها قبل خلق السماء ، و دحوها[1] بعد خلق السماء ؛ على أن ثم[2] للتعظيم لا للترتيب فلا إشكال ، و تقديم الأرض هنا لأنها أدل لشدة الملابسة و المباشرة . و[3] قال الحرالى : أعلى الخطاب بذكر الاستواء إلى السماء الذى هو موضع التخوف لهم لتنزول[4] ٥ المخوفات منه عليهم فقيل لهم : هذا المحل الذى تخافون[5] منه هو استوى إليه ، و يجرى لفظ الاستواء فى الرتبة و المكانة أحق بمعناه من موقعه فى المكان و الشهادة ؛ و بالجملة فالأحق بمجرى الكليم وقوعها [6]نبأ عن[6] الأول الحق ، ثم وقوعها نبأ[7] عما فى أمره و ملكوته ، ثم وقوعها نبأ[7] عما فى ملكه و اشهاده ؛ فلذلك حقيقة اللفظ لا تصلح[8] أن تختص بالمحسوسات البادية فى الملك دون ١٠ الحقائق التى من ورائها من عالم الملكوت ، و ما به ظهر الملك و الملكوت من نبأ[7] الله عن نفسه [9]من الاستواء[9] و نحوه[10] فى نبأ الله عن نفسه أحق

---

(١) وقع فى م : دخومها - كذا مصحفا .

(٢) قال النسفى : و « ثم » هنا لبيان فضل خلق السماوات على خلق الأرض ، و لا يناقض هذا قوله « و الارض بعد ذلك دحٰها » لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء ، و أما دحوها فمتأخر .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى ظ : تزول .

(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يخافون .

(٦-٦) و فى م : بنأ على .

(٧) فى م : بنا .

(٨) فى مد : يصلح .

حقيقة، ثم النبأ به عن الروح مثلا و استوائها على الجسم ثم على الرأس مثلا و استوائه على الجثة فليس تستحق الظواهر حقائق الألفاظ على بواطنها بل كانت البواطن أحق باستحقاق الألفاظ؛ و بذلك يندفع كثير من لبس الخطاب على المقتصرين بحقائق الألفاظ على محسوساتهم ٥ «فسوّيهن»[1] التسوية إعطاء أجزاء الشيء حظه لكمال صورة ذلك الشيء «سبع سمٰوٰت» أعطى لكل واحدة منهن حظها «وأوحى في كل سماء امرها»[2] - انتهى . و خلق جميع ما فيها لكم، فالآية من الاحتباك؛

= (٩ - ٩) ليست في ظ .

(١٠) قال البيضاوي : قصد إليها بإرادته من قولهم : استوى إليهم كالسهم المرسل - إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شيء، و أصل الاستواء طلب السواء، و إطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء، و لا يمكن حمله عليه تعالى لأنه من خواص الأجسام، و قيل : استوى استولى وملك ، قال شعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

و الأول أوفق للأصل و الصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليها بالفاء . و قال ثناء الله العثماني : قال ابن عباس و أكثر المفسرين من السلف : أي ارتفع إلى السماء، فهو من المتشابهات نحو «الرحمن على العرش استوى» . و ذكر أبو حيان في البحر المحيط في الاستواء سبعة أقوال - و قال : و هذه التأويلات كلها فرارعما تقرر في العقول من الله تعالى يستحيل أن يتصف بالانتقال المعهود في غيره تعالى و أن يحل فيه حادث أو يحل هو في حادث ؛ وسيأتي الكلام على الاستواء بالنسبة إلى العرش إن شاء الله تعالى - انتهى كلامه .

(١) قال على المهائمي : «فسوّيهن سبع سمٰوٰت» أي جعلهن سبع سماوات معتدلة =

حذف[1] أولا كون الأراضي سبعا لدلالة الثاني عليه ، و ثانيا كون ما في السماء لنا لدلالة الأول عليه ؛ و هو فن عزيز نفيس و قد جمعت فيه كتابا حسنا ذكرت فيه تعريفه و مأخذه من اللغة و ما حضرني[2] من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء و سميته « الإدراك لفن الاحتباك » .

و لما كان الخلق على هذه الكيفية دالا بالبديهة على أتم قدرة لصانعه ٥ وكان العلم بأن مبنى ذلك على العلم محتاجا إلى تأمل اغتنى في مقطع الآية بقوله « و هو بكل شيء عليم » أي فهو على كل شيء قدير . و لما ذكر

= لاعوج فيها ولا فطور ليحصل من أوضاع كواكبها السيارة الأشياء المكنونة في الأرض و خلق فيكم أسرارها أيضا ، و إنما خص السبع اغلبة تعلق الآثار السفلية بكواكبها ، و ليس في الآية نفي الزائد « و » ذلك لعلمه بربط كل شيء بسببه إذ « هو بكل شيء عليم » فيعلم ما فيها فيسهل عليه جميع أسرارها في الإنسان و يعلم أجزاء الميت فيسهل عليه جمعها لإعادته و يعلم مقدار ما يقتضي كل عمل من الجزاء و ما يقتضيه شاكر هذه النعم و كافرها فلايعمل الحكمة من راعاها في هذه الأشياء بترك الجزاء فهذا كالملجيء إلى ترك الكفر به و لو في ضمن الكفر ؛ ثم أشار إلى أنه إنما خلق له ما في الأرض جميعا و سوى له السماوات السبع لأنه جامع لأسرار الله و أسرار العالم صالح لخلافته عليهم - انتهى كلامه .

(٢) سورة ٤١ آية ١٢ .

(١) من حذف الشيء هيأه و صنعه ، و حذف شعره طرره و سواه ، و هو أن يأخذ من نواحيه حتى يستوي - قطر المحيط ص ٣٧٢ وفي ظ: حدف - كذا بالدال المهملة .

(٢) في م : حضري - كذا .

الحياة و الموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما اتبعها[1] به من البعث ثم دل على ذلك أيضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع و ختم ذلك بصفة العلم ذكر ابتداء خلق هذا النوع البشرى المودع من صفة العلم ما ظهر به فضله بقوله تعالى عطفا على قوله «اعبدوا ربكم» و بيانا ٥ لقوله «رب العلمين» إذ من البدءة تعلم[2] العودة لمن تدبر، أو يكون عطفا على ما تقديره: اذكر هذا لهم، و ذلك أنه سبحانه لما خاطبهم بهذا الاستفهام الذى من معانيه الإنكار ذاكرا الاسم الأعظم الذى هو أعلى الأسماء و أبطنها غيبا و الضمير الذى «هو» أبطن منه، و اتبعه بعض ما هم له منكرون أو به جاهلون، و أشار بقوله «لكم» مثبتة فيما هو ظاهر ١٠ عندهم و محذوفة مما[3] هو خفى عنهم، كما نبه عليه فى الاحتباك إلى أنه لم يخلق[4] هذا النوع البشرى للفناء بل للبقاء بما أبان عن أنه إنما خلق جميع

(١) و فى م: اتبعها.

(٢) فى ظ: يُعلم.

(٣) فى ظ: فيما.

(٤) قال البيضاوى: و اعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات و قد برهن عليها فى هاتين الآيتين: أما الأولى فهى أن مواد الأبدان قابلة للجمع و الحياة، و أشار الى البرهان عليها بقوله «و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم» فان تعاقب الافتراق و الاجتماع و الموت و الحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها، و ما بالذات يأبى أن يزول و يتغير؛ و أما الثانية و الثالثة فانه عالم بها و بمواقعها قادر على جمعها و إحيائها، و أشار إلى وجه إثباتها بأنه تعالى قادر على إبدائهم و إبداء=

ما فى هذه الأكوان لأجلهم ، فالبعض رزق لهم و البعض أسباب له ، و البعض أسجدهم لأبيهم و هم فى صلبه و وكلهم[1] بهم فى حفظ أعمالهم و قسم أرزاقهم و نفخ أرواحهم و غير ذلك من تربيتهم و إصلاحهم ؛ لم يكونوا أهلا لفهم هذا الخطاب حق فهمه تلقيا[2] عن الله لعلوه سبحانه و علو هذا الخطاب بالأسماء الباطنة[3] و ما نظم بها من المعانى اللائقة بها ٥ علوا و غيبا فأعلم سبحانه[4] بعطف « اذ »[5] على غير ظاهر أنه معطوف على

= ما هو أعظم خلقا و أعجب صنعا فكان أقدر على إعادتهم و إحيائهم ، و أنه خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت و اختلال مراعى فيه مصالحهم و سد حاجاتهم ، و ذلك دليل على تناهي علمه و كمال حكمته جلت قدرته و دقت حكمته - انتهى كلامه .

(١) و فى م : وكله .

(٢) فى م : تلقا .

(٣) فى م : الباقية .

(٤) قال البيضاوى : تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم ، فان خلق آدم و إكرامه و تفضيله على سكان ملكوته بأن أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته . و قال أبو حيان : و إضافته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تنبيه على شرفه و اختصاصه بخطابه و هز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنسانى و ابتداء أمره و مآله ، و هذا تنويع فى الخطاب و خروج من الخطاب العام إلى الخاص ، و فى ذلك أيضا إشارة لطيفة إلى أن المقبل عليه بالخطاب له الحظ الأعظم و القسم الأوفر من الجملة المخبر بها ، إذ هو فى الحقيقة أعظم خلفائه ؛ ألا ترى إلى عموم رسالته و دعائه وجعل أفضل أنبيائه ، أم بهم ليلة إسرائه ، وجعل آدم =

نحو: اذكر لهم[1] أيها الرسول هذا، لأنه لا يفهمه حق فهمه عنا سواك،
/٥١ وهم إلى الفهم عنك أقرب / «واذ» أى واذكر ما اتفق اذ[2]، وحذف
هذا المعطوف عليه لاحتمال المأمور بذكره الإنكار[3] والسياق لإيراد
الرفق والبشارة على لسانه صلى الله عليه وسلم استعطافا لهم إليه وتحبيبا
٥ فيه وفى حذفه أيضا والدلالة عليها بالعاطف حث على تدبر ما قبله
تنبيها على جلالة مقداره ودقة أسراره، ولما علمت الإشارة لكن لأهل
البصارة اتبعها قصة آدم عليه السلام دليلا ظاهرا ومثالا بينا لخلاصة
ما أريد بهذه الجمل[4] مما[5] نبه عليه بالعاطف من أن النوع الآدمى هو
المقصود بالذات من هذا الوجود، وأنه لا يجوز فى الحكمة أن يترك بعد
١٠ موته من غير إحياء يرد به إلى دار لا يكون فى شيء من أمورها من
أحد نوع من الخلل وتكون الحكمة فيها ظاهرة جدا [6]لا خفاء بها[6]
أصلا، فيظهر الحمد أتم ظهور؛ ولذلك ذكر تفضيل[7] آدم عليه السلام[2]

= فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه، فهو المقدم فى أرضه وسمائه وفى دارى تكليفه وجزائه - انتهى. (٥) فى م: او.

(١) ليس فى ظ.

(٢) ليس فى م.

(٣) بهامش الأصل: معمول الاحتمال.

(٤) وفى ظ: الجملة.

(٥) فى ظ: ما.

(٦-٦) فى م وظ: لاخفايها - كذا.

(٧) فى م: تفصيل.

بالعلم ، ثم باسجاد الملائكة له ، ثم باسكانه الجنة ، ثم بتلقى أسباب التوبة عند صدور الهفوة ؛ و قد روى البيهقى فى أواخر الدلائل[1] و الحارث ابن أبى أسامة و الحاكم فى المستدرك عن بشر بن شغاف عن عبد الله ابن سلام رضى الله عنه قال : إن أكرم خليقة[2] الله[3] على الله أبو القاسم صلى الله عليه و سلم ، قلت : رحمك الله ! فأين الملائكة ؟ فنظر إلىّ و ضحك ٥ فقال : يا ابن أخى ! و هل تدرى ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض و خلق السماء و خلق السحاب و خلق الجبال و خلق الرياح و سائر الخلائق التى لا تعصى الله[4] شيئا ، و إن أكرم الخلائق على الله أبو القاسم صلى الله عليه و سلم . و قال البيهقى : إنه ليس بموقوف[5] بل حكمه[6] الرفع . و قال الحرالى : لما جعل الله تعالى نور العقل هاديا لآيات ما ظهر ١٠ فى الكون و كان من[7] الخلق مهتد به و معرض عنه بعث الله النبيين مبشرين لمن اهتدى بنور العقل بمقتضى الآيات المحسوسة و تلك هى الحنيفية و الملة الإبراهيمية ، و منذرين لمن أعرض عن ذلك و شغلته شهوات دنياه ،

(١) العبارة من هنا إلى « المستدرك » ليست فى ظ .

(٢) فى الأصل : خليفة .

(٣) ليس فى م .

(٤) و فى م : لربه ، و الصواب : لربها .

(٥) فى م : لموقوف .

(٦) فى م و مد : الحكمة - كذا .

(٧) فى مد : فى .

فترتب لذلك خطاب الكتاب بين ما يخاطب به الأعلين المهتدين و بين ما يخاطب به الأدنين المعرضين، و كذلك[1] تفاوت الخطاب بين ما يخاطب به الأئمة[2] المهتدين و المؤتمون بهم، فكان أعلى الخطاب ما يقبل على إمام الأئمة و سيد السادات و أحظى خلق الله عند الله محمد صلى الله عليه و سلم، ٥ فكان أول الخطاب بالّم ذلك الكتب إقبالا عليه و ايتاء له من الذكر الأول كما قال عليه السلام: أوتيت البقرة و آل عمران من الذكر الأول، و هو أول مكتوب حين كان الله و لا شيء معه، و كتب فى الذكر الأول[3] كل شيء، فخاطبه الله عز و جل بما فى الذكر الأول و أنزله قرآنا ليكون آخر[4] المنزل الخاتم[5] هو أول[6] الذكر السابق ليكون[7] الآخر الأول ١٠ فى كتابه كما هو فى ذاته، فمن حيث كان الخطاب الأول من أعلى خطاب الله لمحمد صلى الله عليه و سلم انتظم به ما هو أدنى خطاب من آيات الدعوة تنبيها لمن أعرض عن الاستضاءة بنور العقل لما بين الطرفين من

(١) فى م: لذلك، ولا يتضح فى مد.

(٢) فى الأصول: ائمة - كذا.

(٣) هكذا ثبت فى الأصل و ظ و لكن ضرب عليه فى الأصل، و ليس فى م و مد.

(٤) فى م: اول.

(٥) زيد فى م: و.

(٦) فى م: آخر.

(٧) زيد فى م: فى.

تناسب

تناسب التقابل؛ ثم عاد وجه الخطاب إليه صلى الله عليه و سلم بما هو إعلام بغائب الماضي عن كائن الوقت من أمر ابتداء مفاوضة الحق ملائكته في خلق آدم ليكون ذلك ترغيبا للبشرين في علو الرتب إلى التكامل كما كانت آية[1] الدعوة تنبيها للعرضين ليعودوا إلى الإقبال، و خصوص الإنزال إنما هو في الإنباء بغيب الكون من ملكوته و غائب أيام الله الماضية ٥ و منتظر أيام الله الآتية، فذلك الذي يخص المهتدين بنور العقل ليترقوا[2] من حد الإيمان إلى رتبة اليقين، و إنما يرد التنبيه و التنزيل بما في نور العقل هدايته من أجل المعرضين؛ فكان ما شمله التنزيل بذلك أربعة أمور: أحدها التنبيه على الآيات بمقتضى أسماء الله من اسمه الملك إلى اسمه الرحمن الرحيم إلى اسمه رب العلمين إلى اسمه العظيم الذي هو الله، و الثاني التنبيه ١٠ على غائب المنتظر الذي الخلق صائرون إليه ترغيبا و ترهيبا، و الثالث الإعلام بماضي[3] أمر الله جمعا[4] للهمم[5] للجد و الانكماش في عبادة الله، و الرابع التبصير ببواطن كائن الوقت الذي في ظاهره إعلامه؛ فكان أول التنزيل في هذه السورة أمر أول يوم من ذكر الله و هو كتب مقتضى العلم و القدر في قسمه تعالى عباده بين مؤمن و كافر و منافق، ثم أنزل الخطاب ١٥ إلى آية الدعوة من وراء حجاب الستر بسابق التقدير فعم به الناس و نبههم

---

(١) ليس في ظ.

(٢) زيد في مد: الى.

(٣) في ظ: بما مضى.

(٤) في م: جميعا.

(٥) في م: اللهم - و هو كما ترى.

على آيات ربوبيته وحيا أوحاه الله منه إليه، ثم عطف على ذلك إعلاما لابتداء المفاوضة فى خلق آدم عطفا على ذلك الذى يعطيه إفهام هذا الإفصاح، فلذلك قال تعالى «و اذ» فان الواو حرف يجمع[1] ما بعده مع شيء قبله إفصاحا فى اللفظ أو إفهاما فى المعنى، و إنما يقع ذلك لمن ٥ يعلو خطابه و لا يرتاب فى إبلاغه. و إذ اسم[2] مبهم لما مضى من الأمر و الوقت، «قال»[3] من القول و هو إبداء صور الكلم نظما بمنزلة ائتلاف الصور المحسوسة جمعا،/ فالقول مشهود القلب[4] بواسطة الأذن، كما أن المحسوس مشهود القلب[4] بواسطة العين و غيره. /٥٢

ثم قال: لما أنبأ الله عز و جل نبيه صلى الله عليه و سلم بما فى الذكر ١٠ من التقدير الذى هو خبء الشرعة و نظم به ما أنزل من دعوة الخلق إلى حكمه فانتظم ذلك رتبتى أمر نظم تعالى بذلك إنزال ذكر خلق معطوفا على ذكر خلق أعلى رتبة منه، نسبته منه كنسبة الدعوة من خبئها، فذكر خلق آدم ظاهر خبء ما عطف عليه و هو و الله أعلم ذكر خلق محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو خبء خلق آدم، فكأنه تعالى أعلم نبيه ١٥ صلى الله عليه و سلم بأمر خلقه له بدء وحى سر ثم أعلن بما عطف عليه

---

(١) فى م: بجميع.

(٢) فى ظ: انتم - كذا.

(٣) قال البيضاوى: و إذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى، و القول هو التلفظ بما يفيد و يقال بمعنى القول و للمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ، و للرأى و المذهب مجاز - انتهى.

(٤ - ٤) ليست العبارة فى ظ.

من ذكر خلق آدم وحي علن ليكون أمر خلق محمد [١]صلى الله عليه وسلم[١] عند الخاصة فهما كما كان أمر خلق آدم عند العامة إفصاحا؛ وكان المفهوم: اذكر يا محمد إذ كان في خلقك كذا وإذ قال «ربك» أي المحسن إليك برحمة العباد بك الذي خبأك[٢] في إظهار خلق آدم «للملئكة» ما أنزل، وتأويل الملائكة[٣] عند أهل العربية أنه جمع ملأك مقلوب من مألك ٥ من الألك وهي الرسالة، فتكون الميم زائدة ويكون وزنه معافلة، ويكون الملك من الملك وهو إحكام ما منه التصوير، من ملكت

(١-١) في م: عليه السلام.

(٢) في م: حباك - كذا بالحاء المهملة.

(٣) وفي البحر المحيط: الملك ميمه أصلية وهو فعل من الملك وهو القوة ولا حذف فيه وجمع على فعائلة شذوذا - قاله أبو عبيدة، وكأنهم توهموا أنه ملاك على وزن فعال وقد جمعوا فعالا للذكر والمؤنث على فعائل قليلا، وقيل وزنه في الأصل فعأل نحو شمأل ثم نقلوا الحركة وحذفوا وقد جاء فيه ملأك فيحتمل أن يكون فعألا، وعلى هذا تكون الهمزة زائدة في الكلمة وعينها، فمنهم من قال: الفاء لام والعين همزة من لاك إذا أرسل وهي لغة محكية، فملك اصله ملأك خفف بنقل الحركة والحذف إلى فعل، قال الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك   تنزل من جو السماء يصوب

فجاء به على الأصل، وهذا قول أبي عبيد واختاره أبو الفتح، وملائكة على هذا القول مفاعلة، ومنهم من قال: الفاء همزة والعين لام من الألوكة وهي الرسالة، فيكون على هذا أصله مألكا ويكون ملأك مقلوبا جعلت فاؤه مكان عينه وعينه مكان فائه، فعلى هذا القول يكون في وزنه معفلا.

العجين، وجمعه أملاك، تكون [1]فيه الميم[1] أصلية، فليكن اسم ملائكة جامعا للعنيين منحوتا من الأصلين، فكثيرا مايوجد ذلك فى أسماء الذوات الجامعة كلفظ إنسان بما ظهر فيه من أنه من الأنس و النسيان معا، وهو وضع للكلم على مقصد أفصح و أعلى مما يخص به اللفظ معنى ٥ واحدا، فللكلام رتبتان: رتبة عامة و رتبة خاصة أفصح وأعلى كَلِما و كلاما[2].

قال[3]: و فيه أى هذا الخطاب مع ذلك استخلاص لبواطن أهل الفطانة من أن تعلق بواطنهم بأحد من دونه حين أبدى لهم انفراده باظهارهم خلقا دون ملائكته الأكرمين، حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من أهل[4] الاصطفاء فكيف بمن يكون فى محل البعد و الإقصاء! توطئة[5] لقبيح[6] ١٠ ما يقع من بعضهم من اتباع خطوات الشيطان؛ و ذلك لأن فى كل آية معنى تنتظم[7] به بما قبلها و معنى تتهيأ[8] به للانتظام[9] بما بعدها؛ و بذلك

(١-١) فى ظ: الميم فيه.

(٢) زيد فى مد: و له جمع آخر بحذف الهاء، هذا أخف منه على اللسان أشهر به فكذلك عبر به فى جميع القرآن و لاحتمال هائه المبالغة.

(٣) زيد فى مد: الحرالى.

(٤) ليس فى م.

(٥) فى ظ: لتوطئه، و فى م: طوطية - كذا.

(٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لقبيح.

(٧) فى م: ينتظم.

(٨) فى ظ: يتهياء - كذا.

(٩) فى ظ: الانتظام.

كان[1] انتظام الآى داخلا فى معنى الإعجاز الذى لايأتى الخلق بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

« انى » ان حرف يفهم توكيدا من ذات نفس المؤكد و علمه ، و الياء اسم عَلِيٌ يخص المضيف إلى نفسه الذى يضيف الأشياء إليه ، « جاعل فى الأرض »[2] و لما كانت خلافة آدم عليه السلام كاملة فى جميع الأرض ٥ بنفسه و بذريته وحّد لذلك مع أنه يصح أن يراد به الجنس فقال : « خليفة » ، الخليفة[3] ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب رتبة ذلك[4] الخليفة منه ، فهو خليفة الله فى كونه مُلكه و ملكوته ، و هم أيضا بعضهم خلفاء بعض ؛ فهو خليفة بالمعنيين - انتهى .

و جعل سبحانه هذا التذكير فى سياق داع إلى عبادته و قائد إلى ١٠ محبته حيث متّ إلى هذا النوع الآدمى بنعمه عليهم و إحسانه إليهم قبل

---

(١) فى م : لان .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٣) قال البيضاوى : و الخليفة من يخلف غيره و يناب منابه ، و الهاء فيه للمبالغة ، و المراد به آدم عليه السلام ، لأنه كان خليفة الله فى أرضه ، و كذلك كل نبى استخلفه فى عمارة الأرض وسياسة الناس و تكميل نفوسهم و تنفيذ أمره فيهم ، لا لحاجة به إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه و تلقى أمره بغير وسط ، و لذلك لم يستنبئ ملكا ، كما قال تعالى « و لو جعلنه ملكا لجعلنه رجلا » .

(٤) ليس فى م .

إيجادهم[1] ، فذكر لهم ما حاجّ به ملائكته عنهم ، و ما شرف به أباهم آدم من العلم و أمر الملائكة المقربين بالسجود له ، ثم ما وقع لإبليس معه و هما عبدان من عبيده فتاب عليه و لم يتب على إبليس مع سقه له بالعبادة بل أوجب طرده و أبّد بعده فقال تعالى حكاية عن الملائكة جوابا ٥ لسؤال من كأنه قال ما قالوا حين أخبرهم سبحانه بذلك : « قالوا »[2] طالبين الإيقان على الحكمة فى إيجاد من يقع منه شر[3] « اتجعل فيها » أى فى[4] الأرض « من يفسد فيها » أى[5] بأنواع المعاصى [6] بالقوة الشهوانية[6] ، « و يسفك »

---

(١) قال البيضاوى : و فائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة ، و تعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته و لقبه بالخليفة قبل خلقه ، و إظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم و جوابه ، و بيان أن الحكمة تقتضى إيجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير - و غير ذلك . و قال المهائمى : « اذ قال ربك » أى وقت قول ربك إظهارا لفضل آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحقارة أصلا « انى جاعل فى الارض » أى التى هى محل الكون و الفساد فهو محل التصرف من عناصرها و من الروح السماوى « من يفسد فيها » لكونه من العناصر المختلفة الداعية إلى اللذات السفلية « و يسفك الدماء » إذ فيه قوة غضبية من النار .

(٢) العبارة من هنا إلى « شر » ليست فى ظ .

(٣) فى مد : شرا .

(٤) ليس فى م .

(٥) ليس فى مد .

(٦-٦) ليست فى ظ .

من السفك، [١] قال الحرالى: و هو [١] سكب بسطوة «الدماء» أى بغير حقها [١] بالقوة الغضبية [١]، لعدم عصمتهم، و خلقهم جوفا لا يتمالكون، و أصحاب شهوات عليها يتهالكون؛ و كأنهم لما رأوا صورة آدم تفرسوا فيها ذلك لو سألوا عن منافع أعضائه [٢] و ما أودع فيها من القوى و المعانى [٢] أخبرهم تعالى بما تفرسوا منه ذلك و الدم. قال الحرالى: رزق البدن ٥ الأقرب إليه المحوط[٣] فيه «و نحن» أى و الحال إنا نحن[٤]، و هذا الضمير

(١-١) ليست فى ظ.

(٢-٢) العبارة ليست فى ظ.

(٣) فى ظ: المحطوط.

(٤) قال البيضاوى: و المعنى أ تستخلف عصاة و نحن معصومون أحقاء بذلك، و المقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب و التفاخر، و كأنهم علموا أن المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهوية و غضبية تؤديان به إلى الفساد و سفك الدماء و عقلية تدعوه إلى المعرفة و الطاعة، و نظروا إليها مفردة و قالوا: ما الحكمة فى استخلافه و هو باعتبار تينك القوتين لا يقتضى الحكمة إيجاده فضلا عن استخلافه؟ و أما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد؛ و غفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة و الشجاعة و مجاهدة الهوى و الإنصاف، و لم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات و استنباط الصناعات و استخراج المنافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف.

كما قال الحرالى اسم القائل[1] المستتبع لمن هو فى طوع أمره لا يخالفه « نسبح » أى نوقع التسبيح أى التنزيه[2] لك و الإبعاد عما لا يليق بك ملتبسين فى التسبيح « بحمدك »، و الحاصل إنا نبرئك عن صفات النقص حال إثباتنا لك صفات الكمال، [3]و حذف المفعول للتعميم[3]؛ و قال الحرالى:
٥ التسبيح تنزيه الحق تعالى عن[4] بادية نقص فى خلق أو رتبة، و حمد الله استواء أمره علوا و سفلا و محو الذم عنه و النقص منه، و ذلك تسبيح أيضا فى علو أمر الله، فما سبح بالحمد إلا أهل الحمد من آدم و محمد صلى الله عليهما و سلم، فغاية المسبح الحمد، و الحمد تسبيح لمن غايته وراء ذلك الاستوا - انتهى.
١٠ « و نقدس » أى نطهر[5] كل شىء نقدر عليه من نفوسنا و غيرها،

---

(١) فى ظ: القابل - كذا.

(٢) فى م: التبريه.

(٣-٣) العبارة ليست فى ظ.

(٤) فى ظ: عند.

(٥) قال المهائمى: « و نحن » و إن لم يكن لنا جمعية « نسبح » ذاتك ملتبسا « بحمدك » على كمالاتها « و نقدس » أى ننزه صفاتك فنقول: إنها مستحقة « لك » دون غيرك، « قال انى اعلم » من تصور تسبيحكم و تقديسكم و عدم صلاحيتكم للخلافة على الكل و اقتضاء ظهور أسمائى اللطفية و القهرية. و قال النسفى: « و نقدس لك » و نطهر أنفسنا لك، و قيل: التسبيح و التقديس تبعيد الله من السوء، من سبح فى الأرض و قدس فيها إذا ذهب فيها و أبعد، « قال انى اعلم ما لا تعلمون » أى اعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم.

« لك » أى لا لغيرك[1] لعصمتنا بك ، أو المعنى نوقع التقديس / أى التطهير /٥٣
لك بمعنى أنك فى الغاية من الطهارة و العلو فى[2] كل صفة . قال الحرالى:
القدس طهارة دائمة لا يلحقها نجس ظاهر و لا رجس باطن، و اللام
تعلة للشيء لأجله كان ما أضيف به - انتهى .

و لما تضمن تفرسهم هذا نسبتهم أنفسهم إلى العلم المثمر للاحسان ، ٥
و نسبة[3] الخليفة إلى الجهل المنتج للاساءة أعلمنا سبحانه لنشكره أنه حاج
ملائكته عنا ، فبين لهم أن الأمر على خلاف ما ظنوا بقوله استئنافا :
« قال انى اعلم » أى من ذلك و غيره « ما لا تعلمون » . و قال الحرالى:
و أعلم تعالى بما أجرى عليه خلقه من القضاء بما ظهر و الحكم على الآتى
بما مضى حيث أنبأ عن ملائكته بأنهم قضوا على الخليفة فى الأرض ١٠
بحال من تقدمهم فى الأرض من الجبلة الأولين من الجن الذين أبقى منهم
عزازيل و غيرهم ليتحقق أن أمر الله جديد و أنه[4] كل يوم هو فى شأن
لا يقضى على آتى وقت بحكم ما فيه و لا بما مضى قبله - انتهى . و الأظهر[5]

(١) فى م : غيرك .
(٢) فى ظ : من .
(٣) كذا، و الظاهر : نسبت ، معطوفة على « نسبتهم أنفسهم » .
(٤) فى ظ : ان .
(٥) فى التفسير المظهرى : إن الملائكة كانوا يعلمون باخبار من الله تعالى أن
من البشر صالحين و عصاة و كفارا فلا جرم زعموا أن الملائكة أفضل منهم
لكونهم كلهم معصومين « لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون »
فاستخلافهم أولى و استخلاف البشر موجب للفساد كما وقع من شرارهم، =

ما ذكرته أنهم إنما قالوا ذلك تفرسا بحكم ما ظهر لهم من صورته و نحو ذلك من أعلامهم بأنه يجمع فيه بين الشهوة و العقل، و من المعلوم أن الشهوة حاملة على الفساد؛ و علم سبحانه ما خفي عنه من أنه يوفق من أراد منهم للعمل بمقتضى العقل مع قيام منازع الشهوة و الهوى، فيأتي ٥ غاية الكمال التي هي[1] فوق درجة العامل[2] بمقتضى العقل من غير منازع له فيظهر تمام القدرة و الله أعلم.

و لما أعلم سبحانه الملائكة أن الأمر على خلاف ما ظنوا شرع

= و لم يعلموا أن الله تعالى يستودع في قلوب بعضهم محبة ذاتية منه تعالى موجبة للعية الذاتية و المحبوبية الصرفة كما نطق به رأس المحبوبين: المرء مع من أحب - رواه الشيخان، و يكون لهم قرب و منزلة من الله لا يتصور لغيرهم بحيث يكون التقرب إلى عباد الله الصالحين موجبا للتقرب إليه تعالى. اعلم أنه قد تقرر عند الأكابر من الصوفية أن ضوء الشمس كما يتحملها الأرض لكثافتها دون غيرها من عناصر الخلق كذلك التجلي الذاتي لا يتحملها إلا عنصر التراب و أما غيرها من العناصر فلنوع من الكثافة التي فيها يتحمل التجليات الصفاتية دون الذاتية، و أما لطائف عالم الأمر فلا نصيب لها إلا من التجليات الظلية، و الإنسان لما كان مركبا من اللطائف العشرة التي هي أجزاء العالم الكبير و لم يجتمع في شيء من أفرادها إلا بعضها كان هو أهلا للخلافة و حاملا للأمانة التي عرضها الله تعالى على السماوات و الأرض و الجبال «فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا» لعظم المحمول.

(١) و في م: هو

(٢) في م: العاقل.

فى إقامة الدليل عليه فقال عاطفا على قوله «قال»: «و علم»[1] أى لإقامة الدليل على ذلك، و التعليم تكرار العلم ليثبت لما فى جبلة المعلَّم من النسيان، «ادم» من الأدم من الأديم و هو جلدة الأرض التى منها جسمه، و حظ ما فيه من أديم الأرض هو اسمه الذى أنبأ عنه لفظ آدم، «الاسماء»

(١) قال على المهائمى: «علم ادم» بخلق علم ضرورى فيه «الاسماء كلها» أى الألفاظ الدالة على الحقائق إذ هى أقل ما يفيد التمييز بينها «ثم عرضهم» أى المسميات «على الملئكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء» أى بأقل مميز لها حتى يصح دعواكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم و دعواكم «ان كنتم صدقين» فى دعواكم أنكم تسبحون الله على الإطلاق أى بجميع أسمائه و تقدسونه بها - انتهى كلامه. قال أبو البركات النسفى «و علم ادم» هو اسم أعجمى و اشتقاقهم آدم من أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب و إدريس من الدرس و إبليس من الإبلاس، «الاسماء كلها» أى أسماء المسميات، فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء، إذ الاسم يدل على المسمى و عوض منه اللام، و معنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التى خلقها و علمه أن اسمه هذا فرس و هذا بعير و هذا اسمه كذا و هذا اسمه كذا؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما: علمه اسم كل شيء حتى القصعة و المغرفة، «ثم عرضهم على الملئكة» أى عرض المسميات لأن فى المسميات العقلاء فغلبهم، و إنما استنبأهم و قد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت «فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صدقين» فى زعمكم أنى استخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء؛ و فيه رد عليهم و بيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا - انتهى كلامه.

أى التى للأشياء « كلها » . هو جمع اسم و هو ما يجمع اشتقاقين من السمة و السمو ؛ فهو بالنظر إلى اللفظ وسم و بالنظر إلى الحظ من ذات الشيء سمو ، و ذلك السمو هو مدلول الاسم الذى هو الوسم الذى ترادفه التسمية - قاله الحرالى ، و قال فى كتاب له فى أصول الفقه : الاسم يقال على لفظ التسمية و يقال على حظ و نصيب من ذوات الأشياء ، و تلك هى المعروضة على الملائكة ، و اسم التسمية يحاذى به المسمى معلومه من الشيء المسمى الذى هو الاسم المعروض ، و هو عند آدم علم و عند الملائكة و من لا يعلم حقيقة الاسم المعروض توقيف و نبأ[1] - انتهى .

(١) فى م : بنبأ - كذا . قال البيضاوى : معنى تعليمه تعالى آدم الأسماء أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة (كالقلب و الكبد و الدماغ) و قوى متباينة مستعدة لإدراك أنواع المدركات من المعقولات و المحسوسات و المتخيلات و الموهومات و ألهمه معرفة ذوات الأشياء و خواصها و أسمائها و أصول العلم و قوانين الصناعات و كيفية آلاتها - انتهى كلامه . و فى الحاشية « و المعنى أنه تعالى اندفع بذلك ما يتوهم أنه لا يظهر فضيلة آدم بذلك لأنه علم بالتعليم و لو علم الملائكة لعلموا ذلك - الخ . و قال القاضى ثناء الله العثمانى : قال أهل التفسير : المراد أسماء الخلائق ، قال البغوى قال ابن عباس و مجاهد و قتادة : علمه اسم كل شيء ، و قيل : اسم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة ... قال أهل التأويل : علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة . قلت : هذه الأقوال ليست بمرضية عندى ، فان مدار الفضل على كثرة الثواب و مراتب القرب من الله تعالى دون هذه الأمور ، و لو كان هذه الأمور مدارا لفضله لزم فضله على خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم ، فانه قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، و لم يكن عليه السلام عالما بجميع اللغات ، و عندى أن الله تعالى علم آدم الأسماء الإلهية كلها علما إجماليا ، فانه =

[1] و لما كان العرض على الملائكة بالغا في المراد أشار إلى تعظيمه بحرف التراخي فقال[1] : ثم « عرضهم » أي الأشياء . قال الحرالي : أظهرهم عن جانب و هو العرض و الناحية « على الملئكة » القائلين لذلك . و قال الحرالي : لما ذكر تعالى مراجعة الملائكة في خلق هذا الخليفة ذكر إبداءه[2] لهم وجه حكمة علية بما أعلى هذا الخليفة من تعليمه إياه حقائق جميع ٥ الذوات المشهودة لهم على إحاطتهم بملكوت الله و ملكه شهودا فأراهم إحاطة علم آدم بما شهدوا صورة[3] و لم يشهدوا حقيقة مدلول [1]تسميتها، و علمه حكمة ما بين تلك الأسماء التي هي حظ من الذوات و بين[1] تسمياتها من النطق ليجتمع في علمه خلق كل شيء صورة و أمره كلمة فيكمل علمه في قبله على سبيل سمعه و بصره ، و استخلفه في علم ما[4] له من الخلق ١٠ و الأمر ، و ذلك في بدء كونه فكيف يحكم حكمة الله فيما يتناهى إليه كمال خلقه إلى خاتمة أمره فيما انتهى إليه أمر محمد صلى الله عليه و سلم عما هو مبهم في قوله تعالى : « و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما[5] » ! فأبدى الله عز و جل لهم بذلك وجه خلافة علمية و عملية في

= لما حصل له معية بالذات تعالت و تقدست حصل له بكل اسم من أسمائه و صفة من صفاته مناسبة تامة و معية بحيث أنه كلما توجه إلى اسم من أسمائه و صفة من صفاته يتجلى له ذلك الاسم و الصفة - و الباقي يطلب من تفسيره ج ١ ص ٥١ .

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) في الأصل : ابدائه ، و في م ومد وظ : ابداه - كذا .

(٣) في ظ : صورة . (٤) ليس في ظ .

(٥) سورة ٤ آية ١١٣ .

التسمية إعلاء له عندهم ، و قد جعلهم الله عز و جل مذعنين مطيعين فانقادوا للوقت بفضل آدم على جميع الخلق و بدا[1] لهم علم أن الله[2] يعلي من يشاء بما يشاء من خلافة أمره و خلقه ، و تلك الأسماء التي هي حظوظ من صور الموجودات هي المعروضة التي شملها اسم الضمير في قوله تعالى « ثم عرضهم » ، و أشار إليه « هؤلاء » عند كمال عرضهم ، و أجرى على الجميع ضمير « هم » لاشتمال تلك الكائنات على العاقلين و غيرهم ؛ و بالتحقيق فكل خلق ناطق حين يستنطقه الحق ، كما قال تعالى[3] « اليوم نختم على افواههم و تكلمنا ايديهم و تشهد ارجلهم[4] » ، و إنما العجمة[5] و الجمادية بالإضافة إلى ما بين بعض الخلق و بعضهم - انتهى .

[6]و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في كتاب الزينة : و يقال إن الاسم[7] مأخوذ من السمو و هو العلو و الرفعة ، و إنما جعل الاسم

(١) هكذا في م و ظ ، و في الأصل : بد ، و لا يتضح في مد .

(٢) زيد في ظ : تعالى .

(٣) ليس في م و ظ .

(٤) سورة ٣٦ آية ٦٥ .

(٥) في م و مد : العجمية .

(٦) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في ظ .

(٧) قال البيضاوي : و الاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء أو دليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ و الصفات و الأفعال . و استعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا أو خبرا أو رابطا بينهما ؛ و المراد في الآية هو الأول أو الثاني و هو يستلزم الأول . لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني .

تنويها بالدلالة على معنى الاسم لأن المعنى تحت الاسم - هذا قول النحويين؛ و السمة تدل على صاحبها، لأنها حرفان سين و ميم، فالسين من السناء و الميم من المجد و هو لب الشيء، فكأنه سمي اسما لأنه يضيء لك عن لب الشيء و يترجم عن مكنونه، و ليس شيء إلا و قد وسمه الله بسمة تدل على ما فيه من الجوهر؛ فاحتوت الأسماء على جميع العلم بالأشياء، ٥ فعلمها الله آدم و أبرز فضيلته على الملائكة عليهم السلام - انتهى.

« فقال » [١]معجزا لهم[١] « انبئوني » [٢]أي أخبروني إخبارا عظيما قاطعا « بأسماء هؤلاء »[٢] أي الموجودات بتفرسكم فيها « ان كنتم صدقين »[٣] أي فيما تفرستموه / في الخليفة و في أنساله. قال الحرالي: هذه الأسماء المواطئة /٥٤ للتسمية من السمة و الأسماء الأول هي الحظوظ من الذوات التي المتسم ١٠ بها هو المسمى، و مع ذلك فبين التسمية و الاسم مناسبة مجعول الحكمة بينهما بمقتضى أمر العليم الحكيم - انتهى. « قالوا » متبرئين من العلم

(١ - ١) ليست في ظ.

(٢) قال البيضاوي: « انبئوني » تبكيت لهم و تنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فان التصرف و التدبير و إقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة و الوقوف على مراتب الاستعدادات و قدر الحقوق محال، و ليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال؛ و الإنباء إخبار فيه إعلام. و لذلك يجرى مجرى كل واحد منهما.

(٣) في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم وأن خلقهم و استخلافهم و هذه صفتهم لا يليق بالحكيم، و هو و إن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم.

« سبحٰنك »[1] أى ننزهك تنزيها [2]يجل عن الوصف[2] عن أن ننسب[3] إليك نقصا فى علم أو صنع، و نتبرأ إليك مما يلزم قولنا من ادعاء العلم لسواك[4].

قال الحرالى: و فى هذا المعنى إظهار لفضلهم و انقيادهم و إذعانهم توطئة لما يتصل به من إباء إبليس - انتهى. و الحاصل أنه تصريح بتنزيه الله تعالى عن النقص و تلويح بنسبته إليهم اعتذارا منهم عما وقعوا فيه، و لذا قالوا: « لا علم لنا » أى أصلا[5] « الا ما علمتنا »[6] فهو دليل على أنه لا سبيل

---

(١) اعتراف بالعجز و القصور و إشعار بأن سؤالهم كان استفسارا و لم يكن اعتراضا و أنه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الإنسان و الحكمة فى خلقه، و إظهار لشكر نعمته بما عرّفهم و كشف لهم ما اعتقل عليهم، و مراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه. و قال على المهائمى: « سبحٰنك » أى ننزهك تنزيها عن أن يقصر علمك أو تشارك فيه أو تعبث فى فعلك، و إنما سألناك استفسارا و استرشادا، لأنه « لا علم لنا الا ما علمتنا » و إنما لم تعلمناها ابتداء اذ « انك انت العليم » بأن حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة، وقد جعلت الوسائط مع قدرتك على الأفعال ابتداء لأنك أنت « الحكيم » - انتهى كلامه.

(٢ - ٢) ليست فى ظ.

(٣) فى ظ: ينسب.

(٤) ليس فى ظ.

(٥) فى البحر المحيط: و لما سأل تعالى الملائكة و لم يكن عندهم علم بالجواب و كانوا قد سبق منهم قولهم « اتجعل فيها من يفسد فيها » الآية، أرادوا أن =

إلى

إلى علم شيء من الأشياء إلا بتعليم الله . قال الحرالي[1] : ردا لبدء الأمر لمن له البدء[2] ، ولذلك ورد في أثارة[3] من علم : من لم يختم[4] علمه بالجهل لم يعلم ، وذلك الجهل هو البراءة من العلم إلا ما علم الله - انتهى .

ثم خصوه بما نفوه عن أنفسهم فقالوا : « انك انت » ، أي وحدك « العليم » [5]أي العالم بكل المعلومات[5] « الحكيم » ، أي فلا يتطرق[6] إلى صنعك

= يجيبوا بعدم العلم إلا ما علمهم ، فقدموا بين يدي الجواب تنزيه الله اعتذارا وأدبا منهم في الجواب وإشعارا بأن ما صدر منهم قبل يمحوه هذا التنزيه لله تعالى فقالوا « سبحنك » ثم أجابوا بنفي العلم بلفظ لا التي بنيت معها النكرة فاستغرق كل فرد من أنواع العلوم ، ثم استثنوا من ذلك ما علمهم هو تعالى فقالوا « الا ما علمتنا » وهذا غاية في ترك الدعوى والاستلام التام للعلم الأول الله تعالى ؛ قال أبو عثمان المغربي : ما جلاء الخلق إلا لدعاوى ، ألا ترى أن الملائكة قالوا : « ونحن نسبح بحمدك » ، كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا : « لا علم لنا » ، وروى معنى هذا الكلام عن جعفر الصادق - انتهى كلامه .

(٦) العبارة من هنا إلى « بتعليم الله » ليست في ظ .

(١) ليس في ظ .

(٢) في ظ : البداء - كذا .

(٣) في م وظ : اثاره .

(٤) في مد : لم تختم ، وفي ظ : لم يحتم - كذا .

(٥ - ٥) ليست في ظ .

(٦) في م : فلا نتطرق .

فساد بوجه [1]فلا اعتراض أصلا[1] - قال الحرالى: توكيد و تخليص و إخلاص للعلم و الحكمة لله وحده، و ذلك من أرفع الإسلام، لأنه إسلام القلوب ما حلاها الحق سبحانه[2] به! فان العلم و الحكمة نور القلوب الذى تحي به كما أن الماء رزق الأبدان الذى تحي به؛ والحكمة ٥ جعل تسبيب بين أمرين يبدو بينهما تقاض من السابق و استناد من اللاحق - انتهى. [3]و أصلها فى اللغة المنع من الفساد و لا يكون ذلك إلا عن تمام العلم[4].

فلما قالوا ذلك و أراد إشهادهم فضل آدم عليه السلام استأنف فى جواب

(١-١) ليست فى ظ.

(٢) ليس فى م و مد.

(٣) العبارة من هنا إلى «تمام العلم» ليست فى ظ.

(٤) قال أبوحيان الأندلسى: فانظر إلى حسن هذا الجواب كيف قدموا بين يديه تنزيها لله، ثم اعترفوا بالجهل، ثم نسبوا إلى الله العلم و الحكمة؛ و ناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة لأنه المتصل به فى قوله «و علم» «انبئونى» «لا علم لنا» فالذى ظهرت به المزية لآدم و الفضيلة هو العلم، فناسب ذكره متصلا به، لأن الحكمة إنما هى آثار العلم و ناشئة عنه، و لذلك أكثر ما جاء فى القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة، و لأن يكون آخر مقالهم مخالفا لأوله حتى يبين رجوعهم عن قولهم «اتجعل فيها» و على القول بأن الحكيم هو ذوالحكمة يكون الحكيم صفة ذات، و على القول بأنه المحكم لصنعته يكون صفة فعل - انتهى.

من كأنه قال : ما قال لهم عند ذلك ؟ قوله : « قال » . [١] مظهرا [٢] لفضيلة العلم الموجبة لشرف العالم « يٰـآدم [٣] انبئهم » أى ليزدادوا بصيرة فى أن العالم من علّمته و السعيد من أسعدته فى أى صورة ركبته « باسمائهم » فأنبأهم بها . قال الحرالى : و لم يقل : علمهم ، فكان آدم عليما بالأسماء وكانوا هم مخبرين بها لا معلميها ، لأنه لايتعلمها من آدم إلا من خلقه محيط ٥ كخلق آدم ، ليكون من كل شيء [٤] و منه كل شيء [٤] ، فاذا عرض عليه شيء مما منه آنس [٥] علمه عنده ؛ فلذلك اختصوا بالإنباء دون التعليم ، فلكل شيء عند آدم عليه السلام بما [٦] علمه الله و أظهر له علاماته [٧] فى استبصاره

---

(١) العبارة من هنا إلى « العالم » ليست فى ظ .

(٢) فى مد : نظير .

(٣) نادى آدم باسمه العلم و هى عادة الله مع أنبيائه ، قال تعالى « يٰنوح اهبط بسلٰم منا » « يٰنوح انه ليس من اهلك » ، « يٰابرٰهيم قد صدقت الرؤيا » ، « يٰموسى انى انا الله » ، « يٰعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك » ؛ و نادى محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم و على سائر الأنبياء بالوصف الشريف من الإرسال و الإنباء فقال « يٰايها الرسول » ، « يٰايها النبى » ؛ فانظر تفاوت ما بين هذا النداء و ذاك النداء .

(٤ - ٤) ليست فى مد .

(٥) فى ظ : أحس .

(٦) فى م : مما .

(٧) فى البحر المحيط « قال القشيرى : من آثار العناية بآدم عليه السلام لما قال =

الشيء اسمان جامعان : اسم يبصّره من موجود الشيء و اسم يذكره لإبداء معنى ذلك الشيء إلى غاية حقيقته ، و لكل اسم جامع عنده وجوه متعددة يحاذى كلّ وجه منها بتسمية تخصه ، و بحسب تلك الوجوه تكثرت عنده الألسنة و تكثرت الألسن الأعجمية ، فأفصحها و أعربها الاسم
٥ الجامع و ذلك الاسم هو العربي الذى به أنزل خاتم الكتب على خاتم المرسلين و أبقى دائما فى مخاطبة أهل الجنة لمطابقة الخاتمة إحاطة البادئة « حٰمٓ ۝ و الكتٰب المبين ۝ انا جعلنٰه قرانا عربيا لعلكم تعقلون ۝ و انه فى ام الكتٰب لدينا لعلى حكيم ۝[1] » و طابق الختم البدء[2] إحاطة لإحاطة - انتهى . و هذا كما كان ولده محمد خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم يكلم
١٠ كل إنسان بلغته من قبائل العرب و من العجم بل [3]و من البهائم العجم[3] فكان علمه لبعض اللغات من غير مخالطة لأهلها و لا إلمام بلسانهم

= للملائكة «انبئونى» داخلهم من هيبة الخطاب ما أخذهم عنهم لاسيما حين طالبهم بانبائهم إياه ما لم تحط بهم علومهم ، و لما كان حديث آدم رده فى الإنباء عليهم فقال « انبئهم باسمائهم » ومخاطبة آدم للملائكة لم توجب الاستغراق فى الهيبة فلما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنه علومهم ظهرت فضيلته عليهم ، فقال : « الم اقل لكم انى اعلم غيب السمٰوٰت » يعنى ما تقاصرت عنه علوم الخلق « و اعلم ما تبدون » من الطاعات « و ما كنتم تكتمون » من اعتقاد الخيرية على آدم - انتهى كلام القشيرى .

(١) سورة ٤٣ آية ١ - ٤ .
(٢) فى ظ : البدل .
(٣ - ٣) ليست فى ظ .

دليلا

دليلا على علم سائر اللغات ، لأنه لا معلم له إلا العالم بكل شيء . « فلما انباهم » [1] أي أخبرهم إخبارا عظيما يأخذ بالألباب ، و « لما » كلمة تفهم وجوب أمر لأمر في حين فتجمع [2] معنى الشرط و الظرف - قاله الحرالي .

« باسمائهم » على ما هي عليه .

قال الحرالي في التفسير و كتاب له في أصول الفقه : هذه التسميات ٥ ليس الأسماء التي هي موجودة من الذوات ، لأن تلك لا ينالها إلا العلم

---

(١) قال علي المهائمي : « يٰادم انبئهم » وان كنت دونهم في التجرد الذي به الاطلاع « باسمائهم » مع فواتها الحصر من غير غلط فيها « قال الم اقل لكم اني اعلم ما لاتعلمون » قاصدا به « اني اعلم غيب السمٰوٰت » أي العالم العلوي مع كونكم منه « و » غيب « الأرض » أي العالم السفلي مع ظهوره للحس ، ففي كل منهما من الخفايا ما لايبلغه علمكم بأدنى وجوه التمييز مع كمال تجردكم - انتهى . وقال أبو حيان الأندلسي : و في قوله « انبئوني » « فلما انباهم » تنبيه على إعلام الله أنه قد أعلم الله أنه قد أعلم آدم من أحوالهم ما لم يعلمهم من حاله ، لأنهم رأوه قبل النفخ مصورا فلم يعلموا ما هو ؛ و على أنه رفع درجة آدم عندهم لكونه قد علم لآدم ما لم يعلمهم ؛ و على إقامته مقام المفيد المعلم و إقامتهم مقام المستفيدين منه ، لأنه أمره أن يعلمهم أسماء الذين عرضهم عليهم ؛ و على أدبهم على ترك الأدب من حيث قالوا « اتجعل فيها » فان الطواعية المحضة أن يكونوا مع عدم العلم بالحكمة فيما أمروا به و عدم الاطلاع على ذلك الأمر ومصلحته و مفسدته كهم مع العلم و الاطلاع ، وكان الامتثال و التسليم بغير تعجب و لااستفهام أليق بمقامهم لطهارة ذواتهم و كمال صفاتهم - انتهى .

(٢) في م : فتجم .

و شهود البصيرة و قد جرى ذلك فى وراثة فى ولد آدم حتى كان رؤبة و أبوه العجاج يرتجلان اللغة ارتجا لا و يتعلمها منهم من سواهم من العرب ، لأن التسمية التى ينالها الإنباء للاسم الذى يناله[1] العلم كالمثل له المبدى لصورة[2] معناه للأذن لمناسبة و مواصلة[3] بين خصوص التسمية و اسمها ٥ من الذات[4] ، فيعلم ما يحاذى[5] الشيء المفرد من منتظم الحروف كما يعلم الواصف ما يحاذى الشيء و يحاكيه من منتظم الكلم ، فيحاذيه و يحاكيه الواصف بكلام ، و يحاذيه و يسميه المسمى له بكلمة واحدة ، و كما أنه ليس[6] لكل أحد مُنّة أن يصف فكذلك ليس [7]لكل أحد[7] منة أن يسمى ، و منه ما يجرى من ألسنة العامة من النبز و الألقاب و قد كان يجب ١٠ الاكتفاء بما فى هذه الآية من العلم بدء أمر المسميات عما وقع فيها من الاختلاف بين التوقيف و الاصطلاح ، فقد تبين أنها عن علم علمه الله آدم لا عن توقيف كما هو عند الملائكة من آدم و لا عن اصطلاح كما قيل - انتهى .

---

(١) فى ظ : نباله له - كذا .

(٢) فى م : لصوره .

(٣) فى م : مواصلته .

(٤) فى م : الذوات .

(٥) فى م : فيحاذى .

(٦) ليس فى ظ .

(٧ - ٧) فى م : لاحد .

« قال » أى الله تعالى مثبتا[1] مدخول النفى كما هو شأن همزة التقرير[2] « ا لم اقل لكم » يا ملائكتى ! [3] و لما كان هذا خبرا جسيما نبه على بلوغه النهاية فى العظمة و أنه مما يستغربه[4] / بعض[5] الخلق بالتأكيد فقال : « انى اعلم » ، [6] علما مستمرا لا انقضاء له[6] « غيب السموٰت و الارض » فمن أردت تعليمه شيئا من ذلك كان عالما به ، و أما غيرى فلا طريق له إلى معرفة المستقبل ٥ إلا الفراسة و قد تخطئ[7]. قال الحرالى : قررهم حتى [8] لا يكون لهم[8] ثانية و أعلم بذلك عباده من ولد آدم حتى يستنوا بحكم التسليم لله فى ما يبديه من غير تعرض و لا اعتراض ، فمنهم من آمن و منهم من كفر - انتهى .

/ ٥٥

---

(١) قال البيضاوى : استحضار لقوله « انى اعلم ما لا تعلمون » لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه ، فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من أمور السماوات و الأرض و ما ظهرلهم من أحوالهم الظاهرة و الباطنة علم ما لا يعلمون ؛ و فيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم . و الهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات و التقرير - انتهى .

(٢) العبارة من « مثبتا » إلى هنا ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٤) و فى م : يستقر به .

(٥) فى م : عين .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

(٧) و فى م و ظ : يخطى .

(٨ - ٨) و فى م و مد : لا تكون لها .

«و اعلم ما تبدون» فى كل حين «و ما كنتم تكتمون»[1] فيما مضى و فيما يأتى. قال الحرالى: و فى صيغة تكتمون [2]من الدلالة[2] على تمادى ذلك فى كيانهم ما فى صيغة تبدون من تمادى بادى ذلك منهم - انتهى.

و لما أخبرنا سبحانه بهذه النعمة على أبينا[3] ضم إليها الإنعام باسجاد الملائكة له و نحن فى ظهره فقال عاطفا على «اذ» الأولى [4]و عدل[5] عن الغيبة إلى التكلم ثم إلى كونه فى مظهر العظمة إعلاما بأنه أمر فصل لا فسحة فى المراجعة فيه[4]. و قال الحرالى: لما أنبأ تعالى بأمر مفاوضة الملائكة و ما[6] كان من ادعائهم و تسليمهم الأمر لله و لمن علمه الله و هو

(١) قال أبو حيان: هو عام فيما أبدوه و ما كتموه من كل أمورهم، و هذا هو الظاهر، و عطف قوله «و ما كنتم تكتمون» هو من باب الترقى فى الإخبار لأن علم الله تعالى واحد لا تفاوت فيه بالنسبة إلى شيء من معلوماته جهرا كان أو سرا، و وصل «ما» بكنتم يدل على أن انكتم وقع فيما مضى؛ و ليس المعنى أنهم كتموا عن الله لأن الملائكة أعرف بالله و أعلم فلا يكتمون الله شيئا، و إنما المعنى أنه هجس فى أنفسهم شيء لم يظهره بعضهم لبعض ولا اطلعه عليه.

(٢-٢) ليست فى ظ.

(٣) وقع فى م: اتينا - كذا خطأ.

(٤) العبارة من هنا إلى «المراجعة فيه» ليست فى ظ.

(٥) قال أبو حيان الأندلسى: و فى قوله «قلنا» التفات وهو من أنواع البديع، إذ كان ما قبل هذه الآية قد أخبر عن الله بصورة الغائب ثم انتقل إلى ضمير المتكلم، و أتى بنا التى تدل على التعظيم و علو القدر و تنزيله منزلة الجمع لتعدد صفاته الحميدة و مواهبه الجزيلة، و حكمة هذا الالتفات و كونه بنون المعظم نفسه أنه صدر منه الأمر للملائكة بالسجود و وجب عليهم الامتثال فناسب=

آدم عليه السلام نظم بذلك نبأ انقيادهم لآدم فعلا كما انقادوا له علما تماما لكمال حالهم في التسليم علما و عملا فقال تعالى - انتهى . « و اذ قلنا » أى على عظمتنا « للملئكة » أى الذين أكرمناهم بقربنا « اسجدوا لأدم » عبدنا اعترافا بفضله لتفضيلنا له .

قال الحرالى : فجعله بابا إليه وكعبة يجلّونه بجلاله تعالى و محرابا و قبلة ، يكون سجودهم له سجودا لله تجاه آدم كسجود آدم[1] تجاه الكعبة[2] ، و ظهر بذلك سوء إباء إبليس عن السجود حين خالفهم في طينة الكيان ، لأن الملائكة خلقت من نور و النور طوع لا يحوزه أين و لا يختصه[3] جهة ، و لأن الجان خلقت من نار و هي مما يحوزه أين و تختصه[4] جهة ٥

= أن يكون الأمر في غاية من التعظيم ، لأنه متى كان كذلك كان أدعى لامتثال المأمور فعل ما أمر به من غير بطء و لا تأول اشغل خاطره لورود ما صدر من المعظم . (٦) في ظ : من .

(١) زيد في م و ظ : لله ، و في ظ زيادة « تعالى » أيضا .

(٢) قال أبو حيان : من قال بالسجود الشرعي قال : كان السجود تكرمة و تحية له - و هو قول الجمهور على و ابن مسعود و ابن عباس - كسجود أبوي يوسف ، لا سجود عبادة ؛ أو لله تعالى و نصبه الله قبلة : اسجودهم كالكعبة فيكون المعنى إلى آدم - قاله الشعبي ؛ أو لله تعالى فسجد و سجدوا مؤتمين به ، وشرفه بأن جعله إماما يقتدون به . و المعنى في لأدم أى مع آدم - انتهى . ثم ذكر : قال ابن عطاء : لما استعظموا تسبيحهم و تقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ، ليريهم بذلك استغناءه عنهم و عن عبادتهم .

(٣) في م : تختصه ، و لا يتضح في مد .

(٤) في م و ظ : يختصه .

لا يرجع عنها إلا بقهر و قسر، فلم ينزل عن[1] رتبة قيامه فى جبلته لمخلوق الطين حيث لم يشعر باحاطة خلق آدم كما تلقته الملائكة - انتهى .
فبادروا الامتثال «فسجدوا» أى كلهم [2]له كما امرهم الله تعالى[2] «الا ابليس»[3].
قال الحرالى: من الإبلاس و هو انقطاع سبب الرجاء الذى يكون عنه
٥ اليأس من حيث قطع ذلك السبب - انتهى . فكأنه قيل: ما فعل؟
فقيل[4]: «ابى»، من الإباء و هو امتناع عما[5] حقه الإجابة فيه - قاله
الحرالى . «واستكبر» عن السجود له[6]، من الاستكبار و هو استجلاب

(١) ليس فى ظ ، و فى م : على .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) قال أبوحيان : استثناء متصل عند الجمهور، فعلى هذا يكون ملكا ثم أبلس و غضب عليه و لعن فصار شيطانا ؛ و قيل : هو استثناء منقطع، وإنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر ، و لم يكن قط ملكا - قاله ابن زيد والحسن .

(٤) و فى ظ : فقال .

(٥) فى ظ : ما .

(٦) قال البيضاوى : و السجود فى الأصل تذلل مع تطأمن ، و فى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة ، و المأمور به إما المعنى الشرعى فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه أو سببا لوجوبه ، و كأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها و نسخة لما فى العالم الروحانى و الجسمانى و ذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات و وصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب و الدرجات أمرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما أنعم عليهم =

الكبر، و الكبر بطر الحق و غمض الناس و غمطهم[1]، و موجب ذلك استحقار الغير من وجه و استكمال النفس من ذلك الوجه - قاله الحرالي .

«وكان» [2]أي في أصل جبلته[2] بما أفهمه[3] الاستكبار من نسبتنا إلى ترك الحكمة إما جهلا أو جورا في أمرنا بسجوده لآدم و هو على زعمه خير منه، «من» و هي كلمة تفهم اقتباس الشيء مما جعل منه - قاله ٥ الحرالي . «الكفرين» أي الذين سبق علمنا بشقاوتهم لم يتجدد لنا بذلك علم ما لم نكن نعلمه[4] .

= بواسطته ؛ و إما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية و تعظيما له كسجود إخوة يوسف له، أو التذلل و الانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم و يتم به كمالهم «فسجدوا الا ابليس ابى و استكبر» امتنع عما أمر به استكبارا من أن يتخذه وصلة في عبادة ربه أو يعظمه و يتلقاه بالتحية أو يخدمه و يسعى فيما فيه خير و صلاحه . الإباء امتناع باختيار و التكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره، و الاستكبار طلب ذلك بالتشبع .

(١) في م و ظ : عمظهم - كذا .

(٢-٢) ليست في ظ .

(٣) زيد في ظ : من .

(٤) قال علي المهائمي : «كان من الكفرين» بالله ، لإنكار وجوب امتثال أمر قطعي من أوامره، و فيه إشارة إلى أنه إذا كان إنكار واجب كفرا بالله فكيف لايكون إنكار واجبات القرآن كلها كفرا به! ثم أشار إلى أن ترك امتثال الأمر من غير إنكار الوجوب كان سبب هبوط آدم إلى متاعب الدنيا الباقية في نسله إلى يوم القيامة - انتهى. و قال البيضاوي : أي في علم الله أو صار منهم باستقباحه أمر الله إياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بأنه أفضل منه و الأفضل =

و فى الآيات الثلاث «يٰايها الناس اعبدوا ربكم» و «كيف تكفرون بالله» و «اذ قال ربك للملٰئكة» أيضا إشارة إلى اختلاف الحال فى الخطاب بوصف الربوبية مع الخُلّص و مع من دونهم و فى الخطاب بأوصاف الذات، و ذلك أنه تعالى لما بين أن الضالين فى حسن أمثاله هم الخاسرون
٥ عجب من يكفر به إشارة إلى شدة ظهوره و انتشار نوره فى أمثاله و جميع أقواله و أفعاله و أن شهوده فى كل اعتبار أوضح من ضياء النهار، لأنه ما ثَمّ[1] إلا ذاته و أفعاله و صفاته:

و فى كل شىء له آيــة تدل على أنــه واحد

متجليا عليهم باسم الإلٰهية فى أفعاله التى هم لها ناظرون و بها[2] عارفون،
١٠ فقال: «كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم» إلى أن قال: «هوالذى خلق لكم ما فى الارض جميعا» الآية، و أدرج فى ذلك أمر البعث بقوله «ثم إليه ترجعون» تنبيها على مشاركته لبقية[3] ما فى الآية من الظهور، لما قدم من الاستدلال عليه باخراج الثمرات حين تعرف[4] إليهم بوصف الربوبية

= لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للفضول والتوسل به كما أشعر به قوله «انا خير منه» جوابا لقوله «ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين» لا بترك الواجب وحده - انتهى.

(١) فى ظ: تم.

(٢) فى ظ: الينا.

(٣) فى م: لنفيه - كذا.

(٤) قال أبو حيان الأندلسى: إنه لما امتن عليهم بخلق ما فى الأرض لهم كان =

الناظر إلى العطف و الامتنان و التربية و الإحسان فى مثل ما هنا من أفعاله الظاهرة و آثاره الباهرة فقال : « يـٰايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم » إلى آخرها ؛ و ختم هذه الآية بوصف العلم الشامل لما قام عليه من الدليل ضمن هذا التعجيب[١] إشارة إلى الاستدلال على كمال الأمثال وتحديدا لمن يستمر على الكفران بعد هذا البيان بأنه بمرأى[٢] منه و مسمع[٣] ٥ فى كل حال ، فلما فرغ من خطابهم بالأمور الظاهرة على قدر فهومهم و مبلغ علومهم رقى الخطاب إلى رتبة نبيه عليه الصلاة و السلام لترقية البيان إلى غيب مقاولته لملائكته فقال : « و اذ قال ربك للملئكة انى جاعل » الآية ؛ فلكل مقام مقال[٤] ، و لكل مخاطب[٥] حد فى الفهم و حال .

= قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود اتبع ذلك بعده خلقهم و امتن عليهم بتشريف أبيهم و تكريمه و جعله خليفة و إسكانه دار كرامته و إسجاد الملائكة تعظيما لشأنه و تنبيها على مكانه و اختصاصه بالعلم الذى به كمال الذات و تمام الصفات ، ولا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع و شرف الفرع بشرف الأصل ؛ و إسناد القول إلى الرب فى غاية من المناسبة و البيان ، لأنه لما ذكر أنه خلق لهم ما فى الأرض كان فى ذلك صلاح لهم لأحوالهم و معايشهم فناسب ذكر الرب ، و إضافته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه و هز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنسانى و ابتداء أمره و مآله ؛ و هذا تنويع فى الخطاب .

(١) فى ظ : التعجب .
(٢) فى ظ : بمرأ - كذا .
(٣) فى م : مستمع .
(٤) ليس فى م .
(٥) فى مد : قدم .

قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى المفتاح الباب السابع فى إضافة الربوبية و نعت الإلٰهية فى القرآن : اعلم أن الربوبية إقامة المربوب بما خلق له و أريد له ، فرب كل شيء مقيمه[1] بحسب[2] ما أبداه وجوده ، فرب المؤمن ربه و رباه للايمان ،/ و رب الكافر ربه و رباه للكفران ، /٥٦

٥ و رب محمد ربه و رباه للحمد - أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، و رب العالمين ربى[3] كل عالم لما خلق له « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى »[4] ؛ فللربوبية بيان فى كل رتبة بحسب ما أظهرته آية مربوبه - من عرف نفسه عرف ربه « سبح اسم ربك الاعلى »[5] « فاراد ربك ان يبلغا اشدهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربك »[6] « اعبدوا ربكم الذى خلقكم » « لهم اجرهم

١٠ عند ربهم[7] » .

و قال فى الباب الذى بعده : لخطاب الإقبال على النبى صلى الله عليه و سلم أعظم إفهام فى القرآن « الم تر الى ربك كيف مد الظل[8] »

(١) فى م : يقيمه .

(٢) فى ظ : حسب .

(٣) فى ظ : رب .

(٤) سورة ٢٠ آية ٥٠ .

(٥) سورة ٨٧ آية ١ .

(٦) سورة ٨٢ آية ١٨ .

(٧) سورة ٢ آية ٢٦٢ .

(٨) و فى ظ زيادة « و لو شاء لجعله ساكنا » .

الآية[١] « و هو الذى جعل لكم الليل لباسا ‌» [٢] ، الآية ، تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين و كما يتضح لأهل التعرف رتب البيان بحسب إضافة اسم الرب فكذلك يتحقق لأهل الفهم وجوه إحاطات البيان بحسب النعوت و التبيان فى اسم[٣] الله غيبا فى متجلى[٤] الآيات للمؤمن ، و عينا للكامل الموقن ، و جمعا و إحاطة عن[٥] بادئ الدوام للمحقق الواحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا احد « و كيف تكفرون و انتم تتلى عليكم ايٰت الله و فيكم رسوله و من يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ‌» [٦] ، « قل هو الله احد ‌» [٧] ؛ و التفطن فى رتب البيان فى موارد هذا النحو من الخطاب فى القرآن من مفاتيح الفهم و بوادئ مزيد العلم - انتهى .

و قد أوقع سبحانه ذكر ابتداء الخلق على ترتيب إيجاده له فقد روى مسلم فى صحيحه[٨] و النسائى فى التفسير من سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه

---

(١) ليس فى م و ظ .

(٢) سورة ٢٥ آية ٤٧ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : مستجلى .

(٥) فى م : على .

(٦) سورة ٣ آية ١٠١ .

(٧) سورة ١١٢ آية ١ .

(٨) زيد فى مد : فى صفة الجنة و النار و القيامة .

قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيدي[1] فقال : خلق الله التربة[2] يوم السبت ، و خلق فيها الجبال يوم الأحد ، و خلق الشجر يوم الاثنين ، و خلق المكروه يوم الثلاثاء ، و خلق النور يوم الأربعاء ، و بث فيها الدواب يوم الخميس ، و خلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة ٥ في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل[3] . و قال المزي[4] في الأطراف قال البخاري في التاريخ : و قال بعضهم : أبوهريرة عن كعب و هو أصح - انتهى .

و ما يقال من أنه كان قبل آدم عليه السلام في الأرض خلق

---

(١) سقط من مد ، و قد ثبت في بقية الأصول و الصحيح لمسلم ٢/٣٧١ .

(٢) زيد في م : في ، و لم تكن الزيادة في بقية الأصول و لا في الصحيح لمسلم فحذفناها .

(٣) قال القاضي ثناء الله العثماني بعد نقل هذا الحديث : فان قيل : هذا الحديث يدل على أن خلق آدم بعد خلق الأرض يوم سابعة فكيف يتصور مكث الجن زمانا طويلا في الأرض ثم طردهم إلى شعوب الجبال و سكونة إبليس وجنوده من الملائكة زمانا طويلا ثم قوله تعالى لهم « انى جاعل في الارض خليفة » ؟ قلت : لا دليل في الحديث على أن المراد بالجمعة التي خلق فيها آدم أول جمعة بعد خلق الأرض ، لعل ذلك الجمعة بعد مضى الدهور ، و لو لا هذا التأويل لزم خلق السماوات و الأرض في سبعة أيام ، و الثابت بالقرآن خلق السماوات و الأرض في ستة أيام - و الله أعلم .

(٤) هكذا ثبت في الأصل و ظ ، و وقع في م و مد : المزني - كذا مصحفا .

يعصون

يعصون قاس عليهم الملائكة [١] عليهم السلام [١] حال آدم عليه السلام [٢]، كلام لا أصل له ، و الذى يدل عليه حديث مسلم هذا كما ترى أنه [٣] أول ساكنى الأرض؛ و الذى يلوح من اسمه فى بدئه [٤] بالهمزة التى هى أول الحروف و ختمه بالميم التى هى آخرها و ختامها أنه أول ساكنيها بنفسه، كما أنه خاتمهم بأولاده، عليهم تقوم الساعة . و رأيت فى ترجمة للتوراة [٥] و هو ٥ أولها : خلق الله ذات السماء و ذات الأرض و كانت الظلمة فقال الله :

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : و إنما عرفوا ذلك باخبار من الله ، أو تلق من اللوح ، أو استنباط عما ركز فى عقولهم أن العصمة من خواصهم ، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر - انتهى . قال أبو حيان الأندلسى : يكون علمهم بذلك قد سبق إما باخبار من الله ، أو بمشاهدة فى اللوح ، أو يكون مخلوق غيرهم و هم معصومون ، أو قالوا ذلك بطريق القياس على من سكن الأرض فأفسد قبل سكنى الملائكة ؛ و روى ما يدل على ذلك عن ابن عباس و هو ما ملخصه أن الله أسكن الملائكة السماء و الجن الأرض فعبدوا دهرا طويلا ثم أفسدوا و حسدوا فاقتتلوا - الخ . و فى التفسير المظهرى : قال البغوى : خلق الله السماء و الأرض و الملائكة و الجن ، و أسكن الملائكة السماء و الجن الأرض، فمكثوا زمانا طويلا فى الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد و البغى فأفسدوا و اقتتلوا - الخ . وقال أبو البركات النسفى فى تفسيره : و إنما عرفوا ذلك باخبار من الله ، أو من جهة اللوح ، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر - انتهى .

(٣) ليس فى م .

(٤) فى ظ : بدايه ، و فى م : يديه - كذا .

(٥) و قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٤ : قرأت فى أول سفر من أسفار التوراة أن أول ما خلق الله من خليقته السماء و الأرض و كانت الأرض خربة خاوية =

ليكن النور ، فكان النور ، فأراد[1] أن يفرق بين النور و الحِنْدِس فسمى النور نهارا و الحندس مساء؛ ثم قال: ليكن جَلَد وسط الماء و يميز بين الماء الأعلى[2] و الماء الأسفل .

و فى نسخة[3] : ليكن سقف بين المياه ليفصل بين الماء و الماء ، فكان كذلك فخلق الله سقفا و فصل به بين الماء الذى[4] تحت الجلد[5] و الماء الذى فوق الجلد وسمى الله الجلد سماء[6]؛ و قال الله: لتجتمع[7] المياه التى تحت

= و كانت الظلمة على الغمرة وكانت ريح الله تعالى ترف على وجه الماء فقال الله عز وجل : ليكن النور ، فكان نورا فرآه الله حسنا فميزه الله من الظلمة و سماه نهارا و سمى الظلمة ليلا فكان مساء .

(١) كرره فى ظ .

(٢) وقع فى ظ : الاصلى - كذا مصحفا .

(٣) وقع فى م : نسفحة - كذا مصحفا .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التى - كذا .

(٥) و الجَلَد الجَلْد و الأرض الصلبة المستوية المتن ، و الشدة و القوة ، و الجلد أيضا السماء أو الرقيع أو كرة الهواء أو الماء المتجمد فوق السماوات - قطر المحيط ج ١ ص ٢٩٣ .

(٦) قال ملا معين الهروى فى تفسير أسرار الفاتحة تحت بيان « رب العٰلمين » ص ٢٢٤: « وذكر الإمام النسفى رحمه الله فى تفسيره المسمى ببحر العلوم فى بيان أن العالم عبارة عن السماوات و الأرضين و ما بينهما: و قال ابن عباس رضى الله عنهما: أول ما خلق الله تعالى هو جوهر طوله مسيرة عشرة آلاف سنة و عرضه مسيرة عشرة آلاف سنة ، نظر إليه بالهيبة فذاب - وجعل يقول : الأمان ! و جعل يرتعد - منه بخار و زبد فصار أثلاثا : ثلث ماء و ثلث زبد و ثلث بخار ، فنودى: يا بخار! كن سماء ، و يا زبد ! كن أرضا ! «ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين» =

السماء إلى مكان واحد و لتظهر اليابسة[1]، فكان كذلك فسمى الله اليابسة أرضا و سمى مجامع المياه بحورا؛ و قال: لتخرج[2] الأرض نبت عشب يزرع منه[3] زرع لجنسه و شجر[4] ذات ثمار تثمر لجنسها يغرس منه غرس على الأرض، فأينعت الأرض نبتا عشبا يزرع منه زرع لجوهره و شجر ذات ثمار[5] لجوهرها؛ فقال الله: ليكن نجمان فى جلد السماء ليضيئا على الأرض ٥ و ليميزا بين النهار و الليل و ليكونا للآيات و الأزمان و العدد و الأيام و السنين، فخلق الله نورين عظيمين: المصباح الأكبر لسلطان النهار و المصباح الأصغر لسلطان الليل[6] و خلق النجوم، و كان المساء و الصباح من اليوم الرابع؛ فقال الله: ليحت[7] الماء حيتانا ذات أنفس[8] حية، و ليطر الطير فوق الأرض فى جو السماء، فكان كذلك؛ و خلق تنانين[9] عظيمة ١٠ و كل نفس حية[10] تدب فى الماء لأجناسها و كل طيور ذات أجنحة

= فالأرضون سبع: الأولى التى نحن عليها اسمها رمكاء – من شاء الاطلاع على ما بقى فلينظر فيه. (٧) فى م: ليجتمع.

(١) فى ظ: المناسبة.

(٢) فى م: ليخرج، و فى ظ: تخرج.

(٣) فى ظ: منها.

(٤) من ظ، و فى الأصل و م و مد: شجرا.

(٥) فى م: ثماره.

(٦) فى ظ: اليل – كذا.

(٧) فى ظ: سحت – كذا

(٨) فى ظ: نفس.

(٩) التنين الحوت و الحية العظمية.

(١٠) ليس فى م.

لأصنافها و باركها و قال : انموا و اكثروا و امـلأوا مياه البحور و ليكثر الطير على وجه الأرض ؛ و قال الله : لتخرج[١] الأرض أنفسا حية لجنسها دواب و سباع الأرض لأجناسها ، فكان كذلك ؛ و خلق الله سباع الأرض لأجناسها[٢] و الدواب لأصنافها و جميع هوام الأرض ٥ لجواهرها .

فأراد الله أن يخلق خلقا يتسلط على حيتان البحر و طير السماء و على الدواب و جميع السباع و على الحشرة التى تدب على الأرض فخلق آدم[٣] بصورته ذكرا و أنثى و بارك عليهما و قال لهما : انميا و اكثرا و تسلطا على حيتان البحر و طير السماء و الدواب و جميع السباع ؛ و قال : ها أنا ذا[٤]

(١) ف م : ليخرج .

(٢) ف ظ : حياطمها - كذا .

(٣) ف تفسير أسرار الفاتحة لملامعين الهروى : ف تفسير بحر العلوم أيضا عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : أخبرنى أبو عثمان قال : قلنا لسلمان الفارسى رضى الله عنه : يا با عبد الله حدثنا رحمك الله ! من خلق السماوات و ما فيهن من العجائب ؟ فانك إن فارقتنا لم نجد من يحدثنا ؛ فقال سلمان : نعم ، خلق الله السماوات السبع و سماهن بأسمائهن و أسكن كل سماء صفا من الملائكة تعبدونه و أوحى فى كل سماء أمرها فسمى السماء الدنيا رقيعا - إلى أن قال : ثم خلقت آدم قبل أبيك آدم ، عمرته عشرة ألف سنة ، ثم مات فجعلت عشرة آلاف آدم قبل أبيك آدم ، و عاش كل آدم عشرة آلاف سنة ، ثم خلقت أباك آدم بعده بعشرة آلاف سنة - و سوى ذلك من العجائب .

(٤) ف الأصل : هاندا ، و فى م : هانذا ، و ف ظ : هأنذا - كذا .

قد أعطيتكما جميع العشب[1] الذى يزرع على وجه الأرض كلها و كل شجر ذات ثمار تغرس فيها ليكون لكما[2] مأكلا و لجميع سباع البر و طيور السماء و لكل[3] ما يدب على الأرض فيه نفس حية، فكان كذلك؛ و كملت السماء و الأرض و جميع ما فيهما فى اليوم السادس، و لم يكن ظهر على الأرض شيء من عشب الأرض، لأن الله لم يكن أهبط المطر على وجه الأرض ٥ بعد، و ذلك لأن آدم لم يكن خلق بعد ليعمل فى الأرض، و كان ينبوع يظهر فى قعرعدن فيسقى جميع وجه الأرض.

فجبل الله الرب آدم / من تربة الأرض و نفخ فى وجهه نسمة الحياة /٥٧ فصار آدم ذا نفس حية[4] و غرس الله الرب فردوسا بعدن من قبل و أسكنه آدم، و أنبت الله كل شجرة حسنة المنظر شهية المأكل و شجرة الحياة ١٠ وسط الفردوس و شجرة علم الخير و الشر، و كان نهر يخرج من عدن فيسقى الفردوس و كان ينفصل من هناك و ينفرق على أربعة أطراف: اسم أحدها[5] سيحون الذى يحيط بجميع أرض الهند و تلك البلاد الكثيرة، و ذَهَبُ تلك الأرض جيد جدا، هنالك المها و حجر البلور، و اسم النهر الثانى جيحون الذى يحيط [6]بجميع أرض[6] الحبشة، ١٥

(١) وقع فى م: الشعب ـ كذا مصحفا.
(٢) فى الأصول كلها: لكم.
(٣) فى ظ: كل.
(٤) ليس فى ظ.
(٥) فى م: احدهما ـ كذا.
(٦-٦) فى ظ: بارض.

و اسم النهر الثالث دجلة [1] الذى يخرج [1] قبالة الموصل ، و النهر الرابع الفرات ؛ فتقدم الرب إلى آدم و قال له : كل من جميع أشجار الفردوس ، فأما شجرة علم الخير و الشر فلا تأكل منها ، لأنك فى اليوم الذى تأكل [2] منها تموت [3] موتا .

٥ و قال الله : لا يحسن أن يكون آدم وحده فلنخلق له عونا مثله [4] ، فجمع الرب من الأرض جميع سباع البر و طير السماء و أقبل بها إلى آدم ليرى ما يسميها وكل نفس حية سماها آدم فذلك اسمها فسمى الجميع ، فألقى الله على آدم سباتا [5] فرقد ، فنزع ضلعا من أضلاعه وأخلف له بدله لحما ، فخلق الله من الضلع الذى أخذ من آدم امرأة ، فأقبل بها إلى ١٠ آدم فقال: هذه الآن التى قرنت [6] إلىّ ! و فى هذه عظم من عظامى و لحم

(١-١) فى م : التى تخرج .

(٢) فى م : ياكل .

(٣) فى م : يموت .

(٤) قال أبو حيان : و توجه الأمر بالسكنى على زوج آدم دليل على أنها كانت موجودة قبله ، و هو قول بعض المفسرين إنها خلقت من وقت علمه الله الأسماء و انبأهم هو إياها ، نام نومة فخلقت من ضلعه الأقصر قبل دخول الجنة ، و أكثر أئمة التفسير انها خلقت بعد دخول آدم الجنة ، استوحش بعد لعن إبليس وإخراجه من الجنة فنام فاستيقظ فوجدها عند رأسه قد خلقها الله من ضلعه الأيسر ، فسألها من انت ؟ قالت : امرأة ، قال : و لم خلقت ؟ قالت : تسكن إلىّ .

(٥) قال الله تعالى : وجعلنا نومكم سباتا .

(٦) و فى ظ : قربت .

من لحى! فلتدع[1] امرأة لأنها أخذت من الرجل، و لذلك يدع الرجل أباه و أمه و يلحق بامرأته و يكونان[2] كلاهما جسدا واحدا؛ وكانا كلاهما عريانين آدم و امرأته و لا يستحييان.

وكانت الحية أعز دواب البر كلها فقالت الحية للمرأة: أحق أن الله قال لكما: لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟ فقالت المرأة: إنا لنأكل من ٥ كل ثمر الجنة[3]، فأما من ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فان الله قال لنا: لا تأكلا منها و لا تقرباها[4] لكيلا تموتا؛ قالت الحية: لستما[5] تموتان، و لكن الله علم أنكما إن[6] تأكلا منها تنفتح أعينكما و تكونا كالإله[7] تعلمان الخير و الشر[8]. فرأت المرأة الشجرة طيبة المأكل شهية[9] في العين

---

(١) في ظ: فلىدع - كذا.

(٢) في ظ: يكون.

(٣) قال أبو حيان: أباح لهما الأكل حيث شاءا، فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما مأكولا إلا ما وقع النهى عنه.

(٤) في ظ: لا تقربانها - كذا. قال أبو حيان: نهاهما عن القربان وهو أبلغ أن يقع النهى عن الأكل، لأنه إذا نهى عن القربان فكيف يكون الأكل منها! والمعنى و لا تقرباها بالأكل.

(٥) في الأصل وم: ليس، و في ظ: ليست، و لا يتضح في مد.

(٦) ليس في ظ.

(٧) زيد في ظ: له.

(٨) قال أبو حيان: وقال الكلبي: شجرة العلم عليها من كل لون، ومن أكل منها علم الخير و الشر.

(٩) في ظ: شبهة - كذا.

فأخذت من ثمرتها فأكلت و أعطت بعلها فأكل، فانفتحت أبصارهما و علما أنهما عريانان، فوصلا من ورق التين و صنعا مآزر.

ثم ذكر أن الله تعالى سأله عن ذلك فقال آدم: المرأة التي[1] قرنتها معي هي[2] أطعمتني[3] من الشجرة فأكلت[4]، فقال الله الرب للمرأة: ٥ ما[5] هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: إن الحية أعطتني فأكلت[6]، فقال للحية: ملعونة تكونين من جميع الدواب و من كل ماشية البر، و على بطنك تمشين، و التراب تأكلين كل أيام حياتك، و أغري العداوة بينك و بين المرأة و بين ولدها، و ولدها يطأ رأسك و أنت تلدغينهم[7] بأعقابهم! و قال للمرأة: أكثر[8] أوجاعك و احبالك و بالوجع تلدين البنين، و إلى

(١) ليس في ظ.

(٢) زيد في مد: التي.

(٣) في مد: طعمتني - كذا.

(٤) روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: لو لا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، و لو لا حواء لم تخن أنثى زوجها. و في فتح الباري قوله: لم تخن أنثى زوجها، فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك.

(٥) في ظ: يا - كذا.

(٦) في مد: فاعطتني - كذا.

(٧) في م: تلذغينهم.

(٨) من م و مد و ظ، و في الأصل نقط: اكثرى - كذا.

 بعلك

بعلك تردين و هو مسلط عليك! و قال لآدم : من أجل طاعتك امرأتك و أكلك الشجرة التى نهيتك عنها ملعونة الأرض من أجلك بالشقاء تأكل منها كل أيام حياتك أجاجا و شوكا تنبت[١] لك ، و تأكل عشب الأرض ، و برشح[٢] جبينك تأكل طعامك حتى تعود فى الأرض التى منها أخذت من أجل أنك تراب و إلى التراب تعود . ٥

فدعا آدم اسم امرأته حواء[٣] من أجل أنها كانت أم كل حى ، و صنع الله الرب لآدم و امرأته سرابيل من الجلود و ألبسها[٤] ، فأرسله من جنة عدن ليحرث الأرض التى منها أخذ ، فأخرجه الله ربنا و أحاط من مشرق عدن ملكا من الكروبيين بيده حربة يطوف بها ليحرس طريق شجرة الحياة . ثم قال بعد ذلك : فكان جميع حياة آدم تسعمائة و ثلاثين ١٠ سنة ثم توفى[٥] عليه السلام - هذا نص التوراة . و الكروب بوزن زبور

---

(١) فى م : تبيت .

(٢) فى م فقط : يرشح .

(٣) فى البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : فقالت له الملائكة ينظرون مبلغ علمه : ما اسمها؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء؟ قال : لأنها خلقت من شىء حى . و فى هذه القصة زيادات ذكرها المفسرون لانطول بذكرها لأنها ليست مما يتوقف عليها مدلول الآية و لا تفسيرها .

(٤) وفى م و مد وظ : البسهما .

(٥) زيد فى ظ : ادم .

بلغة العبرانيين [1]الشخص الصغير[1]، فكان الكروبيون[2] الملائكة[3] المنسوبين[4] إلى مخالطة الناس بالوحى أخذا من الكروبين[5] تثنية كروب و هما شخصان فى قبة الزمان كان [6]يسمع كلام الله من بينهما، كما يأتى قريبا.

فان أنكر منكر الاستشهاد بالتوراة أو[3] بالإنجيل و عمى عن أن ٥ الأحسن فى باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد تلوت عليه قول الله تعالىٰ استشهادا على كذب اليهود: «قل فاتوا بالتورىٰة فاتلوها ان كنتم صٰدقين»[7]، و قوله تعالى: «و انزلنا اليك الكتٰب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتٰب و مهيمنا عليه[8]» - فى آيات من[9] أمثال ذلك كثيرة؛ و ذكرته باستشهاد النبى صلى الله عليه و سلم بالتوراة فى قصة الزانى كما ١٠ سيأتى ان شاء الله تعالى فى سورة المائدة مستوفى. و روى الشيخان عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال[10]: تكون الأرض

(١-١) فى ظ: الصغر.
(٢) و فى الأصول: الكروبيين - كذا.
(٣) ليس فى ظ.
(٤) من م، و فى الأصل و مد و ظ: المنسوبون.
(٥) فى م: الكروبيين.
(٦) ليس فى م و ظ.
(٧) سورة ٣ آية ٩٣.
(٨) سورة ٥ آية ٤٨.
(٩) الظاهر ان «من» زائدة و تكون بدلا واو العطف.
(١٠) فى الصحيح للامام البخارى ٢/٩٦٥: عن أبى سعيد الخدرى قال النبى =

يوم القيامة خبزة نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك[1] الرحمن[2] عليك يا أبا القاسم ! ألا أخبرك بنزل[3] أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى[4]، قال : تكون الأرض خبزة [واحدة] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر النبي [5]صلى الله عليه وسلم[5] إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه . وقريب[6] من ذلك حديث الجساسة فى أشباهه . هذا فيما يصدقه كتابنا . ٥

وأما ما لا يصدقه ولا يكذبه فقد روى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج . ورواه مسلم والترمذى والنسائى عن أبى سعيد رضى الله عنه ، /[7]وهو[8] معنى ما فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : / ٥٨

= صلى الله عليه وسلم : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن ـ الحديث ، وفيه : ثم قال : ألا أخبرك بادامهم ؟ قال : ادامهم بالام ونون ، قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا .

(١) من م ومد وظ ورواية البخارى ، وفى الأصل : برك ـ كذا .

(٢) فى مد : الله .

(٣) فى ظ : بنز ـ كذا .

(٤) فى ظ : بل .

(٥-٥) ليست فى م .

(٦) فى م : قربت .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال كان » ليست فى مد .

(٨) فى ظ : هم .

كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم و قولوا: «آمنا بالذى انزل الينا و انزل اليكم[1]» الآية، فان دلالة هذا على سنية ذكر[2] مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها،
٥ و[3] لذا أخذ[3] كثير من الصحابة رضى الله عنهم عن أهل الكتاب.

فان فهم أحد من الشافعية منع أئمتهم من قراءة شيء من الكتب القديمة مستندا إلى قول الإمام أبي القاسم الرافعي فى شرحه: و كتب التوراة و الإنجيل مما لا يحل الانتفاع به، لأنهم بدلوا و غيروا، و كذا قال[4] غيره من الأصحاب؛ قيل له: هذا مخصوص بما علم تبديله[5]، بدليل أن كل من قال ذلك علل [بالتبديل -[6]] فدار الحكم معه، و نص الشافعى ظاهر فى ذلك، قال المزنى[7] فى مختصره فى باب جامع السير: [8]و ما كان من كتبهم أى الكفار[8] فيه طب و ما لا مكروه فيه بيع و[9] ما

(١) سورة ٢٩ آية ٤٦.
(٢) ليس فى مد.
(٣ - ٣) فى ظ: كذا اخبر.
(٤) ليس فى ظ.
(٥) فى م: بيديله - كذا.
(٦) زيد من م و مد و ظ، و قد سقط من الأصل.
(٧) زيد فى م و ظ: عنه.
(٨ - ٨) ليست فى ظ.
(٩) زيد فى مد: لا.

كان فيه شرك أبطل و انتفع بأوعيته . و قال فى الأم فى سير الواقدى
فى باب ترجمته كتب الأعاجم قال [١]الشافعى: و[١] ما وجد من كتبهم فهو
مغنم كله، و ينبغى للامام أن يدعو من يترجمه، فان كان علما من طب
أو غيره لا[٢] مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم، و إن كان
كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته و أداته فباعها، و لا وجه ٥
لتحريقه[٣] و لا دفنه قبل أن يعلم ما هو - انتهى. فقوله فى الأم: كتاب شرك،
مفهم لأنه كله شرك، و لهذا عبر المزنى عن ذلك بقوله: و ما كان فيه
شرك، أى من أبواب الكتاب و فصوله، و أدل من ذلك قولهم فى باب
الأحداث: إن حكمها فى مس المحدث حكم ما نُسِخَتْ تلاوته من القرآن
فى أصح الوجهين، و التعبير بالأصح على ما اصطلحوا عليه يدل على أن ١٠
الوجه القائل بحرمة مس المحدث و حمله لها قوى، و أدل من ذلك
ما ذكره محرر[٤] المذهب الشيخ محيي الدين النواوى رحمه الله فى مسائل
ألحقها فى آخر[٥] باب الأحداث من شرح المهذب و أقره أن المتولى قال:
فان ظن أن فيها شيئا غير مبدل كُرِه مسه - انتهى. فكراهة المس للاحترام،
و الاحترام فرع جواز الإبقاء و الانتفاع بالقراءة، و أصرح من ذلك ١٥

(١ - ١) ليس فى م .
(٢) فى ظ: فلا .
(٣) من م و ظ، و فى الأصل: للحريقه - كذا .
(٤) فى ظ: محرز .
(٥) ليس فى م و مد .

كله قول الشافعي رحمه الله: إن ما لا مكروه[1] فيه يباع، و كذا قول البغوى فى تهذيبه فى آخر باب الوضوء: وكذلك لو تكلم - أى الجنب - بكلمة توافق نظم القرآن أو قرأ آية نسخت قراءتها أو قرأ التوراة و الإنجيل أو ذكر الله سبحانه أو صلى على النبي صلى الله عليه و سلم لجائز، قالت ٥ عائشة رضى الله عنها: كان النبي صلى الله عليه و سلم يذكر الله على كل أحيانه. فانه لا يتخيل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للحدث، بل كل ما جاز للجنب قراءته من غير أمر ملجئ جاز للحدث و لا عكس، و تعليله لذلك بحديث عائشة رضى الله عنها دال على أن ذلك ذكر لله[2] تعالى، و لا يجوز الحمل على العموم لا سيما إذا لوحظ قول القاضى الحسين: إنه ١٠ يجوز الاستنجاء بها، لأنه مبنى على الوجه القائل بأن الكل مبدل؛ و هو ضعيف أو محمول على المبدل منها، لأنه لا يخفى على أحد أن مسلما فضلا عن عالم لا يقول: إنه يستنجى بنحو قوله فى العشر الكلمات التى صدرت بها الألواح قال الله جميع هذه الآيات كلها: أنا[3] الرب إلٰهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق، لا تكونن[4] لك آلهـة ١٥ غيرى، لا تعملن شيئا من الأصنام و التماثيل التى مما[5] فى السماء فوق و فى

(١) فى م: مكره.

(٢) فى ظ: الله.

(٣) فى م: ان.

(٤) فى م: يكونن.

(٥) فى م: هما - كذا.

الأرض من تحت و مما فى الماء أسفل الأرض ،[1] لا تسجدن لها و لا تعبدنها ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، لا تقسم[2] بالرب إلهك كذبا ، لأن الرب لا يزكى من حلف باسمه كذبا ، أكرم أباك و أمك ليطول عمرك فى الأرض التى يعطيكها[3] الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على صاحبك شهادة زور . و قد أشبع الكلام فى المسألة شيخنا ٥ حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر فى آخر شرحه للبخارى ، و آخر ما حط عليه التفرقة بين من رسخ قدمه فى العلوم الشرعية ـ فيجوز له النظر فى ذلك فانه يستخرج منه ما ينتفع به المهتدون - و بين غيره فلا يجوز له ذلك[4] ، و أيده بنظر الأئمة فيهما قديما و حديثا و الرد على أهل الكتابين بما يستخرجونه منهما ؛ فلو لا جواز ذلك ما أقدموا عليه ـ و الله الموفق . ١٠ و قد حررت المسألة فى فن المرفوع من حاشيتى على شرح ألفية الشيخ زين الدين العراقى فراجعه إن شئت - و الله الهادى ؛[5] ثم صنفت فى ذلك تصنيفا حسنا سميته « الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة » .

تنبيه : اعلم أن التوراة ثلاث نسخ مختلفة اللفظ متقاربة المعنى إلا يسيرا : إحداها تسمى توراة السبعين ، و هى التى اتفق عليها اثنان ١٥

---

(١) زيد فى ظ : و .

(٢) فى م : لا يقسم .

(٣) من ظ ، و فى الأصل : تعطيكها .

(٤) ليس فى م .

(٥) العبارة من هنا إلى « القديمة » ليست فى ظ .

و سبعون حبرا[1] من أحبارهم[2]؛ و ذلك أن بعض اليونان من ملوك مصر سأل بعض ملوك اليهود ببيت المقدس أن يرسل إليه عددا من حفاظ التوراة، فأرسل إليه اثنين[3] و سبعين حبرا، فأخلى كل اثنين منهم فى بيت و وكل بهم كتابا و تراجمة، فكتبوا التوراة بلسان اليونان، ثم قابل ٥ بين نسخهم الستة و الثلاثين فكانت مختلفة اللفظ متحدة المعنى، فعلم أنهم صدقوا و نصحوا، و هذه النسخة ترجمت بعد بالسريانى /٥٩ ثم بالعربى و هى فى أيدى النصارى؛ و النسخة الثانية نسخة اليهود من الربانيين و القرائين، و النسخة الثالثة نسخة السامرة؛ و قد نبه على مثل ذلك الإمام السمرقندى فى[4] الصحائف و استشهد بكثير من نصوص التوراة على كثير من مسائل أصول ١٠ الدين، و كذا الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد و القاضى عياض فى كتاب الشفاء و غيرهم.

ثم اعلم أن أكثر ما[5] ذكرته فى كتابى هذا من نسخة وقعت لى لم أدر اسم مترجمها و على حواشى فصولها الأوقات التى تقرأ[6] فيها، فالظاهر أنها نسخة اليهود و هى قديمة جدا، فكان فى الورقة الأولى منها محو فى ١٥ أطراف الأسطر فكملته من نسخة[7] السبعين، ثم قابلت نسختى كلها مع

(١) فى م: خبرا - كذا. (٢) فى م: اخبارهم - كذا.

(٣) فى ظ: اثنان.

(٤) زيد فى ظ: شرح، و الزيادة كانت فى الأصل أيضا و لكن ضرب عليها.

(٥) فى ظ من.

(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقرأ.

(٧) فى ظ: نسخت - كذا.

بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد الفيومي و هي عندهم أحسن التراجم [١] و كان هو القارئ [١]، فوجدت نسختي أقرب إلى حقائق لفظ العبراني و مترجمها أقعد من سعيد في لغة العرب ، هذا و ظاهر القرآن في قوله تعالى « فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له سٰجدين » [٢]، أن الأمر بالسجود له كان قبل إتمام خلقه و أن السجود كان عقب النفخ، و به ٥ صرح البغوي في تفسيره ، و أجاب عن قوله تعالى في سورة الأعراف « و لقد خلقنٰكم ثم صورنٰكم ثم قلنا للملٰئكة اسجدوا لأدم [٣] » بأجوبة ، منها أن الخلق و التصوير لآدم وحده ، و ذكره بضمير الجمع لأنه أبو البشر فخلقه خلقهم و تصويره [٤] تصويرهم ؛ و منها أن « ثم » بمعنى الواو [٥] ليست للترتيب - انتهى . و التصوير شق [٦] السمع و البصر و الأصابع - قاله يمان ، ١٠ و التسوية تعديل [٧] الخلق و إتمامه و تهيئته لنفخ الروح ، و يمكن أن يكون « خلقنٰكم » و ما بعده بمعنى قدرنا ذلك تقديرا قريبا من الإخراج من

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) سورة ١٥ آية ٢٩ .

(٣) سورة ٧ آية ١١ .

(٤) في ظ : تصوره .

(٥) زيد في ظ : و .

(٦) في م : سبق - خطأ .

(٧) وقع في ظ : تعديان - كذا مصحفا .

العدم؛ و بذلك يتضح قوله فى التوراة: فخلق آدم بصورته ذكرا و أنثى، ثم قال بعد ذلك: لأن آدم لم يكن خلق بعد، ثم حكى خلقه و خلق زوجه منه؛ فهذا خلق بمعنى الإيجاد، و ذلك بمعنى التقدير القريب منه - و التهيئة لقبول الغايات - والله اعلم . و مشى البيضاوى على أن الأمر ٥ بالسجود كان بعد الإنباء بالأسماء و لم يذكر دليلا يصرف عن هذا الظاهر على أن المشى عليه أولى[1] من جهة المعنى، لأن سجود الملائكة عليهم السلام قبل[2] يكون إيمانا بالغيب على قاعدة التكاليف، و أما بعد إظهار فضيلة العلم فقد كُشِف الغطاء و صار وجه الفضل من باب عين اليقين[3]؛ و أما الترتيب فى الذكر هنا على هذا الوجه و هو جعل السجود بعد الإنباء ١٠ فهو لنكتة بديعة و هى أنه تعالى لما كان فى بيان النعم التى أوجبت شكره باختصاصه بالعبادة لكونه منعما فبين أولا نعمته على كل نفس فى خاصتها بخلقها و إفاضة الرزق عليها، ثم ذكر الكل بنعمة تشملهم و هى محاجّته[4] لأقرب خلقه إذ ذاك إليه عن أبينا آدم قبل إيجاده اقتضى الأسلوب الحكيم أن يوضح لهم الحجة فى فضيلة هذا الخليفة فذكر ما آتاه من ١٥ العلم، فلما فرغ من محاجتهم بما أوجب إذعانهم ذكر بنيه[5] بنعمة السجود

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى مد: قيل .

(٣) فى ظ: الفعل .

(٤) من م و مد، و وقع فى الأصل و ظ: محتاجة - كذا مصحفا .

(٥) هكذا فى الأصل و م، و فى مد و ظ: تنبيه .

له، فما كان تقديم إظهار فضيلة العلم إلا محافظة على حسن السياق فى ترتيب الدليل على أقوم منهاج و أوضح[1] سبيل. و لما فرغ من نعمة التفضيل فى الصفات الذاتية بين النعمة بشرف المسكن مع تسخير زوج من الجنس لكمال الأنس و ما يتبع ذلك فقال تعالى. و قال الحرالى: لما أظهر الله سبحانه فضيلة آدم فيما أشاد[2] به عند الملائكة من علمه و خلافته ٥ و الإسجاد له و إباء إبليس عنه أظهر تعالى أثر ذلك ما يقابل من أحوال آدم حال ما ظهر للملائكة بما فيه من حظ مخالفة يشارك بها إفراط ما فى الشيطان من الإباء لإحاطة[3] خلق آدم بالكون كله علوا و سفلا، و ليظهر فضل آدم فى حال مخالفته على إبليس فى حال إبائه بما يبدو على آدم من الرجوع بالتوبة كحال رجوع الملائكة بالتسليم، فيظهر فيه الجمع ١٠ بين الطرفين و الفضل فى الحالين: حال علمه و حال توبته فى مخالفته، فجعل تعالى إسكان الجنة توطئة لإظهار ذلك من أمره فقال تعالى: «و قلنا يٰآدم اسكن»[4]، من السكن و هو الهدوّ فى الشيء الذى فى طيه

---

(١) ليس فى م و مد.

(٢) هكذا فى الأصل وكتب فيه تحته: الاشادة رفع الصوت؛ و فى م: اشار. و فى مد: امتاز.

(٣) فى ظ: بالاحاطة.

(٤) قال على المهائمى: «و» ذلك أنا زدناه إكراما إذ « قلنا يٰآدم اسكن انت و زوجك» تكميلا لإكرامك باكرام محبوبتك دار كرامتنا «الجنة و» أكملنا استيلاءهما عليها إذ قلنا «كلا منها» أى من نعيمها. قال أبوحيان الأندلسى: =

إقلاق ، أن فى قوله : « انت » اسم باطن الذات علما هى المشتركة[1] فى أنا و أنتَ و أنتِ و أن تفعل كذا ، و الألف فى أنا إشارة ذات المتكلم ، و فى مقابلتها التاء إشارة لذات المخاطب ذكرا أو أنثى ، « و زوجك الجنة » فأجنت لآدم ما فيها من خبء استخراج أمر معصيته ليكون ذلك توطئة لكمال باطنه باطلاعه على سر من أسرار ربه فى علم التقدير إيمانا و[2] لكمال ظاهره يكون ذلك توطئة لفضيلة توبته إسلاما ليس لبنيه التوبة

= و مناسبتها لما قبلها أن الله لما شرف آدم برتبة العلم و باسجاد الملائكة له امتن عليه بأن أسكنه الجنة التى هى دار النعيم أباح له جميع ما فيه إلا الشجرة على ما سيأتى فيها إن شاء الله . و قال الشربينى الخطيب : أى اتخذ الجنة مسكنا لتستقر فيها ، و لفظ أنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه ، و إنما لم يخاطبهما أولا بأن يقول : اسكنا ، تنبيها على أنه المقصود بالحكم و هو الأمر بالسكنى التى هى الأصل بالنسبة إلى ما عطف عليها من الأكل وغيره و المعطوف عليه تبع له حتى فى الوجود إذ لم يكن له من يؤنسه فى الجنة فخلقت حواء - بالمد - من ضلعه الأقصر من جانبه الأيسر و هو قائم . فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله فقال : من أنت ؟ قالت : زوجتك ، خلقنى الله لك ، أسكن إليك وتسكن إلىّ ، وسميت حواء لأنها خلقت من حى ، خلقها الله من غير أن يحس آدم و لا وجد بخلقها ألما . قال أبو البركات النسفى : الجنة هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور ، واللام للتعريف .

(١) فى ظ : المشركة .

(٢) ليس فى م .

أثر

أثر المعصية مخالفة لإصرار إبليس بعد إبائه و شهادة عليه بجهله فى ادعائه ، و جعل له ذلك فيما هو متنزل عن رتبة علمه فلم تلحقه فيه فتنة حفيظة على خلافته و أنزلت معصيته إلى محل مطعمه الذى هو خصوص حال المرء من جهة أجوفية خلقه ليبدو نقص الأجوف و يبدى ذلك إكبار الصمد الذى[1] يُطعِم ولا يُطعَم ، فكان ذلك من فعله تسبيحا بحمد ربه ؛ ٥ لايقضى الله لمؤمن[2] قضاء إلا كان خيرا له انتهى .

و لما كان السياق /هنا[3] لمجرد بيان النعم استعطافا إلى المؤالفة كان ٦٠/ عطف الأكل بالواو فى قوله « و كلا منها » كافيا فى ذلك ، و كان التصريح بالرغد الذى هو من أجل النعم عظيم الموقع فقال تعالى : « رغدا » ،[4] أى

---

(١) زيد فى م : و .

(٢) زيد فى م : من .

(٣) فى ظ : لهنا .

(٤) قال البيضاوى : « رغدا » أى واسعا رافها ، صفة مصدر محذوف « حيث شئتما » أى مكان من الجنة شئتما ، وسع الأمر عليهما إزاحة للعلة و العذر للتناول من الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر . و قال أبو حيان الأندلسى : قال الزجاج : الرغد الكثير الذى لا يعنيك ، و قال مقاتل : الواسع ، و قال مجاهد : الذى لا يحاسب عليه ، و قيل : السالم من الإنكار الهنيء « حيث شئتما » أباح لهما الأكل حيث شاءا فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما مأكولا إلا ما وقع النهى عنه – انتهى .

واسعا رافها[1] طيبا هنيئا[2] «حيث» [3]أى أىّ مكان[3] «شئتما» بخلاف سياق الأعراف فانه أريد منه مع التذكير بالنعم التعريف بزيادة التمكين و أنها لم تمنع من الإخراج تحذيرا للتمكنين[4] فى الأرض المتوسعين فى المعايش من إجلال السطوات و إنزال المثلات[5]، كما سيأتى إن شاء الله

٥ تعالى. ثم المقصود من حكاية القصص فى القرآن إنما هو المعانى فلا يضر اختلاف اللفظ إذا أدى جميع المعنى أو بعضه و لم يكن هناك مناقضة فان القصة كانت حين وقوعها بأوفى المعانى الواردة ثم إن الله تعالى يعبر لنا فى كل سورة تذكر[6] القصة فيها بما يناسب ذلك المقام من الألفاظ عما يليق من المعانى و يترك ما لا يقتضيه ذلك المقام، و سأبين

١٠ ما يطلعنى الله عليه من ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى.

و لما أباح لهما سبحانه ذلك كله اتبعه بالنهى عن شجرة واحدة. قال الحرالى: و أطلق له الرغد إطلاقا و جعل النهى عطفا و لم يجعله استثناء ليكون آدم أعذر فى النسيان لأن الاستثناء أهم فى الخطاب من التخصيص و قال: «و لا تقربا»[7] و لم يقل: و لا تأكلا، نهيا عن حماها

(١) فى م: رافيها - كذا.
(٢) العبارة من «اى» إلى هنا ليست فى ظ.
(٣-٣) ليست فى ظ.
(٤) فى م: للتمكينين.
(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المثلاث - كذا بالثاء المثلثة.
(٦) فى ظ: يذكر.
(٧) قال البيضاوى: فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات =

ليكون ذلك[1] أشد فى النهى - انتهى . « هذه »[2] و لما كان اسم الإشارة لا دلالة له على حقيقة الذات افتقر إلى بيان ذات المشار إليه فقال : « الشجرة » أى فانكما إن قربتماها[3] تأكلا منها « فتكونا » أى بذلك « من الظلمين »[4] أى الواضعين الشيء فى غير موضعه كمن يمشى فى

= التناول مبالغة فى تحريمه و وجوب الاجتناب عنه ، و تنبيها على أن القرب من الشيء يورث داعية و ميلا يأخذ بمجامع القلوب و يلهيه عما هو مقتضى العقل و الشرع كما روى : حبك الشيء يعمى و يصم . فينبغى أن لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه ، و جعله سببا لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى أو بنقص حظهما بالإتيان بما يخل بالكرامة و النعيم . قال على المهائمى : « و » من إكرامنا أباهما أنا لم نكلفهما بشيء سوى أن قلنا « لا تقربا » فضلا عن تناول شيء منها فضلا عن الأكل إذ القرب من الشيء يأخذ بمجامع القلب و يلهيه عما هو مقتضى الشرع و العقل « هذه الشجرة » من بين الأشجار الفائتة للحصر وكانت شجرة الحنطة أو الكرمة أو التينة « فتكونا من الظلمين » أنفسهم بتفويت الكرامات و التعرض للعقاب و العتاب ، فكانت هذه مدخلا للشيطان . قال النسفى : « الشجرة » أى الحنطة ، و لذا قيل : كيف لا يعصى الإنسان و قوته من شجرة العصيان ، أو الكرمة لأنها أصل كل فتنة ، أو التينة - انتهى .

(١) ليس فى م .
(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .
(٣) فى ظ : قربتماهما - كذا .
(٤) العبارة من هنا إلى « من الحكمة » ليست فى ظ .

الظلام؛ و في هذا النهى دليل على أن هذه[1] السكنى لا تدوم، لأن الخلد لا يناسب أن يعرض للحظر بأن يحظر عليه شيء و لا أن يؤمر و لا ينهى، و لذلك دخل عليه الشيطان من جهة الخلد، و لا داعي لبيان نوع الشجرة[2] لأن السياق لبيان شؤم المخالفة و بركة التوبة لا لتعيين المنهى

٥ عنه فليس بيانه حينئذ من الحكمة.

ثم بين أنهما أسرعا المواقعة بقضية[3] خلقهما على طبائع الشهوة لما نهيا عنه فقال: «فازلهما»، قال الحرالي: من الزلل و هو تزلق الشيء الذي لا يستمسك على الشيء الذي لا مستمسك فيه كتزلل الزلال عن[4] الورق

---

(١) في م: هذا.

(٢) نقل أبو حيان في الشجرة أقوالا متعددة و فيها قيل: شجرة لم يعلمنا الله ما هي و هذا هو الأظهر، إذ لا يتعلق بعرفانها كبير أمر، و إنما المقصود إعلامنا أن فعل ما نهينا عنه سبب للعقوبة .... قال القشيري: كل ما منع منه توفرت دواعي ابن آدم للاقتراب منه، هذا آدم عليه السلام أبيح له الجنة بجملها و نهى عن شجرة واحدة فليس في المعقول أنه مد يده إلى شيء من جملة ما أبيح له، و كأنه عيل صبره حتى ذاق ما نهى عنه، هكذا صفة الخلق، فقال: نبه على عاقبة دخول آدم الجنة من ارتكابه ما يوجب خروجه منها قوله تعالى «اني جاعل في الارض خليفة» فاذا أخبر تعالى بجعله خليفة في الأرض فكيف يمكن بقاؤه في الجنة، كان آدم لا أحد يوفيه في الرتبة يتوالى عليه النداء: يا آدم! يا آدم! فأمسى وقد نزع لباسه و سلب استئناسه و القدرة، لا تكابر وحكم الله لا يعارض. و قال الشاعر:

لله درهم من فتية بكروا مثل الملوك و راحوا كالمساكين

(٣) في ظ: يقتضيه.

(٤) في م: على.

و هو

و هو ما يجتمع من الطل فيصير ما على الأوراق و الأزهار ، و أزالهما من الزوال و هو التنحية عن المكان أو المكانة و هو المصير بناحية منه ؛ « الشيطٰن » هو مما أخذ من أصلين : من الشطن و هو البعد الذى منه سمى الحبل الطويل ، و من الشيط الذى هو الإسراع فى الاحتراق و السمن ، فهو من المعنيين مشتق كلفظ إنسان و ملائكة « عنها » أى عن مواقعة الشجرة و عن ٥ كلمة تقتضى المجاوزة عن سبب ثابت كقولهم : رميت عن القوس - انتهى.

[1] و تحقيقه[2] فأصدر الشيطان زلتهما أو زوالهما[3] عنها « فاخرجهما »[4] أى فتسبب عن إيقاعهما فى الزلل الناشئ عن تلك المواقعة أنه أخرجهما « مما كانا فيه » من النعمة العظيمة التى تجل عن الوصف . قال الحرالى : « فى » كلمة تقتضى وعاء مكان أو مكانة ، ثم قال : أنبأ الله عز وجل بما ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « عنها » ليست فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ، ويعضده قراءة حمزة « فازالهما وهما يتقاربان فى المعنى غير أن أزل يقتضى عثرة مع الزوال . و جعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ، و يشهد له قولهم : تشيطن ، و أخرى زائدة من شاط إذا بطل ، و من أسمائه الباطل .

(٣) فى م : زورا لهما .

(٤) قال على المهائمى « فاخرجهما مما كانا فيه » من الكرامات ، قيل أتى باب الجنة فمنعته الخزنة ، فجاءته الحية فسألها الدخول بفيها ، فأدخلته فوقف بين يدى آدم فقال : هل أدلك على شجرة الخلد؟ فلم يقبل ، « فقاسمهما انى لكما لمن النٰصحين » فاغترا فبادرت حواء ثم ناولت آدم فصدرت هذه المعصية من آدم قبل النبوة بنسيان جرم النهى بتغرير إبليس و إنسائه قوله « فتكونا من الظٰلمين » - انتهى .

فى خبء أمره مما هو من وراء علم الملائكة بما أظهر من أمر[1] آدم عليه السلام و بما وراء علم آدم بما أبدى من حال الشيطان باستزلاله لآدم حسن ظن من آدم بعباد الله مطلقا حين قاسمهما على النصيحة، و فيه انتظام بوجه مّا بتوقف الملائكة فى أمر خلق آدم لحذرت الملائكة إلى الغاية،

٥ فجاء من وراء حذرها حمد أظهره الله من آدم، و جاء من وراء حسن ظن آدم ذنب أظهره الله من الشيطان على سبيل سكن الجنة فرمى[2] بهما عن سكنها بما أظهر له بما فيها من حب الشجرة التى اطلع عليها. ثم قال: و حكمة ذلك أى[3] نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسببه[4]، إن الله [5]عز وجل[5] يعطى عباده الخير بواسطة و بلا واسطة و لا ينالهم شر إلا[6]

١٠ بواسطة نفس، كما وقع من الإباء للشيطان، فكانت خطيئته فى ذات نفسه أو بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم. فكانت خطيئته ليست[7] من ذات نفسه و عارضةً عليه من قبل عدو تسبب له بأدنى ما منه من زوجه[8] التى هى من أدنى خلقه فمحت التوبة الذنب العارض لآدم و أثبت الإصرار الإباء النفسانى للشيطان؛ و ذكر الحق تعالى الإزلال

(١) فى م: علم.
(٢) فى مد: مى من - كذا.
(٣) زيد فى ظ: و.
(٤) فى ظ: بتشبيه.
(٥ - ٥) ليس فى ظ.
(٦) فى م: الى.
(٧) ليس فى م.
(٨) فى م: روحة - كذا.

منه باسمه الشيطان لا باسمه إبليس لما في معنى الشيطنة من البعد و السرعة التي تقبل التلافي و لما في معنى الإبلاس من قطع الرجاء، فكان في ذلك بشرى استدراك آدم بالتوبة - انتهى .

و لما بين أنه غرهما فضرهما بين إهباط الغارّ و المغرور و بين أنه أنعم[١] على المغرور دون الغار مع ما سبق له من لزوم العبادة و طول ٥ التردد في الخدمة، و في ذلك تفخيم للنعمة استعطافا إلى الإخلاص في العبادة فقال عاطفا على ما يرشد إليه السياق من نحو أن يقال فتداركناهما بالرحمة و تلافينا[٢] خطأهما بالعفو لكونه عارضا منهما بسبب خارج؛ و أبّدنا تلافي[٣] الغار بشقائه لعصيانه بالضلال و الإضلال عن عمد فكان مغضوبا

(١) قال الخطيب الشربيني : قال ابن عباس رضي الله عنهما قال الله تعالى لآدم : أليس فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال : بلى يا رب و عزتك ولكن ماظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا، قال : فبعزتي لأهبطنك في الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا؛ فأهبطا من الجنة و كانا يأكلان فيها رغدا، فعلّم صنعة الحديد و أمر بالحرث فحرث و زرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم درسه ثم ذرأه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله . قال إبراهيم ابن ادهم : أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا .

(٢) و في التفسير المظهري : قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الله تعالى : يا آدم! ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رب زينته لي حواء، قال : فاني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها و دميتها في الشهر مرتين، فرنّت حواء عند ذلك، فقيل : عليك الرنة و على بناتك .

(٣) في الأصل : تلاف .

عليه «و قلنا» أي له و للغرور: «اهبطوا[1]»، [2]و فى ذلك لطف لذريته بالتنفير من الخطاء و الترهيب الشديد من جريرته و الترغيب العظيم على تقدير الوقوع فيه فى التوبة و الهبوط.

قال الحرالى: سعى فى درك و الدرك ما / يكون نازلا عن مستوى، ٦١/ فكأنه أمسك حقيقته - أى آدم - فى حياطته تعالى و حفظه و توفيقه اضراعته و بكائه و سر ما أودعه من أمر توبته؛ و أهبط صورته ليظهر [3]فى ذلك[3] فرق ما بين هبوط آدم و هبوط إبليس على ما أظهر من ذلك سرعة عود آدم توبة و موتا إلى محله من أنسه المعهود و قربه المألوف له[4] - من ربه، و إنظار إبليس فى الأرض مصرا منقطعا عن[5] مثل معاد آدم لما[6] نال إبليس من اللعنة التى هى مقابل التوبة. «بعضكم

(١) قال على المهائمى: «اهبطوا» من دار كرامتنا إلى دار الابتلاء و أقله العداوة و المضرة فى الدنيا و الدين إذ «بعضكم لبعض عدو» يعاديكم إبليس بالإضلال و الحية باللدغ «و» لا رجوع لكم إلى الجنة عن قريب إذ «لكم فى الارض مستقر» أى مدة استقرار يوقع فى الأمل «و متاع» يوقع فى الشهوات وينسى نعيم الجنة «الى حين» أى القيامة على ظهرها أو فى بطنها.

(٢) العبارة من هنا إلى «فى التوبة» ليست فى ظ.

(٣-٣) فى ظ: بذلك.

(٤) ليس فى ظ.

(٥) فى م: على.

(٦) فى مد: بما.

لبعض » البعض[1] ما اقتطع من جملة و فيه ما فى تلك الجملة ؛ « عدو » من العداء[2] أى المجاوزة عن حكم المسالمة التى هى أدنى ما بين المستقلين[3] من حق المعاونة - انتهى . فالمعنى فليحذر كل واحد منكم عدوه[4] باتباع الأوامر الأوامر و اجتناب النواهى .

قال الحرالى : و فيه إشعار بما تمادى من عدواء الشيطان على ذره[5] من ولد آدم حتى صاروا من حزبه ، و فيه أيضا بشرى لصالحى ولد آدم بما يسبونه من ذره إبليس فيلحقون بهم بالإيمان و الإسلام و التوبة فيهتدون بهداه من حيث عمّ بالعداوة ، فاعتدى ذو الخير فصارت عدواه[6] على أهل الشر خيرا ، و اعتدى ذو الشيطنة فصارت عدواه على أهل الخير شرا .
« و لكم فى الارض مستقر » تكونون فيه ، و هو من القرار[7] و هو كون

(١) و فى البحر المحيط : بعض اصله مصدر بعض يبعض بعضا أى قطع ، و يطلق على الجزء ، و يقابله كل ، و هما معرفتان لصدور الحال منهما فى فصيح الكلام .
(٢) فى البحر المحيط : العدو من العداوة و هى مجاوزة الحد ، يقال : عدا فلان طوره ، إذا جاوزه ، و قيل : العداوة التباعد بالقلوب ، من عدوى الجبل و هما طرفاه ، سميا بذلك لبعد ما بينهما ، و قيل : من عدا أى ظلم ، و كلها متقاربة فى المعنى ، و العدو يكون للواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث .
(٣) فى ظ : المستلفين .
(٤) فى ظ : صاحبه .
(٥) فى ظ : ذراء .
(٦) فى م : عداوه .
(٧) قال أبوحيان الأندلسى : المستقر مستفعل من القرار و هو اللبث و الإقامة ، =

الشيء فيما له فيه[1] تنام و ظهور و عيش موافق؛ «و متاع» تتمتعون[2] به، و المتاع[3] هو الانتفاع بالمنتفع به وقتا منقطعا يعرف نقصه بما هو أفضل منه، يعنى ففيه إشعار بانقطاع الإمتاع بما فى هذه الدنيا و نقص ما به الانتفاع عن محل ما كانا فيه، من حيث أن لفظ المتاع أطلق فى لسان
٥ العرب على الجيفة التى هى متاع المضطر و أرزاق سباع الحيوان و كلابها[4]، فكذلك الدنيا هى جيفة متع بها أهل الاضطرار بالهبوط من الجنة و جعلها حظا من لا خلاق له فى الآخرة؛ «الى حين» أى لا يتقدم و لا يتأخر، و فى إبهام الحين إشعار باختلاف الآجال فى ذرء الفريقين، فمنهم الذى يناله الأجل صغيرا، و منهم الذى يناله كبيرا -
١٠ انتهى[1].

= و يكون مصدرا و زمانا و مكانا.

(١) ليس فى ظ.

(٢) فى م: يتمتعون.

(٣) فى البحر المحيط: المتاع ما استمتع به من المنافع أو الزاد أو الزمان الطويل أو التعمير «إلى حين» إلى الموت أو إلى قيام الساعة أو إلى أجل قد علمه الله - قاله ابن عباس. و يمكن أن يفسر قوله «مستقر و متاع الى حين» بقوله «قال فيها تحيون و فيها تموتون و منها تخرجون»، و فى قوله «الى حين» دليل على عدم البقاء فى الأرض و دليل على المعاد، و فى هذه الآية التحذير عن مخالفة أمر الله بقصد أو تأويل و أن المخالفة تزيل عن مقام الولاية.

(٤) فى ظ: كلابهما - كذا.

و لما تسبب عن جزاء آدم عليه السلام بالإهباط الذى هو كفارة له أنه أُلهم الدعاء بما رحم به عبر عن ذلك بقوله[١] : « فتلقى » أى فهبطوا فتلقى « ادم » بعد الهبوط ، و التلقى ما يتقبله القلب باطنا وحيا ، أو كالوحى أبطن من التلقن[٢] الذى يتلقنه لفظا و علما ظاهرا أو[٣] كالظاهر - قاله الحرالى : « من ربه » [٤]أى المحسن إليه فى كل حال[٤] « كلمت » أى ترضيه ٥ سبحانه بما أفهمه التعبير بالتلقى ، و هى جمع كلمة ؛ و هى دعاء دعا به ربه[٥] أو ثناء أثنى به[٦] عليه ؛ و تطلق الكلمة أيضا على إمضاء أمر الله من غير

(١) قال على المهائمى : ولما لم يكن معصية آدم كفرا وكان معتنى به ألهمه الله كلمات « فتلقى » أى تقبل « ادم من ربه كلمت » هى « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخسرين » فاستغفر عنها و تاب عن أمثالها - انتهى . قال البيضاوى : استقبلها بالأخذ و القبول و العمل بها حين علمها . و عن ابن عباس قال : يا رب ! ألم تخلقنى بيدك ؟ قال : بلى ، قال : يا رب ! ألم تنفخ فى الروح من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك على غضبك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسكنى جنتك ؟ قال : بلى ، قال : رب ! إن تبت و أصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم . و أصل الكلمة الكلم و هو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع و البصر كالكلام و الجراحة - انتهى .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط : التلقين .

(٣) فى ظ : و .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) ليس فى مد .

(٦) ليس فى ظ .

تسبيب حكمة و لا ترتيب حكم - قاله الحرالى ثم قال : فى عطف الفاء فى هذه الآية إشعار بما استند إليه التلقى من تنبيه[1] قلب آدم و توفيقه بما أثبته له إمساك حقيقته عند ربه ، و يعاضد معناه رفع الكلمات وتلقيها آدم[2] فى إحدى القراءتين ، فكأنه تلقى الكلمات بما فى باطنه فتلقته
٥ الكلمات[3] بما أقبل بها عليه فكان مستحقا لها ، فكانت متلقية له بما جمعت القراءتان من المعنى « فتاب »[4] من التوب و هو رجوع بظاهر باطنه الإنابة و هو رجوع بعلم باطنه الأوبة و هو رجوع بتقوى قلب - انتهى . « عليه » لذكره إياه بالكلمات مخلصا فى نيته ، ثم علل بقوله « انه هو »[5] أى خاصة[5]

(١) فى ظ : تبيينه .

(٢) فى التفسير المظهرى : قرأ ابن كثير « ادم » بالنصب و « كلمت » بالرفع ، يعنى جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته .

(٣) فى ظ : الملائكة .

(٤) قال البيضاوى : فتاب عليه رجع إليه بالرحمة و قبول التوبة ، و إنما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة و هو الاعتراف بالذنب والندم عليه و العزم على أن لا يعود إليه ، و اكتفى بذكر آدم لأن حواء كانت تبعا له فى الحكم ولذا طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن و السنن ؛ « انه هو التواب الرحيم » الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذى يكثر اعانتهم على التوبة ، و أصل التوبة الرجوع ، فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية ، و إذا وصف به البارى تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ؛ الرحيم المبالغ فى الرحمة ، و فى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو - انتهى .

(٥-٥) ليست فى ظ .

« التواب » [1] أي البالغ التوبة المكرر لها ، و لما كان قد جعل على نفسه المقدس أن يتفضل على المحسن قال : « الرحيم » ، أي لمن أحسن[2] الرجوع إليه و أهله لقربه .

قال الحرالي : وكان إقراره بلفظه أدبا و إذعانا لقيام حجة الله على عباده بما أنبأ عنه من قوله « ربنا ظلمنا انفسنا[3] » الآية ، و هذه توبة قلب ٥ و عمل لاينقض مخصوص حال القلب منها ناقض و هي التوبة النصوح التي تبرئ من الذنب بتحقيق توحيد القلب و توجب تكفير الخطايا الظاهرة التي لا أصل لها في القلب من حجاب دعوى في الأفعال و شرك في أمر الله ، فبمقتضى ما في باطنه ظهر فيه اسمه الرحيم الذي هو من الرحمة و هو اختصاص فضله بالمؤمن ، و بمقتضى ما ظهر عليه من ١٠ الضراعة و الإقرار[4] ظهر فيه[5] مقتضى اسمه التواب ؛ فجمعت توبته الأمرين - انتهى .

و لما أعلموا بالعداوة اللازمة كان كأنه قيل : فما وجه الخلاص منها ؟ فقيل : اتباع شرعنا المشروع للتوبة و الرحمة فانا « قلنا »[6] كما تقدم[6] « اهبطوا » [7]و لما كان الهبوط الماضي يحتمل أن يكون من مكان من ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « قال » ليست في ظ .

(٢) في ظ : يحسن .

(٣) سورة ٧ آية ٢٣ .

(٤) في ظ : فالاقرار .

(٥) العبارة من هنا إلى « نحو قوله » في الصفحة الآتية رقم ٣٢٤ ساقطة من م .

(٦-٦) ليست في ظ .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال » ليست في ظ .

الجنة إلى أدنى منه ولم يخرجوا منها فكرره هنا للتأكيد[1] تصويرا لشؤم المعصية وتبشيعا لها قال: «منها» [2]أى الجنة[2] «جميعا»[3] أى لا يتخلف منكم أحد سواء كان ذلك قران[4] واحد أو على التعاقب، وعهدنا إليهم عند الهبوط إلى دار التكليف أنا نأتيهم بالهدى ليؤديهم[5] [1]إلى الجنة مرة أخرى[1] واعدين من اتبع متوعدين من امتنع فقلنا: «فاما يأتينكم»، ٥

(١) قال البيضاوى: كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود، فان الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون، والثانى أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف، فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك، والتنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما! ولكنه نسى ولم نجد له عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر، وقيل الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والثانى منها إلى الأرض وهو كما ترى؛ و«جميعا» حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل: اهبطوا منهم أجمعون، ولذلك تستدعى اجتماعهم إلى الهبوط فى زمان واحد كقولك: جاؤا جميعا - انتهى كلامه. قال المهائمى: «قلنا اهبطوا» أى استقروا بمكان الهبوط «منها» أى من أثر تلك المعصية «جميعا» أى مجتمعين مع ما بينكم من العداوة لأن المقصود بالذات من الإهباط إلى دار الابتلاء هو الابتلاء بالتكليف.

(٢-٢) ليست فى ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى «التعاقب» ليست فى ظ.

(٤) فى مد: فى ان.

(٥) ليس فى ظ.

و قال الحرالى: [1]مورد هذه الآية[2] بغير عطف إشعار بأن ظاهرها افتتاح لم[3] يتقدمه إيجاء بباطن كما تقدم فى السابقة ، و تكرر الإهباطان من حيث أن الأول / إهباط لمعنى القرار[4] فى الدنيا و الاغتذاء[5] فيها و ذرء[6] الذرية /٦٢ و أعمال أمر العداوة التى استحكمت بين الخلقين من آدم و إبليس ، و هذا الإهباط الثانى إهباط عن مكانة الرتبة الآمرية الدينية التى كانت ٥ خفية فى أمر آدم ظاهرة فى أمر إبليس ، و فى قوله : « جميعا » إشعار بكثرة ذرء[6] الخلقين و كثرة الاحداث فى أمر الديانة من الثقلين - انتهى .

---

(١) زيد فى مد: فى .

(٢) قال القاضى ثناء الله العثمانى : الفاء للعطف ، و إن حرف شرط ، وما زائدة أكدت به إن ، و لذا حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطاب ، يعنى إن يأتى لكم منى هدى يعنى رسولا و كتابا ، الخطاب به إلى ذرية آدم . و قال البيضاوى : والمعنى إن يأتينكم منى هدى بانزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا و فاز ، و إنما جىء بحرف الشك لأنه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا ، وكرر لفظ الهدى و لم يضمره لأنه أراد بالثانى أعم من الأول و هو ما أتى به الرسل و اقتضاه العقل ، أى فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه و لا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه ، والخوف على المتوقع ، و الحزن على الواقع ، نفى عنهم العقاب و أثبت لهم الثواب على آكد وجه و أبلغه - انتهى كلامه .

(٣) فى ظ ، لما .

(٤) فى ظ : القران - كذا .

(٥) فى ظ : الاغتدأ - كذا ، و لا يتضح فى مد .

(٦) فى ظ : ذراء .

وخص في إبراز الضمير بمحض الإفراد من غير إيراد بمظهر العظمة إبعادا عن الوهم فقال: «مني هدى»[1] أي بالكتب والرسل، [2]ولما كان الهدى الذي هو البيان لا يستلزم الاهتداء قال[2]: «فمن تبع» أي أدنى اتباع يعتد به، ولذلك اكتفى في جزائه بنفي الخوف الذي ٥ قد يكون عن توبة من ضلال بخلاف ما في طٰه[3] كما يأتي إن شاء الله تعالى. والتبع السعي أثر عَلَم الهدى - قاله الحرالي. «هداى» أي المنقول

(١) قال أبو حيان: «مني» متعلق بيأتينكم، وهذا شبيه بالالتفات لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع، أو المعظم نفسه إلى الضمير الخاص بالمتكلم المفرد، وحكمة هذا الانتقال هنا أن الهدى لا يكون إلا منه وحده تعالى، فناسب الضمير الخاص كونه لا هادي الا هو تعالى، فأعطى الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره الضمير الخاص الذي لا يحتمل غيره تعالى، وفي قوله «مني» إشارة إلى أن الخير كله منه، ولذلك جاء «قد جاءكم برهان من ربكم» و«قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء» فأتى بكلمة من الدالة على الابتداء في الأشياء لينبه على أن ذلك صادر منه ومبتدأ من جهته تعالى، وأتى بأداة الشرط في قوله «فاما يأتينكم مني هدى» وهي تدخل على ما يتردد في وقوعه والذي انبهم زمان وقوعه، وإتيان الهدى واقع لا محالة لأنه انبهم وقت الإتيان، أو لأنه آذن لك بأن توحيد الله تعالى ليس شرطا فيه إتيان رسل منه ولا إنزال كتب بذلك بل لو لم يبعث رسلا ولا أنزل كتبا لكان الإيمان به واجبا وذلك لما ركبت فيهم من العقل ونصب لهم من الأدلة ومكن لهم من الاستدلال كما قال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال معناه الزمخشري غير إنشاد الشعر - انتهى كلامه.

(٢ - ٢) ليست في ظ.

(٣) كتب فوقه في الأصل: من قوله «اتبع هداى».

أو

أو المعقول، فالثانى أعم من الأول. لأنه أعم من أن يكون منقولا عن الرسل أو معقولا بالقياس على المنقول عنهم، أو بمحض العقل كما وقع لورقة بن نوفل و زيد بن عمرو بن نفيل و أضرابهما المشار إليهم بالقليل فى قوله تعالى «و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطن الا قليلا ه[1]»، قال العارف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى فى كتابه رشف النصائح ٥ الإيمانية: فالعقل حجة الله الباطنة[2] و القرآن [3]حجة الله[3] الظاهرة. قال الحرالى: و جاء «هداى» شائعا ليعم رفع الخوف و الحزن من تمسك بحق ما من الحق الجامع، و أدناه من آمن بالله و اليوم الآخر وعمل صالحا فيما بينه و بين الحق و فيما بينه و بين الخلق - انتهى.

[4]و لما كان الخوف أشد لأنه يزداد بمر الزمان، و الحزن يخفّ، قدّمه ١٠ فقال[4]: «فلا خوف عليهم» أى من[5] شيء آت، فان الخوف اضطراب النفس من توقع فعل ضارّ - قاله الحرالى. «و لا هم يحزنون ه» أى على شيء فات، [4]لأنهم ينجون من النار و يدخلون الجنة[4] و[6] الحزن كما قال الحرالى: توجع القلب لأجل نازح قد كان فى الوصلة به[7] رَوح، و القرب

(١) سورة ٤ آية ٨٣.

(٢) فى ظ: الباطن.

(٣-٣) فى مد و ظ: حجته.

(٤-٤) ليست فى ظ.

(٥) ليس فى مد.

(٦) فى ظ: فان. (٧) ليس فى ظ.

منه راحة، و جاء فى الحزن بلفظ «هم» لاستبطانه، و بالفعل لأنه باد من باطن تفكرهم فى فائتهم، و جاء نفى الخوف منعزلا عن فعلهم لأنه من خوف[1] باد عليهم من غيرهم[2] - انتهى[3].

و لما بشر المؤمنين الذين [4]اتبعوا الهدى[4] اتبعه إنذار الكافرين[4] الذين نابذوه[4] بقوله: «و الذين كفروا»[5]، قال الحرالى[6]: هذا من أسوإ[7] الكفر، ٥

---

(١) فى مد: مخوف.

(٢) قال المهائمى: و «فاما يأتينكم منى هدى» أى فان تحقق لكم إتيان هدى علمتم بالدلائل العقلية و المعجزات القولية و الفعلية أنه منى «فمن تبع هداى» أى ذلك الهدى بعد ما علم كونه هدى فى نفسه لا يصح نسبته إلى مضل «فلا خوف عليهم» بكونه تلبيسا منى أو من فعل الشيطان أو من الاطلاع على بعض الأمور السماوية أو الأرضية إذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة «ولاهم يحزنون» لما يفوتهم من الدنيا بعده - انتهى كلامه. وقال أبو حيان: و فى قوله «فمن تبع هداى» تنزيل الهدى منزلة الإمام المتبع المقتدى به فتكون حركات التابع و سكناته موافقة لمتبوعه وهو الهدى فحينئذ يذهب عنه الخوف و الحزن، و فى إضافة الهدى إليه من تعظيم الهدى ما لا يكون فيه لو كان معرفا بالألف و اللام، و الإضافة تؤدى معنى الألف واللام من التعريف و يزيد على ذلك بمزية التعظيم والتشريف.

(٣) ليس فى ظ.

(٤-٤) ليست فى ظ.

(٥) زيد فى مد، فلم يتبعوا الهدى.

(٦) قال المهائمى: «و الذين كفروا» أى أنكروا ذلك الهدى بتلك الاحتمالات البعيدة بل الباطلة بكونه هدى فى نفسه «وكذبوا بآيتنا» الواقع صدقها فى القلوب بالضرورة فلا يرفعون إلى الجنة ولا يتركون فى محل الهبوط المذكور بل =

لأنه كفر بالآيات التى جعلها الله عز و جل علما[١] على غيب عهده و هى[٢] ما تدركه جميع[٣] الحواس من السماء و الارض و ما بينهما، كما[٣] قال تعالى: «و من اٰيٰته خلق السمٰوٰت و الارض و ما بث فيهما من دابة[٤]» لأن الحق تعالى أظهر الكون كتابة[٥] دالة على أمره و جعل فى العقل نورا يُقرأ به كتابه[٦]، فمن لا نور له فهو من أصحاب النار، فهو إما تابع هدى بنور ٥ العقل و تنبيه الإيمان، و إما صاحب نار، فقال: «وكذبوا باٰيٰتنا»، لأنه لما كان من الذين كفروا بكتاب الخلق من تقبّل الإيمان بتنزيل الأمر اختصت كلمة العذاب بالذين تأكد كفرهم بالآيات المرئية[٧] بتكذيبهم بالآيات المنزلة، فكفروا بما رأوا فكانوا عميا، وكذبوا بما سمعوا فكانوا صُما - انتهى. و المعنى أنهم جمعوا بالكفر و التكذيب بين إنكار القلوب[٨] ١٠

= يهبطون عنها إلى أسفل السافلين إذ «اولٰئك اصحٰب النار» أى لا انتقال لهم عنها كأهل الإهباط الأول بل «هم فيها خٰلدون» إذ لا يتم الابتلاء إلا بإبعاد العذاب الخالد و لا يتم إلا بالإيفاء به. (٧) و هو الظاهر، و فى ظ: سوء.

(١) فى ظ: علم.

(٢) زيد فى ظ: جميع.

(٣) ليس فى ظ.

(٤) سورة ٤٢ آية ٢٩.

(٥) من مد وظ، وفى الأصل: كناية.

(٦) فى ظ: كتابته.

(٧) فى ظ: المراة - كذا.

(٨) فى ظ: القلب.

و الألسنة « اولئك » أى البُعَداء البغضاء « اصحٰب النار » و بين اختصاصهم بالخلود بقوله : « هم فيها خٰلدون » »[1] فعليهم الخوف الدائم لما يأتى من أنكالها و الحزن الدائم على فوات الجنة ، فالآية من الاحتباك[2] ، انتفاء الخوف و الحزن من الأول دال على وجودهما فى الثانى ، و وجود النار فى الثانى دال على انتفائها و وجود الجنة فى الأول[3] ، [4]و قد علم[4] من ذلك مع قوله « مستقر و متاع الى حين » أنه لا بد من رجوعهم إلى تلك الدار و كيف تكون منازلهم فيها ! فكأنه جواب سائل قال : هل بعد هذا الهبوط من صعود ؟ قال الحرالى : و قوله : « هم » . فيه إشعار باشراب العذاب بواطنهم و بلاغه إلى أنفسهم بعذاب الغم و الحزن و اليأس و غير

(١) العبارة من هنا إلى « فى الأول » ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان : فى قوله « اولئك اصحٰب النار » دلالة على اختصاص من كفر وكذب بالنار ، فيفهم أن من اتبع الهدى هم أصحاب الجنة ، و كان التقسيم يقتضى أن من اتبع الهدى لا خوف و لا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة ، و من كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار ، فكأنه حذف من الجملة الأولى شيء أثبت نظيره فى الجملة الثانية ومن الثانية شيء أثبت نظيره فى الجملة الأولى فصار نظير قول الشاعر :

و انى لتعرونى لذاكر فترة كما انتفض العصفور بلله القطر

أقول هذا هو الاحتباك الذى قاله الحرالى ، فالآية من الاحتباك .

(٣) زيد فى مد : و فيها احتباك آخر ، لأن إثبات اتباع الهدى فى الأول دال على انتفائه فى الثانى ، و إثبات الكفر فى الثانى دال على حذف الإيمان من الأول .

(٤-٤) و فى ظ : فعلم .

ذلك

ذلك من إحراق النار بواطنهم، و فيه[1] إشعار بكونهم فيها فى الوقت الحاضر من حيث لايشعرون[2]- الذى يشرب فى آنية الذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم، و النار أقرب إلى أحدهم من شراك نعله . فهم فيها خالدون و إن لم يحسوا فى الدنيا بحقيقتها، كما أن المهتدين فى جنة فى الدنيا [3]و إن لم يشهدوا عيانها، فكل خالد فيما هو فيه فى الدنيا[3] غيبا و فى ٥ الآخرة عيانا و فى القبر عرضا « لترون الجحيم ه ثم لترونها عين اليقين ه[4] »، « النار يعرضون عليها غدوا و عشيا[5] » . و هنا انتهى خطاب الفرقان المخصوص بدعوة العرب الذين هم رأس[6] أهل الدعوة المحمدية، قال عليه الصلاة و السلام : الناس كلهم تبع لقريش، مؤمنهم لمؤمنهم، و كافرهم

(١) فى ظ : فيها .

(٢) قال البيضاوى : و فيها دلالة على أن الجنة مخلوقة، و أنها فى جهة عالية، و أن التوبة مقبولة، و أن متبع الهدى مأمون العاقبة، و أن عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد، و أن غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى « هم فيها خٰلدون » . قال أبوحيان : فى قوله « اولئك » إشارة إلى الذوات المتصفة بالكفر والتكذيب، و كأن فيها تكريرا و توكيدا لذكر المبتدأ السابق ؛ و الصحبة معناها الاقتران بالشيء، والغالب فى العرف أن ينطلق على الملازمة و إن كان أصلها فى اللغة أن تنطلق على مطلق الاقتران، و المراد بها هنا الملازمة الدائمة، ولذلك أكده بقوله « هم فيها خٰلدون » .

(٣-٣) ليست فى ظ .

(٤) سورة ١٠٢ آية ٦، ٧ .

(٥) سورة ٤٠ آية ٤٦ .

(٦) فى ظ : رسل .

لكافرهم - انتهى . يعنى فهم المرادون بهذا بالقصد الأول ، و هو شامل لغيرهم ، و مراد به ذلك الغير بالقصد الثانى ، [1] و هنا آخر الآيات الخاصة بالنعم العامة لجميع بنى آدم دالة على التوحيد من حيث أنها حادثة فلها محدث ، و على النبوة من حيث أنه صلى الله عليه و سلم أخبر عنها موافقا ٥ لما فى التورة و الإنجيل من غير تعلم ، و على المعاد من حيث أن من قدر على خلقها ابتداء قدر على إعادتها - ذكره الأصفهانى عن الإمام .

٦٣ / / و فى الآية إشارة إلى الكتاب الذى هو هدى للتقين المشتمل على الأحرف السبعة التى [2] من أقبل على حرف منها حق الإقبال كفاه ، و من اشتغل عنها بالمتاع الأدنى خسر دنياه و أخراه .

١٠ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى التمهيد لشرط [3] مثال القراءة لحروفه السبعة و علمها و العمل بها : اعلم أن الله سبحانه خلق آدم بيده و نفخ فيه من روحه و رزقه نورا من نوره ، فلأنه خلقه بيده كان فى أحسن تقويم خلقا ، و لأنه نفخ فيه من روحه كان أكمل حياة قبضا و بسطا ، و لأنه رزقه نورا من نوره كان أصفى عقلا و أخلص لبا ١٥ و أفصح نطقا و أعرب بيانا جمعا و فصلا ، و [4] اطلعه على ما كتب من حروف مخلوقاته إدراكا و حسا ، و عقّله [5] ما أقام من أمره فهما و علما ،

(١) العبارة من هنا إلى « عن الإمام » ليست فى ظ .

(٢) زيد فى ظ : هى .

(٣) فى ظ : شرط .

(٤) ليس فى ظ . (٥) فى ظ : علمه .

و نبهه على ما أودعه فى ذاته عرفانا و وجدا؛ ثم جعل له فيما سخر له من خلقه متاعا و أنسا فأناسه[1] و ردده من[2] بين إقبال و إدبار و قبول و إعراض، فمن شغل بالاستمتاع الأدنى عن الاطلاع الأعلى كان سفيها، و من شغله الاطلاع الأعلى عن الاستمتاع الأدنى كان حنيفا «الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى[3]» «و من يرغب عن ملة ابرٰهم الا من سفه نفسه[4]» «ان ابرٰهم كان[5] امة قانتا لله حنيفا[6]». و لما كان متاع الخلق فى الأرض إلى حين و شغل أكثرهم أكلهم و تمتعهم و ألهاهم أملهم عن حظهم من الحنيفية بما أوتى العقل من التبليغ عن الله نظرا و اعتبارا اصطفى الله سبحانه من الحنفاء منبهين على النظر الذى اشتغل عنه المعرضون و أنف منه و استكبر عنه المدبرون، و أكدوا تنبيههم بما أسمعوهم من نبأ ما وراء يوم الدنيا من أمر الله فى اليوم الآخر و ما تمادى[7] إليه أيام الله، و ذكروهم بما مضى من أيام الله، و أنزل الله سبحانه معهم كتبا يتلونها عليهم و يبينونها لهم علما و عملا و حالا، فقبل ما جاؤا به و صدقه و استبشر به الحنيفيون و أنذر بـه المدبرون و المعرضون، فمنهم من آمن و منهم من كفر، آمن من تنبه للنظر و الاعتبار و ألقى السمع و هو شهيد،

---

(١) فى ظ: ناسه.
(٢) ليس فى ظ.
(٣) سورة ١٨ آية ١٠١.
(٤) سورة ٢ آية ١٣٠.
(٥) من ظ و مد و القرآن الكريم، ووقع فى الأصل: كانت - خطأ.
(٦) سورة ١٦ آية ١٢٠.
(٧) فى ظ: يتمادى.

وكفر من آثر متاعه بالعاجلة التى تراها الأعين على وعد الله و وعيده فى الآجلة التى إنما يعيها القلب و تسمعها الأذن ، وكما شغل المدعوين إلى الإسلام كفرهم و دنياهم كذلك شغل المولّدين[1] فى الإسلام غفلتهم و دنياهم و لعبهم فى صباهم و لهوهم فى شبابهم و تكاثرهم فى الأموال فى
٥ اكتهالهم[2] و تكاثرهم فى الأولاد فى شَيَخهم ، فاشترك المدعو إلى الإسلام و المولد فيه الغافل فى عدم الإقبال و القبول فى ترك الاهتمام فى الآجلة و اختصارهما على الاهتمام بالعاجلة ، وكلاهما جعل القرآن وراء ظهره المدعو لفظا و علما و المولد الغافل علما[3] و عملا ، فلم يسمعه المدعو و لم يفهمه الغافل فجعله بالحقيقة وراء ظهره ، و من جعل القرآن خلفه ساقه
١٠ إلى النار ، و إنما جعله أمامه من قرأه[4] علما و حالا و عملا ، و من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ؛ و لما قامت الحجة عليهم بقراءته إذا لم يجاوز حناجرهم كانوا أشد من الكفار عذابا فى النار - أكثر منافقى[5] أمتى قراؤها ، « ان المنفقين فى الدرك الاسفل من النار[6] » فاذًا لا بد فى قراءة القرآن من تجديد إقبال و تهيُّؤ لقبول و تحقيق تقوى لأنه إنما هو هدى
١٥ للتقين ، و إجماع على الاهتمام ، وكما أن أمور الدنيا لا تحصل لأهلها

(١) فى ظ : الموكدين .
(٢) فى ظ : اكتالهم - كذا .
(٣) فى ظ : عملا - كذا .
(٤) فى ظ : قرا .
(٥) فى ظ : منافقوا .
(٦) سورة ٤ آية ١٤٥ .

إلا

إلا على قدر عزائمهم و اهتمامهم فأجرى أن لا يحصل أمر الآخرى إلا بأشد عزيمة و أجمع اهتمام ، فلا يقرأ القرآن من لم يقبل عليه بكلية ظاهره و يجمع اهتمامه له بكلية باطنه « و كتبنا له فى الالواح من كل شيء موعظة و تفصيلا لكل شيء[1] » فخذها بقوة « يٰيحيىٰ خذ الكتٰب بقوة[2] » « فاستقم كما امرت و من تاب معك[3] » فشرط منال[4] قراءته اهتمام القلب بتفهمه ٥ و إقبال الحس على استماعه و تدبره ؛ و لكل حرف شرط يخصه ـ انتهى .

و لما[5] أقام سبحانه دلائل التوحيد و النبوة و المعاد أولا و عقبها بذكر الإنعامات العامة داعيا للناس عامة لاسيما بنى إسماعيل العرب الذين هم قوم الداعى صلى الله عليه و سلم و كان أحق من دُعِى بعد الأقارب و أولاه بالتقدم أهل العلم الذين كانوا على حق فزاغوا عنه و لا سيما إن كانت لهم قرابة ١٠ لأنهم جديرون بالمبادرة إلى الإجابة بأدنى بيان و أيسر تذكير ، فان رجعوا اقتدى بهم الجاهل فسهل أمره و انحسم شره ، و إن لم يرجعوا طال جدالهم فبان للجاهل ضلالهم فكان جديرا بالرجوع و الكف عن غيه و النزوع ، و عرفت من تمادى الكلام معهم الأحكام و بان الحلال و الحرام ؛ فلذلك[6] لما فرغ من دعوة العرب الجامعة لغيرهم باختصار و ختم بأن وعد فى ١٥

---

(١) سورة ٧ آية ١٤٥ .

(٢) سورة ١٩ آية ١٢ ، و هذه الآية ليست فى ظ .

(٣) سورة ١١ آية ١١٢ .

(٤) فى مد : مثال .

(٥) العبارة من هنا إلى « و سلم و » ليست فى ظ .

(٦) فى ظ : و لذلك .

اتباع الهدى و توعد شرع سبحانه يخص العلماء من المنافقين بالذكر و هم من
كان أظهر الإسلام من أهل الكتاب على وجه استلزم عموم المصارحين
منهم بالكفر، إذ كانوا من أعظم من خُص باتيان ما أشار إليه من الهدى
و البيان بما فيه الشفاء، و كان كتابهم المشتمل على الهدى من أعظم
٥ الكتب و أشهرها و أجمعها فقصّ عليهم ما مثله يلين الحديد و يخشع
الجلاميد فقال تعالى [١] مذكرا لهم بنعمه الخاصة بهم [١] / ٦٤ : « يٰبني إسراءيل »
و يجوز أن تقرر[٢] المناسبات[٣] من أول السورة على وجه آخر فيقال: لما

(١ - ١) ليست في ظ.

(٢) من مد، و في الأصل و ظ: تقرر - كذا.

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط: هذا افتتاح الكلام مع اليهود و النصارى، و مناسبة الكلام هنا ظاهرة، و ذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب وأن فيه هدى للمؤمنين، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المختوم عليهم بالشقاوة، ثم بذكر المنافقين و ذكر جمل من أحوالهم، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله، ثم ذكر إعجاز القرآن - إلى غير ذلك مما ذكره، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم و ما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهي عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس، وكانت هاتان الطائفتان أعني اليهود و النصارى أهل كتاب مظهرين اتباع الرسل و الاقتداء بما جاء من الله تعالى وقد اندرج ذكرهم عموما في قوله «يٰأيها الناس اعبدوا» فجرد ذكرهم هنا خصوصا، إذ قد سبق الكلام مع المشركين و المنافقين و بقي الكلام مع اليهود و النصارى فتكلم معهم هنا، و ذكروا ما يقتضي لهم الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة - إلى آخر الكلام معهم على ما سيأتي جملة مفصلة؛ و ناسب الكلام معهم قصة آدم عليه السلام لأنهم بعد =

كان الكفار قسمين: قسم محّض كفره، و قسم شابه بنفاق و خداع، و كان الماحض قسمين: قسم لا علم له من جهة كتاب سبق و هم مشركو العرب، و قسم له [1] كتاب يعلم الحق منه، ذكر تعالى قسم الماحض بما يعم قسميه العالم و الجاهل فقال: «ان الذين كفروا سواء عليهم» إلى آخره. ثم اتبعه قسم المنافق، لأنه أهم بسبب شدة الاختلاط بالمؤمنين و إظهارهم ٥ أنهم منهم ليكونوا من خداعهم على حذر، فقال: «و من الناس من يقول آمنا [2]» إلى آخره؛ و لما فرغ من ذلك و مما [3] استتبعه من الأمر بالوحدانية و إقامة دلائلها و إفاضة فضائلها، و من التعجيب ممن كفر مع قيام الدلائل، و التخويف من تلك الغوائل، و الاستعطاف بذكر النعم، شرع [4] في ذكر قسم من الماحض هو كالمنافق في أنه يعرف الحق و يخفيه ١٠

= ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللائح المذكور ذلك في التوراة و الإنجيل من الإيفاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن و من جاء به، و أقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد عليهم من الأوامر و النواهي و قد تقدمت الإشارة إلى ذلك - انتهى كلامه.

(١) من مد و ظ، و في الأصل: لهم.

(٢) وقع في ظ: امن - خطأ.

(٣) و في ظ: ما.

(٤) قال البيضاوي: و اعلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد و النبوة و المعاد و عقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها و تأكيدا فانها من حيث أنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق و الأمر وحده لا شريك له من حيث ان... هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها و لم يمارس شيئا منها إخبار بالغيب معجز تدل على نبوة المخبر عنها، و من حيث اشتمالها على خلق الإنسان و أصوله و ما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادرا على =

فالمنافق الف الكفر ثم أقلع عنه و أظهر التلبس بالإسلام و استمر على الكفر باطنا ، و هذا القسم كان على الإيمان بهذا النبي قبل دعوته ، فلما دعاهم محوا الإيمان الذى كانوا متلبسين به و أظهروا الكفر و استمرت حالتهم على إظهار الكفر و إخفاء المعرفة التى هى مبدأ الإيمان ، فحالهم ٥ كما ترى أشبه شيء بحال المنافقين ، و لهذا تراهم مقرونين بهم فى كثير من القرآن ، و أخرهم لطول قصتهم و ما فيها من دلائل النبوة و أعلام الرسالة بما أبدى مما أخفوه من دقائق علومهم ، فان مجادلة العالم ترسل فى ميادين العلم أفراس الأفكار فتُسرع فى أقطار الأوطار حتى تصير كالأطيار و تأتى ببدائع الأسرار ، و لقد نشر سبحانه فى غضون[1] مجادلتهم ١٠ و غضون[2] محاورتهم و مقاولتهم من الجمل الجامعة فى شرائع الدين التى فيها بغية المهتدين ما أقام البرهان على أنه هدى للعالمين؛ هذا إجمال الأمر ، و فى تفاصيله كما سترى[3] من بدائع الوصف أمور تجل عن الوصف ، تذاق بحسن[4] التعليم و يشفى[5] عيّ جاهلها بلطيف التكليم - و الله ولى التوفيق و الهادى إلى أقوم طريق .

= الإبداء ، خاطب أهل العلم و الكتاب منهم و أمرهم أن يذكروا نعم الله عليهم و يوفوا بعهوده فى اتباع الحق و اقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد و ما أنزل عليه فقال : « يٰبنى اسراءيل »

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غصون .

(٢) فى ظ : عصون . (٣) فى ظ : ترى .

(٤) فى مد : يحسن ، وفى ظ : بحنس - كذا .

(٥) من مد و ظ ، و فى الأصل : تشفى .

و قال

و قال الحرالي : ثم أقبل الخطاب على بنى إسرائيل[1] منتظما بابتداء خطاب العرب من قوله : « يايها الناس » و كذلك انتظام القرآن إنما[2] ينتظم رأس الخطاب فيه برأس خطاب آخر يناسبه فى جملة معناه و[2] ينتظم تفصيله بتفصيله ، فكان أول و أولى من خوطب بعد العرب الذين هم ختام بنو إسرائيل الذين هم ابتداء بما هم أول من أنزل عليهم الكتاب ٥ الأول من التوراة التى افتتح الله بها كتبه تلو صحفه و ألواحه . ثم قال : لما انتظم[3] إقبال الخطاب على العرب التى لم يتقدم لها هدى بما تقدمه من الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم انتظم بخطاب العرب خطاب بنى إسرائيل بما تقدم لها من هدى فى وقتها « انا انزلنا التورٰة فيها[4] هدى و نور[5] »

(١) قال أبو حيان : و مناسبة الكلام مع بنى إسرائيل هنا ظاهرة ، و ذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب و أن فيه هدى للمؤمنين ، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المختوم عليهم بالشقاوة ، ثم بذكر المنافقين و ذكر جمل من أحوالهم ، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله تعالى ، ثم ذكر إعجاز القرآن إلى غير ذلك مما ذكر ، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم و ما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهى عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس ، و كانت هاتان الطائفتان أعنى اليهود و النصارى أهل الكتاب مظهرين اتباع الرسل و الاقتداء بما جاء عن الله تعالى وقد اندرج ذكرهم عمو ما فى قوله « يايها الناس اعبدوا » بجرد ذكرهم هنا خصوصا ، إذ قد سبق الكلام مع المشركين و المنافقين و بقى الكلام مع اليهود و النصارى فتكلم معهم هنا و ذكر ما يقتضى لهم الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة . (٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : له تنظم .

(٤) فى ظ : فيه - خطأ . (٥) سورة ٥ آية ٤٤ .

و بما عهد إليها من تضاعف الهدى بما تقدم لها فى ارتقائه من كمال الهدى بمحمد صلى الله عليه و سلم و بهذا القرآن ، فكان لذلك[1] الأولى[2] مبادرتهم إليه حتى يهتدى[3] بهم العرب ليكونوا أول مؤمن بما عندهم من علمه السابق - انتهى .

٥ و ابتدأ[4] سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن النوع الآدمى من النعم التى كانوا يقابلونها بالكفران و ما عاملهم به من إمهالهم على مرتكباتهم و معاملتهم بالعفو و الإقالة مما يبين سعة رحمته و عظيم حلمه ، و ابتدأ من أوامرهم بالإيفاء بالعهود التى من أعظمها متابعة هذا النبي الكريم و الإيمان بكتابه الذى نفى عنه الريب فقال[5] : « يٰبنى اسراءيل »[6] أى الذى شرفته

---

(١) فى ظ : كذلك .

(٢) فى مد : اوفى .

(٣) فى مد و ظ : يقتدى .

(٤) قال أبو حيان الأندلسى : و ناسب الكلام معهم قصة آدم على نبينا و عليه السلام لأنهم بعد ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللائح المذكور ذلك فى التوراة و الإنجيل من الإيفاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن و من جاء به ، و أقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد عليهم من الأوامر و النواهى نحو قوله « يٰايها الناس اعبدوا » « و يٰادم اسكن » .

(٥) و لما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد و النبوة و خاطب الناس عامة و عدّ إنعاماته العامة خاطب بنى إسرائيل خاصة و ذكرهم النعماء التى اختصت بهم ، لأن السورة مدنية و كان غالب الخطاب فى المدينة مع اليهود ، لأنهم كانوا أهل علم و الناس تبع لهم فلو اعترفوا بالنبوة اعترف غيرهم بتقليدهم و كان حجة =

و شرفت بنيه من أجله « اذكروا »[1] من الذكر بالكسر و الضم بمعنى واحد يكونان باللسان و بالجنان ، و قال الكسائى : هو بالكسر باللسان و بالضم بالقلب ، و الذى بالقلب ضده النسيان ، و الذى باللسان ضده الصمت - نقله الأصفهانى . و قال الحرالى : من الذكر و هو استحضار ما سبقه النسيان . « نعمتى » و[2] هى إنالة الشخص ما يوافق نفسه و بدنه و عند ٥ المتفطن ما يوافق باطنه و ظاهره مما بين قلبه و شعوبه[3] من أهله و حشمه « التى » تى منها إشارة لباطن نازل متخيل مبهم تفسره صلته بمنزلة [ذى - [4]] و ال منها إشارة لذلك المعنى بالإشارة المتخيلة - انتهى . « انعمت » أى بها و دللت[5] على شرفها باضافتها إلى « عليكم »[6] و تلك النعمة الشريفة هى

= على غيرهم فقال « يبنى اسراءيل » - التفسير المظهرى ج ١ ص ٦٠ .

(٦) قال على المهائمى : أى يا أولاد صفوة الله أو عبد الله يعقوب المطلعين على قصة آدم و عهده - « اذكروا نعمتى التى انعمت » على أسلافكم فكان فى معنى الإنعام « عليكم » من لدن آدم بقبول توبته إلى زمن موسى بفلق البحر لكم و إغراق أعدائكم و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى عليكم و إنزال التوراة فانها كرامات مثل كرامة آدم باسجاد الملائكة له و إدخاله الجنة - انتهى .

(١) العبارة من هنا إلى « الاصفهانى و » ليست فى ظ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى مد : سو به ، و فى ظ : سه به .

(٤) زيد من مد و ظ .

(٥) فى ظ : ذللت - كذا .

(٦) قال أبوحيان : قال بعض العارفين : عبيد النعم كثيرون و عبيد المنعم قليلون ، =

الإتيان بالهدى من الكتب و الرسل الذى استنقذتكم به من هوان الدنيا و الآخرة « و اوفوا » من الوفاء و هو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق - قاله الحرالى . « بعهدى »[١] أى الذى أخذته عليكم فى لزوم ما أنزل إليكم من متابعة نبيكم و من آمركم باتباعه من بعده ، و العهد التقدم فى الشيء خفية ٥ اختصاصا لمن يتقدم له فيه - قاله الحرالى ،[٢] و قال الأصفهانى : حفظ الشيء

= فالله تعالى ذكر بنى اسرائيل نعمه عليهم ، ولما آل الأمر إلى أمة محمد صلى الله عليه و سلم ذكر المنعم فقال « اذكرونى اذكركم » فدل ذلك على فضل أمة محمد صلى الله عليه و سلم على سائر الأمم . قال البيضاوى : تقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور و حسود بالطبع فاذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة و الحسد على الكفران و السخط ، و إن نظر إلى ما أنعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء و الشكر .

(١) « اوفوا بعهدى » بالإيمان و الطاعة « اوف بعهدكم » بحسن الإثابة و العهد يضاف إلى المعاهِد و المعاهَد و لعل الأول مضاف إلى الفاعل والثانى إلى المفعول فانه تعالى عهد إليهم بالإيمان و العمل الصالح بنصب الدلائل و إنزال الكتب و وعد لهم بالثواب على حسناتهم . و قال المهائمى : « و اوفوا بعهدى » بالإيمان بكل هدى تحقق مجيئه منى سيما هدى محمد صلى الله عليه و سلم المأخوذ فيه ميثاق الأنبياء عليهم السلام فانه ليس بأقل من عهد آدم فى الشجرة و ما أخذ عليه فى ذريته بعد الهبوط « اوف بعهدكم » بازالة الخوف و الحزن و تكفير السيئات و تضعيف الحسنات و رفع الآصار و الأغلال - انتهى كلامه . و قال النسفى : و قال أهل الإشارة : « اوفوا » فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى « اوف » فى دار نعمتى على بساط كرامتى بسرور رؤيتى - انتهى .

(٢) العبارة من هنا إلى « و العهد به » ليست فى ظ .

و مراعاته

ومراعاته حالا فحالا ، قال الخليل : أصله الاحتفاظ بالشيء و إجداد العهد به ، « اوف بعهدكم » أي في جعلكم ممن لا خوف عليهم و لا حزن بسعة العيش و النصر على الأعداء كما يأتي عن نص التوراة في مظانه من هذا الكتاب « و اياى » أي خاصة « فارهبون ه » أي و لا تزلوا أجعلكم في مصير الكافرين بعد الضرب بأنواع الهوان في الدنيا ، و الرهب[1] حذر النفس مما شأنها منه ٥ الهرب لأذى تتوقعه ، و خوطبوا بالرهبة لاستبطانها فيما يختص لمخالفة[2] العلم ، قال الحرالي : و أطال سبحانه في حجاجهم جريا على قانون النظر في جدال العالم الجاحد و خطاب المنكر المعاند ، و في قوله تعالى « و آمنوا بما انزلت »[3]

---

(١) قال المهائمي : « و » لا تخافوا فوات جاهكم و رشاكم بل « اياى فارهبون » في كل ما تأتون و تذرون ، و الرهبة خوف مع تحرز . وقال البيضاوى : و خصوصا في نقض العهد ، و هو آكد في إفادة التخصيص من « اياك نعبد » لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول ، و الفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل : ان كنتم راهبين شيئا فارهبون . والآية متضمنة للوعد و الوعيد دالة على وجوب الشكر و الوفاء بالعهد و أن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحدا إلا الله .

(٢) في ظ : لمخاطبة .

(٣) افراد للايمان بالأمر به و الحث عليه لأنه المقصود و العمدة للوفاء بالعهود و تقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث أنه نازل حسب ما نعت فيها أو مطابق لها في القصص و المواعيد و الدعاء إلى التوحيد و الأمر بالعبادة و العدل بين الناس و النهي عن المعاصي و الفواحش و فيما يخالفها من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث أن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم =

أى أوجدت إنزاله « مصدقا لما معكم » تقرير لذلك الكتاب لا ريب فيه، و أمروا كما قال الحرالى بتجديد الإيمان بالقرآن لما فيه من إنباء بأمور من المغيبات التى لم تكن فى كتابهم كتفاصيل أمور الآخرة التى استوفاها القرآن، لأنه خاتم ليس وراءه كتاب ينتظر فيه بيان، و قد أبقى لكل كتاب قبله ٥ بقية أحيل فيها على ما بعده - ليتناءى البيان إلى غاية ما أنزل به القرآن حين لم يعهد إليهم إلا فى أصله على الجملة - انتهى . و فى قوله: « و لا تكونوا أول كافر به » معنى دقيق فى تبكيتهم و أمر جليل من تعنيفهم[1] و ذلك أنه ليس المراد من « أول »[2] ظاهر معناه المتبادر [3] إلى الذهن[3] فان العرب

= فى ايام المتأخر لنزل على وفقه ، ولذلك قال عليه السلام : لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى ، تنبيه على أن اتباعها لا ينافى الإيمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله « و لا تكونوا اول كافر به » انتهى ما فى البيضاوى .

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل : بغيتهم .

(٢) انظر تأويل معنى اول فى البحر المحيط لأبى حيان قد استوفى ما ذكر فيه إلى أن قال: و قيل ذكر الأولية تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول مؤمن به لمعرفتهم به وبصفته و لأنهم كانوا هم المبشرين بزمانه والمستفتحين على الذين كفروا به ، فلما بعث كان أمرهم على العكس ، قال تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » . و قال القشيرى : لا تسنوا الكفر سنة فان وزر المبتدئين فيما يسنون أعظم من وزر المقتدين فيما يتبعون . قال البيضاوى : فان قيل : كيف نهوا عن التقدم فى الكفر و قد سبقهم مشركو العرب ؟ قلت : المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك : أما انا فلست بجاهل ؛ أو لا تكونوا =

كثيرا ما تطلق الأول ولا تريد حقيقته بل المبالغة فى السبق ، كما قال مقيس بن صبابة [1] وقد قتل شخصا من الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل أخاه خطأ ورجع إلى مكة مرتدا :

حللت به وترى وأدركت ثورتى

وكنت إلى الأوثان أول راجع ٥

هذا فى جانب الإثبات ، فاذا نفيت ناهيا فقلت : لا تكن أول فاعل لكذا ، فمعناه انك إن [2] فعلت ذلك لم تكن صفتك إلا كذلك ، فهو خارج مخرج المبالغة فى الذم بما هو صفة المنهى فلا مفهوم له ، وعبر به تنبيها على أنهم لما تركوا اتباع هذا الكتاب [كانوا - [3]] لما عندهم من العلم بصحته فى غاية اللجاجة فكان عملهم فى كفرهم وإن تأخر ١٠

= أول كافر من أهل الكتاب أو ممن كفر بما معه ، فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه ، وأول أفعل لا فعل له ، وقيل : أصله اوال من وال فأبدلت همزته واوا تحقيقا غير قياسى ، أو اءول من آل فقلبت همزته وأدغمت - انتهى . وقال القاضى ثناء الله قلت : أو المراد بالأولية الأولية بالذات يعنى كونهم سببا لكفر غيرهم . فان إيمان العلماء والأحبار والرؤساء سبب لإيمان غيرهم وكفرهم سبب لكفر غيرهم ، فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ! إن شر الشرار شرار العلماء وان خير الخيار خيار العلماء - رواه الدارمى من حديث الأحوص ابن حكيم عن أبيه ؛ والمعنى لا تكونوا سببا لكفر أتباعكم فيكون عليكم إثم الأريسين ، وأول كافر خبر من ضمير الجمع بتأويل أول فريق . (٥-٥) ليس فى مد .

(١) العبارة من هنا إلى « وترى » ليست فى ظ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) زيد من مد و ظ .

عمل من يسابق شخصا إلى شيء ، أو يكون المعنى أنهم لم يمنعهم من الإيمان
به جهل بالنظر و لا عدم اطلاع على ما أتى به أنبياؤهم من البشر بل مجرد
الحسد للعرب أن يكون منهم نبي المستلزم لحسد هذا النبي بعينه ، لأن
الحكم على الأعم يستلزم الحكم على الأخص بما هو من أفراد الأعم ، فصارت
٥ رتبة كفرهم قبل رتبة كفر العرب الجاهلين به أو[١] الحاسدين له صلى الله
عليه و سلم بخصوصه لا لعموم العرب ، فكان أهل الكتاب أول كافر
به لا يمكن أن يقع كفرهم إلا على هذا الوجه الذى هو أقبح الوجوه ،
فالمعنى لا تكفروا به ، فانه إن وقع منكم كفر به كان أول كفر ، لأن
رتبته أول رتب الكفر الواقع ممن سواكم فكنتم أول كافر فوقعتم فى
١٠ أقبح وجوه الكفر ، [٢]و لذا أفرد و لم يقل : كافرين[٢] - و الله أعلم[٣] .

و لما نهاهم عن الكفر بالآيات نهاهم عن الحامل عليه لقوله : « و لا تشتروا »

---

(١) فى ظ : و .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) قال أبو حيان الأندلسي فى النهر الماد من البحر : « ولا تكونوا اول كافر به » لا مفهوم لقوله : اول ، فيكون قد أبيح لهم ثانيا أو آخرا ، فمفهوم الصفة غير مراد ، و إنما ذكرت الأولية لأنها أفحش لما فيها من الابتداء بالكفر ، و نظيره قول الشاعر :

من أناس ليس فى أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء جزع

فعاجل لا مفهوم له ، و أضيف إلى مفرد و إن كان قبله جمع لأن المفرد إذا كان صفة جاز أن يطابق و ان يفرد و قد جاء ذلك فى قوله :

وإذا هم طعموا فألأم طاعم وإذا هم جاعوا فشر جياع

أفرد فى طاعم و طابق فى جياع ، فقدره الفراء ألأم من طعم ، و قدره =

أى

أى تكلفوا و[١] تلحوا فى أن تستبدلوا[١] «بآيتى» أى التى تعلمونها فى الأمر باتباع هذا النبى الكريم «ثمنا قليلا»[٢] و هو رياسة قومكم و ما تأخذونه من الملوك و غيرهم على حمل الشريعة، و القلة ما قصر عن الكفاية - قاله الحرالى. «و اياى» أى خاصة «فاتقون» أى اجعلوا لكم وقاية من إنزال غضبى، فالتقوى نتيجة الرهبة كما أن هذه الأفعال نتيجة ما فى آية الرهبة، ٥ «و لا تلبسوا» [٣]و اللبس[٣] إبداء الشىء فى غير صورته، و منه اللباس

= غيره ألأم فريق طاعم، و هنا يتقدر على قول الفراء: أول من كفر، و على غيره أول حزب كافر، و به عائد على المنزل - انتهى كلامه.

(١ - ١) هكذا فى الأصل و مد غير أن فى مد «او» مكان «و»، و فى ظ: الشراء قاله الحرالى.

(٢) و لا تستبدلوا بالإيمان بها و الاتباع لها حظوظ الدنيا فانها و إن جلت قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان، قيل: كان لهم رياسة فى قومهم و رسوم و هدايا منهم، فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاختاروها عليه، و قيل: كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق و يكتمونه؛ «و اياى فاتقون» بالإيمان و اتباع الحق و الإعراض عن الدنيا. و لما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الآية الثانية فصلت الرهبة التى هى مقدمة التقوى و لأن الخطاب بها لما عم العالم و المقلد أمرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك و الخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذى هو منتهاه. و اللبس الخلط و قد يلزمه جعل الشىء مشتبها بغيره، و المعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه و تكتبونه حتى لا يميز بينهما، و فيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق - أنوار التنزيل للبيضاوى ١ / ٥٢.

(٣-٣) ليس فى ظ.

لإخفائه الأعضاء حتى لا تبين[1] هيئتها - قاله الحرالى : « الحق » أي مما تقرون به على ما هو عليه من التوراة و الإنجيل مما لا غرض لكم فى تبديله « بالباطل » مما تحرفونه منها ، و الحق قال الحرالى ما يقر و يثبت حتى[2] يضمحل مقابله، فكل زوجين فأثبتهما حق و أذهبهما باطل ، و ذلك الحق فالباطل هو ما

٥ أمد إدالته قصير بالإضافة إلى طول أمد زوجه القار - انتهى. [3]و لما كان اللبس قد يفارق الكتمان بأن يسأل شخص عن شيء فيبديه ملتبسا بغيره أو يكتمه و هو عالم به قال : « و تكتموا[4] الحق » أي[5] عمن لا يعلمه « و انتم تعلمون ه » أي مكلفون ، و جعله الحرالى على ظاهره فقال: لما طلبهم تعالى بالوفاء بالعهد نهاهم عن سوء العمل و ما لبسوا به الأمر عند

١٠ اتباعهم من ملتهم و عند من استرشدهم من العرب ، فلبسوا باتباعهم حق الإيمان بموسى عليه الصلاة و السلام و التوراة بباطل ما اختذلوه من كتابهم من إثبات الإيمان لمحمد صلى الله عليه و سلم و بالقرآن ، فكتموا الحق

---

(١) فى مد و ظ : لايتبين .

(٢) فى مد : حين .

(٣) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٤) قال البيضاوى : جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم أمروا بالإيمان و ترك الضلال و نهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق و الإخفاء على من لم يسمعه ، أو نصب باضمار أن على أن الواو للجمع أى لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ، « و انتم تعلمون » عالمين بأنكم لابسون كاتمون ، فانه أقبح إذ الجاهل قد يعذر ، و لذا قال عليه السلام : للجاهل ويل ، و للعالم سبعون ويلا .

(٥) زيد فى مد : الذى لا لبس فيه .

التام الجامع و لبسوا الحق الماضى المعهود بالباطل الأعرق الأفرط ، لأن باطل الحق الكامل باطل مفرط معرق بحسب مقابله ، و عرفهم بأن ذلك منهم كتمان[1] شهادة عليهم بعلمهم بذلك إفهاما ، ثم أعقبه بالشهادة عليهم بالعلم تصريحا - انتهى .

و فى هذه الآية أعظم زاجر لأهل الكتاب عما أظهروا فيه من ٥ العناد ، و من لطف الله تعالى زجر القاسى البعيد و نهى العاصى القلق إلى ما دون ذلك من تنبيه الغافل و زيادة الكامل . قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة: وجه إنزال هذا الحرف - يعنى حرف النهى - كف الخلق عما يهلكهم فى أخراهم و عما يخرجهم عن السلامة فى موتهم و بعثهم مما رضوا به و اطمأنوا إليه و آثروه من دنياهم، فمتوجهه للطمئن ١٠ بدنياه المعرض عن داعيه إلى اجتناب ما هو عليه يسمى زجرا ، و متوجهه للتلفت[2] المستشعر ببعض الخلل فيما هو عليه يسمى نهيا ، و هما يجتمعان فى معنى واحد و مقصود واحد إلا أنه متفاوت ، و لذلك[3] رددهما النبى صلى الله عليه و سلم على المعنى الجامع فى هذا الحديث يعنى المذكور[4] أول البقرة ، و أولاهما[5] بالبدئية فى الإنزال الزجر / لأن النبى [6]صلى الله عليه و سلم[6] إنما ١٥ /٦٦

(١) فى الأصل و مد و ظ : كتما ، وليس فى م .
(٢) فى ظ و مد: للتلفت .
(٣) فى ظ : كذلك
(٤) فى ظ : المذكورة .
(٥) فى ظ : و اولى .
(٦ - ٦) ليست فى ظ .

بعثه الله[1] حين انتهى الضلال المبين فى الخلق و نظر الله سبحانه إلى جميع
أهل الأرض فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، كما
ورد فى الحديث الصحيح إسنادا و متنا ، و لذلك كان أول منزل الرسالة
سورة[2] « يٰايها المدثر ‌ ۝ قم فانذر ۝ و ربك فكبر ۝ و ثيابك فطهر ۝ و الرجز
٥ فاهجر ۝[3] » و هى أول قوارع الأمر كما أن فجاءة الساعة أول قوارع
الخلق ، و لذلك انتظم ذكرهما فى قوله تعالى « فاذا نقر فى الناقور ۝ فذلك
يومئذ يوم عسير ۝ على الكٰفرين غير يسير ۝[4] » و للمزجور حالان إما
أن ينفر عند الزجرة توحشا كما قال تعالى « كانهم حمر مستنفرة ۝ فرت
من قسورة ۝[5] » و إما أن يدبر بعد فكره تكبرا كما قال تعالى « ثم نظر ۝
١٠ ثم عبس و بسر ۝ ثم ادبر و استكبر[6] » و ربما شارف أن يبصر فصرف ، قال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لكنها[7] عقول كادها باريها « ساصرف
عن اٰيٰتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق و ان يروا كل اٰية

(١) زيد فى ظ : تعالى .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ - ٥ .

(٤) سورة ٧٤ آية ٨ - ١٠ .

(٥) سورة ٧٤ آية ٥٠ و ٥١ .

(٦) سورة ٧٤ آية ٢١ - ٢٣ .

(٧) فى ظ : لكنه .

لا يؤمنوا بها[١]، صرفوا عن آيات الحق السماوية على ظهورها عقوبة على ذنب تكبرهم على الخلق مع الإحساس بظهور آية انضمام الأرحام فى وضوحها وكل قارعة لنوعى الكافرين النافرين و المدبرين من هذا الحرف و تمام هذا المعنى ينهى[٢] المتأنس المحاصر عن الفواحش الظاهرة و الباطنة الضارة فى العقبى و إن تضرروا بتركها فى الدنيا نحو قوله تعالى « و لا تقربوا » ٥ فى[٣] أكل مال اليتيم[٤] و الزنا[٥] و إتيان الحائض[٦] - إلى ما دون ذلك من النهى عما يعدونه فى دنياهم كيسا، نحو قوله[٧] و لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل[٨]، « و لا تأكلوا الربٰوا اضعافا مضاعفة[٩] » « و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضا[١٠] » و « لا يسخر قوم من قوم[١١] » و ما لحق بهذا النمط - إلى ما دون ذلك على اتصال التفاوت [١٢]من النهى[١٢] عن سوء التأويل لطية غرض النفس ١٠

(١) سورة ٧٤ آية ١٤٦ .

(٢) فى مد : بنهى، و فى ظ : يُلْهى .

(٣) زيد فى ظ : آية .

(٤) سورة ٦ آية ١٥٢ و سورة ١٧ آية ٣٤ .

(٥) سورة ١٧ آية ٣٢ .

(٦) سورة ٢ آية ٢٢٢ .

(٧) انتهت سقطة م إلى هنا كما نبهنا عليها فى صفحة ٢٩٥ .

(٨) سورة ٢ آية ١٨٨ .

(٩) سورة ٣ آية ١٣٠ .

(١٠) سورة ٤٩ آية ١٢ .

(١١) سورة ٤٩ آية ١١ .

(١٢ - ١٢) ليس فى مد .

نحو قوله تعالى : « و لا تقولوا لمن القى اليكم السلٰم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيٰوة الدنيا[1] » - إلى ما دون ذلك من النهى عما يقدح فى الفضل و إن كان من حكم العدل نحو قوله تعالى : و لا ياتل[2] اولو الفضل منكم و السعة ان يؤتوا اولى القربىٰ و المسٰكين و المهٰجرين فى سبيل الله[3] » [4]إلى تمام[4]

٥ ما لا تحصل السلامة إلا به من النهى عما زاد على الكفاف و البلغة فى الدنيا الذى به يصح[5] العمل بالحكمة نحو قوله تعالى : « و لا تمش فى الارض مرحا - إلى قوله : ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة[6] » ، و نحو قوله تعالى : « و لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيٰوة الدنيا لنفتنهم فيه[7] » ، لأن كل زائد على الكفاف فتنة ، و هذا هو أساس ما به

١٠ تتفاوت درجات العلم فى الدنيا و درجات الجنة فى الآخرة ، و لا تصح الوجوه و الحروف التى بعده أى و هى سائر الحروف علما و عملا و ثباتا و قبولا عند التمحيص إلا بحسب[8] الإحكام فى قراءة هذا الحرف و جمعه و بيانه

---

(١) سورة ٤ آية ٩٤ .

(٢) من م و مد و ظ و القرآن الكريم ، و وقع فى الأصل : ياتوا - خطأ .

(٣) سورة ٢٤ آية ٢٢ .

(٤-٤) فى ظ : اتمام .

(٥) فى م نقط : يصلح .

(٦) سورة ١٧ آية ٣٧ - ٣٩ .

(٧) سورة ٢٠ آية ١٣١ .

(٨) فى ظ : بسبب .

لأنه ظهور[1] لما بعده من صلات حرف الأمر و ما قصّر بعشرات فرق
الأمة إلا التقصير فى حرف النهى ، لأن الملة الحنيفية مبنية على الاكتفاء
باليسير من المأمورات و المبالغة فى الحمية من عموم ما لا يتناهى[2] من المنهيات
لكثرة مداخل الآفات منها على الخلق فيما بعد الموت و يصعب هذا الحرف
على الخلق بما[3] استقر فى أوهامهم أن دنياهم لاتصلح إلا بالمثابرة على ٥
صنوف المنهيات لنظرهم لجدواها فى الدنيا و عماهم عن وبالها فى الأخرى[4]
و ما حوفظ على الرياضات و التأديبات و التهذيبات إلا بوفاء الحمية منها ،
و الحمية أصل الدواء ، فمن لم يحتم[5] عن المنهيات لم ينفعه تداويه بالمأمورات ،
كالذى يتداوىٰ و لا يحتمى يخسر الدواء و يتضاعف الداء[6] « هل انبئكم
بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحيٰوة الدنيا و هم يحسبون انهم ١٠
يحسنون صنعا ،[7] » و[8] جاؤا بحسنات كالجبال وكانوا يصومون و يصلون
و يأخذون وَهنا من الليل لكن ذلك تداو بغير حمية لما لم يحتموا من الدنيا

(١) من ظ ، و فى الأصل : طهور ـ بالطاء المهملة .
(٢) فى ظ : لايتناى .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما .
(٤) فى م : الاخرة .
(٥) فى م : يحتم .
(٦) زيد فى م : قل .
(٧) سورة ١٨ آية ١٠٣ و ١٠٤ .
(٨) زيد حرف العطف من ظ .

التى نهوا عن زهرتها ، فكانوا إذا لاحت لهم وثبوا عليها فيصيبون منها
الشهوات و يعملون المعصيات فلم ينفعهم[1] المداواة ، فمن احتمى فقد قرأ
هذا الحرف و هو حسبه فاقرؤا ما تيسر منه ، أحب العبادات إلى الله ترك
الدنيا و حمية النفس من هوى[2] جاهها و مالها - بل نبيا عبدا أجوع يوما
٥ و أشبع يوما ، و من رغب عن سنتى فليس منى[3] ، و القرآن حجة لمن عمل
به فصار إمامه يقوده إلى الجنة . و حجة على من لم يعمل به يصير خلفه[4]
فيسوقه إلى نار الجبة[5] التى فى جب[6] وادى جهنم التى تستعيذ جهنم منها
[7]و الوادى و الجب[7] فى كل يوم سبع مرات « و لكن جعلنه نورا
نهدى به من نشاء من عبادنا[8] » « يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا[9] »
١٠ « و لا يزيد الظلمين الا خسارا[10] » أعوذ بعفوك من عقوبتك ، و برضاك

(١) فى ظ : فلم ننفعهم كذا .
(٢) ليس فى ظ .
(٣) هذا من قول النبى صلى الله عليه و سلم .
(٤) فى ظ : خلقه .
(٥) فى مد : الحية .
(٦) فى ظ : خبء .
(٧-٧) كذا فى الأصل و مد ، و فى م : و الجب و الوادى ، و فى ظ : والوادى و الخبء ، و الظاهر : و وادى الجب .
(٨) سورة ٤٢ آية ٥٢ .
(٩) سورة ٢ آية ٢٦ .
(١٠) سورة ١٧ آية ٨٢ .

من سخطك ، و بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم قال فيما [١]تحصل به[١] قراءة حرف النهى : اعلم أن الموفى بقراءة حرفى الحلال و الحرام المنزلين لإصلاح أمر الدنيا و تحسين حال الجسم و النفس تحصل له عادة بالخير تيسر عليه قراءة حرفى صلاح الآخرة ٥ من الأمر و النهى ، و لما اقتضت الحكمة و العلم إقامة / أمر الدنيا بقراءة /٦٧ حرفى صلاحها تماما اقتضى الإيمان بالغيب و تصديق الوعد و الوعيد تجارة اشتراء الغيب الموعود من عظيم خلاق الأخرى بما ملك العبد من منقود متاع الدنيا ، فكل الحلال ما عدا الكفاف بالسنة[٢] متجر[٣] للعبد ، إن أنفقه ربحه و أبقاه فقدم عليه ، و إن استمتع به أفناه فندم عليه « فاستمتعوا ١٠ بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم[٤] » « لو لا اخرتنى إلى اجل قريب فاصدق و اكن من الصلحين[٥] » « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون[٦] » ذلك مال رابح ذلك مال رابح ، و كما أن حرف الحلال موسع ليحصل به الشكر فحرف النهى مضيق لمتسع حرف الحلال ليحصل به الصبر ليكون به العبد شاكرا صابرا ، فالذى يحصل به قراءة حرفى النهى ١٥

(١-١) فى م و مد : به تحصل .
(٢) ليس فى ظ .
(٣) فى م : متجرد .
(٤) سورة ٩ آية ٦٩ .
(٥) سورة ٦٣ آية ١٠ .
(٦) سورة ٣ آية ٩٢ .

أما من جهة القلب و رؤيا الفؤاد فمشاهدة[1] البصيرة لموعود الجزاء حتى كأنه ينظر إليه لترتاح[2] النفس بخيره و ترتاع من شره، كما قال حارثة: كأنى أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة ينعمون و إلى أهل النار فى النار يعذبون، فأثمر له ذلك ما أخبر به عن نفسه [3]فى قوله[3]: و عَزَفَت[4] نفسى[5] عن الدنيا فاستوى عندى[6] ذهبها و خزفها، و خصوصا من أيد بالمبشرات من الرؤيا الصالحة و الكشف الصادق ليدع الفانى للباقى على يقين و مشاهدة؛ و أما[7] من جهة حال النفس فالصبر بحبسها عما تشهيه طبعا مما هو محلل لها شرعا، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمر رضى الله عنه لما رثى لحاله: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا و لنا الآخرة؟ «و استعينوا بالصبر[8]»، و صبر النفس عن شهواتها و إن كانت حلالا هو حقيقة تزكيتها، و قتلها باضنائها منها هو حياتها،

---

(١) فى م: غشأ هذه.

(٢) فى م: لترجاج - كذا.

(٣-٣) ليس فى ظ.

(٤) عزفت نفس فلان عن الشيء تعزف و تعزف عزفا و عزوفا زهدت فيه و انصرفت عنه أو ملته فهى عزوف عنه - قطر المحيط ٢/١٣٥٤، و فى م: غرقت، و هى محرفة.

(٥) زيد فى الأصل فقط: خصوصا، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها.

(٦) ليس فى ظ.

(٧) فى م: اصله.

(٨) سورة ٢ آية ٤٥.

و إطلاقها ترتع فى شهواتها هو تدسيتها، «قد افلح من زكّٰها ، و قد خاب من دسّٰها[1]» ، و النفس مطية يقويها انضاؤها ، و يضعفها استمتاعها، و حبسها عن ذلك شائع فى جهات وجوه الحلال كلها إلا فى شيئين: فى النساء بكلمة الله، لأنهن من ذات[2] نفس الرجال و لسن غيرا لهم «هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل[3] منها زوجها ليسكن اليها» ٥ و «اٰتيتم احدٰهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا[4]» ، و الثانى فى الطيب، لأنه غذاء للروح[5] و تقوية للحواس و نسمة من باطن الملكوت إلى ظاهر الملك ؛ و ما عداهما فالاستمتاع به و اتباع النفس هواها فيه علامة[6] تكذيب[7] وعد الرحمن و تصديق وعد الشيطان «و زين لهم الشيطٰن اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون[8]» «يعدهم و يمنّيهم و ما يعدهم الشيطٰن الا غرورا[9]»؛ ١٠ هذا من جهة النفس؛ و أما من جهة العمل و تناول اليد فرفعها عما زاد

(١) سورة ٩١ آية ٩ و ١٠ .

(٢) فى ظ : ذوات .

(٣) وقع فى م فقط : خلق - كذا خطأ ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٨٩ .

(٤) سورة ٤ آية ٢٠ .

(٥) وقع فى مد : للزواج - كذا مصحفا .

(٦) ليس فى ظ .

(٧) فى م : التكذيب .

(٨) سورة ٢٧ آية ٢٦ .

(٩) سورة ٤ آية ١٢٠ .

على الكفاف و تخليته لذوى الحاجة ليتخذوه معاشا ، و أن يكون التمول من غير القوام تجارة نقل و ضرب فى الأرض و إرصاد لوقت حاجة لا حكرة و تضييقا ، اتخاذ أكثر من لبستين[١] للمهنة و الجمعة علامة لضعف الإيمان و خلاف السنة و انقطاع عن آثار النبوة و عدول عن سنة الخلفاء ٥ و ترك لشعار[٢] الصالحين ، و كذلك تصفية لباب الطعام و قصد المستحسن فى الصورة دون المستحسن فى العلم و إيثار الطيب فى المطعم على الطيّب فى الورع و تكثير الأدم و تلوين الأطعمة ، و كذلك اتخاذ أكثر من مسكن واحد و أكثر من مزدرع[٣] كاف و رفع البناء و الاستشراف بالمبانى ، امتنع النبى صلى الله عليه و سلم من رد السلام على رجل اتخذ ١٠ قبة فى المدينة حتى هدمها و سوّاها مع بيوت أهل المدينة ، و إنما الدنيا للؤمن سجن إن شعر به و ضيق فيه على نفسه[٤] طلبت السراح[٥] منه إلى الآخرة فسعد ، و إن لم يشعر بأنها سجن فوسع فيها على نفسه [٦]طلب البقاء[٦] فيها و ليست بباقية[٧] ، و الخيل ثلاثة[٨] : أجر للجاهد ، و وزر على المباهى ،

(١) فى مد : نسبتين - كذا .

(٢) فى م : لشعائر .

(٣) فى ظ : مزرع .

(٤) العبارة من هنا إلى " فسعد " ليست فى م و مد .

(٥) فى ظ : الراح .

(٦ - ٦) فى م : طلبا للبقاء .

(٧) فى م : باقية .

(٨) هذا مأخوذ مما رواه الإمام البخارى فى صحيحه ١ / ٤٠٠ عن أبى هريرة =

و عفو للستكفى بها فيما يعنيه[1] من شأنه، و الزيادة على الكفاف من النعم السائمة انقطاع عن آثار النبوة و تضييق على ذوى الحاجة و تمول لما وضع لإقامة المعاش و أن يتخذ منه الكفاف، قال صلى الله عليه و سلم: لنا غنم مائة [2]لا نريد أن تزيد[2]، فاذا ولّد الراعى بهمة[3] ذبحنا مكانها شاة. و الطعام لا يتمول و كذلك ما اتخذ للقوام لا يحتكره[4] إلا خاطئ - من ٥ احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ من الله و برئ الله منه. فالأمتعة تجلب و تختزن[5] و يستنمى فيها[6] الدينار و الدرهم، و الطعام و القوام يجلب و لا يختزن[7] فيستنمى فيه[8] الدينار و الدرهم، و من اختزنه يستنمى فيه الدينار و الدرهم فقد احتكره؛ و ما منع فيه من مدّ العين فأحرى أن يمنع فيه مد اليد «لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا[9]» الآيتين[10]؛ فبهذه ١٠

= أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الخيل لثلاثة (و في رواية: ثلاثة، كما هنا) لرجل أجر، و لرجل ستر، وعلى رجل وزر - الحديث.

(١) في م وظ: يعينه.

(٢ - ٢) في مد: لا نُريد ان تزيدوا.

(٣) في م: بهيمة.

(٤) في ظ: لتحكيره.

(٥) في مد: تحترن - كذا.

(٦) زيد في م: في.

(٧) في ظ: لا تخزن.

(٨) في ظ: فيها.

(٩) زيد في م وظ: منهم. سورة ١٥ آية ٨٨.

(١٠) ليس في ظ.

الأمور من إيمان القلب و رؤية الفؤاد و صبر النفس و كف اليد عن الانبساط فى التمول فيما به القوام تحصل قراءة حرف النهى ، و الله ولى التأييد - انتهى .

و لما فرغ سبحانه من أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله و النبي و الكتاب ٥ الذى هو من الهدى الآتى إليهم المشار إلى ذلك كله بالإيفاء بالعهد عطف بقوله[١] : « و اقيموا الصلوٰة » أى [٢]حافظوا على العبادة[٢] المعهود بها فى كل يوم [٢]بجميع شرائطها و أركانها[٢] « و اٰتوا الزكوٰة » أى[٣] المفروضة فى كل حول لتجمعوا أوصاف المتقين المهديين[٤] بهذا / الكتاب « الذين /٦٨

(١) قال على المهائمى : « و » لا يكفيكم العمل بالمنسوخ من التوراة و إن لم تغيروه ولم تلبسوا فيه و لم تكتموه بل « اقيموا الصلوٰة و اٰتوا الزكوٰة » بمقتضى هذا الكتاب « و » اعملوا بفضائله و إن لم تكن ناسخة لما فى كتابكم لذلك « اركعوا مع الراكعين » أى صلوا بالجماعة إذ فضلت على صلاة الفذ فى هذه الملة بسبع و عشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التى بها تظاهر النفوس على الخيرات . وقال البيضاوى : يعنى صلاة المسلمين و زكاتهم ، فان غيرهما كلا صلاة و لا زكاة ، أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم بأصوله ؛ و الزكاة من زكا الزرع إذا نما ، فان إخراجها يستجلب بركة من المال و يثمر للنفس فضيلة الكرم ، أو من الزكاء بمعنى الطهارة ، فانها تطهر المال من الخبث و النفس من البخل .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) ليس فى م .

(٤) فى م : المهذبين .

يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة و مما رزقنهم[1] ينفقون » « المحسنين بذلك فيما بينهم و بين الحق و فيما بينهم و بين الخلق ، [2]و هاتان العبادتان إما العبادات البدنية و المالية فخصا بالذكر ، لأن من شأنهما استجرار سائر العبادات و استتباعها ، و الزكاة قال الحرالى[3] نماء فى ظاهر حس و فى باطن ذات نفس ، « و اركعوا » من الركوع و هو توسط بين قيام و سجود ٥ يقع فى ظاهر من القامة و فى حال من القلب ، تخص به الأمة المتوسطة الجامعة للطرفين ، « مع » معناه الصحبة من الأعلى بالحياطه[4] ، و من الأدنى[5] بحسن التبع ، و من المماثل بحسن النصفة - انتهى . و قوله : « الركعين » [6]مع مصحوبه[6] تأكيد لأمر الصلاة و أمر بالكون فى هذا الدين مع الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه و سلم ، فان صلاة اليهود لا ركوع فيها ، ١٠ كما سيأتى بيانه فى سورة آل عمران إن شاء الله تعالى .

و قال الحرالى : و المتسق بذلك أى بما مضى خطاب إفهام يفهمه[7] عطف[8] إقامة الصلاة التى هى تلو الإيمان ، فكأن خطاب الإفهام :

(١) فى ظ و م و مد : رزقوا .
(٢) العبارة من هنا إلى « استتباعها » ليست فى ظ .
(٣) ليس فى ظ .
(٤) فى م : للحياطة .
(٥) من م و ظ ، و لا يتضح فى مد ، و فى الأصل : الاعلى - كذا .
(٦-٦) فى م : مع مصحوبة ، و فى ظ : بجملته - كذا .
(٧) فى م و مد : تفهمه .
(٨) و قال أبو حيان الأندلسى : و فى هذه الجمل و إن كانت معطوفات بالواو=

فارجعوا و استدركوا و أعلنوا بما كتمتم و بينوا ما لبستم و انصحوا من استنصحكم و أقيموا وجهتكم لله [1] بالصلاة وتعطفوا على الاتباع بعد تعليمهم بالزكاة و كملوا صلاتكم بما به كمال الصلاة من الركوع العدل فى الفعل بين حال قيام الصلاة و [2] سجودها المظهر آية عظمة الله مع الراكعين ٥ الذين هم العرب الذين وضعت أول صلاتهم على كمال - انتهى . [3] و يجوز

= التى لا تقتضى فى الوضع ترتيبا ترتيب عجيب من حيث الفصاحة و بناء الكلام بعضه على بعض ، و ذلك أنه تعالى أمرهم أولا بذكر النعمة التى أنعمها عليهم إذ ما فى ذلك يدعو إلى محبة المنعم و وجوب إطاعته ، ثم أمرهم بإيفاء العهد الذى التزموه للمنعم ، ثم رغبهم بترتيب إيفائه هو تعالى بعهدهم فى الإيفاء بالعهد ، ثم أمرهم بالخوف من نقماته إن لم يوفوا ، فاكتنف الأمر بالإيفاء أمر بذكر النعمة و الإحسان و أمر بالخوف من العصيان ، ثم أعقب ذلك بالأمر بإيمان خاص و هو ما أنزل من القرآن و رغب فى ذلك بأنه مصدق لما معهم فليس أمرا مخالفا لما فى أيديهم لأن الانتقال إلى الموافق أقرب من الانتقال إلى المخالف ، ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس ، ثم أمرهم تعالى باتقائه ، ثم أعقب ذلك بالنهى عن لبس الحق بالباطل و كتمان الحق تركا للاضلال ، و لما كان الضلال ناشئا عن أمرين : إما تمويه الباطل حقا إن كانت الدلائل قد بلغت المستتبع ، و إما عن كتمان الدلائل إن كانت لم تبلغه ، اشار إلى الأمرين بلا تلبسوا و تكتموا ، ثم قبح عليهم هذين الوصفين مع وجود العلم ، ثم أمرهم بعد تحصيل الإيمان و إظهار الحق باقامة الصلاة و إيتاء الزكاة - من شاء الاطلاع على ما بعدها فلينظر فى البحر المحيط ١/١٨٠ .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : او .

(٣) العبارة من هنا إلى « بالجماعة » ليست فى ظ .

ان

أن يكون المراد بالركوع الصلاة، عبر عنها به لما ذكر من خصوص هذه الأمة[1] به، فكأنه قيل: وصلوا مع المصلين جماعة، لمزيد التوصية بالجماعة.

و لما أمر علماءهم بما تركوا من معالى الأخلاق[2] من الإيمان و الشرائع بعد أمرهم بذكر ما خصهم به من النعم، و نهاهم عما ارتكبوا من سفسافها[3] من كفر النعم[4] و نقض العهود و ما تبع ذلك[5] وكانوا يأمرون ٥

---

(١) من م و مد، و فى الأصل: الاية.

(٢) العبارة من هنا إلى « النعم » ليست فى ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى « ذلك » ليست فى ظ.

(٤) زيدت فى م: و نهاهم عما ارتكبوا من - مكررة.

(٥) قال المهائمى: ثم أشار إلى أنهم لا يأتون بأصل أعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائل كتابكم فقال « اتامرون الناس بالبر » و هو التوسع فى الخيرات أو مراعاة الأقارب أو حسن معاملة الناس « و تنسون انفسكم » أى تتركونها ترك المنسى فلا تأتون بشيء من الخيرات فضلا عن الفضائل. و فى التفسير المظهرى: قال البغوى: نزلت فى علماء اليهود و ذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه و حليفه من المسلمين أذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم: اثبت على دينه فان أمره حق و قوله صدق. و كذا أخرج الواحدى عن ابن عباس، و قيل: هو خطاب لأحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة و هم خالفوا التوراة و غيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيه. وقال البيضاوى: « اتامرون » تقرير مع توبيخ و تعجيب، و البر التوسع فى الخير من البر و هو الفضاء يتناول كل خير، لذلك قيل: البر ثلاثة: بر فى عبادة الله، و بر فى مراعاة الأقارب، و بر فى معاملات الأجانب.

غيرهم بما يزعمون أنه تزكية و ينهونه[1] عما يدعون[2] أنه تردية ، أنكر عليهم[3] ترغيبا فيما ندبهم إليه و حثهم عليه و توبيخا على تركه بقوله : « اتامرون » ، من الأمر و هو الإلزام بالحكم[4] - قاله الحرالي . « الناس بالبر » و هو التوسع فى أفعال الخير « و تنسون » [5]و النسيان السهو الحادث بعد حصول

٥ العلم ، « انفسكم » أى تتركون حملها على ذلك [6]ترك الناسى ، و لعله عبر به زيادة فى التنفير عن هذا الأمر الفظيع الذى دل العقل دلالة بينة على فحشه ، لأن المقصود من أمر الغير بالبر النصيحة أو الشفقة ، و ليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو ينصح غيره و ينسى نفسه ، و الظاهر أن المراد[7] به حكم التوراة ، كانوا يحملون عوامهم عليه و هم يعلمون

١٠ دون العوام أن من حكم التوراة[8] اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد نسوا أنفسهم من الأمر بأساس البر الذى لايصح[9] منه شيء إلا به .

و قال الحرالي : و لما كان فيهم من أشار على من استهداه بالهداية

(١) فى م : تنهونه .

(٢) « عما يدعون » ليس فى م .

(٣) العبارة من هنا إلى « تركه » ليست فى ظ .

(٤) فى م : بالمحكم .

(٥) العبارة من هنا إلى « العلم » ليست فى ظ .

(٦) العبارة من هنا إلى « و ينسى نفسه » ليست فى ظ .

(٧) من م و ظ ، و فى الأصل : للمراد .

(٨) ليس فى ظ .

(٩) فى م : لايصلح .

لاتباع محمد صلى الله عليه و سلم و لم يهدوا أنفسهم لما أرشدوا إليه غيرهم أعلن تعالى عليهم بذلك[1] نظما لما [2]تقدم من[2] نقض عهدهم و لبسهم وكتمهم بما [2]ظهر من[2] نقص عقولهم فى أن يظهر طريق الهدى لغيره و لايتبعه فأخرجهم بذلك عن حد العقل الذى هو أدنى أحوال المخاطبين، و[3]زاد فى تبكيتهم بجملة حالية حاكية[4] تلبسهم بالعلم و الحكمة الناهية عما هم ٥ عليه فقال: « و انتم تتلون الكتٰب »[5]، من التلاوة، و هو تتبع قول قائل

---

(١) و قال أبو حيان: و قال السلمى: أ تطالبون الناس بحقائق المعانى وأنتم قلوبكم خالية عن ظواهر رسومها. و قال القشيرى: أ تحرضون الناس على البدار وترضون بالتخلف، و قال: أ تدعون الخلق إلينا و تقعدون عنا و ألفاظا من هذا المعنى. والأنفس هنا ذواتهم، وقيل: جماعتهم و أهل ملتهم - انتهى.

(٢ - ٢) ليس فى ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ.

(٤) ليس فى م.

(٥) قال المهائمى: « وانتم تتلون الكتٰب » أى التوراة فحقكم أن تسبقوا الناس بالعمل بما فيه ليقتدى الناس بكم و يعتمدوا على أقوالكم « ا » رضيتم بهلاك أنفسكم مع صلاح غيركم. و قال البيضاوى: تبكيت كقوله تعالى « و انتم تعلمون » أى تتلون التوراة و فيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل « ا فلا تعقلون » قبح صنيعكم فيصدكم عنه، أو أ فلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته؟ و الآية ناعية على من يعظ غيره و لا يتعظ نفسه سوء صنيعه و خبث نفسه و أن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالى عن العقل، فان الجامع بينهما يأبى عنه شكيمته، و المراد بها حث الواعظ على تزكية النفس و الإقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم، لامنع الفاسق عن الوعظ فان الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر - انتهى.

أول من جهة أوليته - قاله الحرالى . و هذه الجملة الحالية أعظم منبّه على أن من حكم التوراة اتباعه صلى الله عليه و سلم ، و مشير إلى أن المعصية من العالم أقبح . قال[1] الحرالى : فيه إشعار بأن أمر النبى صلى الله عليه و سلم فى منطوق تلاوته ليس فى خفى إفهامه ، فكان فى ذلك خروج عن حكم ٥ نور العقل - انتهى .

و لما كان هذا[2] فى كتابهم و هم به يأمرون و عنه معرضون سبب سبحانه عنه الإنكار فى قوله : « افلا » [3]أى أتتلونه فلا[3] « تعقلون » » إشارة إلى أن ما هم عليه من هذا لايفعله ذو[4] مسكة ، و العقل إدراك حقائق ما نال الحس ظاهره - قاله الحرالى . [5]سمى عقلا لأنه يعقل عن ١٠ التورّط فى الهلكة .

و لما أنكر عليهم[6] اتباع الهوى أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس و أجل أعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الأوامر . و قال الحرالى: فكأنهم إنما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به أنفسهم من الرياسة و التقدم فلما[7] فى ذلك عليهم من المشقة أن يصيروا أتباعا

---

(١) فى م : قاله .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٣) ليست فى ظ . و فى م : تتلون - مكان : تتلونه .

(٤) فى ظ : ذوا .

(٥) العبارة من هنا إلى « الهلكة » ليست فى ظ .

(٦) زيد فى م : سبحانه .

(٧) كذا، و الظاهر : لما .

للعرب بعد ما كانوا يرون أن جميع الأرض تبع لهم نسق[1] بخطابهم فى ذلك الأمر بالاستعانة بالصبر الذى يُكره أنفسهم على أن تصير تابعة بعد أن كانت متبوعة فقال تعالى - انتهى . «واستعينوا» [2]أى على إظهار الحق و الانقياد له و هو معنى ما مضى من الأوامر و النواهى «بالصبر» أى على مخالفة الهوى، و الصبر حبس النفس عن حاجتها و عادتها و على إصلاحها و تزكيتها، و هو ضياء للقلوب تبصر به ما يخفيه عنها الجزع من الخروج عن العادة فيما تنزع إليه الأنفس - قاله الحرالى . و هو عام [3]فى كل صبر الصوم و غيره[3]، [4]«و الصلوٰة» أى الموصلة إلى المقام الأعلى، ٥

(١) نسق الدر ينسقه نسقا: نظمه على السواء، و الكلام: رتبه و عطف بعضه على بعض على نظم واحد - قطر المحيط ٤/٢١٦٥ .

(٢) قال البيضاوى: متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة و ترك الرياسة و الإعراض عن المال عولجوا بذلك، و المعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح و الفرج توكلا على الله، أو بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة و تصفية النفس، و التوسل بالصلاة و الالتجاء إليها، فانها جامعة لأنواع العبادات النفسانية و البدنية من الطهارة و ستر العورة و صرف المال فيهما و التوجه إلى الكعبة و العكوف للعبادة و إظهار الخشوع بالجوارح و إخلاص النية بالقلب و مجاهدة الشيطان و مناجاة الحق و قراءة القرآن و التكلم بالشهادتين و كف النفس من الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب و جبر المصائب؛ روى أنه عليه الصلاة و السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، و يجوز أن يراد بها الدعاء - انتهى .

(٣ - ٣) ليست فى ظ .

(٤) قال أبو حيان: و قدم الصبر على الصلاة قيل لأن تأثير الصبر فى إزالة =

و فيه التفات إلى « و اياك[1] نستعين » و إشارة إلى أن من لم تنهه صلاته عن ركوب الباطل و التمادى فيه و تأمره بلزوم الحق و الرجوع إليه فليس بمصل،/ فكأن المراد بالصبر تخليص النفس من أشراك الهوى و قسرها على الإخلاص، فمن صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين؛ ٥ و ثنى بالصلاة لأنها استرزاق يغنيهم[2] عن اشتراء ثمن كانوا يأخذونه من أتباعهم فى اللبس و الكتمان « و امر اهلك بالصلوٰة و اصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك[3] » قاله الحرالى. [4]و يصح أن يراد بها الدعاء، فمن صبر عن الدنايا و على المكاره[5] و أنهى صبره إلى الصوم فأزال عنه كدورات

/٦٩

= ما لا ينبغى و تأثير الصلاة فى حصول ما ينبغى، و النفى مقدم على الإثبات، و يظهر أنه قدم الاستعانة به على الاستعانة بالصلاة لأنه سبق ذكر تكاليف عظيمة شاق فراقها على من ألفها و اعتادها من ذكر ما نسوه والإيفاء بما أخلفوه و الإيمان بكتاب متجدد و ترك أخذهم الرشا على آيات الله و تركهم إلباس الحق بالباطل وكتم الحق الذى لهم بذلك الرياسة فى الدنيا والاستتباع لعوامهم و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، و هذه أمور عظيمة؛ فكانت البداءة بالصبر لذلك. و لما كان عمود الإسلام هو الصلاة و بها يتميز المسلم من المشرك اتبع الصبر بها اذ يحصل بها الاشتغال عن الدنيا.

(١) زيد فى ظ « و » كذا خطأ.

(٢) فى م : يعينهم. (٣) سورة ٢٠ آية ١٣٢.

(٤) العبارة من هنا إلى « نهاية البر » ليست فى ظ. و فى م مكررة فانها قدمت فيه (مع ما بعدها إلى « فقال ») على العبارة السابقة التى أولها « و هو عام فى كل صبر - الخ ».

(٥) هكذا فى الأصل و مد، و فى م : المكارم.

حب الدنيا و أضاف إلى ذلك الصلاة استنار قلبه بأنواع المعارف، فاذا ضم إلى ذلك الدعاء و الالتجاء الى الله تعالى بلغ نهاية البر .

و لما أمر و نهى بما ختمه بالصلاة حث على التفاؤل لعظمته [سبحانه[1]] [بتخصيصها بالضمير-[2]] فقال : « و انها لكبيرة » أى ثقيلة جدا[3]، و الكبير[4] ما جل قدره أو مقداره فى حس[5] ظاهر أو فى معنى باطن - قاله الحرالى . ٥

« الا على الخشعين » أى المخبتين الذين هم فى غاية السهولة و اللين و التواضع لربهم بحيث لا يكون عندهم شيء من كبر [6]و ينظرون عواقب الأمر و ما

---

(١) زيد من م و مد .

(٢) العبارة زيدت من م و مد ولكن قدمت فى م على « حث »؛ و زيدت فى مد بعد « الصلاة » العبارة التالية « و كانت الصلاة صبرا لا حظ للنفس فيه لأنها عبادة محضة » .

(٣) قال المهائمى « و » لكن الاستعانة بها شاقة « انها لكبيرة » أى شاقة فى نفسها تقتضى الصبر على الطاعات « الا على الخشعين » الخائفين السالكين إلى الله فانها لا تشق عليهم، فلا تشق الاستعانة بها فى حقهم على الصبر عن الشهوات، لذلك كانت فى حقهم « تنهى عن الفحشاء و المنكر » كيف و هى فى حقهم قرة أعينهم لمشاهدتهم الحق ! فان لم يشاهدوه فلا أقل من أن يكونوا هم « الذين يظنون » أى يعتقدون اعتقادا راجحا « انهم ملقوا ربهم » فيشاهدهم . و قال البيضاوى : و تخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها و استجماعها ضروبا من الصبر أوجملة ما أمروا بها و نهوا عنها . و ذكر أبو حيان سبعة أقوال فى الضمير العائد فى « و انها » مع الاستشهاد و أطال البحث فليراجع إليه ١/١٨٥ .

(٤) فى م : الكثير .

(٥) فى م : حسن - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى « غير رغبة » ليست فى ظ .

أعد عليها من الأجر، و لذا قال صلى الله عليه و سلم: و جعلت قرة عيني في الصلاة. و غيرهم يمنعهم[1] ثقلها من فعلها، و إن فعلها فعلى غير رغبة. قال الحرالي: و هو أي الخشوع هدوّ الجوارح و الخواطر فيما هو الأهم في الوقت، و أنبأ تعالى بكبر قدر الصلاة عن أن يتناول عملها إلا خاشع
٥ خرج عن حظ نفسه و ألزم[2] نفسه ذل العبودية التي ختمت بها النبوة، و في إشارة كمال الصلاة إشعار بصلاة العصر [3] التي هي صلاة النبي الخاتم الذي[3] زمنه وقت العصر و حالة العبودية، و ذلك مما يكبر على من قرن بنبوته و بملته[4] الملك إلا أن يخشع لما يكبر على النفس، و خصت الصلاة بالكبر[5] دون الصبر لأن الصبر صغار للنفس و الصلاة وجهة[6] للحق
١٠ و الله هو العلي الكبير - انتهى. «الذين يظنون» من الظن و هو رجحان في اعتقاد مع بقاء منازع من[7] مقابله - قاله الحرالي. [8] «انهم ملقوا ربهم» [9]

---

(١) في م و مد: يمنعه.
(٢) في مد: الزل.
(٣-٣) في ظ: النبي الخاتم التي.
(٤) في ظ: بمثله.
(٥) ليس في م.
(٦) زيد في ظ: الحق.
(٧) في مد: في.
(٨) قال أبوحيان: و إنما لم تشق على الخاشعين لأنها منطوية على أوصاف هم متحلون بها لخشوعهم من القيام لله و الركوع له و السجود له و الرجاء لما عنده من الثواب، فلما كان مآل أعمالهم إلى السعادة الابدية سهل عليهم ما صعب على غيرهم من المنافقين و المرائين بأعمالهم الذين لا يرجون لها نفعا. و معنى «يظنون» =

ى

أى المحسن إليهم ، وعبر بالظن [١]عن العلم[١] تهويلا للأمر وتنبيها على أنه يكفى العاقل فى الحث على ملازمة الطاعة ظن لقاء الملك المطاع المرجو المخوف فكيف والأمر متيقن لا مراء فيه ولا تطرّق للريب إليه ! [٢] ويجوز أن يراد ظن الموت فى كل لحظة ، فانه إذا كان على ذكر من الإنسان أوجب له السعادة . ٥

ولما كانت هذه الجملة مشيرة مع الترهيب لذوى الهمم العلية والأنفة والحمية من الوقوع فيما يلم بعيب أو يوقع فى عتب[٣] إلى الاستحياء من المحسن الذى ما قطع إحسانه ساعة من الدهر زاد فى الترهيب بقوله : « وانهم اليه » أى وحده[٤] « رٰجعون » » ، والرجوع معاد الذاهب على

= يوقنون - قاله الجمهور ، لأن من وصف بالخشوع لا يشك أنه ملاق ربه ، ويؤيده ما فى مصحف عبد الله « يعلمون » . قال ابن عطية : قد يوقع الظن موقع اليقين فى الأمور المتحققة . لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس .

(٩) إضافته إليه وإضافته إلى الرب وإضافة الرب إليهم فى غاية من الفصاحة ، وذلك أن الرب على أى محامله حملته فيه دلالة على الإحسان لمن يربه وتعطف بين لا يدل عليه غير لفظ الرب .

(١ - ١) ليس فى ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « السعادة » ليست فى ظ .

(٣) فى ظ : عبث .

(٤) قال أبو حيان : اختلف فى الضمير فى « إليه » على من يعود ، فظاهر الكلام والتركيب الفصيح أنه يعود إلى الرب وأن المعنى وأنهم الى ربهم راجعون ، =

مدارج مذهبه وترقيه على معارج مهبطه - قاله الحرالى . وعبر بذلك وإن كانوا لم يزالوا فى قبضته ، لأن اسمه الظاهر سبحانه يكون فى تلك الدار [١]لانقطاع الأسباب[٢] فى غاية الظهور لا يكون لأحد معه نوع ظهور أصلا ، لا[١] كهذه[٣] الدار التى الغالب فيها معنى اسمه الباطن إلا عند أولى ٥ البصائر ؛ وفى الآية تبكيت لأهل الكتاب بأنهم مع تحققهم للبعث يعملون عمل من لا يظنه فضلا عن أنه يعلمه . وقال الحرالى : ولما كان فى الصلاة مناجاة لله[٤] على الغيب كانت إنما تتيسر على من يظن القبول الذى يشعر به اللقاء لربه بعد موته وذلك حال من رجحت الآخرة

= وهو أقرب ملفوظ به ، وقيل : يعود على اللقاء الذى يتضمنه ملـٰقوا ربهم ، وقيل : يعود على الموت ، وقيل : على الإعادة وكلاهما يدل عليه « ملـٰقوا » وقيل بالقول الأول وهو أن الضمير يعود على الرب فلا يتحقق الرجوع فيحتاج فى تحققه إلى حذف مضاف التقدير إلى أمر ربهم راجعون ، وقيل : المعنى بالرجوع الموت ، وقيل : راجعون بالإعادة فى الآخرة ، وهو قول أبى العالية ، وقيل : راجعون فيجزيهم بأعمالهم ، وقيل : راجعون إلى أن لا يملك أحدهم ضرا ولا نفعا لغيره كما كانوا فى بدء الخلق . وقال على المهائمى : « وأنهم اليه رٰجعون » فيتوقعون فى مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها ويستلذ حتى تنغص الشهوات عندهم ، فأى استعانة للصبر عنها أعظم منها فى حقهم - انتهى .

(١ - ١) فى م : لا .

(٢) فى م : لانقطاع الاسباب .

(٣) فى مد : لهذه .

(٤) زيد فى م ومد : تعالى .

على الدنيا فى عمله [١] و حاله ، فكان حاله و عمله حال الظانّ إبقاء على
أحوال من دون رتبة اليقين ، و مقصود اللقاء ليس البعث لأنهم هم [٢] من
المؤمنين بالبعث و لكنه من معنى القبول بعد البعث ، [٣] و فيه إشارة إلى
حال الموت و يوم البرزخ و هو الجزاء الأول فعطف على المرجع الآخر
بعد البعث [٣] - انتهى . ٥

و لما كان الغالب على أكثر الناس الجود كرر [٤] النداء لهم مبالغة
فى اللطف بهم إثر الترجية و التخويف فقال [٢] « يٰبنى اسراءيل » أى الذى
أكرمته و أكرمت ذريته من بعده بأنواع الكرامة « اذكروا نعمتى »
و فخم أمرها بقوله : « التى انعمت عليكم » أى بانزال الكتب و إرسال
الرسل و غير ذلك « و انى فضلتكم » و التفضيل [٥] الزيادة من خطوة [٦] ١٠
جانب القرب و الرفعة فيما يقبل الزيادة و النقصان منه - قاله الحرالى .
« على العٰلمين » و هم من كان قد برز إلى الوجود فى ذلك الزمان بالتخصيص

---

(١) فى م و ظ : علمه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٣) ليست فى م .

(٤) قال أبو حيان : و أعيد نداؤهم ثانيا على طريق التوكيد و لينبهوا لسماع ما
يرد عليهم من تعداد النعم التى أنعم الله بها عليهم و تفصيلها نعمة نعمة ، فالنداء
الأول للتنبيه على طاعة المنعم ، و النداء الثانى للتنبيه على شكر المنعم .

(٥) فى م : التفضل .

(٦) كتب فوقه فى الأصل : أى مكانه .

بذلك دونهم، و لايدخل فى هذا من لم يكن برز إلى الوجود فى ذلك الزمان كما يأتى تحقيقه عن الحرالى قريبا[1] و مما يوجب القطع به قوله تعالى لنا: «كنتم خير امة اخرجت للناس[2]».

و لما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة [3]و نهاهم عن المخالفة و كانت ٥ المخالفة مع عظيم النعمة أقبح و أشد و أفحش[3] حذّرهم يوما لاينجى أحدا فيه إلا تقواه فقال. و قال الحرالى: لما دعاهم إلى الوفاء بالعهد تنبيها لهمة من له فضل باطن يرجع إلى فضائل النفس فأجاب من وفق و تمادى على حاله من [4]خذل ثنى الخطاب لهم بالتنبيه على النعمة الظاهرة [3]ليتنبه لذلك من يخاف تغيير النعمة الظاهرة[3] حين لم يخف السقوط عن رتبة / الفضيلة فى ١٠ الخطاب فذكرهم بالنعمة و التفضيل الذى فضلهم به على العالمين[5] و هم

/٧٠

---

(١) قال القشيرى: أشهد بنى إسرائيل فضل أنفسهم فقال: «و انى فضلتكم على العالمين» و أشهد المسلمين فضل نفسه فقال «قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا» فشتان بين من مشهوده فضل ربه ومن مشهوده فضل نفسه، فالأول يقتضى الثناء و الثانى يقتضى الإعجاب - انتهى. و قال البيضاوى: كرره للتوكيد و تذكير التفضيل الذى هو من أجلّ النعم خصوصا و ربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها و أخل بحقوقها.

(٢) سورة ٣ آية ١١٠.

(٣-٣) ليست فى ظ.

(٤) زيد فى الأصل: وقف، و قد ضرب عليه.

(٥) قال أبو حيان الأندلسى: قال الحسن و مجاهد و قتادة و ابن جريج و ابن زيد وغيرهم: عالمى زمانهم. أو على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء و جعلهم =

من ظهرت أعلام وجودهم فى زمانهم ، وكذلك كل تفضيل يقع فى القرآن والسنة، إنما العالم من شمله الوجود لا ما أحاط به العلم بعد ، لأن ذلك لم يرفع فى الشهود علم وجوده ؛ وفيه إشعار بأنهم كما فضلوهم على عالمى زمانهم فليس ذلك بمقصور عليهم بل كذلك يفضل الله العرب فى زمان نبوتها على بنى إسرائيل وعلى جميع الموجودين فى ٥ زمانهم، وحيث انتهى الخطاب إلى تذكر ظاهر النعمة بعد التذكير[1] بباطن الفضيلة لم يبق وراء ذلك[2] إلا التهديد بوعيد الآخرة عطفا على تهديد تقتضيه[3] الافهام بتغيير[4] ما بقى عليهم من النعمة فى الدنيا ؛ فكان

= ملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وذلك خاصة لهم دون غيرهم، فيكون عاما والنعمة مخصوصة ، قالوا : ويدفع هذا القول « كنتم خير امة » أو على الجم الغفير من الناس ، يقال : رأيت عالما من الناس ، يراد به الكثرة ؛ وعلى كل قول من هذه الأقوال الثلاثة لا يلزم منه التفضيل على هذه الأمة ، لأن من قال بالعموم خص النعمة ، فوجه عدم التفضيل مطلقا ظاهر - انتهى . وقال الشربينى الخطيب : أى عالمى زمانهم بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين ، وذلك التفضيل وإن كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف فى الأبناء ، واستدل بذلك على أن الأصلح لا يجب على الله ، لأن تفضيلهم لو وجب عليه لم يجز جعله منة عليهم ، لأن من أتى بما وجب عليه لا منة له به على أحد - انتهى . وفيه رد على المعتزلة فيما يزعمون أن الأصلح واجب على الله تعالى شأنه .

(١) فى م : التذكر .

(٢) العبارة من هنا إلى « من النعمة » ليست فى م .

(٣) من ظ ، وفى مد : يقتضيه ، وفى الأصل : مقتضيه - كذا .

(٤) فى ظ : بتعبير - بالعين المهملة .

مفهوم الخطاب: فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصاب المؤاخذين في الدنيا - انتهى. «واتقوا»[1]. [2]ولما كان المتقى إنما هو الجزاء الواقع في يوم القيامة حذفه وأقام اليوم مقامه تفخيما له وتنبيها على أن عقابه لا يدفع كما يدفع ما في غيره بأنواع الحيل فقال: «يوما»، هو من العظمة بحيث ٥ «لا تجزي»[3] أي [4]تقضي وتغني[4] فيه «نفس» [4]أي نفس كانت[4] «عن نفس»

(١) قال المهائمي: «واتقوا» إذا تركتم البر بأنفسكم اكتفاء بأمره غيركم «يوما لا تجزي نفس» أتت بالبر المأمور في حق الآمرة به «عن نفس» أي آمرتها بالبر إذا تركته. وقال أبو حيان: «واتقوا يوما» أمر بالاتقاء وكأنهم لما أمروا بذكر النعم وتفضيلهم ناسب أن من أنعم عليه وفضل يكون محصلا للتقوى فأمروا بالإدامة على التقوى، أو بتحصيل التقوى إن عرض لهم خلل؛ وانتصاب يوما إما على الظرف، والمتقى محذوف تقديره: اتقوا العذاب يوما، وإما على المفعول به اتساعا، أو على حذف مضاف أي عذاب يوم أو هول يوم. قال القشيري: العوام خوفهم بعذابه فقال «واتقوا يوما» «واتقوا النار» والخواص خوفهم بصفاته فقال «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله» «وما تكون في شان» الآية، وخواص الخواص خوفهم بنفسه فقال «ويحذركم الله نفسه».

(٢) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست في ظ.

(٣) قال البيضاوي: لا تقضي عنها شيئا من الحقوق أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر، وقرئ «لا تجزئ» من اجزأ عنه إذا أغنى عنه، وعلى هذا تعين أن يكون مصدرا. وإيراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي، والجملة صفة ليوم، والعائد منها محذوف تقديره: لا تجزي فيه.

(٤ - ٤) ليست في ظ.

كذلك[1] « شيئا » من الجزاء .

قال الحرالي: و النفس لكل امرئ لزمته نفاسة على غيره ، فهؤلاء الذين لا يغني بعضهم عن بعض بخلاف[2] من آثر غيره و ذهبت نفاسة نفسه ، فانه يغني عمن دونه بالشفاعة و الإحسان في الدنيا و الآخرة ؛ و فيه إعلام بأن ضعة النفس مبدأ التوفيق و نفاستها مبدأ الخذلان ٥ « اذلة على المؤمنين[3] » فذل العبد - بالضم - لله ، و ذِله - بالكسر - لعباد الله بشرى فوزه ، و اعراضه عن ذكر الله و صعر خده للناس[4] نِذارة[5] هلاكه - انتهى .

[6]و لما كان الإجزاء قد يكون بنفس كون المجزئ موجودا و هو بحيث يخشى أن يسعى في الفكاك بنوع حيلة فتحرك القلوب لإجابته ١٠ و فك أسيره فيحمل ذلك من أسره على إطلاقه ، و قد يحتال بالفعل في التوصل إلى فكه في خفية بسرقته أو فتح سجنه أو نحو ذلك ، و كانت وجوه الإجزاء المشهورة ثلاثة[7] عطفها على الإجزاء الأعم منها فقال:

---

(١) ليس في م و ظ .

(٢) في ظ : و .

(٣) سورة ٥ آية ٥٤ .

(٤) بهامش ظ : و منه «و لا تصعر خدك للناس» و لكن وقع فيه : و لا تصاعر - كذا .

(٥) من م و مد ، و في الأصل : ندارة ، و في ظ : نذار .

(٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٧) قال البيضاوي : و كأنه أريد بالآية نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل ، فانه إما أن يكون قهرا أو غيره فالأول النصرة و الثاني إما =

«و لا يقبل منها» [١] أي النفس الأولى أو [١] الثانية [٢] «شفاعة» أي لم يؤذن فيها و هي من الشفع و هو إرفاد الطالب بتثنية الرغبة له فيما رغب فيه ليصير كالإمام له في [٣] وجهة حاجته [٣] - قاله الحرالي. «و لا يؤخذ منها عدل» تبذله غير الأعمال الصالحة، و هو ما يعدل الشيء و يكون معه كالعدلين المتكافئ القدر على الحمولة، فكأن العدل - بالكسر - في الشيء المحسوس، و العدل - بالفتح - في الشيء المعقول، و كذلك عادة العرب تفرق بين ما في الحس و ما في المعنى بعلامة إعراب في ذات نفس الكلمة لا في آخرها - قاله الحرالي.

[٤] و لما كان عدم النصرة للجمع يستلزم عدمها للفرد بطريق الأولى

= أن يكون مجانا أو غيره. والأول أن يشفع له والثاني إما بأداء ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بغيره وهو أن يعطى عنه عدلا، و الشفاعة من الشفع كان المشفوع له فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه إليه، و العدل الفدية، و قيل: البدل و أصله التسوية سمي به الفدية لأنها سويت بالمفدى - انتهى. قال أبو حيان: و قد اختلف المفسرون في فهم هذا على ستة أقوال: الأول أنه لفظ عام لمعنى خاص و المراد الذين قالوا من بني إسرائيل: نحن أبناء الله و أبناء أنبيائه و أنهم يشفعون لنا عند الله، فرد عليهم ذلك و أويسوا منه لكفرهم، و على هذا تكون النفس الأولى مؤمنة و الثانية كافرة و الكافر لا تنفعه شفاعة لقوله تعالى «ما تنفعهم شفاعة الشفعين» و الأقوال الخمسة تنظر في البحر المحيط ١/١٩١.

(١ - ١) ليست في ظ، و في مد «و» مكان «او».

(٢) ليس في ظ.

(٣ - ٣) في مد: جهة حالته.

(٤) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست في ظ.

جمع فقال: «و لا هم ينصرون» [١] أى يتجدد لهم نصر يوما ما بمن ينقذهم قهرا [٢] كائنا من كان [٢]، و النصر تأييد المقاوم فى الأمر بما هو أقوى من مقاومه و هما طرفان [٣] ليصير كالمتقدم له بحكم استقلاله فيما يتوقع عجز المنصور [٤] فيه - قاله الحرالى. فانتفى [٥] بذلك جميع وجوه الخلاص التى يطمع فيها الظالم فى الدنيا. ٥

---

(١) قال الخطيب الشربينى: و تذكير الضمير فى «ولاهم ينصرون» مع أن الضمير راجع للنفوس وكان المناسب هن لتأويل النفوس بالأشخاص أو الرجال. وقال القاضى ثناء الله: و الضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى الدالة على العموم والكثرة. أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب عن أحد من الكفار أحد بوجه من الوجوه. قال أبو حيان: أتى بالضمير مجموعا على معنى نفس لأنها نكرة فى سياق النفى فتعم كقوله تعالى «فما منكم من احد عنه حجزين» و أتى به مذكرا لأنه أريد بالنفوس الأشخاص كقولهم: ثلاثة أنفس، و جعل حرف النفى منسحبا على جملة اسمية ليكون الضمير مذكورا مرتين فيتأكد ذكر المنفى عنه النصر بذكره مرتين. و فى معنى النصر للفسرين هنا ثلاثة أقوال: أحدها أن معناها لا يمنعون من عذاب الله، الثانى لا يجدون ناصرا ينصرهم و لا شافعا يشفع لهم، الثالث لا يعاونون على خلاصهم و فكاكهم من موبقات أعمالهم؛ و ثلاثة الأقول هذه متقاربة المعنى.

(٢ - ٢) ليست فى ظ.

(٣) فى ظ: ظرفان.

(٤) فى م: المقصور.

(٥) فى ظ: الى ما يتقى.

قال الحرالى : و لما كانت أسباب النجاة للمرء بأحد ثلاث[1]: إما شفاعة من فوقه [2]فى العلم[2] و[3] الفضل ، و إما نصرة من فوقه فى الأيد و القوة ، و إما فكاك من يده لنفسه إذ مَنْ هو مثله لايغنى و أحرى من هو دونه ؛ استوفى الخطاب جميع الوجوه الثلاثة ليسد على ذى النفس المستمسك ٥ بنفاسته جميع الوجوه الثلاثة من الشفاعة و الفدية و النصرة - انتهى .

و لما تقدم أنه فضلهم و عاهدهم و[4] أن وفاءه [5]بعهدهم مشروط بوفائهم بعهده ناسب تقديم الشفاعة[6] و يأتى إن شاء الله تعالى فى الآية

(١) زيد فى م : ثلاث - مكررا .

(٢-٢) فى ظ : بالعلم .

(٣) فى ظ : او .

(٤) ليس فى م .

(٥) فى م : وفا .

(٦) قال أبو حيان : و ترتيب هذه الجمل فى غاية الفصاحة و هى على حسب الواقع فى الدنيا ، لأن المأخوذ بحق إما أن يؤدى عنه الحق فيخلص أو لا يقضى عنه فيشفع فيه أو لا يشفع فيه فيفدى أو لا يفدى فيتعاون بالإخوان على تخليصه ، فهذه مراتب يتلو بعضها بعضا ؛ فلهذا والله أعلم جاءت مترتبة فى الذكر هكذا ، و لما كان الأمر مختلفا عند الناس فى الشفاعة و الفدية فمن يغلب عليه حب الرئاسة قدم الشفاعة على الفدية ، و من يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعة جاءت هذه الجمل هنا مقدما فيها الشفاعة ، و جاءت الفدية مقدمة على الشفاعة فى جملة أخرى ليدل ذلك على اختلاف الأمرين ، و بدئ هنا بالشفاعة : لأن ذلك أليق بعلو النفس ، و جاء هنا بلفظ القبول وهناك بلفظ النفع إشارة إلى انتفاء أصل الشيء و انتفاء ما يترتب عليه . و بدئ هنا بالقبول لأنه أصل الشيء المترتب =

الثانية مايتم به البيان ، و لما وصف ذلك اليوم بأنه لا ينفع[1] فيه حيلة لذى مَلَكة المتردى[2] بالكبرياء المتجلل بالعظمة ذكرهم بما أنعم عليهم من إنجائه لهم بموسى و هارون عليهما السلام حيث شفعا عند الملك الذى كان استعبدهم و سامهم سوء العذاب ، فلما لم يشفّعهما فيهم قاهراه فانتصرا عليه بأيد مليكهم و استنقذاهم[3] منه بسطوة معبودهم . و قال ٥ الحرالى : و لما استوفى خطاب النداء لهم وجهى التذكير بأصل فضيلة النفس الباطنة بالوفاء و غرض النفس الظاهر فى النعمة و الرئاسة جاء ما بعد ذلك من تفاصيل النعم عطفا من غير تجديد نداء إلى منتهى خاتمة الخطاب معهم حيث ثنى لهم[4] الخطاب الأدنى بالتذكير بالنعمة ختما لمتسق خطابه بما تضمنه تذكيرهم بتكرار قوله : و إذ و إذ ، واحدة بعد أخرى ١٠ إلى جملة منها ، و لما ذكرهم بالنعمة الظاهرة فانتبه من تداركته الهداية[5] و تمادى من استحق العقوبة ذكر[6] أهل الاستحقاق بما عوقبوا به بما يستلزمه

= عليه فأعطى المتقدم ذكر المتقدم وجودا ، و أخر هناك النفع إعطاء للمتأخر ذكر المتأخر وجودا ـ انتهى كلامه .

(١) فى مد : تنفع .

(٢) و فى م : المرتدى .

(٣) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : فاستنقداهم ـ كذا بالدال المهملة .

(٤) زيد فى م و مد و ظ : هذا .

(٥) و فى ظ : العناية .

(٦) فى م : ذكره .

معنى النجاة و بما فسره بما أخذوا به على ذنوب تشاكل ما هم عليه فى معاندتهم القرآن ، فحين لم ينفع فيهم التذكيران بالعهد والنعمة هددوا بتقريرهم على مواقع ما أصيبوا به[1] من البلاء من عدوهم لما اقترفوه /من ذنوبهم « و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينت فما زلتم فى شك ٧١/
٥ مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا[2] » ، فكان فى تكذيبهم بالرسالة الأولى و شكهم ما أصابهم من العقوبة من آل فرعون، حتى أنقذهم الله بموسى عليه السلام فقال تعالى : « و اذ » أى و اذكروا[3] إذ « نجينكم » و هو من التنجية و هى تكرار النجاة ، و النجاة معناه رفع على النجوة و هو المرتفع من الأرض الذى هو مخلص مما
١٠ ينال من فى الوهاد و خبت[4] الأرض من هلاك بسيل ماء و نحوه « من

(١) ليس فى ظ .

(٢) سورة . ٤ آية ٣٤ .

(٣) قال المهائمى : « و » اذكروا من جملة تلك النعم « اذ نجينكم » أى وقت إنجائنا إيا كم « من » أشد عذاب و « ال » أى أهل « فرعون » هو لقب من ملك العمالقة ككسرى و قيصر و النجاشى لمن ملك الفرس . و قال البيضاوى : تفصيل لما أجمله فى قوله « اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم » و عطف على « نعمتى » عطف جبرئيل و ميكائيل على الملائكة ؛ و أصل آل أهل لأن تصغيره أهيل ، و خص بالإضافة إلى أولى الخطر كالأنبياء والملوك ؛ و لعتوهم اشتق منه : تفرعن الرجل ، إذا عتا .

(٤) فى م : خبث .

[1]ال » آل[1] الرجل من [2]تبدو فيهم[2] أحواله و أعماله و أفعاله حتى كأنهم
هو فى غيبه[3] من معنى الآل الذى هو السراب الذى يظهر فيه ما بعد
و يتراءى ما لم يكن يرى لو لاه ، « فرعون » اسم ملك مصر فى الجاهلية ،
علم جنس لملوكها بمنزلة أسماء الأجناس فى[3] الحيوان و غيره - انتهى .
[و المراد بالآل فرعون و أتباعه[4] فان الآل[5] يطلق على الشخص نفسه ٥
و على أهله و أتباعه و أوليائه - قاله فى القاموس ؛ قال : و لا يستعمل
إلا فيما فيه شرف غالبا -[6]] ثم بين ما أنجاهم منه بقوله « يسومونكم سوء

---

(١) فى مد : اى .

(٢-٢) من مد وظ وم ، غير أن فيها : تبدوا - كذا ؛ و فى الأصل : تبدونهم .

(٣) فى مد : من .

(٤) قال أبو حيان : وآل فرعون هنا أهل مصر - قاله مقاتل ، أو أهل بيته خاصة - قاله أبو عبيد ، أو أتباعه على ذنبه - قاله الزجاج ، ومنه « و اغرقنا اٰل فرعون » و هم أتباعه على ذنبه . قال السهيلى : فرعون اسم لكل من ملك القبط و مصر و اسمه الوليد بن مصعب ، السوم بمعنى التكليف او الإبلاء - و ذكر فيه أقوال المفسرين ؛ و سوء العذاب الأعمال القذرة - قاله السدى ، أو الحرث و الزراعة و البناء وغير ذلك - قاله بعضهم . « يذبحون » قرءة الجمهور بالتشديد وهو أولى لظهور تكرار الفعل باعتبار متعلقاته ، وفى سبب الذبح و الاستحياء أقوال وحكايات مختلفة الله أعلم بصحتها و معظمها يدل على خوف فرعون من ذهاب ملكه على يد مولود من بنى إسرائيل .

(٥) فى م : الأول - كذا .

(٦) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد ، و ليست فى ظ ، وفى الأصل بالهامش و لا تتضح .

العذاب، سماه بذلك لأنه أشد البلاء على النفس لما فيه من استحقارها، من السوم و هو تعذيب بتهاون بالمعذب، و السوم ما يشتد، تنكر النفس له و تكرهها؛ ثم فسر هذا بقوله «يذبحون» من التذبيح و هو تكرار الذبح، و الذبح قطع بالغ فى العنق - قاله الحرالى.

٥ [1] و لما كان كل من ذبح الابن و حياة المرأة بغير رجل أفحش و كانت البنت اذا بقيت صارت امرأة عبر بالأبناء و النساء فقال «ابناءكم» أى سوقا لكم مساق البهائم «و يستحيون»[2] قال الحرالى: من الاستحياء و هو استبقاء الحياة «نساءكم» من معنى الاتخاذ للتأهل الملابس فى معنى ما جرى منه اشتقاق الإنس و الإنسان و النسوة باشتراكها[3] فى أحد

١٠ الحروف الثلاثة من الهمزة أو الواو أو الياء مع اجتماعها[4] فى النون و السين - انتهى. ثم نبههم على ما فيه من العظم بقوله «و فى ذلكم»[5] فأشار

(١) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ.

(٢) معنى «يستحيون» يتركون بناتكم أحياء للخدمة أو يفتشون أرحام نسائكم، و قد قيل إن الاستحياء هنا من الحياء الذى هو ضد القحة و معناه أنهم يأتون النساء من الأعمال بما يلحقهم منه الحياء - البحر المحيط ١ / ١٩٤.

(٣) فى ظ: باشتراكهما.

(٤) فى ظ: اجتماعهما.

(٥) هو إشارة إلى ذبح الأبناء و استحياء النساء، و المراد بالبلاء الشدة و المكروه، و قيل يعود إلى معنى الجملة من قوله «يسومونكم» مع ما بعده فيكون معنى البلاء ما تقدم، و قيل يعود على التنجية و هو المصدر المفهوم من قوله «نجينكم» فيكون البلاء هنا النعمة و يكون «ذلكم» قد أشير به إلى أبعد مذكور، =

بأداة البعد مقرونة بالميم «بلاء» أى اختبار «من ربكم» أى المحسن إليكم فى حالى الشدة و الرخاء «عظيم[٢]» قال الحرالى : البلاء الاختبار و هو إبداء خبرة الشيء بشدة و محنة ، و فيه إشعار باستحقاقهم ذلك و استصلاحهم بشدته دون ما هو أيسر منه ، و ذكره بالعظم لشياعه فى الأجسام و الأنفس و الأرواح ، و ذكر معنى النجاة ثم فصله تفصيلا ٥ لكيفيته بعد ذلك تعدادا لنعمة النجاة التى هى تلو رحمة الإنعام التى هى[١] تلو رفعة التقدم بالعهد ؛ فانتهى الخطاب نهايته فى المعنى يعنى فلما[١] قررهم تعالى على ما اقترفوه قبل موسى عليه السلام حين أصابهم من آل فرعون ما أصابهم استجدّ لهم تذكيرا بنعمة نجاة من عقوبة متقدم أعمالهم - انتهى . ١٠

[٣]و لما كان ما فعل بهم فى البحر إهلاكا للرجال و إبقاء للنساء

= «من ربكم عظيم» دليل على أن الخير و الشر من الله تعالى بمعنى أنه خالقهما ، و وصفه بعظيم ظاهر ، و كونه عظيما هو بالنسبة للمخاطب و السامع لا بالنسبة إلى الله لأنه يستحيل عليه اتصافه بالاستعظام .

(١) فى ظ : هو .

(٢) قال القشيرى من صبر فى الله على بلاء الله عوضه الله صحبة أوليائه . هؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون و قومه فجعل منهم أنبياء و جعل منهم ملوكا و آتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين - انتهى . و لم تزل النعم تمحو آثار النقم - من البحر المحيط ١/١٩٤ .

(٣) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ .

طبق ما فعلوا ببنى إسرائيل عقبه به فقال «و اذ» أى و اذكروا إذ «فرقنا»[1] من الفرق و هو إفراج الواحد لحكمة إظهار التقابل - قاله الحرالى . [2]فصارت لكم مسالك على عدد أسباطكم[2] «بكم» أى بسببكم عقب إخراجنا لكم من أسر القبط «البحر» . قال الحرالى : هو المتسع الرحب البراح[3] مما
٥ هو ظاهر كالماء ، و مما هو باطن كالعلم الذى منه الحبر ، تشاركا بحروف الاشتقاق فى المعنى . «فانجينٰكم» من الإنجاء و هو الإسراع فى الرفعة عن الهلاك إلى نجوة الفوز - انتهى . و من عجائب ذلك أنه كما كان الإنجاء منه كان به . قال الحرالى : و جعل البحر مفروقا بهم كأنهم

(١) فلقناه و فصلنا بين بعضه و بعض حتى حصلت فيه مسالك اسلوككم فيه أو بسبب إنجائكم أو ملتبسا بكم كقوله شعر :

تدوس بنا الجماجم و التريبا

و قرئ فرّقنا على بناء التكثير لأن المسالك كانت اثنى عشر بعدد الأسباط - تفسير البيضاوى ص ٥٤ . و قال المهائمى «و» اذكروا المعرفة عظم نعمة التنجية حتى أفردت بالذكر بعد التعميم «و اذ فرقنا» أى فصلنا «بكم» أى بسبب وصولكم .
(٢-٢) ليست فى ظ .
(٣) البراح المتسع من الأرض لا زرع بها و لا شجر ، أو الأرض التى لا بناء فيها و لا عمران - قطر المحيط ١/٨٨ . و قال أبو حيان : البحر مكان مطمئن من الأرض يجمع المياه ، و أصله قيل الشق ، و قيل السعة ، فمن الأول البحيرة و هى التى شقت أذنها ، ومن الثانى البحيرة المدينة المتسعة ؛ البحر قيل بحر القلزم من بحار فارس و كان بين طرفيه أربعة فراسخ ، و قيل بحر من بحار مصر يقال له اساف و يعرف الآن ببحر القلزم ، قيل و هو الصحيح .

سبب فرقه، فكأن نجاتهم هي السبب وضرب موسى [١] عليه السلام [١] بالعصاة [٢] هي الأمارة و العلامة التي انفلق البحر عندها بسببهم، و جعل النجاة من بلاء فرعون تنجية لما كان على تدريج، و جعل النجاة من البحر إنجاء لما كان وحيا في سرعة وقت - انتهى. «و اغرقنا آل فرعون» فيه و به «و انتم تنظرون» إسراعه إليهم في انطباقه عليهم، و هذا مثل ٥ ما خاض العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه البحر الملح في ناحية البحرين أو انحسر له على اختلاف الروايتين، و مثل ما قطع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الدجلة في وقائع الفُرس عوما [٣] بالخيول بجميع عساكره وكانوا زيادة على ثلاثين ألفا لم يُفقد منهم أحد، وكان الفرس [٤] إذا تعب وثب [٥] فصار واقفا على ظهر الماء كأنه على صخر، فاذا استراح عام. ١٠ قال الحرالي: «و اغرقنا» من الغرق وهو البلاغ في الشيء إلى غايته بحسبه، فان كان في الهلاك فهو غاية و ظهر معناه في الماء و البحر لبُعد قعره، و هو في الماء بمنزلة الخسف في الأرض؛ و النظر التحديق للصورة من غير تحقق و لا بصر - انتهى. فذكرهم [٦] سبحانه بنعمة الإنجاء منه

(١-١) زيد من م.

(٢) العصاة: العصا، عراقية - قطر المحيط ١٣٧٨؛ وفي ظ: العصا، وفي م: العصى.

(٣) في م: غوصا.

(٤) في م: الفارس.

(٥) في ظ: وتب - كذا.

(٦) قال أبو حيان: و ناسب نجاتهم من فرعون بالقائهم في البحر وخروجهم =

بالرحيل عنه أولا ، ثم باغراقه الذى هو أكبر من ذلك ثانيا بما كان بعينه سبب سلامتهم و استمر يذكرهم بما تابع لهم من النعم حيث كانوا يستحقون النقم . قال الحرالي : و قررهم على نظرهم إليهم ، و فيه إشعار بفقد بصرهم لضعف بصائرهم من حيث لم يقل : و أنتم تبصرون ، و لذلك عادوا ٥ بعدها إلى أمثال ما كانوا فيه من الشك و الإباء على أنبيائهم بعد ذلك - انتهى .

و لما كان[1] فرق البحر للابقاء البدنى و كان إنزال الكتاب للابقاء الدينى عقبه به و كان الطبع السليم و المزاج المستقيم يقتضى إحسان العمل

= منه سالمين نجاة نبيهم موسى على نبينا وعليه السلام من الذبح بالقائه وهو طفل فى البحر و خروجه منه سالما ، و لكل أمة نصيب من نبيها ، و ناسب هلاك فرعون و قومه بالغرق هلاك بنى إسرائيل على أيديهم بالذبح ، لأن الذبح فيه تعجيل الموت بانهار الدم ، والغرق فيه إبطاء الموت و لا دم خارج ، وكان ما به الحياة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » سببا لإعدامهم من الوجود ، و لما كان الغرق من أعسر الموتات و أعظمها شدة جعله الله تعالى نكالا لمن ادعى الربوبية فقال « انا ربكم الاعلى » اذ على قدر الذنب يكون العقاب ، و يناسب دعوى الربوبية و الاعتلاء انحطاط المدعى و تغييبه فى قعر الماء ؛ « و انتم تنظرون » جملة حالية ، و هو من النظر بمعنى الإبصار ، و المعنى و الله أعلم أن هذه الخوارق العظيمة من فرق البحر بكم و إنجائكم من الغرق و من أعدائكم و إهلاك أعدائكم بالغرق وقع وأنتم تعاينون ذلك و تشاهدونه و لم يصل ذلك إليكم بنقل بل بالمشاهدة التى توجب العلم الضرورى بأن ذلك خارق من عند الله تعالى على يد النبي الذى جاءكم - و التفصيل فى البحر المحيط ١/١٩٨ .

(١) العبارة من هنا إلى « عقبه به » ليست فى ظ

زمن[1] المواعدة و استعطاف المواعد و الترفق له و التملق[2] بما تحقق الرجاء في إنجاز/ وعده لا سيما بعد بليغ إحسانه بالإنجاء من العدو و إهلاكه نعى /٧٢
عليهم عملهم بخلاف ذلك بقوله[3] «و اذ» . و[4] قال الحرالي: لما ذكرهم
تعالى بأمر الوفاء بالعهد الذي هو خاتمة أمرهم و بالتفضيل الذي كان بادية
أمرهم نظم ذلك بالأمر المتوسط بين الطرفين الذي أعلاه مواعدة موسى ٥
°عليه السلام° ربه الذي النعمة عليه نعمة عليهم فقال: و إذ «وعدنا»[6] من

---

(١) في م: من.
(٢) في ظ: القلق.
(٣) قال البيضاوي: و اعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني إسرائيل و من الآيات الملجئة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم و تصديق موسى عليه السلام، ثم إنهم اتخذوا العجل و قالوا «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» و نحو ذلك، فهم بمعزل في الفطنة و الذكاء و سلامة النفس و حسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه و سلم فانهم اتبعوا مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة يدركها الأذكياء و إخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره.
(٤) ليس في م.
(٥ - ٥) زيد من م.
(٦) لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة و عبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور- انتهى. وقال أبو حيان: قرأ الجمهور «واعدنا» و قرأ أبو عمر «وعدنا» بغير ألف هنا و في الأعراف وطه، ويحتمل واعدنا أن يكون بمعنى وعدنا و يكون صدر من واحد، ويحتمل أن يكون من اثنين على أصل المفاعلة، فيكون الله قد وعد موسى الوحي و يكون موسى وعدالله المجيء للميقات، أو يكون الوعد =

الوعد و هو الترجية بالخير ، و وعدنا من المواعدة و هى التقدم فى اللقاء و الاجتماع و المفاوضة و نحوه « موسى » كلمة معربة من لفظ العبرانى بما تفسيره فيما يقال ماء و شجر ، سمى[1] به لما أودع فيه من التابوت المقذوف فى اليم « اربعين ليلة » هى كمال وقت الليل و الليل وقت انطماس المدركات
٥ الظاهرة - انتهى . [2]و خص الليل[3] بالذكر إشارة إلى أن ألذ المناجاة فيه و إلى أنه لا نوم فى تلك المدة بل المناجاة عامة لليلها و نهارها ، و انتصب أربعين بوقوعه موقع المفعول الثانى لوعدنا أى انقضاء أربعين أى الكلام أو إنزال التوراة عند انقضاء الأربعين[4] و هى ذو القعدة و عشر من ذى الحجة و قيل ذو الحجة و عشر من المحرم . قال الحرالى : و فيه إشعار بأن
١٠ المناجاة إنما يتهيأ لها لميقات حبس النفس عما به قوامها و كمال ذلك إنما

= من الله و قبوله كان من موسى و قبول الوعد يشبه الوعد .

(١) اسم أعجمى لا ينصرف للعجمة و العلمية ، يقال هو مركب من مو وهو الماء وشا و هو الشجر . فلما عرب أبدلوا شينه سينا ، و إذا كان أعجميا فلا يدخله اشتقاق عربى ؛ هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن - البحر المحيط .

(٢) العبارة من هنا إلى « و نهارها » ليست فى ظ .

(٣) و كان تفسير الأربعين بليلة دون يوم لأن أول الشهر ليلة الهلال و لهذا أرخ بالليالى ، و اعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعا لليالى ، أو لأن الظلمة أقدم من الضوء بدليل « و آية لهم الليل نسلخ منه النهار » البحر المحيط ١/٢٠٠ .

(٤) العبارة من هنا إلى « المحرم » ليست فى ظ .

هو الصوم و كمال العدد الذى هو طور[1] مصير من حال إلى حال هو الأربعون، و ذكر الميقات بالليالى يشعر أن مناجاته صباح من[2] ظلمة الكون فى حال خصوص الخلقة من حيث أن الظلمة آية على فوت مرام نور الحق و النهار آية على ظهور نور الحق و أول بادٍ بدأ من الحق للخلق كلامه لمصطفى من خلقه بغير واسطة و هو بعد فى دنياه و فى أرضه التى كانت ٥ سجنا، فلما جاءها الحق لعبد من عبيده[3] مناجيا له كما يأتيها يوم الجزاء بعد البعث صارت موطن رحمة و هدى و نور و هو مجيء الله سبحانه من سيناء المذكور فى الكتاب الأول - انتهى . و هذا دون قصة المعراج التى كانت لنبينا صلى الله عليه و سلم فى اختراق السماوات العلى إلى سدرة المنتهى إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى و سمع الكلام من غير واسطة و رجع ١٠ إلى بيته فى ليلته و قد قطع من المسافات ما مسيرته خمسون ألف سنة كما سأبينه إن شاء الله تعالى فى سورة السجدة .

و لما كانت الأنفس الأبيّة و الهمم العلية تقتضى النفرة من الظالم[4] و الأنفة من كل ما ينسب إليه و يذكّر به و كانوا قد اتخذوا من آثار آل فرعون من حليهم ما دخلوا فى رقه و عبوديته و كانت مشاهدتهم ١٥ لما رأوا من الآيات مقتضية لغاية البعد من الكفر عبر عن مواقعتهم له

(١) فى ظ : ظهور .

(٢) فى ظ : به .

(٣) فى ظ : عباده .

(٤) فى ظ : المظالم .

بثم فقال «ثم اتخذتم» قال الحرالي: من الاتخاذ وهو افتعال مما منه المواخذة كأنه الوخذ، وهو تصيير في المعنى نحو الأخذ في الحس، و فيه تكلف؛ «العجل» وذكر في هذا التقرير أصل المواعدة و ذكر الميقات و تجاوز الخطاب ما بعد ذلك [1]من مهل[1] حسب ما تفهمه كلمة ثم، فاقتضى

٥ إفهام ذلك ما نالوه من الخير ثم تعقبوا ذلك بالتزام عادتهم في معاودة ما اعتادوه من أعمالهم إلى أدنى عمل من لا عقل له[2] ولا بقية نظر له من اتخاذ جسد عجل الٰها بعد معرفة آثار الإلٰهية على الغيب، ففيه تعجيب من أن موسى [3]عليه السلام[3] إنما واعده الله بالمناجاة بعد ميقات أربعين صوما و نسكا و تحنثا[4] و انقطاعا إلى ربه ثم يرونهم أنهم شهدوا الإلٰه[5]

١٠ مصورا محسوسا على أن موسى الذي ناجاه ربه منع الرؤية فكيف

(١ - ١) ليس في ظ .

(٢) ليس في م و مد و ظ .

(٣ - ٣) زيد من م و مد .

(٤) في م: تحننا .

(٥) في التفسير المظهري : لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى : إني ذاهب الى ربي ، و واعدهم أربعين ليلة و استخلف هارون و جاء جبرئيل على فرس الحياة لا يصيب شيئا إلا أحياه ليذهب بموسى الى ربه ، فلما رأى السامري موضع الفرس يخضر و كان رجلا صائغا من أهل باجرمى و قيل من أهل كرمان و كان منافقا أظهر الإسلام و كان من قوم يعبدون البقر أخذ من تربة حافر فرس جبرئيل و كان بنو إسرائيل استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلة =

بهم[١]! و ذلك هو ظلمهم، فوضعوا الإله محل الشيء المحسوس و هو تعالى قد تعالى عن أن يراه صفيه الذى ناجاه فى دنياه و إنما ناجاه بعد ميقاته، وهم يهمون فى تألّه مرئىّ من غير مواعدة و لا اختصاص! و فى قوله تعالى «من بعده» أي من بعد إتيانه لميعادنا[٢] إضمار لذكر[٣] موسى عليه السلام تقريرا لما كان ينبغى أن يكونوا عليه من الارتقاب لما يأتيهم به موسى[٤] ٥

= عرس لهم فأهلك الله فرعون و بقيت الحلى عندهم، فلما فصل موسى قال السامرى: إن الحلى التى استعرتم من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة و ادفنوا فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه، فأخذ السامرى و صاغها عجلا فى ثلاثة أيام وألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب حافر فرس جبرئيل، فخرجت عجلا مرصعا بالجواهر يخور خورة و يمشى، فقال السامرى: هذا إلهكم و إله موسى فنسى، وكان موسى وعد لهم ثلاثين ليلة، ثم زيدت العشرة، و فيها فتنهم و أضلهم السامرى فعبدوا العجل - كذا روى الخطيب الشربينى و أشار أبو حيان إلى هذه القصة.

(١) ليس فى م.

(٢) قال المهائمى: أى من بعد خروج موسى الزاجر عن عبادة فرعون والأوثان «و انتم ظٰلمون» مثل ظلم آل فرعون بل أشد، لأنه بعد الإيمان. وقال أبو حيان: قيل بوضع العبادة فى غير موضعها، وقيل بتعاطى أسباب هلاكها، و قيل برضاكم فعل السامرى فى اتخاذه العجل و لم تنكروا عليه. و قال: و من أغرب ما ذهب إليه فى هذا العجل أنه سمى عجلا لأنهم عجلوا به قبل قدوم موسى فاتخذوه إلٰها - قاله أبو العالية، أو سمى هذا عجلا لقصر مدته - انتهى.

(٣) فى م: لذكرى.

(٤) زيد فى م: عليه السلام.

من فوائد المناجاة ، كما يكون من تعلق قلبه بمن هو قدوته[1] ؛ و البعد بعد عن حد يتخذ[2] مبدأ ليكون سابقه قبل و لاحقه بعد[3] - انتهى .
[4]و إثبات الجار لأن اتخاذهم ذلك لم يستغرق زمان البعد[4] «و انتم ظلمون ﴿٥١﴾» فاعلون فعل من هو فى أظلم الظلام بعد أن جاءكم موسى[5] بالنور المبين .

٥ و لما كان ذلك مقتضيا لأعظم السخط المقتضى من القادر للعاجلة بالأخذ ذكرهم نعمة الإمهال بعده فقال مشيرا إلى عظم الذنب و النعمة بأداة التراخى : «ثم عفونا» . و قال[6] الحرالى : ثم تجاوز الخطاب ما أصابهم من العقوبة على اتخاذهم إلى ذكر العفو[7] تقريرا[8] على تكرر

---

(١) فى م : قدرته .

(٢) فى ظ : تتخذ .

(٣) فى م : بعده .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) زيد فى م : عليه السلام .

(٦) و قال أبو حيان : و قال قوم : لا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا فى الذنب ، فان كان العفو هنا بمعنى الترك و التسهيل فيكون « عنكم » عام اللفظ خاص المعنى ، لأن العفو إنما كان عمن بقى منهم ، و إن كان بمعنى المحو كان عاما لفظا و معنى ، فانه تعالى تاب على من قتل و على من بقى ، قال تعالى : « فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم » و روى أن الله أوحى إلى موسى بعد قتلهم أنفسهم أنى قبلت توبتهم ، فمن قتل فهو شهيد ، و من لم يقتل فقد تبت عليه و غفرت له .

(٧) العبارة من هنا إلى « باسم العفو » ليست فى ظ .

(٨) فى مد : تقريرا .

تلافيهم[1] حالا بعد حال وقتا بعد وقت، كلما أحدثوا خطيئة تداركهم منه عفو، و خصه باسم العفو لما ذكر ذنوبهم، لأن المغفور له لا يذكر ذنبه، فان العفو رفع العقوبة دون رفع ذكرها، و الغفر إماتة ذكر الذنب مع رفع العقوبة - انتهى. «عنكم»[2] و لم نعاجلكم بالأخذ، و في قوله تعالى «من بعد ذلك» أي الذنب العظيم إشعار بما أصابهم من ٥ العقوبة و خطاب لبقية المعفو عنهم، لينتهي الأمر فيهم إلى غاية يترجّى معها لبقيتهم الشكر - قاله الحرالي. /[3] و كان الإشعار من جهة إدخال ٧٣/ 'من' على الظرفية[4]، فاقتضى مهلة بين العفو و الذنب لم يشملها العفو بل كان فيها عقوبة، كما اقتضى قوله: من بعده، مهلة بين اتخاذهم العجل و أول ذهاب موسى عليه السلام للمناجاة؛ و يجوز أن يكون أفرد حرف ١٠ الخطاب إشارة إلى أنه لا يعلم جميع ما في دينهم من الشناعة إلا إمام أهل التوحيد النبي صلى الله عليه و سلم «لعلكم تشكرون».[5] أي

---

(١) في م و مد: تلاقيهم.

(٢) زيد في مد: أي.

(٣) العبارة من هنا إلى «النبي صلى الله عليه و سلم» ليست في ظ.

(٤) في م و مد: الظرف.

(٥) تثنون عليه تعالى باسدائه نعمه إليكم و تظهرون النعمة بالثناء، و قالوا: الشكر باللسان و هو الحديث بنعمة المنعم و الثناء عليه بذلك، و بالقلب و هو اعتقاد حق المنعم على المنعم عليه، و بالعمل «اعملوا آل داود شكرا»؛ و معنى «لعلكم تشكرون» أي عفو الله عنكم، لأن العفو يقتضي الشكر - قاله الجمهور. و ذكر أبو حيان أقوالا - إلى أن قال: قال القشيري: سرعة العفو عن عظيم =

ليكون[1] حالكم حال من يتوقع منه الشكر .

قال الحرالى: و هو ظهور بركة الباطن على الظاهر ، يقال : دابة شكور ، إذا أنجح مأكلها بظهور سمنها ؛ و فيه إشعار بأن منهم من يشكر و فيهم[2] من يتمادى بما فى ترجى كلمة 'لعل' من الإبهام المشعر بالقسمين و المهيئ لإمكان ظهور الفريقين حتى يظهر ذلك لميقاته ، لأن كل ما كان فى حق الخلق ترددا فهو من الله سبحانه إبهام لمعلومه فيهم ؛ على ذلك تجرى كلمة لعل [3]و عسى[3] و نحوها - انتهى .

= الجرم دالة على حقارة المعفو عنه ، يشهد لذلك « من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين » و هؤلاء بنو إسرائيل عبدوا العجل فقال تعالى « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ، و قال لهذه الأمة : « و من يعمل مثقال ذرة شرا يره » انتهى كلامه . و ناسب ترجى الشكر إثر ذلك العفو لأن العفو عن مثل هذه الزلة العظيمة التى هى اتخاذ العجل إلها هو من أعظم إسداء النعم ، فلذلك قال « لعلكم تشكرون » البحر المحيط ١/٢٠٢ . و فى التفسير المظهرى : قال البغوى : حكى عن موسى قال : إلهى ! أنعمت على النعم السوابغ و أمرتنى بالشكر و إنما شكرى إياك نعمة منك ، قال الله تعالى : يا موسى ! تعلمت العلم الذى لا يفوقه علم ، حسبى من عبدى أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منى . و قال داود : سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة - انتهى كلامه .

(١) فى م : لتكون .

(٢) فى م : منهم .

(٣-٣) ليس فى ظ .

و لما كان فى ذلك دليل على سوء طباعهم و عكس مزاجهم و أنهم لا يحفظون عهدا و لا يستقيمون على نهج ذكرهم بنعمة الكتاب الذى[1] من شأنه الضبط فى جميع الأحوال بالرجوع إليه عند الضلال فقال . و قال الحرالى : لما ذكر تعالى أمر موسى عليه السلام و هو خاص أمرهم فصل لهم أمر ما جاء به موسى[2] و ما كان منهم فيما جاء به - انتهى. فقال « و اذ ٥ اٰتينا » أى بما لنا من العظمة « موسى الكتٰب » أى الكامل فى نفسه الجامع لكم على طريق الحق . [3]و لما كان الكتاب مع كونه جامعا لما أريد منه فارقا بين الملبسات وصفه بقوله[3] « و الفرقان » أى[4] المبين للأشياء على ما هى عليه من غير أن يدع فى شيء لبسا[5] . قال الحرالى : فقررهم على أمرين من الكتاب الذى فيه أحكام الأعمال و الفرقان الذى فيه أمر ١٠ العلم و هما مِلاك حال[6] إقامة الدين بالعلم و العمل ؛ و 'الفرقان' فُعلان

(١) فى ظ : التى .

(٢) زيد فى م و مد : عليه السلام .

(٣-٣) ليست فى ظ .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) قال أبو حيان : 'الكتٰب' هو التوراة بإجماع المفسرين ، و 'الفرقان' هو التوراة ، و معناه أنه آتاه جامعا بين كونه كتابا و فرقانا بين الحق و الباطل . و ذكر فى تفسير الفرقان اثنتى عشرة مقالة للمفسرين . و قال المهائمى : « و » اذكروا « اذ اٰتينا الكتٰب » الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون « و الفرقان » أى الفرق بين المحق و المبطل « لعلكم تهتدون » لما هو شكر المحق و المبطل - انتهى .

(٦) فى ظ : حاله .

لفظ مبالغة يفهم استغراقا و امتلاء و عظما فيما استعمل فيه و [1]هو فى هذا اللفظ[1] من الفرق و هو إظهار ما ألبسته الحكمة [2]ظاهرة للأعين بالتبيان[2] لفرقان لبسه بما[3] تسمعه الأذن، و جاء فيه بكلمة 'لعل' إشعارا[4] بالإبهام فى أمرهم و تفرقتهم بين مثبت لحكم الكتاب عامل به عالم بطية الفرقان ٥ خبير به و بين تارك لحكم الكتاب غافل عن علم الفرقان - انتهى. فقال تعالى «لعلكم تهتدون» أى ليكون[5] حالكم حال من ترجى[6] هدايته فيغلب حلمه جهله و عقله شهوته، و لهذا الختم تلاه بما هداهم به بما ألزمهم من

(١-١) فى ظ: هو.

(٢-٢) فى ظ: بالاعين للتبيان.

(٣) فى ظ: ما.

(٤) من م ومد، و فى الأصل وظ: اشعار.

(٥) فى مد: لتكون.

(٦) ترجية لهدايتهم، تقرر فى النحو أنه إن كان متعلق لعل محبوبا كانت للترجى، فان كان محذورا كانت للتوقع كقولك: لعل العدو يقدم، و الشكر و الهداية من المحبوبات، فينبغى أن لا يعبر عن معنى لعل إلا بالترجى. قال القشيرى: فرقان هذه الأمة الذى اختصوا به نور فى قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل- استفت قلبك، اتقوا فراسة المؤمن، المؤمن ينظر بنور الله «ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» و ذلك الفرقان ما قدموه من الإحسان - انتهى كلامه. و ناسب ترجى الهداية إثر ذكر إتيان موسى الكتاب والفرقان، لأن الكتاب به تحصل الهداية «انا انزلنا التورىة فيها هدى و نور» «ذلك الكتب لاريب فيه هدى» «واٰتينه الانجيل فيه هدى و نور» من البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٠٣.

النقمة

النقمة الزاجرة عن مثل ذلك من قتل الأنفس فقال[1] : «و اذ» .

قال الحرالى : لما تكمل إقبال الخطاب عليهم مرات بما تقدم من ندائهم و العطف على ما فى صلته صرف الحق وجه الخطاب عنهم إلى ذكر خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم لهم ، فان الله يخاطب العباد باسقاط الواسطة بينه و بينهم ترفيعا لأقدارهم لديه ، فيرفع من شاء فيجيبه بما شاء، ٥ و يوقف من شاء فيجعل بينه و بينه[2] فى الخطاب واسطة من نبيه ، فلما قررهم بما مضى من التذكير[3] على ما واجههم به الحق تعالى ذكر فى هذه الآية تقريرهم على ما خاطبهم به نبيهم[4] حين أعرض الحق عن خطابهم

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : بينهم .

(٣) قال أبو حيان الأندلسى : و جاء ترتيب هذه النعم متناسقا يأخذ بعضه بعنق بعض ، وهو ترتيب زمانى و هو أحد الترتيبات الخمس التى مر ذكرها فى هذا الكتاب (البحر المحيط) ، لأن التفضيل أمر حكمى فهو أول ، ثم وقعت النعم بعده و هى أفعال يتلو بعضها بعضا ، فأولها الإنجاء من سوء العذاب ذبح الأبناء و استحياء النساء باخراج موسى إياهم من مصر بحيث لم يكن لفرعون و لا لقومه عليهم تسليط بعد هذا الخروج و الإنجاء ، ثم فرق البحر بهم و إراءتهم عيانا هذا الخارق العظيم ، ثم وعد الله لموسى بمناجاته وذهابه إلى ذلك ، ثم اتخاذهم العجل ثم العفو عنهم ، ثم إيتاء موسى التوراة ؛ فانظر إلى حسن هذه الفصول التى انتظمت انتظام الدر فى أسلاكها و الزهر فى أفلاكها ، كل فصل منها قد ختم بمناسبة و ارتقى فى ذروة الفصاحة إلى أعلى مناصبه و اردا من الله على لسان محمد أمينه لسان من لم يتل قبل كتابا و لا خطه بيمينه ـ انتهى .

(٤) زيد فى م : صلى الله عليه و سلم .

بما أصابوه من قبيح خطيئتهم - انتهى . فقال « و اذ قال موسى لقومه »[1]
العابد للعجل و الساكت عنه ، و القوم قال الحرالى اسم من لهم منة فى
القيام بما هم مذكورون به ، و لذلك يقابل بلفظ النساء[2] لضعفهن فيما
يحاولنه ؛ و فيه تخويف لهذه الأمة أن يصيبهم مثل ما أصابهم فى خطاب
٥ ربهم فيعرض عنهم - انتهى . « يـٰقوم » و أكد لعراقتهم فى الجهل بعظيم
ما ارتكبوه و تهاونهم به لما أشربوا فى قلوبهم من الهوى فقال[3] « انكم
ظلمتم انفسكم » ظلما يستحقون به العقوبة « باتخاذكم العجل » أى الها من
دون الله ، فجعلتم أنفسكم متذللة لمن لا يملك لها شيئا و لمن هى أشرف
منه ، فأنزلتموها من رتبة عزها[4] بخضوعها لمولاها الذى لا يذل من
١٠ والاه و لا يعز من عاداه إلى ذلها بخضوعها لمن هو دونكم أنتم ، هذا
هو أسوأ الظلم ، فان المرء لا يصلح أن يتذلل و يتعبد لمثله فكيف

(١) قال المهائمى : « و » من تلك الهداية التوبة ، فهذه التوبة من شكر المحق ، لأنه عرف قدر نعمتها حتى آثرها على الحياة الدنيا بقتل الأنفس حدا على اتخاذ العجل ، فاذكروا « اذ قال موسى لقومه » من إفراط شفقته عليهم : « يـٰقوم » إن من شفقتى عليكم أن أخلصكم من عقوبة ظلمكم « انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل » الذى هو أبعد من فرعون عن الإلـٰهية .

(٢) بهامش الأصل : قوله و لذلك تقابل بلفظ النساء إشارة إلى قوله أن عرا قوم الحصن أم نساء .

(٣) ليس فى م و ظ .

(٤) زيد فى م : اليه .

لمن[1] دونه من حيوان! فكيف بما يشبه بالحيوان من جماد الذهب الذى هو من المعادن و هو أخفض المواليد رتبة حين لم تبلغها حياتها أن تبدو فوق الأرض كالنبات من النجم و الشجر و[2] لما فيه من الانتفاع بما يكون[3] من الحب و الثمر الذى يُنتفع به غذاء و دواء و المعادن لا ينتفع بها إلا آلات و نقودا[4] منفعتها إخراجها لا إثباتها - [5]قاله الحرالى[5] . « فتوبوا ٥ إلى بارئكم »[6] الذى فطركم من قبل أن تتخذوا العجل [7]بريئين من العيب

(١) فى م : بمن - كذا .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) زيد فى ظ : فيه ، و فى م : منه .

(٤) فى م : نقود .

(٥ - ٥) ليست فى ظ .

(٦) قال أبو حيان : ولما لم يكمل وصف هذه النعمة إلا بمقدمة ما تسببت عنه قدم ذكر ذلك ، وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين رجع من الميقات و وجدهم قد عبدوا العجل ، و اللام فى قوله « لقومه » للتبليغ و إقبال موسى عليهم بالنداء ، و نداؤه بلفظ « يٰقوم » مشعر بالتحنن عليهم و أنه منهم و هم منه ، و لذلك أضافهم إلى نفسه ، فيكون ذلك سببا لقبول ما يلقى إليهم ، بخلاف أن لو ناداه بالاسم أو بالوصف القبيح الصادر منهم ، و فى ذلك أيضا هزلهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقريعهم بأنهم ظلموا أنفسهم و أى ظلم أعظم من اتخاذ إله غيره « ان الشرك لظلم عظيم » و نص على أنهم ظلموا أنفسهم بذلك لأنه أفحش الظلم ، لأن نفس الإنسان أحب شيء إليه فاذا ظلمها كان أفحش من أن يظلم غيره . و لما كان السامرى قد عمل لهم من حليهم عجلا قيل لهم : توبوا إلى بارئكم أى منشئكم و موجدكم من العدم إذ موجد الأعيان هو الموجد حقيقة ، و أما عمل =

مع إحكام الخلق[1] على الأشكال المختلفة . و قال الحرالى : البارئ اسم قائم بمعنى البرء و هو إصلاح[2] المواد للتصوير، كالذى يقطع الجلد و الثوب ليجعله خفا و قميصا ، و كالذى يطحن القمح و يعجن الطين ليجعله[3] خبزا و فخارا[4] و - نحو ذلك، و معناه التدقيق للشيء بحسب التهيؤ لصورته-انتهى .

٧٤/ ٥ و لما كانت توبتهم بقتل أقاربهم و إن / كانوا آباء أو أبناء عبر عنهم بالنفس لذلك و إشارة إلى خبث ما ارتكبوا[5] فقال « فاقتلوا انفسكم » أى التى أوجدها فقادتكم إلى غيره . قال الحرالى : و القتل[6] قصل الحيوان قبل انتهاء قوته بمنزلة قصل الزرع قبل استحصاده - انتهى . و لما كان

= العجل و اتخاذه فليس فيه إبراز الذوات من العدم ، إنما ذلك تأليف تركيبى لا خلق أعيان ، فنبهوا بلفظ البارئ على الصانع أى الذى أوجدكم هو المستحق للعبادة لا الذى صنعه مصنوع مثله فلذلك والله أعلم كان ذكر البارئ هنا (٧) العبارة من هنا إلى « المختلفة و » ليست فى ظ .

(١) ليس فى م .

(٢) فى م : اصطلاح .

(٣) فى م : لجعله ، و بهامشه بعلامة النسخة : ليجعله .

(٤) فى ظ : فخارة ، و فى م : فخا - كذا .

(٥) فى م : ارتكبوه .

(٦) قال أبو حيان الأندلسى : القتل إزهاق الروح بفعل أحد من طعن أو ضرب أو ذبح أو خنق أو ما شابه ذلك ، و أما إذا كان من غير فعل فهو موت و هلاك . « خير » هى أفعل التفضيل حذفت همزتها شذوذا فى الكلام فنقص بناؤها فانصرفت . قال المهائمى : « فتوبوا الى بارئكم » الذى خلقكم برآء من الشرك والمعاصى و يرجى تبرئتكم عن هذا الظلم الذى لا ينمحى هيئته عن قلوبكم لإفراط=

ما أمرهم به أمرا لا يكاد يسمح به عظّم الرغبة فيه بقوله «ذلكم» أى الأمر العظيم [1]و هو القتل[1] «خير لكم» و الخير قال الحرالى ما يصلح فى الاختيار من محسوس الأشياء و ما هو الأصلح و ما هو الأخير، و ربما استعملت منه خيرٌ محذوفة فيقال : هو خير فى نفسه ، أى مما يختار، و يقال : هذا[2] خير من هذا ، أى أخير منه أى أصلح فى الاختيار ، وكذلك لفظ ٥ شر فى مقابله و هما مشعران بمتوسط من الأشياء لا يختار لأجل زيادة صلاح و لا يطرح لأجل أذى و لا مضرة . «عند» كلمة تفهم اختصاص ما أضيفت إليه بوجه مّا عام[3] و أخص منه لدن ، فلدن خاصتها و عند عامتها ، كالذى يملك الشيء فهو عنده و إن لم يكن فى حضرته - انتهى .

=حبكم إياه «فاقتلوا انفسكم» لأنه و إن كان شرا عند أنفسكم لكن «ذلكم خير لكم» إذ يبرئكم عن جريمته التى تخلدكم فى النار ففعلتم « فتاب عليكم » أى قبل توبتكم و إن كانت جريمتكم أعظم لكفركم بعد الإيمان . قال البيضاوى : « فاقتلوا انفسكم» تماما لتوبتكم بالبخع أو قطع الشهوات كما قيل: من لم يعذب نفسه لم ينعمها و من لم يقتلها لم يحيها ، « ذلكم خير لكم » من حيث أنه طهرة من الشرك و وصلة إلى الحياة الأبدية و البهجة السرمدية « عند بارئكم » ذكر البارئ وترتيب الأمر عليه إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة و الغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقرة التى هى مثل فى الغباوة و أن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه، و لذلك أمروا بالقتل و فك التركيب - انتهى .

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) زيد فى م : امر .

(٣) زيد فى م : او خاص .

« بارئكم » أى القادر على إعدامكم كما قدر على إيجادكم ، و فى التعبير بالبارئ ترغيب لهم فى طاعته بالتذكير بالإحسان و ترهيب بإيقاع الهوان .

و لما كان التقدير ففعلتم التوبة المأمور بها بأن قتل بعضكم بعضا[1] بتوفيقه لكم سبحانه مع ما فيه من عظم[2] المشقة عطف عليه قوله « فتاب

٥ عليكم » أى مع عظم جرمكم ، و لو لا توبته عليكم ما تبتم ؛ ثم علل ذلك بقوله « انه » أى لأنه « هو التواب الرحيم » أى ما زال هذا صفة له لا لاستحقاق منكم عليه[3] قال الحرالى : و فى إظهار هو مفصولة من ضمير

---

(١) فتلخص فى قوله « فاقتلوا » ثلاثة أقوال : الأول الأمر بقتل أنفسهم ، الثانى الاستسلام للقتل ، و الثالث التذليل للأهواء ؛ و الأول هو الظاهر ، و هو الذى نقله أكثر الناس ، وظاهر الكلام أنهم هم المأمورون بقتل أنفسهم فقيل وقع القتل هكذا قتلوا أنفسهم بأيديهم ، و قيل قتل بعضهم بعضا من غير تعيين قاتل ولا مقتول ، وقيل القاتلون هم الذين اعتزلوا مع هارون والمقتولون عباد العجل . و فى ذلك من الاتعاظ و الاعتبار ما يوجب مبادرة الازدجار عن مخالفة الملك القهار ؛ و انظر إلى لطف الله بهذه الملة المحمدية إذ جعل توبتها فى الإقلاع عن الذنب و الندم عليه و العزم على عدم المعاودة إليه . «عند بارئكم » و العندية هنا مجاز إذ هى ظرف مكان ، وكرر البارئ باللفظ الظاهر توكيدا و تنبيها على أن هذا الفعل هو راجح عند الذى أنشأكم فكما رأى أن إنشاءكم راجح رأى أن إعدامكم بهذا الطريق من القتل راجح فينبغى التسليم له فى كل حال و تلقى ما يرد من قبله بالقبول و الامتثال ـ البحر المحيط ١/ ٢٠٩ .

(٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عظيم .

(٣) قال المهائمى : « انه هو التواب » أى البالغ فى قبول التوبة حتى أنه قبلها على عمل أهلك بما دونه آل فرعون ، و إنما تاب عليكم لأنه « الرحيم » إذ رحم =

وصلها إثبات معنى الرحمة لله ثبتا لا يتبدل و لايتغير إلا أنه من وراء غيب ما شاء الله من أدب و امتحان و عقاب ، فلذلك ختمه باسمه الرحيم ، لأن الختم أبدى إظهار للمعنى الأخفى من مضمون ما فيه الختم - انتهى .

و لما استتيبوا عن عبادة العجل[١] التي تقيدوا فيها بالمحسوس الذي هو مثل في الغباوة طلبوا رؤية بارئهم[٢] بالحس على ما له من صفات الكمال ٥ التي تأبى الابتذال[٣] ناسين[٤] لجميع[٥] النعم و النقم مسرعين في الكفر الذي هو من شأن الحائر و الحال أن الفرقان الذي لا يدع شبهة و لا يبقى حيرة قائم بين أيديهم ، لأنهم من الجمود و الوقوف مع الوهم و الحس بمكان عظيم ، فذكرهم سبحانه ذلك[٦] مسليا للنبي صلى الله عليه و سلم في إبائهم الايمان به بما فعلوا مع موسى عليه السلام و هو أحدهم ١٠

= على تعذيب ساعة بكرامة الأبد ، وهذه من الهداية الفارقة بين المحق و المبطل قد أخذ بها قدماؤكم و أنتم لا تسمحون بمجرد القول و لا بالأعمال السمحة من هذه الشريعة مع وفور فضائلها .

(١) العبارة من هنا إلى « في الغباوة » ليست في ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « الابتذال » ليست في ظ .

(٣) في م : الاستبدال .

(٤) في م : ناشئين .

(٥) في م و مد و ظ : جميع .

(٦) العبارة من هنا إلى « احدهم » ليست في ظ .

فقال « و اذ قلتم » أي[1] بعد ما رأيتم من الآيات و شاهدتم من الأمور البينات « يٰموسى » فدعوتموه باسمه جفاء و غلظة كما يدعو بعضكم بعضا و لم تخصوه بما يدل على تعظيمه لما رأيتم من إكرام الله له[2] و إكرامكم على يده « لن » و هي كلمة تفهم نفي معنى باطن كأنها "لا أن[3]" يسّر بالتخفيف لفظها - قاله الحرالي . « نؤمن لك » أي لأجل قولك[4] . قال ٥

---

(١) هذه محاورة بني إسرائيل لموسى و ذلك بعد محاورته لهم في الآية قبل هذا ، و الضمير في « قلتم » قيل للسبعين المختارين - قاله ابن مسعود و قتادة ، و قيل الضمير لسائر بني إسرائيل إلا من عصمه الله - قاله ابن دريد ، و قيل الذين انفردوا مع هارون و لم يعبدوا العجل ؛ و في نداء بني إسرائيل لنبيهم باسمه سوء أدب منهم معه ، إذ لم يقولوا : يا نبي الله ! أو يا رسول الله ! أو يا كليم الله ! أو غير ذلك من الألفاظ التي تشعر بصفات التعظيم ، وهي كانت عادتهم معه « يٰموسى لن نصبر على طعام واحد » « يٰموسى اجعل لنا الٰهًا » « يٰموسى ادع لنا ربك » و قد قال الله تعالى لهذه الأمة : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » من البحر المحيط ١/٢١٠ .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في ظ : الا انه ، وفي م : الا ان .

(٤) قال أبو حيان : « لن نؤمن لك » قيل معناه لن نصدقك فيما جئت به من التوراة ، و لم يريدوا نفي الإيمان به بدليل قولهم « لك » و لم يقولوا : بك ، نحو « وما انت بمؤمن لنا » أي بمصدق ؛ و قيل معناه لن نقر لك فعبر عن الإقرار بالإيمان و عدّاه باللام و قد جاء « لتؤمنن به و لتنصرنه قال أقررتم و اخذتم على ذلك اصري قالوا اقررنا » فيكون المعنى لن نقر لك بأن التوراة من =

الحرالي

الحرالي: و جاء باللام لأنهم قد كانوا آمنوا به فتوقفوا عن الإيمان له الذى يتعلق بأمور من تفاصيل ما يأتيهم به ، فمن آمن لأحد فقد آمن بأمور لأجله ، و من آمن به فقد قَبِل أصل[١] رسالته « يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين[٢] » ؛ « حتى » كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها فى حكم ما قبلها مقابل معنى لـكى[٣] « نرى » من الرؤية و هى اطلاع على باطن الشيء الذى أظهر منه مبصره [٤]الذى أظهره منه منظره[٤] ، و منه يقال فى مطلع المنام: رؤيا ، لأن ذوات المرئى فى المنام هى أمثال باطنه فى صورة المنظور إليه فى اليقظة - انتهى . « الله » أى مع ما له من العظمة « جهرة » أى عيانا[٥] من غير خفاء و لا نوع لبس . قال الحرالي: من الجهر و هو الإعلان بالشيء إلى حد الشهرة

= عندالله ، وقيل يجوز أن تكون اللام للعلة أى لن نؤمن لأجل قولك بالتوراة ، وقيل يجوز أن يراد نفى الكمال أى لا يكمل إيماننا لك كما قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين - انتهى .

(١) ليس فى م .

(٢) سورة ٩ آية ٦١ .

(٣) فى م و مد و ظ : الى .

(٤ - ٤) ليست فى م .

(٥) « حتى » هنا حرف غاية أخبروا بنفى إيمانهم مستصحبا إلى هذه الغاية ، ومفهومها أنهم إذا رأوا الله جهرة آمنوا ، والرؤية هنا هى البصرية وهى التى لا حجاب دونها و لا ساتر ، و انتصاب جهرة على أنه مصدر مؤكد مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون مناما أو علما بالقلب ، والمعنى حتى نرى الله عيانا - البحر المحيط ١/٢١٠ و فيه تفصيل . قال المهائمى: « و اذ قلتم يـموسى » حين اختار سبعين من خياركم =

و بلاغه لمن لا يقصده فى مقابلة السر المختص بمن يقصد به، و هذا المطلوب مما لا يليق بالجهر لتحقق اختصاصه بمن يكشف له الحجاب من خاصة من يجوّزه[1] القرب من خاصة من يقبل عليه النداء من خاصة من يقع عنه الإعراض ، فكيف أن يطلب ذلك جهرا[2] حتى يناله من هو فى محل البعد و الطرد! و فيه شهادة بتبلدهم عن موقع الرؤية ، فان موسى عليه السلام قال « رب ارنى[3] » و قال تعالى « وجوه يومئذ ناضرة ه إلى ربها[4] ناظرة ه[5] » و قال عليه الصلاة و السلام: إنكم ترون ربكم . فالاسم المذكور لمعنى الرؤية إنما هو الرب لما فى اسم الله تعالى من الغيب الذى لا يذكر لأجله إلا[6] مع ما هو فوت لا مع ما هو فى المعنى نيل ، و ذلك لسر[7] من أسرار

= بأمر الله لتعتذروا إليه من عبادة العجل فأمرهم بالصوم و التطهر ، فلما دنا من طور سيناء وقع عمود الغمام فدخله و أدخلهم خروا له سجدا فسمعوه يكلم موسى ، فلما فرغ و انكشف الغمام قالوا « لن نؤمن لك » أى لقولك إنه مسموع من الله « حتى نرى الله جهرة » أى رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر ، فغضب الله عليكم عن قولكم « لن نؤمن لك » لا عن طلب رؤيتكم إياه إذ لا يستحيل كرؤيته إيانا - انتهى .

(١) فى م : بجوزه .

(٢) فى م : جبرا - كذا .

(٣) زيد فى م : انظر اليك . سورة ٧ آية ١٤٣ .

(٤) سقط من م .

(٥) سورة ٧٥ آية ٢٢ و ٢٣ .

(٦) ليس فى م .

(٧) فى م : السر .

العلم بمواقع معاني الأسماء الحسنى فيما يناسبها من ضروب الخطاب والأحوال والأعمال ، و هو من أشرف العلم الذى يفهم به خطاب القرآن حتى يضاف لكل اسم ما هو أعلق فى معناه و أولى به و إن كانت الأسماء كلها ترجع[1] معانى بعضها لبعض ؛ «فاخذتكم»[2] من الأخذ و هو تناول الشيء بجملته بنوع بطش و قوة - انتهى . أى لقولكم / هذا لما فيه من ٥ ‎/٧٥ الفظاعة و انتهاك الحرمة ، «الصعقه»[3] قيل : هى صيحة ، و قيل[4] : نار نزلت من السماء فأحرقتهم ، و يؤيده قوله «و انتم تنظرون» » أى تلك

(١) فى ظ : يرجع .

(٢) استولت عليكم و أحاطت بكم ، و أصل الأخذ القبض باليد ، و الصاعقة هنا هل فى نار من السماء أحرقتهم ، أو الموت ، أو جند سماوى سمعوا حسهم فماتوا ، أو الفزع فدام حتى ماتوا أو غشى عليهم ، أو العذاب الذى يموتون منه ، أو صيحة سماوية - أقوال أصحها أنها سبب الموت و إن كانوا قد اختلفوا فى السبب - قاله المحققون لقوله تعالى « فلما اخذتهم الرجفة » ؛ و أجمع المفسرون أن المدة من الموت أو الصعق كانت يوما و ليلة ، و قيل أصاب موسى ما أصابهم ، و قيل صعق و لم يمت ، قالوا : و هو الصحيح ، لأنه جاء « فلما افاق » فى حق موسى ، و جاء « ثم بعثنكم » فى حقهم ؛ و أكثر استعمال البعث فى القرآن بعث الأموات. «وانتم تنظرون» جملة حالية ، و متعلق النظر أخذ الصاعقة إياكم ، أى و أنتم تنظرون إلى ما حل بكم منها ، أو بعضكم إلى بعض كيف يخر ميتا ، أو إلى الإحياء ، أو تعلمون أنها تأخذكم فعبر بالنظر من العلم و فيه أقوال أخر - من البحر المحيط ٢١٢/١ .

(٣) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست فى ظ .

(٤) زيد فى م : هى .

الصاعقه فأماتكم[1]، لأنكم كنتم فى طلبكم رؤيته على ضرب من حال عبدة العجل، فاماتكم كما أماتهم بالقتل.

و لما كان إحياؤهم من ذلك فى هذه الدار فى غاية البعد و خرق العادة عبر عنه بأداة التراخى و مظهر العظمة فقال «ثم بعثنكم» أى[2] بما لنا من العظمة[2] بالإحياء[3]. قال الحرالى: من البعث و هو الاستثارة[4] من

(١) العبارة من هنا إلى « بالقتل » ليست فى ظ .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) قال المهائمى : « و انتم تنظرون » إليها ولم يمكنكم الفرار عنها فأحرقتكم فدعـا موسى و بكى و تضرع وقال: يا رب ! ما ذا أقول لبنى إسرائيل و قد أهلكت خيارهم. قال أبو حيان : و قد عدّ صاحب المنتخب هذا إنعاما سادسا وذكر فى كونه إنعاما وجوها (فليطلب من يريد الاطلاع عليها فى البحر المحيط ١/١١٢) و قال قال بعضهم : لما أحلهم الله محل مناجاته و أسمعهم لذيذ خطابه اشرأبت نفوسهم للفخر و علو المنزله فعاملهم الله بنقيض مـا حصل فى أنفسهم بالصعقة التى هى خضوع و تذلل تأديبا لهـم و عبرة لغيرهم « ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار » « ثم بعثنكم » دل العطف بثم على أن بين أخذ الصاعقه و البعث زمانا تتصور فيه المهلة و التأخير هو زمان ما نشأ عن الصاعقة من الموت أو الغشى ، و البعث هنا الإحياء ، ذكر أنهم لما ماتوا لم يزل موسى يناشد ربه فى إحيائهم و يقول: يا رب ! إن بنى إسرائيل يقولون : قتلت خيارنا ! حتى أحياهم الله جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون. وكان إحياؤهم لأجل استيفاء أعمارهم ، و من قال: كان ذلك غشيا وهمودا كان الموت مجازا ، قال تعالى « ويأتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت . و الذى أتاه مقدمات الموت سميت موتا على سبيل المجاز ، قال الشاعر :

وقل لهم بادروا بالعذر و التمسوا قولا يبرئكم إنى أنا الموت

جعل نفسه الموت لما كان سببا للموت .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاستنارة - كذا .

غيب و خفاء، أشده البعث من القبور، و دونه البعث من النوم؛ قال:
و تجاوز الخطاب ما كان من سبب بعثهم، و كذلك كل موضع يقع
فيه "ثم" ففيه خطاب متجاوز مديد[1] الأمد كثير رتب العدد مفهوم لمن
استوفى مقاصد ما وقعت كلمة "ثم" بينه من الكلامين المتعاطفين؛ ففي[2] معنى
التجاوز من الخطاب سؤال موسى عليه السلام ربه في بعثهم حتى لا يكون ٥
ذلك فتنة على سائرهم - انتهى.

و لما كان ربما ظن أن البعث من غشي و نحوه حقق[3] معناه [4]مبينا
أنه لم يستغرق زمن البعد[4] بقوله «من بعد موتكم» أي هذا بتلك
الصاعقة، و قال دالا على أن البعث إلى هذه الدار لا يقطع ما بنيت عليه
من التكليف[5] لأنها دار الأكدار فلا بد من تصفيه الأسرار فيها بالأعمال ١٠

---

(١) من م و مد و ظ، و في الأصل: مديدا.

(٢) في م: نفى.

(٣) في ظ: محقق - كذا.

(٤-٤) سقطت من ظ.

(٥) وقال في المنتخب: إنما بعثهم بعد الموت في دار الدنيا ليكلفهم و ليتمكنوا من الإيمان و من تلافي ما صدر عنهم من الجرائم، أما إنه كلفهم فلقوله «لعلكم تشكرون»، و لفظ الشكر يتناول جميع الطاعات لقوله «اعملوا آل داود شكرا» انتهى كلامه. وقال الماوردي: اختلف في بقاء تكليف من أعيد بعد موته و معاينة الأهوال التي تضطره و تلجئه إلى الاعتراف بعد الاقتراف فقال قوم: سقط عنهم التكليف ليكون تكليفهم معتبرا بالاستدلال دون الاضطرار، وقال قوم: يبقى تكليفهم لئلا يخلو بالغ عاقل من تعبد و لا يمنع حكم التكليف بدليل قوله تعالى «و اذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة» و ذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة =

و الأذكار: «لعلكم تشكرون ه»، أي لتصير[1] حالكم حال من يصح ترجي شكره لهذه النعمة العظيمة؛ و كل ما جاء من 'لعل' المعلل بها أفعال الرب تبارك و تعالى ينبغي أن تؤول بنحو هذا، فان 'لعل' تقتضي الشك لأنها للطمع و الإشفاق فيطمع في كون مدخولها و يشفق من أن لا يكون،

٥ و[2] تارة[3] يكون الشك للخاطب و تارة[3] يكون للتكلم، و لو قيل[4]: لتشكروا، لم يكن هناك شك - قاله الرماني في سورة يوسف عليه السلام. و قال الحرالي: و في 'لعل' إبهام معلومه فيهم بأن منهم من يشكر و منهم من لا يشكر - انتهى. و سيأتي في سورة طٰهٰ إن شاء الله تعالى عن نص سيبويه في كتابه ما يؤيد[5] ما ذكرته.

١٠ و في هذه الآية و ما تقدمها من آية «و اتقوا يوما لا تجزي نفس» تنبيه للعرب من غفلتهم في إنكار البعث و إرشاد إلى سؤال ممن[6] يغرهم من أهل الكتاب بأنهم أولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التي وقعت لأسلافهم من إحيائهم بعد موتهم، و كذا ما أتى في محاوراتهم من قصة

= فلما نتق الجبل فوقهم آمنوا و قبلوها، فكان إيمانهم بها إيمان اضطرار و لم يسقط عنهم التكليف. و مثلهم قوم يونس في إيمانهم - انتهى كلامه.

(١) في م: ليكون.

(٢) ليس في م.

(٣ - ٣) ليست في م.

(٤) في م: قال.

(٥) في ظ: يولد - كذا.

(٦) في م و مد: من.

البقرة و نحوها مما فيه ذكر الإحياء فى هذه الدار أو فى القيامة . قال الحرالى : و فيه أى هذا الخطاب آية على البعث الآخر الذى وعد به جنس بنى آدم كلهم لجأة صعق و سرعة بعث ، فان ما صح لأحدهم [1]و لطائفة[1] منهم أمكن عمومه فى كافتهم - انتهى .

و لما ذكرت الصاعقة الناشئه غالبا من الغمام كان أنسب الأشياء ٥ إيلاؤها ذكر تظليل الغمام و ناسب التحذير من نقمة الإحراق بالصاعقة و التذكير بنعمة الإيجاد من الموت الاتباع بذكر التنعيم فى الإبقاء بالصيانة عن حر الظاهر بالشمس و الباطن بالجوع .

و قال الحرالى : و عطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من مثل أحوال أهل الجنة الذى ينالونه[2] بعد البعث ، فكأن[3] عامتهم الذين ١٠ لم يموتوا إنما شركوا هؤلاء المبعوثين لكونهم كأنهم ماتوا بموتهم و بعثوا ببعثهم ، فذكر ظل الغمام و هو من أمر ما بعد البعث و الأرزاق بغير كلفة و هو من حال ما بعد البعث و أفهم ذلك أمورا أخر فى أحوالهم كما يقال إن ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكأنهم أخرجوا من أحوال أهل الدنيا بالجملة إلى شبه[4] أحوال أهل الجنة فى محل تيههم ١٥ و مستحق منال العقوبة لهم كل ذلك إنعاما عليهم ، ثم لم يزيدوا مع

(١-١) فى م : او طايفة .

(٢) فى ظ : تناولوه .

(٣) فى ظ : كأنهم .

(٤) فى م : شبهة .

ذلك إلا بعدا عن التبصرة فى كل ما أبدى لهم من العجائب - حدث[1] عن بنى إسرائيل ولا حرج فقال: «و ظللنا» [2]من الظلة[2] و هى وقاية[3] مما ينزل من سماء الموقى «عليكم الغمام»[4] من الغم و هو ما يغم النور أى يغطيه -

(١) و فى الصحيح للبخارى انبياء . ه : و حدثوا .

(٢-٢) ليست فى م .

(٣) قال أبو حيان: و قيل إنه الغمام الذى أتت فيه الملائكة يوم بدر، و هو الذى تأتى فيه ملائكة الرحمن و هو المشار إليه بقوله «فى ظلل من الغمام و الملئكة» و ليس بغمام حقيقة و إنما سمى غماما لكونه يشبه الغمام . و قيل الذين ظلل عليهم الغمام بعض بنى إسرائيل وكان الله قد أجرى العادة فى بنى إسرائيل أن من عبد الله ثلاثين سنة لا يحدث فيها ذنبا أظلته غمامة، و حكى أن شخصا عبد ثلاثين سنة فلم تظله غمامة فجاء إلى أصحاب الغمائم فذكر لهم ذلك فقالوا: لعلك أحدثت ذنبا! فقال: لا أعلم شيئا إلا أنى رفعت طرفى إلى السماء و أعدته بغير فكر، قالوا له: ذلك ذنبك، وكانت فيهم جماعة يسمون أصحاب الغمائم، فامتن الله عليهم بكونهم فيهم من له هذه الكرامة الظاهرة الباهرة - انتهى .

(٤) فى التفسير المظهرى: الغمام من الغم، أصله التغطية و هو يغطى وجه الشمس، لما لم يكن لهم فى التيه كِنّ يسترهم فشكوا إلى موسى عليه السلام، فأرسل الله غماما أبيض رقيقا أطيب من غمام المطر فظللهم من الشمس، و جعل لهم عمدا من نور تضيء لهم بالليل إذا لم يكن قمر . «و انزلنا عليكم المن» فى التيه، قيل هو الخبز الرقاق، و الأكثر على أنه الترنجبين، و قال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار، طعمه كالشهد؛ فقالوا: يا موسى! قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم، فأنزل الله السلوى، وهو طائر يشبه السمانى . و قال البيضاوى: و ينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه، وكانت ثيابهم لا تتسخ و لا تبلى - انتهى .

انتهى

انتهى . أى فعلنا ذلك لترفية[1] أجسامكم و ترويح أرواحكم ؛ [2]و عن مجاهد أن الغمام أبرد من السحاب و أرق و أصفى «و انزلنا عليكم المن » قال الحرالى : هو ما جاء بغير كلفة ؛ الكمأة من المن[3] - انتهى . « و السلوى » أى لطعامكم على أن المن من الغمام ، و حشر السلوى إليهم بالريح المثيرة له[4] فنظمها به على غاية التناسب . قال الحرالى : و السلوى اسم صنف ٥ من الطير يقال هو السمانى[5] أو غيره - انتهى . [6] و سيأتى إن شاء الله تعالى فى الأعراف أنه غير السمانى و أنهم خصوا به إيذانا بقساوة قلوبهم .

و هذه الخارقة قد كان صحابة نبينا صلى الله عليه و سلم غنيين عنها بما كان النبي صلى الله عليه و سلم كلما احتاجوا دعا بما عندهم من فضلات الزاد فيدعو ، فيكثره الله حتى يكتفوا من عند آخرهم ، و أعطى أبا هريرة ١٠ رضى الله عنه تمرات[7] و أمره أن يجعلها فى مزود و قال له : أنفق و لا تنثرها ، فأكل منه سنين و أنفق منه أكثر من خمسين وسقا . و بارك / لآخر فى قليل شعير و أمره أن لا يكيله ، فلم يزل ينفق منه على نفسه /٧٦

(١) فى ظ : لترقية .

(٢) العبارة من هنا إلى « و اصفى » ليست فى م و ظ .

(٣) راجع سنن ابن ماجه طب : ٨ .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : السماوى - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى « للبيهقى و غيره » ليست فى م .

(٧) فى ظ : ثمرات ، و الصحيح المروى ما فى الأصل و مد .

و امرأته و ضيفه حتى كاله ففنى، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لو لم تكله لأكلتم منه و لقام لكم . وكان نحو ذلك لعائشة رضى الله عنها بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم . [١]وكذا[١] لأم مالك رضى الله عنها فى عكة سمن لم تزل تقيم لها أدمها حتى عصرتها . و مثل ذلك كثير فى
٥ دلائل النبوة للبيهقي و غيره . و قيل لكم «كلوا»[٢] و دل على أنه أكثر من كفايتهم بقوله[٣] «من طيبت» [٤]جمع طيبة . قال الحرالى: و الطيب ما خلص من منازع يشارك فيه و طيّبه[٥] مَنْ سَوِى الأكل له أى لم ينازعه و ليس فيه حق لغيره، و منه الطيب فى المذاق و هو الذى لا ينازعه تكره[٦] فى طعمه ؛ و هذا زاد على ذلك بكونه لم يكن عن عمل حرث

(١-١) ليس فى ظ .

(٢) و قال أبو حيان : المن اسم جنس لا واحد له من لفظه، و فى المن الذى أنزله الله على بنى إسرائيل أقوال : ما يسقط على الشجر أحلى من الشهد و أبيض من الثلج و هو قول ابن عباس و الشعبي ، أوصمغة طيبة حلوة و هو قول مجاهد، أو شراب كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء و هو قول الربيع بن أنس و أبى العالية - إلى أن قال : أو جميع ما من الله به عليهم فى التيه و جاءهم عفوا من غير تعب - قاله الزجاج و دليله قوله صلى الله عليه و سلم : الكمأة من المن الذى من الله على بنى إسرائيل - و فى رواية : على موسى . و فى السلوى الذى أنزله الله على بنى إسرائيل أقوال - انظر ما فى البحر المحيط ١/٢١٤

(٣) العبارة من « و دل » إلى هنا ليست فى ظ .

(٤) و الطيبات هنا قيل الحلال، و قيل اللذيذ المشتهى، و من للتبعيض لأن المن و السلوى بعض الطيبات - البحر المحيط .

(٥) فى م فقط : طيبة .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نكره - كذا .

و لا معاملة مع خلق - انتهى . « ما رزقنكم » أى على عظمتنا التى لا تضاهى .

و لما لم يرعوا هذه النعم أعرض عنهم للايذان باستحقاق الغضب . و قال الحرالى : ثم أعرض بالخطاب عنهم و أقبل به على محمد صلى الله عليه و سلم و من معه - انتهى . فقال « و ما » أى فظلموا بأن كفروا [1] هذه النعم كلها و ما « ظلمونا » بشيء من ذلك [2] « و لكن كانوا » [3] أى جبلة و طبعا [3] « انفسهم » أى خاصة « يظلمون » » لأن ضرر ذلك مقصور عليهم . قال الحرالى : و فيه إشعار بتحذير هؤلاء أن يروا نحوا مما

(١) فى ظ : فكفروا .

(٢) نفى أنهم لم يقع منهم ظلم لله تعالى ، و فى هذا دليل على أنه ليس من شرط نفى الشيء عن الشيء إمكان وقوعه ، لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه البتة ، قيل المعنى و ما ظلمونا بقولهم « ارنا الله جهرة » بل ظلموا أنفسهم بما قابلناهم من الصاعقة ، و قيل و ما ظلمونا بادخارهم المن و السلوى بل ظلموا أنفسهم بفساد طعامهم و تقليص أرزاقهم ، و قيل و ما ظلمونا بابائهم على موسى أن يدخلوا قرية الجبارين ، و قيل و ما ظلمونا باستحبابهم العذاب و قطعهم مادة الرزق عنهم بل ظلموا انفسهم بذلك ، و قيل و ما ظلمونا بكفر النعم بل ظلموا أنفسهم بحلول النقم ، و قيل و ما ظلموا بعبادة العجل بل ظلموا أنفسهم بقتل بعضهم بعضا ؛ و اتفق ابن عطية و الزمخشرى على أنه يقدر محذوف قبل هذه الجملة فقدره ابن عطية : فعصوا و لم يقابلوا النعم بالشكر . و قدره الزمخشرى : فظلموا بأن كفروا هذه النعم و ما ظلمونا ، قال : فاختصر الكلام بحذفه لدلالة « و ما ظلمونا » عليه - انتهى من البحر المحيط ١ / ٢١٥ .

(٣-٣) ليست فى ظ .

رأوا فينالهم نحو مما نالوه ، لأن قصص القرآن ليس مقصوده مقصورا على ذكر الأولين فقط بل كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة في أمد يومها من شبه أحوال من[1] قص عليهم قصصه - انتهى .

و لما كان كل من ظل[2] الغمام[3] و لزوم طعام واحد غير مألوف

---

(١) في م : ما .

(٢) ليس في ظ .

(٣) قال أبوحيان الأندلسي : و قد تضمنت هذه الآيات الكريمة من ذكر بني إسرائيل فصولا : منها أمر موسى على نبينا و عليه السلام إياهم بالتوبة إلى الله من مقارفة هذا الذنب العظيم الذي هو عبادة العجل من دون الله و أن مثل هذا الذنب العظيم تقبل التوبة منه ، و التلطف بهم في ندائهم بيا قوم ، و تنبيههم على علة الظلم الذي كان وباله راجعا عليهم ، و الإعلام بأن توبتهم بقتل أنفسهم ، ثم الإخبار بحصول توبة الله عليهم وأن ذلك كان بسابق رحمته ، ثم التوبيخ لهم بسؤالهم ما كان لا ينبغي لهم أن يسألوه وهو رؤية الله عيانا لأنه كان سؤال تعنت ؛ ثم ذكر ما ترتب على هذا السؤال من أخذ الصاعقة إياهم ، ثم الإنعام عليهم بالبعث و هو من الخوارق العظيمة أن يحيي الإنسان في الدنيا بعد أن مات ، ثم إسعافهم بما سألوه إذ وقعوا في التيه و احتاجوا إلى ما يزيل ضررهم و حاجتهم من لفح الشمس و تغذية أجسادهم بما يصلح لها فظلل عليهم الغمام و هذا من أعظم الأشياء و أكبر المعجزات حيث يسخر العالم العلوي للعالم السفلي على حسب اقتراحه فكان على ما قيل تظلهم بالنهار و تذهب بالليل حتى ينور عليهم القمر ، و أنزل عليهم المن و السلوى وهذا من أشرف المأكول إذ جمع بين الغذاء و الدواء بما في ذلك من الحلاوة التي في المن و الدسم الذي في السلوى وهما مقمعا الحرارة و مثيرا القوة للبدن - و ما بقي من الفصول لهذه الآية الكريمة ففي البحر المحيط ١ / ٢١٦ راجع إليه .

لهم

لهم (١مع كونه نعمة دنيوية١) وكان المألوف أحب إلى النفوس تلاه بالتذكير بنعمة مألوفة من الاستظلال بالأبنية و الأكل مما يشتهي (١مقرونة بنعمة دينية١). و قال الحرالي: لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم في حال استحقاق عقوبتهم في تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى و هو مبتدأ[2] أمر تيههم حين أبوا أن يقاتلوا الجبارين نظم به آخر أمر تيههم بعد وفاة موسى ٥ و هارون عليهما السلام حين دخولهم مع يوشع عليه السلام و ما أمروا به من دخول البلد المقدس متذللين بالسجود الذي هو أخص رتب العبادة و كمال عمل العامل و دنو من الحق - انتهى. فقال تعالى «و اذ قلنا» أي لكم «ادخلوا هذه القرية» إشارة إلى نعمة النصر. قال الحرالي: الدخول الولوج في الشيء بالكلية حسا بالجسم و معنى بالنظر و الرأي، و القرية[3] ١٠ من القرى و هو الجمع للصالح التي بها[4] يحصل قوام الدنيا لقرى أهل الدنيا و التي تجمع مصالح أهل الآخرة، لقرى أهل الآخرة، قال عليه السلام: أُمرتُ بقرية تأكل القرى[5] - باستيطانها كأنها تستقري القرى تجمعها

(١-١) ليست في ظ.

(٢) في ظ: مبدا - كذا.

(٣) الألف واللام في القرية للحضور، وانتصاب القرية على النعت أو على عطف البيان، والقرية هنا بيت المقدس في قول الجمهور - قاله ابن مسعود و ابن عباس و قتادة و غيرهم، و قيل أريحا وهو قول ابن عباس أيضا وهي بأرض المقدس، و قيل الأردن و قيل فلسطين؛ و قد رجح القول الأول لقوله في المائدة: «ادخلوا الارض المقدسة».

(٤) في م: بهما.

(٥) راجع الصحيح للبخاري ١/ ٢٥٢.

إليها، و قد تناوبت الياء و الهمزة و الواو مع القاف و الراء على عام هذا المعنى – انتهى . و ناسب سياق النعم الدلالة على تعقيب نعمة الدخول بالفاء في قوله «فكلوا منها حيث شئتم» و أتم النعمة بقوله «رغدا» [1]موسعا عليكم طيبا[1] . قال الحرالي[2]: و فيه أي هذا الخطاب تثنية[3] في ذكر الأرض لما تقدم من نحوه لآدم في السماء، فكان تبديلهم لذلك ٥ عن فسق لا عن نسيان كما كان أمر آدم عليه السلام، فكأنهم اقتطعوا عن سنته إلى حال الشيطان الذي كان من الجن ففسق عن أمر ربه، فتحقق ظلمهم حين لم يشبهوا آباءهم و أشبهوا عدو أبيهم و عدوهم – انتهى . و أمرهم[4] بالشكر على نعم النصر و الإيواء و إدرار الرزق[5] بأمر يسير

(١-١) ليست في ظ .

(٢) قال أبو حيان: تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في قصة آدم في قوله «و كلا منها رغدا حيث شئتما» إلا أن هناك العطف بالواو و هنا بالفاء، وهناك تقديم الرغد على الظرف و هنا تقديم الظرف على الرغد، و المعنى فيهما واحد إلا أن الواو هناك جاءت بمعنى الفاء و يدل عليه ما جاء في الأعراف من قوله «فكلا» بالفاء و القضية واحدة، و أما تقديم الرغد هناك فظاهر فانه من صفات الأكل أو الآكل فناسب أن يكون قريبا من العامل فيه و لا يؤخر عنه و يفصل بينهما بظرف و إن لم يكن فاصلا مؤثرا المنع لاجتماعهما في المعمولية لعامل واحد، و أما هنا فانه أخر لمناسبة الفاصلة بعده، ألا ترى أن قوله «فكلوا منها حيث شئتم رغدا» و قوله «و ادخلوا الباب سجدا» فهما سجعتان متناسبتان فلهذا والله أعلم كان هذان التركيبان على هذين الوصفين – انتهى كلامه .

(٣) في مد: تنبيه .

(٤) فجاءت هذه الجمل في غاية الفصاحة لفظا و البلاغة معنى إذ جمعت الألفاظ =

من القول و الفعل، و قدم الدخول السار للنفوس و السجود الذى هو أقرب مقرب للحضرة الشريفة لأنه فى سياق عد النعم[1] على القول المشعر بالذنب فقال «و ادخلوا البابَ» [2]و هو كما قال الحرالى أول مستفتح الأشياء

= المختارة و المعانى الكثيرة متعلقا أوائل أواخرها بأواخر أوائلها مع لطف الإخبار عن نفسه، فحيث ذكر النعم صرح بأن ذلك من عنده فقال ثم «بعثنكم» وقال و «و ظللنا» «و انزلنا» و حيث ذكر النقم لم ينسبها إليه تعالى فقال «فاخذتكم الصعقة» و سر ذلك أنه موضع تعداد النعم فناسب نسبة ذلك إليه بذكرهم آلاءه و لم ينسب النقم إليه و إن كانت منه حقيقة، لأن فى نسبتها إليه تخويفا عظيما ربما عادل ذلك الفرح بالنعم، و المقصود انبساط نفوسهم بذكر ما أنعم الله به عليهم و إن كان الكلام قد انطوى على ترغيب و ترهيب فالترغيب أغلب عليه.

(٥) زيد فى ظ: و.

(١) ليس فى م.

(٢) و الباب أحد أبواب بيت المقدس و يدعى الآن باب حطة ـ قاله ابن عباس، أو الثامن من أبواب بيت المقدس و يدعى باب التوبة ـ قاله مجاهد و السدى، سجدا نصب على الحال من الضمير فى ادخلوا، قال ابن عباس: معناه ركعا، و عبر عن الركوع بالسجود كما يعبر عن السجود بالركوع، و قيل معناه خضعا متواضعين، و قيل معناه السجود المعروف من وضع الجبهة على الأرض و المعنى ادخلوا ساجدين شكرا لله تعالى إذ ردهم إليها، و هذا هو ظاهر اللفظ، و ليس بمتعذر، لأنه لا يبعد أن أمروا بالدخول وهم ساجدون فيضعون جباههم على الأرض و هم داخلون و تصدق الحال المقارنة بوضع الجبهة على الأرض إذا دخلوا. وقال الزمخشرى: أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله و تواضعا. و فى كيفية دخولهم الباب أقوال، قال ابن عباس و عكرمة: دخلوا من قبل أستاههم ـ من البحر المحيط. و الذى ثبت فى البخارى و مسلم أنهم دخلوا الباب يزحفون على أستاههم، و هذا يؤيد تفسير السجود بالمعروف من وضع =

و الأمور المستغلقة حسا أو معنى حال كونكم « سجدا و قولوا » [١] جامعين إلى ندم القلب و خضوع الجوارح الاستغفار باللسان ، و لما كان القول تحكى به الجمل فتكون مفعولا بها و يعمل فى المفرد إذا كان مصدرا أو صفة لمصدر كقلت حقا أو معبرا به عن جملة كقلت شعرا و ما كان على
٥ غير هذا كان إسنادا لفظيا لا فائدة [فيه - [٢]] غير مجرد الامتثال رفع قوله « حطة [٣] » أى عظيمة لذنوبنا . قال الكشاف : و الأصل النصب أى حط عنا ذنوبنا إلا أنه رفع ليعطى معنى الثبات [٤] . قال الحرالى : من الحط [٥] و هو

= الجبهة على الأرض لخالفوا عنادا و استكبارا مثل ما كان دأبهم و الله اعلم .
(١) العبارة من هنا إلى « رفع قوله » ليست فى ظ .
(٢) زيد من م و مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « معنى الثبات » ليست فى ظ .
(٤) فى الكشاف : و إنما رفعت لتعطى معنى الثبات كقوله : صبر جميل فكلانا مبتلى ، و الأصل : صبرا - انتهى كلامه .
(٥) قال أبو حيان : و اختلفت أقوال المفسرين فى حطة ، فقال الحسن : معناها حط عنا ذنوبنا ، و قال ابن عباس و ابن جبير و وهب : أمروا أن يستغفروا ، و قال عكرمة : معناها لا إله إلا الله ، و قال الضحاك : معناها و قولوا هذا الأمر الحق ، و قيل معناه نحن لا نزال تحت حكمك ممتثلون لأمرك ، كما يقال : قد حططت فى فنائك رحلى ، و الأقرب أنهم أمروا بأن يقولوا قولا دالا على التوبة و الندم و الخضوع حتى لو قالوا : اللهم إنا نستغفرك و نتوب إليك لكان الخضوع حاصلا ، لأن المقصود من التوبة إما بالقلب فبالندم و إما باللسان فبذكر لفظ يدل على حصول الندم فى القلب و ذلك لا يتوقف على ذكر لفظة بعينها ؛ هذا موافق لما قال المصنف . قال أبو حيان : و الحط الإزالة ، حططت عنه الخراج أزلته عنه ، و النزول حططت - و حُكى - بفناء زيد : نزلت به ، و النقل من علو إلى سفل و منه انحطاط القدر - انتهى .

وضع

وضع الحمل الثقيل بمُنّة و جمام قوة يكون[1] فى الجسم، و المعنى أمروا بقول
ما يحط عنهم ذنوبهم التى عوّقتهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم مع
من معه من المهاجرين و الأنصار بشعب من الشعاب مترددا بين الحرمين
الشريفين - يعنى فى عمرة الحديبية - فقال قولوا: لا إله إلا الله - و عند ذلك
دخول الشعب الذى هو باب المدخل من نجد الأرض إلى سهلها - فقالوها[2]، ٥
فقال: و الذى نفسى بيده! إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرايل أن
يقولوها فبدلوها - انتهى . و عبر بنون العظمة فى قوله « نغفر لكم » إشارة
إلى أنه لا يتعاظمه ذنب و إن عظم كاتخاذ العجل إذا جُبّ بالتوبة ؛ و فى
قراءة من قرأ بالتحتانية و الفوقانية مبنيا للمجهول[3] إشارة إلى تحقير الذنوب
إذا أراد غفرانها بحيث أنه[4] بأدنى أمر و أدق إشارة بمحوها و هى أقل ١٠
من أن يباشرها بنفسه المقدسة ؛ كل ذلك استعطاف / إلى التوبة . و الغفر /٧٧

(١) فى م و مد: تكون .

(٢) ليس فى م .

(٣) نافع بالياء مضمومة ، ابن عامر بالتاء ، أبو بكر من طريق الجعفى: يغفر ، الباقون: نغفر ؛ فمن قرأ بالياء مضمومة فلأن الخطايا مؤنث ، و من قرأ بالياء مفتوحة فالضمير عائد على الله تعالى و يكون من باب الالتفات لأن صدر الآية « و اذ قلنا » ثم قال: يغفر، فانتقل من ضمير متكلم معظم نفسه إلى ضمير الغائب المفرد . فالغفر و الغفران الستر ، و الغفيرة المغفرة و الغفارة السحاب و ما يلبس به سية القوس و خرقة تلبس تحت الخمار و مثله المغفر ، و الجماء الغفير أى جماعة يستر بعضها بعضا من الكثرة و قول عمر لمن قال له: لم حصبت المسجد ؟ هو أغفر للنخامة ؛ كل هذا راجع لمعنى الستر و التغطية - البحر المحيط .

(٤) فى م: انها .

قال الحرالي: ستر الذنب أن يظهر منه[1] أثر[2] على المذنب لا عقوبة و لا ذكر - ثم قال: ففي قراءة: نغفر[3]، تول من الحق و من هو من حزبه من الملائكة و الرسل، و في قراءة: تغفر، إبلاغ أمر خطابهم[4] بما يفهمه التأنيث من نزول القدر، و في قراءة الياء توسط بين طرفي ما يفهمه علو قراءة
٥ النون و نزول قراءة التاء، ففي ذلك بجملته إشعار بأن خطاياهم كانت في كل رتبة مما يرجع إلى عبادة ربهم و أحوال أنفسهم و معاملتهم مع غيرهم من أنبيائهم و أمثالهم حتى جمعت خطاياهم جميع جهات الخطايا الثلاث، فكأنهم ثلاثة أصناف: صنف بدلوا، و صنف اقتصدوا[5]، و صنف أحسنوا فيزيدهم الله ما لا يسعه القول و «هل جزاء الاحسان الا
١٠ الإحسان» انتهى. و لما كان السياق هنا لتعداد النعم حسن أن يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال «خطٰيكم»[6] إشارة إلى أنهم أصروا عليها

(١) ليس في ظ.

(٢) في م: امر.

(٣) في م: تغفر - كذا.

(٤) من م و مد و ظ، وفي الأصل: خطاءهم - خطأ.

(٥) و في ظ اقتصروا.

(٦) قال أبو حيان: تقدمت أوامر أربعة: ادخلوا، فكلوا، و ادخلوا الباب، وقولوا حطة؛ و الظاهر أنه لا يكون جوابا إلا الأخرين و عليه المعنى لأن ترتب الغفران لا يكون على دخول القرية ولا على الأكل منها و إنما يترتب على دخول الباب لتقييده بالحال التي هي عبادة وهي السجود و بقوله: و قولوا حطة، لأن فيه السؤال بحط الذنوب وذلك لقوة المناسبة و للمجاورة، و يدل على ترتب ذلك =

بحيث كادوا[1] أن يجعلوا بازاء كل نعمة ذنبا، و الخطايا جمع خطيئة من الخطأ و هو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل مع عزم[2] الإصابة أو وَدّ أن لا يخطئ - هكذا قال الحرالى، و الظاهر أن المراد هنا ما كان عن عمد[3] كائنا ما كان، لأن ذلك أولى بسياق الامتنان و العقوبة بالعصيان . قال فى القاموس: و الخطيئة الذنب أو ما[4] تعمد منه و الخطأ ما لم يتعمد، ٥ جمعه خطايا، و قرئ شاذا : خطيآتكم، بالجمع السالم الدال على القلة إشارة إلى أنها وإن تكاثرت فهى فى جنب عفوه قليل؛ و هذا بخلاف الأعراف فان السياق هناك[5] لبيان إسراعهم فى الكفر كما سيأتى إن شاء الله تعالى، و ناسب عدّ النعم العطف على ما تقدم منها بقوله « و سنزيد المحسنين » أى بعد غفران ذنوبهم[6] . قال الحرالى: جمع محسن من الإحسان ١٠

= عليها ما فى الأعراف من قوله تعالى « و قولوا حطة و ادخلوا الباب سجدا نغفر » و القصة واحدة . الخطية فعيلة من الخطأ و الخطأ العدول عن القصد، يقال خطىء الشىء أصابه بغير قصد، وأخطأ إذا تعمد؛ وأما خطايا جمع خطية مشددة عند الفراء كهدية و هدايا و جمع خطيئة المهموز عند سيبويه و الخليل .

(١) فى م : نادوا .

(٢) فى ظ : عدم .

(٣) فى م : تعمد .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : هنا .

(٦) قال أبو حيان : الإحسان و الإنعام والإفضال نظائر، أحسن الرجل أتى بالحسن، و أحسن الشىء أتى به حسنا، و أحسن الى عمرو أسدى إليه خيرا . و الزيادة ارتفاع عن القدر المعلوم وضده النقص « المحسنين » قيل : الذين لم يكونوا من =

و هو البلوغ إلى الغاية فى حسن العمل ، فيكون مع الخلق رؤية المرء نفسه فى غيره فيوصل له من البر ما يجب أن يفعل معه ، و رؤية العبد ربه فى عبادته ، فالإحسان فيما بين العبد و ربه أن يغيب عن نفسه [١] و يرى ربه ، و الإحسان فيما بين العبد و غيره أن يغيب عن غيره [١] و يرى نفسه ، ٥ فمن رأى نفسه فى حاجة الغير و لم ير نفسه فى عبادة الرب فهو محسن ، و ذلك بلوغ فى الطرفين إلى غاية الحسن فى العمل بمنزلة الحسن فى الصورة - انتهى .

و لما كان هذا التصريح بالترغيب المتضمن للتلويح بالترهيب مقتضيا للعاقل المبادرة إلى الطاعة بين أنه تسبب عنه أن بعضهم عصوا وكفروا ١٠ هذه النعمة العظيمة و لم يقتصروا على ترك هذا الأمر بل بدلوه بدخولهم كما فى الحديث يزحفون [٢] على أستاههم [٣] قائلين: حبة فى شعرة ، أى جنس الحب فى جنس الشعرة أى فى الغرائر مطلوبنا لا الحطة [٤] وهى غفران

= اهل تلك الخطيئة ، و قيل : المحسنين منهم ، فقيل : معناه من أحسن منهم بعد ذلك زدناه ثوابا و درجات ، و قيل : من كان محسنا منهم زدنا فى إحسانه و من كان مسيئا مخطئا نغفرله خطيئته ، و قيل: المحسنون من دخل كما أمر وقال: لا إلٰه إلا الله . و قال أبو البركات النسفى : إن من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ، و من كان مسيئا كانت له توبة و مغفرة .

(١-١) ليست فى م .

(٢) فى م : يرجفون .

(٣) فى م : اشباههم .

(٤) زيد فى ظ : فان غيرا كما - كذا .

الذنوب . قال الحرالى : أمروا بالإخلاص لله نظرا إلى حياة قلوبهم فطلبوا الحنطة نظرا إلى حياة جسومهم فقال تعالى « فبدل » من التبديل[1] و هو تعويض[2] شيء مكان شيء - انتهى . « الذين ظلموا » و أسقط : منهم ، لما يأتى فى الأعراف[3] « قولا » أى مكان القول الذى أمروا به .

و لما كان التبديل و إن كان يفهم التغيير[4] لكنه يصدق بأدنى تغيير[5] ٥ ولو أنه فى اللفظ و إن اتحد المعنى بيّن أنه مضاد له بحيث لا يمكن اجتماعهما بقوله[6] « غير الذى قيل لهم » [7]فان غيرا كما[7] قال الحرالى

(١) التبديل تغيير الشيء بآخر ، تقول : هذا بدل هذا ، أى عوضه ، ويتعدى لاثنين الثانى أصله حرف جر ، بدلت دينارا بدرهم أى حصلت له دينارا عوضا من درهم « الذين ظلموا » ظاهره انقسامهم إلى ظالمين و غير ظالمين و أن الظالمين هم الذين بدلوا ، فان كان كلهم بدلوا كان ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بالعلة وكأنه قيل : فبدلوا ، لكنه أظهره تنبيها على علة التبديل وهو الظلم أى لولا ظلمهم ما بدلوا ، و المبدل به محذوف ، تقديره : فبدل الذين ظلموا بقولهم حطة - البحر المحيط ١/ ٢٢٤ .

(٢) فى م : تعريض .

(٣) زيد فى م و مد : ان شاء الله تعالى .

(٤) فى م : التعبير .

(٥) فى م : تعبير .

(٦) قال أبو البركات النسفى : فيه حذف و تقدير : فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غير الذى قيل لهم ، فبدل إلى مفعول واحد بنفسه و إلى آخر بالباء ، فالذى مع الباء متروك و الذى بغيرها موجود ، يعنى وضعوا مكان حطة قولا غيرها أى أمروا بقول معناه التوبة و الاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما =

كلمة تفهم انتفاء و إثبات ضد ما انتفى ، و قال : ذكر[1] تعالى عدولهم عن كل ذلك[1] و اشتغالهم ببطونهم و عاجل دنياهم فطلبوا طعام بطونهم التى قد[3] فرغ منها التقدير و أظهر لهم الغناء عنها فى حال التيه بانزال المن و السلوى إظهارا لبلادة طباعهم و غلبة حب العاجلة عليهم فبدلوا كلمة التوحيد

٥ و هى لا إله إلا الله و هى الحطة بطلب الحنطة « و لو أنهم[4] اقاموا التورٰية و الانجيل و ما انزل اليهم من ربهم[4] لا كلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم »

= أمروا به و لم يمتثلوا أمر الله ، و قيل : قالوا مكان حطة : حنطة ، و قيل : قالوا بالنبطية : حطا سمقاثا ، أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم و عدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا - انتهى . و ذكر أبو حيان الأندلسى أقوال المفسرين فى القول الذى قالوه بدل أن يقولوا : حطة ، ثم قال : و الذى ثبت فى صحيح البخارى و مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بأنهم قالوا : حبة فى شعرة ، فوجب المصير إلى هذا القول و اطراح تلك الأقوال ، و لو صح شىء من الأقوال السابقة لحمل اختلاف الألفاظ على اختلاف القائلين فيكون بعضهم قال كذا وبعضهم قال كذا فلا يكون فيها تضاد ؛ و كل ذلك عدم مبالاة بأوامر الله فاستحقوا بذلك النكال - انتهى كلامه .

(٧-٧) ليس فى ظ ، و وقع فى م : لكميا - مصحفا .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : ذنب .

(٣) ليس فى م .

(٤-٤) فى الأصول : اٰمنوا واتقوا - كذا ، راجع القرآن الكريم سورة ٥ آية ٦٦ .

« و لو ان اهل القرى[1] امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركت من السماء و الأرض »
من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل [2]ما أعطى السائلين - انتهى .
و بين[3] أنه خص المبدلين بالعتاب[4] نعمة منه مع أن له أن يعم فقال[5]
« فانزلنا » أى بعظمتنا بسبب ذلك « على الذين ظلموا » أى خاصة « رجزا »
قال الحرالى : هو أشد العذاب ، و ما جره[6] أيضا يسمى[7] رجزا مما يجب ٥

---

(١) فى الأصول : الكتاب راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ٩٦ .
(٢) ليس فى م .
(٣) كتب فى الأصل فوقه : سبحانه .
(٤) فى ظ و م و مد : بالعقاب .
(٥) قال أبو حيان : كرر الظاهر السابق زيادة فى تقبيح حالهم و إشعارا بعلية نزول الرجز - و بعد ذكر ما قيل فى الرجز من الأقوال قال : و الذى يدل عليه القرآن أنه أنزل عليهم عذاب و لم يبين نوعه إذ لا كبير فائدة فى تعليق النوع . أما الرجز لغة العذاب و تكسر راؤه و تضم ، قيل الرجز مشتق من الرجازة و هى صوف تزين به الهوادج كأنه وسمهم ، قال الشاعر :

و لو تقفاها ضرجت بدمائها   كما ضرجت نضو القرام الرجائز

« من السماء » إن فسر الرجز بالثلج كان كونه من السماء ظاهرا ، و إن فسر بغيره فهو إشارة إلى الجهة التى يكون منها القضاء عليهم أو مبالغة فى علوه بالقهر والاستيلاء - اه . و قال البيضاوى : عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم ، والرجز فى الأصل ما يعاف عنه ، و كذلك الرجس ، و المراد به الطاعون ، روى أنه مات فى ساعة أربعة و عشرون ألفا .
(٦) فى م : جزء .
(٧) فى م : نسمى .

أن يزجر عنه ، و الزجر كف البهائم عن عدواها - انتهى . و لما كان الإنزال مفهما للسماء حققه تعظيما له بقوله «من السماء بما» أي بسبب ما «كانوا يفسقون » » أي يجددون الخروج من الطاعة إلى المعصية في كل وقت ، ففي إفهامه أنهم يعودون إلى الطاعة بعد الخروج منها و ذلك ٥ مقتض لأن يكون يظلمون أشد منه كما يأتي . قال الحرالي : فحق يجب على من دخل من باب جبل أو قرية أن يقول في وصيدها[١] : لا إله إلا الله ، ليحط عنه ماضي ذنوبه ، فكأن ذكر الله في باب المدينة و الشعب ذكاة لذلك المدخل ، فمن لم يدخله مذكيا دخله فاسقا «و لا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه و انه لفسق[٢]» فلذلك ما[٣] انختم / ذكرهم في[٤] الآية بالفسق[٥] - ٧٨/ ١٠ انتهى .

---

(١) في م : وعيدها ، و هو خطأ .

(٢) سورة ٦ آية ١٢١ .

(٣) كذا في الأصول ، و الظاهر أن كلمة «ما» زائدة .

(٤) زيد في ظ : هذه .

(٥) قال أبو مسلم : هذا الفسق هو الظلم المذكور في قوله «على الذين ظلموا» و فائدة التكرار التأكيد لأن الوصف دال على العلية ، فالظاهر أن التبديل سببه الظلم أن إنزال الرجز سببه الظلم أيضا . و قال غير أبي مسلم : ليس مكررا لوجهين : أحدهما أن الظلم قد يكون من الصغائر «ربنا ظلمنا» و من الكبائر «ان الشرك لظلم عظيم» و الفسق لا يكون إلا من الكبائر ، فلما وصفهم بالظلم أولا وصفهم بالفسق الذي هو لابد أن يكون من الكبائر ، و الثاني أنه يحتمل أنهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل و نزول الرجز عليهم من السماء لا بسبب ذلك التبديل بل =

و لما بين سبحانه[١] نعمته عليهم بالإمكان من القرية بالنصر على أهلها و التمتع[٢] بمنافعها و ختمه بتعذيبهم[٣] بما يميت أو يحرق و تبين من ذلك كله أن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة كما سيأتي التصريح به من قول الله تعالى في قصة البقرة و أنها لا منفعة فيها اتبعه التذكير[٤] بنعمته عليهم في البرية بما يبرد الأكباد و يحيي الأجساد فذكر انفحار الماء من الحجر ٥ الذي عمهم نفعه و أنقذهم من الموت تبعة[٥] و دلهم على التوحيد و الرسالة أصله و فرعه بقدرة الصانع و علمه جمعا لهم بذلك بين نعمتي الدين و الدنيا[٥] فقال تعالى « و اذ استسقى » أي طلب السقيا . قال الحرالي : و السقيا فعلى صيغة مبالغة فيما يحصل بـــه الري من السق و السقي[٦] إحياء موات

= بالفسق الذي فعلوه قبل ذلك التبديل ؛ على هذا نزول التكرار - انتهى ما قاله أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٢٢٤ . ثم ذكر احتجاج بعض الناس أن ما ورد به التوقيف من الأقوال لا يجوز تغيره ولا تبديله بلفظ آخر وقال قوم : يجوز ذلك ، فالتفصيل يطلب فيه .

(١) ليس في ظ .

(٢) في م : التمتيع .

(٣) زيد في ظ : بها .

(٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التذكر .

(٥-٥) ليست في ظ .

(٦) قال أبو حيان الأندلسي : هذا هو الإنعام التاسع و هو جامع لنعم الدنيا والدين ، أما في الدنيا فلأنه أزال عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء و لولا هو لهلكوا في التيه و هذا أبلغ من الماء المعتاد في الإنعام لأنهم في مفازة منقطعة ، و أما في الدين فلأنه من أظهر الدلائل على وجود الصانع و قدرته و علمه وعلى صدق موسى =

شأنه أن يطلب الإحياء حالا أو مقالا ؛ قال صلى الله عليه و سلم : اللهم اسق عبادك ! ثم قال : و أحي بلدك[1] الميت - انتهى . « موسى لقومه » أى لما خافوا الموت من العطش « فقلنا » أى بما لنا من العظمة حين خفيت عنهم « اضرب » قال الحرالى : من الضرب و هو وقع الشيء على الشيء

٥ بقوة « بعصاك » و العصا[2] كأنها ما يكف به العاصى ، و هو من ذوات الواو ، و الواو فيه إشعار بعلو كأنها آلة تعلو من قارف[3] ما تشعر فيه الياء بنزول عمله بالمعصية ، كأن العصو أدب العصى ، يقال عصا يعصو أى ضرب بالعصا اشتقاق ثان ، و عصى يعصى إذا خالف الأمر - انتهى . « الحجر » أى جنسه فضرب حجرا[4] « فانفجرت » [5]و ما أنسب ذكر

١٠ الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق[6] لاجتماعهما فى الخروج عن محيط ،

= عليه السلام ، و الاستسقاء طلب الماء عدمه وقلته . و ذكر الله هذه النعمة من الاستسقاء غير مقيدة بمكان و قد اختلف فى ذلك - ثم ذكر الاختلاف من أراد الاطلاع فليراجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٢٦ .

(١) فى م : بذلك .

(٢) العصا مؤنث و الألف منقلبة عن واو ، قالوا : عصوان ، وعصوته أى ضربته بالعصا و يجمع على أفعل شذوذا قالوا : أعص ، أصله أعصو . و على فعول قياسا قالوا : عصى ، أصله عصو و يتبع حركة العين حركة الصاد .

(٤) فى م : قارن .

(٥) زيد فى م و مد : وطوى هذا القدر من الضرب لا بناء .

(٦) زيد فى م و مد : عليه مع البلاغة و براعة الحسن ولطافة الرونق بحذفه والدلالة على سرعة الامتثال وعلى أن المؤثر فى الحقيقة إنما هو الأمر بالضرب لأن الضرب نفسه .

(٧) فى ظ : الفسق .

هذا خروج يحيي و ذاك خروج يميت . قال الحرالى : الانفجار[1] انبعاث وحي من شيء موعى أو كأنه موعى انشق و انفلق عنه وعاؤه و منه الفجر و انشقاق الليل عنه - انتهى . و لأن هذا سياق الامتنان عبر بالانفجار الذى يدور معناه على انشقاق فيه سيلان و انبعاث مع انتشار و اتساع و كثرة ، و لما لم يكن سياق الأعراف للامتنان عبر بالانبجاس الذى يدور معناه على ٥ مجرد الظهور و النبوع[2] « منه » أى الحجر الذى ضربه « اثنتا عشرة عينا » لكل سبط عين ، و العين قال الحرالى هو باد نام[3] قيم يبدو به غيره ،

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي : الانفجار انصداع شيء من شيء و منه انفجر و الفجور و هو الانبعاث فى المعصية كالماء و هو مطاوع فعل بفجره فانفجر . « فانفجرت » الفاء للعطف على جملة محذوفة التقدير : فضرب فانفجرت ، كقوله تعالى « ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق » أى فضرب فانفلق و يدل على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتبا على ضربه ، إذ لو كان ينفجر دون الضرب لما كان للأمر فائدة ولكان تركه عصيانا و هو لايجوز على الأنبياء عليهم السلام . « منه » متعلق بقوله « فانفجرت » و « من » هنا لابتداء الغاية ، و الضمير عائد على الحجر المضروب ، فانفجار الماء كان من الحجر لا من المكان كما قال تعالى « و ان من الحجارة لما يتفجر منه الانهٰر » و جاء هنا « انفجرت » و فى الأعراف « انبجست » فقيل هما سواء ، انفجر وانبجس وانشق مترادفات ، و قيل بينهما فرق و هو أن الانبجاس هو أول خروج الماء و الانفجار اتساعه و كثرته ، وقيل الانبجاس خروجه من الصلب و الانفجار خروجه من اللين ، و قيل الانبجاس هو الرشح و الانفجار هو السيلان ، و ظاهر القرآن استعمالها بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة - انتهى كلامه ، أما ما ذكره المصنف له معنى باعتبار المحل و السياق فتدبر .

(٢) فى ظ : النوع - انتهى .

(٣) فى م : تام ، و فى مد : نام - كذا .

فما أجزأ من الماء فى رى أو زرع فهو عين، و ما مطر من السماء فأغنى فهو عين، يقال إن العين مطر أيام لا يقلع و إنما هو مطر يغنى و ينجع، و ما تبدو به الموزونات عين، و ما تبدو به المرئيات من الشمس عين، و ما تنال به الأعيان من الحواس عين، و الركية و هى بئر السقيا عين، و هى ٥ التى يصحفها بعضهم فيقول[1]: الركبة - بالباء يعنى الموحدة - و إنما هى الركيّة - بالياء المشددة - كذا[2] قال، و قد ذكر أهل اللغة عين الرُكبة؛ و عدّ فى[2] القاموس المعانى التى لهذا اللفظ نحو أربعين[3]، منها نقرة[4] الركبة

(١) فى م: فقال.

(٢) ليس فى م و مد.

(٣) قال أبو حيان: العين لفظ مشترك بين منبع الماء و العضو الباصر و السحابة تقبل من ناحية القبلة و المطر يمطر خمسا أو ستا لا يقلع و من له شرف فى الناس و الثقب فى المزادة و الذهب و غير ذلك، و جمع على أعين شاذا و عيون قياسا، و قالوا فى الأشراف: أعيان، و جاء ذلك قليلا فى العضو الباصر قال الشاعر:

أسمل أعيانا لها و مآقيا

« عينا » منصوب على التمييز و كان هذا العدد دون غيره لكونهم كانوا اثنى عشر سبطا و كان بينهم تضاغن و تنافس فاجرى الله لكل سبط منهم عينا يرده لا يشركه فيه أحد من السبط الآخر، وذكر هذا العدد دون غيره يسمى التخصيص عند أهل علم البيان و هو أن يذكر نوع من أنواع كثيرة لمعنى فيه لم يشركه فيه غيره و منه قوله تعالى « و انه هو رب الشعرى » قال بعض أهل اللطائف: خلق الله الحجارة و أودعها صلابة يفرق بها أجزاء كثيرة مما صلب من الجوامد و خلق الأشجار رطبة الغصون ليست لها قوة الأحجار فتؤثر فيها تفريقا بأجزائها ولا تفجير العيون ماءها بل الأحجار تؤثر فيها، فلما أيدت بقوة النبوة انفلقت =

أى بالموحدة، و منها مفجر ماء الركية بالتحتانية مشددة.

و لما توقع السامع إخبار المتكلم هل كانت الأعين موزعة بينهم[1] معروفة أو ملبسة قال «قد علم كل اناس» أى منهم. قال الحرالى: و هو اسم جمع من الأنس - بالضم، كالناس اسم جمع من النوس، قال: فلم يسمهم باسم من أسماء الدين لأن الاسماء تجرى على حسب الغالب على ٥ المسمّين بها من أحوال تدين أو حال طبع أو تطبع «مشربهم» مكتفاهم من الشرب المردد مع الأيام و مع الحاجات فى كل وقت بما يفهمه المفعل اسم مصدر ثان مشتق من مطلق الشرب أو[2] اسم محل يلزمه

= بها البحار و تفرقت بها أجزاء الأحجار و سالت بها الأنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار - انتهى كلامه. قال على المهائمى: ثم أشار إلى أن النعم الإلهية لو لم تكن فى حقهم سبب الكفر فلا أقل من أن تكون سبب التفرقة فقال «و اذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر» وكانا من الجنة حملها آدم فتوارثها الأنبياء عليهم السلام حتى وصلا إلى شعيب فأعطاهما موسى عليه السلام، و كان مكعبا ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل كل عين فى جدول، و لا يبعد من قدرة الله أن يجعل الحجر جاذبا للهواء مقلبا لها بقوة تبريده بالماء «فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» عدد قبائلهم «قد علم كل» قبيلة «اناس مشربهم» المعين إذ لا يجتمعوا على مشرب واحد فلم يجتمعوا فى حياة موسى الجامع لهم على مشرب واحد فكيف يجتمعون بعده على شريعة واحدة - انتهى كلامه.

(٤) فى م: بعدد.

(١) زيد فى م: او.

(٢) فى ظ: و.

التكرار عليه و التردد، فجعل سبحانه سقيام آية من آياته فى عصاه، كما كانت آيته فى عصاه على عدوه الكافر، فكان فيها نقمة و رحمة؛ و ظهر بذلك كمال تمليكه تعالى لمحمد صلى الله عليه و سلم حين كان ينبع من بين أصابعه الماء غنيا فى نبوعه عن آلة ضرب أو حجر، و تمليك الماء

٥ من أعظم التمكين، لأنه تمكين فيما هو بزر[1] كل شيء و منه كل حى و فيه كل مجعول و مصور - انتهى . يعنى أن هذه الخارقة دون ما نبع للنبي صلى الله عليه و سلم من الماء من بين أصابعه، و دون ما نبع بوضع أصحابه سهما من سهامه فى بئر الحديبية و قد كانت لا ماء فيها، و نحو ذلك كثير .

١٠ و لما [2]كان السياق للامتنان[2] [3]و كان[3] الإيجاد لا تستلزم التحليل للتناول قال زيادة على ما فى الأعراف ممتنا[4] عليهم بنعمة الإحلال بعد الإيجاد على تقدير القول لأنه معلوم تقديره[5] «كلوا و اشربوا من رزق الله»

(١) فى م: برز .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣ - ٣) ليس فى م .

(٤) فى م: تمننا .

(٥) قال أبو حيان: هو على إضمار قول أى و قلنا لهم، و هذا الأمر أمر إباحة . قال السلمى: مشرب كل أحد حيث أنزله رائده، فمن رائده نفسه مشربه الدنيا، أو قلبه فمشربه الآخرة، أو سره فمشربه الجنة، أو روحه فمشربه السلسبيل، أو ربه فمشربه الحضرة على المشاهدة حيث يقول: «وسقاهم ربهم شرابا طهورا» طهرهم به عن كل ما سواه؛ و بدئ بالأكل لأنه المقصود أولا، =

أى الذى رزقكموه [١] من له الكمال كله [١] من غير كد و لا نصب [٢].
قال الحرالى : لما لم يكن فى مأكلهم و مشربهم جرى العادة حكمته فى الأرض فكان من غيب فأضيف ذكره لاسم الله الذى هو غيب ، و لا

= و ثنى بالشرب لأن الاحتياج إليه حاصل عن الأكل ولأن ذكر المن والسلوى متقدم على انفجار الماء ، « من رزق الله » ولما كان مأكولهم و مشروبهم حاصلين لهم من غير تعب منهم ولا تكلف أضيفا إلى الله تعالى و هذا التفات إذ تقدم « فقلنا اضرب » و الرزق هنا هو المرزوق و هو الطعام من المن و السلوى و المشروب من ماء العيون .

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان الأندلسى : ولما كان مطعومهم و مشروبهم بلا كلفة عليهم ولا تعب فى تحصيله حسنت إضافته إلى الله و إن كانت جميع الأرزاق منسوبة إلى الله تعالى سواء كانت مما تسبب العبد فى كسبها أم لا ، و اختص بالإضافة للفظ الله إذ هو العلم الذى لا يشركه فيه أحد الجامع لسائر الأسماء « الله الذى خلقكم ثم رزقكم » « قل من يرزقكم من السمٰوٰت والارض قل الله » « امن يبدؤا الخلق ثم يعيده و من يرزقكم من السماء و الارض . اله مع الله » و فى هذه الآية دليل على جواز أكل الطيبات من الطعام و شرب المستلذ من الشراب و الجمع بين اللونين و المطعومين وكل ذلك بشرط الحل . و قال المهائمى : « و اشربوا » من المشارب حال كونها « من رزق الله » فلا تستعينوا به على معصية الله بل اجعلوه عونا على طاعته و استدلوا به على عنايته بكم « ولا تعثوا » أى لا تفسدوا فسادا ساريا « فى الارض » حال كونكم « مفسدين » بالتفرقة فلا تزيدوا عليها ، فعلم أن نعم الله لم تزل فى حقهم سببا لمزيد فسادهم ، لذلك زادوا فسادا ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم - انتهى .

تعثوا » من العثو و هو أشد الفساد و كذلك العثى إلا أنه يشعر هذا التقابل بين الواو و الياء، إن العثو إفساد أهل القوة بالسطوة و العثى إفساد أهل المكر بالحيلة ـ انتهى . « فى الارض » أى عامة ، لأن من أفسد فى شيء منها بالفعل فقد أفسد فيها كلها بالقوة ، و اتباع ما معناه الفساد
٥ قوله « مفسدين » دليل على أن المعنى و لا تسرعوا إلى فعل ما يكون فسادا قاصدين به الفساد ، فان العثى و العيث الإسراع فى الفساد ، لكن قد يقصد بصورة الفساد الخير فيكون / صلاحا فى المعنى ، كما فعل الخضر /٧٩ عليه السلام فى السفينة و الغلام ، و ليس المراد بالإسراع التقييد بل الإشارة إلى أنه لملائمته للهوى لا يكون إلا كذلك ؛ و سيأتى له فى سورة هود
١٠ عليه السلام إن شاء الله تعالى مزيد بيان[1] . قال الحرالى: و فيه إشعار

---

(١) قد فسر أبو حيان العثو والعثى مثل ما فى هذا الكتاب مع مزيد بيان ـ إلى أن قال : لما أمروا بالأكل و الشرب من رزق الله ولم يقيد ذلك عليهم بزمان و لا مكان و لا مقدار من مأكول أو مشروب كان ذلك إنعاما و إحسانا جزيلا واستدعى ذلك التبسط فى المآكل والمشارب وأنه ينشأ عن ذلك القوة الغضبية و القوة الاستعلائية نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك وهو الفساد حتى لا يقابلوا تلك النعم بما يكفرها و هو الفساد فى الأرض . و يكون فسادهم فيها من جهة أن كثرة العصيان والإصرار على المخالفات و البطر يؤذن بانقطاع الغيث و قحط البلاد و نزع البركات و ذلك انتقام يعم الأرض بالفساد . قال القشيرى فى قوله تعالى « واذ استسقى » الآية : إن الذى قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادرا على إروائهم بغير ماء و لكن لإظهار أثر المعجزة فيه و اتصال محل الاستعانة إليه و ليكون لموسى عليه السلام فى فضل الحجر مع نفسه شغل و لتكليفه أن يضرب بالعصا نوع من المعالجة ثم أراد أن يكون كل سبط =

بوقوع

بوقوع ذلك منهم، لأن فى كل نهى إشعارا بمخالفته، إلا ما شاء الله، و فى كل أمر إشعارا بموافقته إلا ما شاء الله، لأن ما جبل عليه المرء لا يؤمر به لاكتفاء إجباره فيه طبعا عن أمره، و ما منع منه لا ينهى عنه لاكتفاء إجباره عن أمره، و إنما مجرى الأمر و النهى توطئة لإظهار الكيان فى التفرقة بين مطيع و عاص، فكان منهم لذلك من العثى(١) ما ٥ أوجب ما أخبر به الحق عنهم من الهوان، و أشد الإفساد إفساد بنيان الحق الذى خلقه بيده و هى مبانى أجساد بنى آدم فكيف بالمؤمنين منهم

= جاريا على سننه غير مزاحم اصاحبه و حين كفاهم ما طلبوه أمرهم بالشكر و حفظ الأمر و ترك احتقاب الوزر فقال «ولا تعثوا» و المناهل مختلفة وكل يرد مشربه، فمشرب فرات و مشرب أجاج و مشرب صاف و مشرب رنق، و سياق كل قوم يقودهم فالنفوس ترد مناهل المنى، و القلوب ترد مشارب التقى، و الأرواح ترد مناهل الكشف، و المشاهدات و الأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف من حقيقة الوحدة و الذات - انتهى كلامه ملخصا. قال البيضاوى: «ولا تعثوا فى الارض مفسدين» لا تعتدوا حال إفسادكم، و إنما قيده لأنه وإن غلب فى الفساد فقد يكون منه ما ليس بفساد، كمقابلة الظالم المعتدى بفعله، و منه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام و خرقه السفينة؛ و يقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حسا. و من أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله و قلة تدبره فى عجائب صنعه، فانه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر و ينفر الخل و يجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب و تصييره ماء بقوة التبريد و نحو ذلك - انتهى.

(١) زيد فى م: و.

فكيف بالأنبياء منهم - انتهى .

و لما امتنّ عليهم[1] بهذه النعمة العظمى من أكل المن و السلوى و شرب هذا الماء الربانى بين أنهم كفروها بالتضجر منها و طلب غيرها و بالتيه كان قريبا منها بل كما أن هذه فى غاية العلو كان مطلوبهم ٥ فى غاية الدناءة[2] و السفول فقال تعالى « و اذ قلتم » أى بعد هذه النعم كلها « يٰموسى » منادين له باسمه من غير تعظيم « لن نصبر » أى طويلا « على طعام » قال الحرالى : الطعام[3] ما يقوت المتطعم و يصير جزاء منه « فلينظر الانسان إلى طعامه[4] » الآية - انتهى . « واحد » أى [5]لايتبدل و إن كان متعددا[5]

(١) زيد فى م : سبحانه .

(٢) فى م : النداة - كذا .

(٣) قال أبو حيان : الطعام اسم لما يطعم كالعطاء اسم لما يعطى وهو جنس، الواحد الذى لايتبعض و الذى لا يضم إليه ثان ، يقال وحد يحد وحدا و حدة إذا انفرد ، الدعاء التصويت باسم المدعو على سبيل النداء، الإنبات الهمزة فيه للنقل و هو الإخراج لما شأنه النمو ؛ لما سئموا من الإقامة فى التيه و المواظبة على مأكول واحد لبعدهم عن الأرض التى ألفوها و عن العوائد التى عهدوها أخبروا عما وجدوه من عدم الصبر على ذلك و تشوقهم إلى ما كانوا يألفون و سألوا موسى ان يسأل الله لهم لما كان سؤال النبى أقرب للاجابة سألوه عن ذلك ، و لأن النوع الواحد أربعين سنة يمل و يشتهى إذ ذاك غيره ، و ذكر تسعة أقوال فى معنى قوله « على طعام واحد » راجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٣٢ .

(٤) سورة ٨٠ آية ٢٤ .

(٥-٥) ليست فى ظ .

و إن كان شريفا لاتعب فيه « فادع لنا » قال الحرالى : من الدعاء و هو نداء لاقتضاء غلبة لما تدعو الحاجة إليه[1] من القائم على الداعى بتذلل و افتقار و هو فى مقابلة الأمر من الأعلى ، لأنه اقتضاء لما لا[2] تدعو إليه حاجة من الآمر لأن الآمر بالحقيقة إنما هو الغنى لا المفتقر لما يقتضيه - انتهى . « ربك » مضيفين لهذا الاسم إليه دون أنفسكم مع كثرة ٥ تجليه لكم بهذا الوصف الناظر إلى الإحسان « يخرج لنا » أى و إن كنت أنت غير ملتفت إلى ذلك « مما تنبت » من الإنبات و هو التغذية و التنمية - قاله الحرالى . « الارض » ثم بينوا[3] ما أرادوا بقولهم « من بقلها[4] » أى

(١) قدمه فى م على « الحاجة » .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى ظ : يلبوا - كذا .

(٤) البقل جنس يندرج فيه النبات الرطب مما يأكله الناس و البهائم ، يقال منه بقلت الأرض و أبقلت أى صارت ذات بقل و منه الباقلاء - قاله ابن دريد ، و المراد بالبقل هنا أطايب البقول التى يأكلها الناس كالنعناع و الكرفس و الكراث و أشباهها - قاله الزمخشرى . القثاء اسم جنس واحده قثاءة بضم القاف وكسرها و هو هذا المعروف ، و قال الخليل : هو الخيار ، الفوم قال الكسائى و الفراء و النضر بن شميل و غيرهم هو الثوم ، أبدلت الثاء فاء كما قالوا فى مغفور : مغثور ، و فى جدف : جدث . و قال أبومالك وجماعة : الفوم الحنطة ، و قال ابن قتيبة والزجاج : هي الحبوب التى تؤكل و قيل الحبوب التى تخبز . و قال قطرب : الفوم كل عقدة فى البصل وكل قطعة عظيمة فى اللحم وكل لقمة كبيرة ؛ وأحوال =

خضرها . قال الحرالى : البقل ما يكثر به الأدم ، و الأدم الأشياء الدسمة فما يصلح معها من نجم الأرض فهو بقل - انتهى . « و قثائها و فومها » أى الحنطة . و قال الحرالى : يقال هو الحب الذى يخبز - انتهى . « و عدسها و بصلها » فكأنه قيل إن هذا العجب منهم فما[1] قال[2] ؟ فقيل قال « قال »[3]
٥ منكرا عليهم « ا تستبدلون » أى أ تأخذون « الذى هو ادنى » [4]أى منزلة[4] « بالذى هو خير » أى بدله . فالباء داخلة هنا على المتروك و هذه المادة أعنى الباء و الدال المهملة و اللام بهذا الترتيب لها استعمالات كثيرة يختلف معناها معها فيشكل فهمها بسبب ذلك ، فانه قد يذكر معها المتقابلان فقط ، و قد يذكر معها غيرها ، و قد لا يكون كذلك ، و قد يكون
١٠ ذلك مع التبدل و الاستبدال مصحوبا أحدهما بالباء ، و قد لا يكون كذلك ، و قد يذكران مع التبديل و الإبدال ، و تارة تكون الباء داخلة على المتروك ، و تارة على المأخوذ ، و قد يعدى الفعل بنفسه إلى المفعولين ، و تارة يقتصر به على مفعول واحد ؛ و لبعض الإستعمالات

= هذه الخمسة التى ذكروها مختلفة ، فذكروا أولا ما هو جامع للحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة - من البحر المحيط ملخصا ١ / ٢٣٣ .

(١) فى م : فيما .

(٢) فى ظ : قاله .

(٣) قال المهائمى : أى أ تطلبون أدنى الأشياء قدرا و نفعا و لذة بدل أعلاها و لذلك استبدلوا الدنيا بالآخرة و شريعتهم بهذه الشريعة - انتهى .

(٤-٤) ليس فى ظ .

معنى

معنى غير معنى الآخر و سيأتي تحريره إن شاء الله تعالى في سورة سبأ فكأنه قيل : فهل أجابهم إلى سؤالهم ؟ فقيل : نعم ، قال « اهبطوا مصرا »[١] أي من الأمصار ، قال الحرالي : المصر هو البلد الجامع لما يتعاون عليه من أمور الدنيا الذي يجمع هذه المطالب التي[٢] طلبوها لأن ما دون الأمصار لا يكون فيها إلا بعضها[٣] ، و منه سميت مصر لجماع أمر ما في الدنيا فيها ٥

(١) قال أبوحيان الأندلسي : المصر البلد مشتق من مصرت الشاة أمصرها مصرا حلبت كل شيء في ضرعها ، و قيل : المصر الحد بين الأرضين و هجر ، يكتبون : اشترى الدار بمصورها ، أي بحدودها ، و قال عدي بن زياد :

و جاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار و بين الليل قد فصلا

و الجمهور على صرف مصرا هنا ، و قرأ الحسن و طلحة و الأعمش و أبان بن ثعلب بغير تنوين ، فأما من صرف فانه يعني مصرا من الأمصار غير معين ، و أما من قرأ مصر بغير تنوين فالمراد مصر العلم و هي دار فرعون - انتهى ملخصا . و قال البيضاوي : انحدروا إليه من التيه ، يقال هبط الوادي إذا نزل به ، و هبط منه إذا خرج منه ، و قرئ بالضم ، و المصر البلد العظيم و أصله الحد بين الشيئين ، و قيل أراد به العلم و إنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد و يؤيده أنه غير منون في مصحف ابن مسعود و قيل أصله مصرايم فعرب - انتهى . و قال أبوالبركات النسفي : مصرا من الأمصار أي انحدروا إليه من التيه و بلاد ما بين المقدس إلى قنسرين و هي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ؛ أو مصر فرعون - انتهى .

(٢) في ظ : الذي .

(٣) في ظ : بعضا .

وغرابة سقياها، وإن وافق ذلك ما يقال إنها سميت مصر باسم رجل فالوفاق فى حكمة الله، لأن كل دقيق وجليل فيها جارٍ بعلم الله وحكمته حيث كانت من وراء حجاب يخفيها أو ظاهرة بادية لأهل النظر والاستبصار - انتهى. «فان لكم» أى فيه «ما سالتم»[1] وينقطع عنكم المن
٥ والسلوى، والسؤال قال الحرالى طلب ما تدعو إليه الحاجة وتقع به الكفاية، قال: وذكر تعالى أن مطلبهم إنما يجدونه فى الأمصار التى أقر فيها حكمته لا فى المفاوز التى تظهر فيها كلمته، ولذلك كثيرا ما تنخرق العادة لأولياء هذه الأمة فى المفاوز وقل[2] ما تنخرق فى الأمصار والقرى، لما فى هذه الآية مضمونه[3]، ولذلك حرص السالكون على السياحة والانقطاع
١٠ عن العمائر، لما يجدون فى ذلك من رَوح رزق الله عن كلمته دون كلفة حكمته.

ولما نظم سبحانه بنبأ موسى عليه السلام ما كان من نبأهم مع يوشع

(١) قال المهائمى: «فان لكم» فيه «ما سالتم» من غير دعاء أحد ولا يليق بى أن أدعو لتنزيلكم. وقال النسفى: «فان لكم» فيها «ما سالتم» أى فان الذى سالتم يكون فى الأمصار لا فى التيه. قال أبو حيان: السؤال الطلبَ والمطلوب، هذه الجملة جواب للأمر كما يجاب بالفعل المجزوم، والمعنى ما سالتم من البقول والحبوب التى اخترتموها على المن والسلوى، وقيل ما سالتم من اتكالكم على تدبير أنفسكم فى مصالح معاشكم وأحوال أقواتكم - انتهى.

(٢) فى م: قيل، وهو كما ترى.

(٣) فى م: مضمونة - كذا.

عليه السلام [1]بعده نظم فى هذه الآية بخطاب موسى عليه السلام ما كان منهم بعد يوشع عليه السلام[1] إلى آخر اختلال أمرهم و انقلاب أحوالهم من حسن المظاهرة لنبيهم إلى حال الاعتداء و القتل لأنبيائهم عليهم السلام، و فى جملته[2] إشعار بأن ذلك لم يكن منهم إلا لأجل إيثار الدنيا [و-٣] رئاستها و مالها على الآخرة إيثارا للعاجلة على الآجلة ، و فى طيه أشد ٥ التحذير لهذه الأمة فى اتباعهم لسنن أهل الكتاب فى مثل أحوالهم؛ و لذلك انتظم بها الآية الجامعة و ابتدأ بذكر الذين آمنوا من هـــذه / الأمة ثم استوفى الملل التى لها صحة على ما يذكر آنفا إن شاء الله تعالى /٨٠ - انتهى . و لما كان التقدير فقعلوا ما أمروا به من هبوط المصر فكان ما وعدوا به عطف عليه قوله « و ضربت عليهم الذلة » ملازمة لهم محيطة ١٠ بهم من جميع الجوانب كما يحيط البيت المضروب على الإنسان به ، و[3] هى اسم من الذل[4] و هو صغار فى النفس عن قهر و غلبة . قال الحرالى : و فى

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) فى ظ : جملة ذلك ، و فى م : حمته - كذا .

(٣) زيدت الواو من م .

(٤) الذل الخضوع و ذهاب الصعوبة و الذلة كأنها هيئة من الذل كالجلسة ، معنى الضرب هنا الإلزام و القضاء عليهم ، من ضرب الأمير البعث على الجيش وضرب الدهر ضرباته أى ألزم إلزاماته ، و قيل معناه الإحاطة بهم و الاشتمال عليهم ، مأخوذ من ضرب القباب؛ و قيل معنـاه التصقت بهم ، من ضربت الحائط بالطين ألصقته به ، أما الذلة فقيل هى هوانهم بما ضرب عليهم من الجزية التى يؤدونها عن يد وهم صاغرون ، و قيل : فقر النفس و شحها فلا ترى ملة من=

عطفه إفهام لمجاوزة أنباء عديدة غايتها فى الظهور ما عطف عليها كأن الخطاب يفهم فأنزلناهم[1] حيث أنزلوا أنفسهم و منعناهم ما لا يليق عن حاله مثل حالهم فظهر منهم وجوه من الفساد ، فسلط عليهم العدو فاستأصل منهم من شاء الله و من بقى منهم أخذوا بأنواع من الهوان - انتهى .

٥ «و المسكنة» أى كذلك مناسبة لخساسة ما سألوه[2] . قال الحرالى : و هى ظهور معنى الذل أو التذلل على ظاهر الهيئة و الصورة سكونا و انكفاف حراك - انتهى . «و باءوا» أى رجعوا[3] وكانوا أحقاء[3] «بغضب»

= الملل أذل و أحرص من اليهود . و المضروب عليهم الذلة و المسكنة اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم - قاله الجمهور ، أو الذين كفروا بآيات الله و قتلوا الأنبياء بغير حق و القائلون : ادع لنا ربك ، و من تابعهم من أبنائهم أقوال ثلاثة - فاخص من البحر المحيط ١ / ٢٣٦ .

(١) فى مد : فانزلنا .

(٢) قال المهائمى : «و» لما مالوا إلى الأدنى «ضربت عليهم الذلة و المسكنة» أى جعلت كالقبة المضروبة عليهم فى الإحاطة بهم فلا يكاد ترى يهوديا إلا ذليلا و مسكينا فى نفسه أو فيما يظهر من حاله مخافة أن يستزاد فى الجزية ، و فيه إشارة إلى أنهم ليس لهم إذلال هذا الدين أصلا «و» ليس تذللهم و مسكنتهم محمودا يفيد رضا الله بل لذلك «باءوا» أى رجعوا إلى ذلة أنفسهم ملتبسين «بغضب» عظيم «من الله» بتسليط قهره موضع لطفه ، و لذلك سلط عليهم الكفر و منعهم الإيمان و ليس بمجرد استبدالهم الطعام المحل لهم . قال أبو حيان : باء بكذا أى رجع - قاله الكسائى ، أو اعترف - قاله أبو عبيدة ، واستحق - قاله أبو روق ، أو نزل و تمكن - قاله المبرد ، أو تساوى - قاله الزجاج ، وأنشدوا لكل قول =

من

'من باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له' . قال الحرالى : معناه اجماع القاهر على الانتقام فى حق مراغمة - انتهى . «من الله»² 'الملك الأعظم' لجرأتهم على هذا المقام الأعظم مرة بعد مرة وكرة إثر كرة . قال الحرالى : وفيه تهديد لهذه الأمة بما غلب على أهل الدنيا منهم من مثل أحوالهم باستبدال الأدنى فى المعنى من ٥ الحرام والمتشابه بالأعلى من الطيب والأطيب المأخوذ عفوا واقتناعا - انتهى .

ثم ذكر سبب هذا وقال الحرالى : ولما كان الغضب إنما يكون على من راغم الجليل فى معصيته³ ووقعت منهم المراغمة فى معصيتهم واعتدائهم ذكر فعلهم - انتهى . فقال «ذلك»⁴ أى الأمر العظيم الذى حل بهم من ١٠ الغضب وما معه ، ويجوز أن يرجع إلى اهتمامهم بأمر معاشهم وعنايتهم بأحوال شهواتهم على هذا النحو الأخس الأدنى «بانهم» أى بسبب أنهم

= مايستدل به من كلام العرب . وباء يستعمل فى الخير وفى الشر ، فى الحديث : أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى . (٣-٣) ليست فى ظ .

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) زيد : فى مد : اى .

(٣) فى م : معصية .

(٤) الإشارة إلى المباءة بالغضب أو المباءة والضرب ، والباء للسبب ، أى ذلك كائن بكفرهم وقتلهم ، الآيات : المعجزات التسع وغيرها التى أتى بها موسى أو التوراة - من البحر المحيط ١ / ٢٣٦ .

«كانوا» [1] أى جبلة و طبعا [1] «يكفرون» [1] أى مجددين مستمرين [1] «بايٰت الله» أى يسترون إذعانهم و تصديقهم بسبب آيات الله الذى له جميع العظمة كتمانا عمن لا يعلم الآيات و تلبيسا [2]، و كان تجديد ذلك و الإصرار عليه ديدنا [3] لهم و خلقا قائما بهم. قال الحرالى: و الكفر بالآيات أبعد الرتب من الإيمان، لأنه أدنى من الكفر بالله، لأن الكفر بالله كفر بغيب و الكفر بآيات الله كفر بشهادة «و الذين كفروا بايٰتنا [4] هم اصحٰب المشئمة» انتهى. «و يقتلون النبيين» أى كان ذلك جبلة لهم [5] و طبعا. قال الحرالى: و هذا جمع نبيء و هو من النبأ و هو الإخبار عن غيب عجز عنه المخبر به من حيث أخبر - انتهى [6].

(١ - ١) ليس فى ظ، و فى م و مد: مستهزئين - مكان: مستمرين.

(٢) فى ظ: تلبيا.

(٣) فى الأصل: ديدينا - و هو محرف.

(٤) وقع فى ظ: بآيات الله - خطأ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٩٠ آية ١٩.

(٥) ليس فى ظ.

(٦) قال أبو حيان: النبي مهموز من أنبأ فعيل بمعنى مفعل كسميع من أسمع، وجمع على النباء و مصدره النبوءة و تنبأ مسيلمة، كل ذلك دليل على أن اللام همزة. و حكى الزهراوى أنه يقال نبؤ إذا ظهر، و بذلك سمى الطريق الظاهر نبيئا؛ و من لم يهمز فقيل أصله الهمز ثم سهل وقيل مشتق من نبا ينبو إذا ظهر و ارتفع. قال الكسائى: النبى الطريق سمى به لأنه يهتدى به، و سمى الرسول لأنه طريق إلى الله. قتلوا يحيى و شعيا و زكريا، و روى عن ابن مسعود قتل بنو إسرائيل =

و لما كان النبي معصوما دينا و دنيا قال « بغير الحق »[1] أي الكامل تنبيها على أن قتله[2] لا يقع إلا كذلك[3]، لكن هذا لا ينفي أن يكون ثم شبهة كظن التنبؤ فالذم على الإقدام على إراقة الدم بدون الوضوح التام وفاقا لنهي « و لا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق[4] » فهو أخف مما في آل عمران[5] . ثم علل هذه الجرأة فقال « ذلك » أي الأمر الكبير ٥ من الكفر و القتل الذي هو من أعظم الكفر « بما عصوا » و هو من العصيان . قال الحرالي : و هو مخالفة الأمر - انتهى . « و كانوا [6]أي جبلة و غريزة[6] « يعتدون » » أي يتجاوزون الحدود [6]على سبيل التجدد و الاستمرار، فإن[6] من فعل ذلك مرد عليه و مرن فاجترأ على العظائم[7] . قال الحرالي :

═ سبعين نبيا، و في رواية : ثلاثمائة نبي . و على هذا يتوجه قراءة من قرأ يقتّلون بالتشديد .

(١) تقتلونهم مبطلين أو قتلا بغير حق، لأن النبي معصوم من أن يأتي أمرا يستحق عليه فيه القتل ، و إنما جاء هذا القيد على سبيل التشنيع لقتلهم و التقبيح لفعلهم مع أنبيائهم أي بغير الحق عندهم. قال ابن عباس وغيره : لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر- تلخص من البحر المحيط ١/١٣٧ .

(٢) في ظ : قتلهم .

(٣) و في ظ : لذلك .

(٤) سورة ١٧ آية ٣٣ .

(٥) قال المهائمي « و » لكفرهم كانوا « يقتلون النبيين » شعيا و زكريا و يحيى و غيرهم عليهم السلام مع علمهم أنه « بغير حق » أي الموجب له ثابت شرعا و كذلك بالآيات الظاهرة على يدي محمد صلى الله عليه و سلم و يريدون قتله «ذلك» الكفر و الاجتراء على قتل الأنبياء « بما عصوا » فإن المعاصي تجر إلى الكفر لا لأنهم أصروا على الصغائر أو اكتسبوا الكبائر على الندور - انتهى كلامه .

(٦ - ٦) ليست في ظ .

وهو أى الاعتداء تكلف العداء، و العداء مجاوزة الحد فيما يفسح فيه إلى حد لا عذر لمجاوزه من حيث فسح له سعة ما فسح وحُدّ له ما حُدّ - انتهى . و قد جاء نظم هذه الآيات من قصصهم على غير ترتيبها فى الوجود ، و فى التوراة لما ذكرت من هذه المناسبات العظيمة والله أعلم شرح أمرها
٥ من التوراة قال فى آخر السفر الرابع منها فى [١] النسخ الموجودة [١] بين أظهر اليهود الآن فى هذا القرن التاسع فيما قرأته فى نسخة مترجمة بالعربية و خطها كذلك و عليها آثار قراءتهم لها و بيان الأوقات التى يقرأ فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى كما مضى مع شخص منهم و كان هو القارئ ما نصه: و هذه مظاعن بنى إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر
١٠ بأجنادهم [٢] على يدى موسى و هارون عليهما السلام و كتب موسى مخارجهم و مراحلهم عن قول الرب ظعنوا من رَعَمسيس - و فى نسخة: من عين شمس - فى خمسة عشر يوما من الشهر الأول من غد الفصح - [٣] و فى نسخة:

(٧) قال أبو حيان الأندلسى : ولما ذكر تعالى حلول العقوبة بهم ضرب الذلة و المسكنة و المباءة بالغضب بين علة ذلك فبدأ بأعظم الأسباب فى ذلك و هو كفرهم بآيات الله ، ثم ثنى بما يتلو ذلك فى العظم و هو قتل الأنبياء، ثم أعقب ذلك بما يكون من المعاصى و ما يتعدى من الظلم - قال معنى هذا صاحب المنتخب .

(١ - ١) فى م : الفسح الموجود - كذا .

(٢) فى ظ : باخبارهم .

(٣) و الفِصّح عند اليهود عيد تذكار خروجهم من مصر عند أكلهم الخروف و المرائر وهم مستعدون للسفر. وعند النصارى عيد تذكار قيامة المسيح من الموت، و يعرف بالعيد الكبير ، و هو تعريب فسح بالعبرانية ومعناه اجتياز و عبور أو نجاة ؛ و يوم فصح أى بلاغيم ولا برد - قطر المحيط ٢/١٥٩٩ .

بعد الفصح بيوم - و المراد بالشهر الأول عندهم نيسان[١] و هو شهر الفريك،
و خرج بنو إسرائيل بقوة عظيمة تجاه جميع[٢] أهل مصر كانوا[٣] مشاغيل
بدفن الأبكار الذين قتلهم الرب، [٤]و بما انتقم الرب[٤] من آلهتهم، فظعن
بنو إسرائيل من رعمسيس - و فى نسخة: عين شمس - و نزلوا ساحوت
و ارتحلوا من ساحوت و نزلوا آثم[٥]-[٦]و فى نسخة: اثام[٦] - التى فى أقاصى ٥
المفازة و ظعنوا من اثام[٧] و نزلوا فى فَوهة الخندق الذى فى جبال بَعَلصَفُون
و نزلوا بازاء مغدول - و فى نسخة: مجدول - و ارتحلوا من فوهة الخندق
و جازوا [٦]فى وسط[٦] البحر إلى القفر - و فى نسخة: بين[٨] البحر و القفر -
و ساروا مسيرة ثلاثة أيام فى برية/ اثام[٧] و نزلوا مررا[٩] -[٦]و فى نسخة: /٨١
المُرَيرة-[٦] و أتوا آليم [١٠]و فى نسخة: و نزلوا فى المراير[١١] و ارتحلوا من ١٠

(١) نَيسان و نِيسان اسم شهر بين آذار و آيار ايامه ٣٠ يوما سريانية - قطر المحيط ٢/٢٢٦٣.
(٢) ليس فى ظ.
(٣) فى ظ: كان.
(٤ - ٤) ليست فى م.
(٥) فى م: آيم.
(٦ - ٦) ليست فى ظ.
(٧) فى م و مد: ايام.
(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الى.
(٩) فى مد: مرر، و فى ظ: مرت.
(١٠) العبارة من هنا الى «آليم» ليست فى م.
(١١) فى ظ: المرا.

المراير و صاروا إلى آليم - و كان[1] فى آليم اثنتا عشرة عينا[1] من ماء و سبعون نخلة و نزلوا هناك على الماء[2] و ارتحلوا من[3] آليم [4]و نزلوا[4] ساحل بحر سوف - و فى نسخة[5]: على البحر الأحمر - و ظعنوا من شاطئ بحر سوف - و فى نسخة: من البحر الأحمر - و فى أخرى: بحر القلزم - و نزلوا برية سينين[6]
٥ و ارتحلوا من قفر سينين[6] و نزلوا ذِفقا[7] و ظعنوا من ذِفقا[7] و نزلوا آلوش[8] و ارتحلوا من آلوش[8] و نزلوا رفيدين - و فى نسخة: [9]رفيديم - ولم يكن هناك ماء يشرب الشعب و ظعنوا من رفيدين - و فى نسخة: رفيديم - فنزلوا برية - و فى نسخة: قفر سيناء - [10]وظعنوا من قفر سيناء[10] و نزلوا الموضع المعروف بقبور الشهوة و ارتحلوا من مقبرة الشهوة - و فى نسخة: قفر
١٠ قبور الشهوة - فنزلوا حصروث[11] و ظعنوا من حصروث[11] فنزلوا رثما -

---

(١) فى م: كانوا.
(٢) ليس فى م.
(٣) ليس فى ظ.
(٤ - ٤) فى ظ: فنزلوا.
(٥) زيد فى ظ: فارتحلوا من مقبرة الشهوة و فى نسخة قفر قبور الشهوة.
(٦) من ظ، و فى الأصل: سيشين، و فى م و مد: سين.
(٧) فى ظ: دُقفا، و فى م ومد: دفقا.
(٨) فى م و مد: آلوس.
(٩) زيد فى م: و نزلوا.
(١٠ - ١٠) ليست فى ظ.
(١١) فى ظ: حضر موت.

و فى نسخة: الرامة[1] - و ارتحلوا من رثما - و فى نسخة: الرامة[1] - فنزلوا رِمُّون[2] فيرص[3] .

و قال فى السفر الثانى عند ذكر الإنعام عليهم باستنقاذهم من أيدى القبط بتلك الآيات العظيمة التى ستشرح إن شاء الله تعالى فى سورة الأعراف فقال موسى للشعب: اذكروا هذا اليوم الذى خرجتم فيه من ٥ مصر من العبودية و الرق ، لأن الرب أخرجكم من ههنا بيد منيعة فلا يؤكل الخمير فى هذا اليوم و هو ذا أنتم خارجون فى شهر الفقاخ[4] - و فى نسخة: الفريك - فاذا أدخلكم الرب إلى أرض الكنعانيين و الحيثانيين و الاموزانيين و الجاوانيين و اليابسانيين و الفرزانيين[5] كالذى أقسم لآبائكم أن يعطيكم الأرض التى تغل السمن و العسل ، تعملون هذا العمل ١٠ فى هذا الشهر ، كلوا الفطير سبعة أيام و لا يوجدن[6] الخمير عندكم ؛ و تعلمون أبناءكم فى ذلك اليوم و تقولون لهم إن الله فعل بنا هذا الفعل إذ أخرجنا من أرض مصر، و ليكن ذلك آية على يدك و علامة بين عينيك لتكون سنة الرب و شريعته على لسانك لأن الرب أخرجك من مصر بيد عزيزة منيعة و احتفظ بهذا و هذه الوصية من ١٥

(١) فى م: ربما .

(٢) فى م: رِموت .

(٣) فى م: بفرص ، و فى مد: فرص .

(٤) فى ظ و م و مد: الفقاح - بالحاء المهملة .

(٥) فى م: القنزرانيين .

(٦) فى م: لا يوجدون - كذا .

سنة إلى سنة فى وقته ، و إذا أدخلك الرب إلى[1] أرض الكنعانيين التى أقسم لك و لآبائك أن يعطيكها فميز كل ذكر بفتح[2] الرحم للرب و كل ذكر من البهائم التى تكون لك يفتح الرحم يكون خاصة للرب تفتديه بحمل[3] ، فان لم تفتده[4] فاذبحه ، و تفتدى كل بكر ذكر من أولادك ، ٥ فاذا سألك ابنك غدا و قال لك : ما هذا العمل؟ فقل : إن الرب أخرجنا من أرض مصر من العبودية و الرق بيد منيعة عزيزة ، لأن فرعون قسا و فظّ و أبى أن يرسلنا ، فقتل الرب جميع أبكار أرض مصر من بكر البشر إلى بكر البهائم ، فمن أجل ذلك أذبح للرب كل ذكر بفتح الرحم و أفتدى[5] جميع[6] أبكار ولدى[6] ، فيكون ذلك علامة على يدك و ذكرا بين ١٠ عينيك ، لأن الرب أخرجك من مصر بيد منيعة عزيزة . فلما أرسل فرعون الشعب و انطلقوا لم يرسلهم الله تعالى فى طريق أرض فلسطين ، لأنه كان قريبا و لأن الله قال : لعل الشعب إذا ما عاينوا القتال أن يخافوا و يرهبوا فيرجعوا إلى مصر ، فساس الله الشعب فى طريق برية بحرسوف ، و خرج بنو إسرائيل من أرض مصر وهم متسلحون ، و حمل ١٥ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه ، لأنه أقسم على

(١) فى ظ : فى ، و ليس فى م و مد .

(٢) فى م : يفتح .

(٣) فى م : بجمل .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم تفتديه ـ كذا .

(٥) فى م : افدى .

(٦-٦) فى م : ابكارى لدىّ .

بنى إسرائيل بأيمان و قال : إن الله سيذكركم فأصعدوا عظامى معكم من ههنا ، فظعنوا من ساحوت و نزلوا اثام[١] التى فى أقطار البرية ، وكان الرب يسير أمامهم [٢]بالنهار فى عمود السحاب ليسكنهم فى الطريق و بالليل فى عمود نار ليضيء لهم و كان يسير أمامهم[٢] بالليل و النهار ، و لم يكن عمود الغمام يزول بالنهار و عمود النار بالليل من بين يدى الشعب ، و كلم ٥ الرب موسى و قال له : قل لآل إسرائيل أن يرجعوا فينزلوا على شاطئ الخندق و ما بين مغرول[٣] و البحر أمام بعلصفون ، انزلوا هناك إزاء البحر حتى يقول فرعون إن بنى إسرائيل غرباء فى الأرض ، فيظن أنهم قد تاهوا فى القفر و أن البر قد انغلق[٤] عليهم ؛ و قال الرب لموسى : أنا أقسى قلب فرعون فيسير فى طلبكم فأمجد بفرعون و جميع جنوده ، فيعلم أهل مصر ١٠ أنى أنا الرب ، ففعلوا كذلك ؛ فأسف فرعون و عبيده لإرسال الشعب و ندموا ، فألجم خيله و سار فى جميع شعبه و ظعن فى ستمائة ألف راكب مختارة و جميع مواكب المصريين أيضا و الرجال - و فى نسخة : و القواد - على جميعها ، فسار المصريون فى طلبهم فرهقوهم[٥] و هم حلول على المهرقان ، فقرب[٦] فرعون و رفع بنو إسرائيل أبصارهم فرأوا المصريين و هم فى ١٥

(١) فى م : ايام .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) فى م : مغدول ، و فى مد و ظ : معدول .

(٤) فى مد : انفلق .

(٥) فى مد : فرهقوا .

(٦) فى م : بقرب .

طلبهم لخافوا خوفا شديدا ، فصلى بنو إسرائيل بين يدى الرب و قالوا لموسى : ألقلة القبور بمصر أخرجتنا لنموت[١] فى البرية ؟ لم فعلت بنا هذا الفعل و أخرجتنا من مصر؟ أليس هكذا كنا نقول لك و نحن بمصر : دعنا نتعبد للمصريين كان خيرا لنا أن نتعبد للمصريين من الموت فى هذا
٥ القفر ؟ فقال موسى للشعب : لا خوف عليكم ! انتظروا فأبصروا خلاص الرب إياكم فى هذا اليوم ، لأنكم عاينتم المصريين يومنا هذا ، لا تعودون أن تعاينوهم أيضا إلى الأبد ، و الرب يجاهد عنكم إذ أنتم فى هدوء و طمانينة ؛ فصلى موسى بين يدى الرب فقال : مُر بنى إسرائيل أن يظعنوا و أنت فارفع عصاك و اضرب ماء البحر ، فيسير آل إسرائيل فى البحر فى اليبس ،
١٠ و ها أنا ذا أقسى قلوب المصريين و أغلظها ليتبعوهم[٢]، فأمجد بفرعون و بجميع جنوده و بمواكبه[٣] و فرسانه / ، فيعلم أهل مصر أنى أنا الرب إذا مجدت /٨٢ بفرعون و بجميع جنوده ، فظعن ملك الله الذى كان يسير أمام عسكر بنى إسرائيل فصار على ساقتهم ، فاحتمل السحاب الذى كان أمامهم فوقف خلفهم و دخل بين عسكر المصريين و محلة بنى إسرائيل ، و كان
١٥ السحاب و الحِنْدِس تلك الليلة بأسرها و كان[٤] الضياء و النور لبنى إسرائيل تلك الليلة كلها ، فلم يقدروا على الدنو إليهم تلك الليلة . فرفع

(١) فى م : للموت .
(٢) فى م : ليتبعوكم .
(٣) فى ظ : مواكبه .
(٤) فى ظ : فان .

موسى يده على البحر فزجر الرب البحر بريح سموم - وفى نسخة: قبول عاصف - أليل[1] أجمع، فصير ماء البحر فى اليبس [2]وانقسم الماء، فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر فى اليبس[2]، فصارت المياه كالسور بين ميامنهم ومياسرهم، فسار المصريون فدخلوا فى طلبهم فصار خيل فرعون وجميع مواكبه فى البحر، فلما كان عند حريم الغداة تراءى ٥ الرب[3] لعسكر المصريين فى عمود نار ومزنة غمامة، فأرجف[4] عسكر المصريين وأفتنه وربط مواكبهم وحبسها وجعلواهم يُعنقون بالسير عليها، فقال المصريون: سيروا بنا لنهرب[5] بين يدى آل إسرائيل، لأن الرب حارب عنهم بمصر، فقال الرب لموسى: ابسط يدك على المهرقان فتؤول المياه على المصريين فتطفح على مواكبهم وفرسانهم، فرفع يده على البحر، ١٠ فرجع البحر عند وقت الغداة إلى موضعه والمصريون جعلوا يهربون إزاءه، فعذب الرب المصريين فى البحر وأكذبهم، فجرت المياه وطفت على المواكب والفرسان وعلى جميع جنود فرعون الذين دخلوا فى البحر فى طلبهم، ولم ينج منهم[6] واحد[7]، فخلص[8] آل إسرائيل فى ذلك اليوم من أيدى المصريين، فنظر بنو إسرائيل إلى المصريين موتى على شاطئ ١٥ المهرقان، وعاين آل إسرائيل النقمة العظيمة التى أنزلها الله بالمصريين،

(١) من ظ، وفى بقية الأصول: الليل (٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد فى م: اى. (٤) أرجفت القوم: خاضوا فى أخبار الفتن ونحوها على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء (٥) زيد فى م: من (٦) زيد فى الأصول كلها: ولا - كذا (٧) فى ظ: واحدا (٨) زيد فى ظ: الرب.

و خاف الشعب الرب و آمنوا به و صدقوا[١] قول موسى عبده ، حينئذ[٢] سبح موسى و بنو إسرائيل بهذا التسبيح و قالوا : نسبح الرب ذا الجلال الذى تعالى على المواكب و غرق فرسانها فى البحر المنيـع ، و المحمود الرب الأزلى ، فكان[٣] لى[٤] منجيا[٥]، هذا إلهنا فلنحمده و لنمجده ، إلـه آبائنا
٥ فلنعظمه و لنجله ، الرب ذو الملاحم ، جبار اسمه ، لأنه قذف بمواكب[٦] فرعون و جنوده فى البحر و غرق جبـابرة فى بحر سوف و غطتهم الأمواج و هبطوا فى القعر فرسبوا مثل الجنادل ، يمينك يا رب بهية بالقوة ، يمينك يارب أهلكت أعداءك بعظم عزك ، كبت شانئك[٧] أرسلت غضبك فأحرقهم[٨] كالسهم بريـح وجهك ، و أمرك جمدت المياه و وقف جريها
١٠ كأنه الأطواد ، و رسب الأغمار فى قعر البحر كالرصاص فى الماء المنيع ؛ فمن مثلك و من يفعل كافعالك أيها البهى فى قدسه المرهوب[٩] المحمود مظهر العجائب ، سُسْتَ[١٠] بنعمتك هذا الشعب الذى خلّصت ، فبلغ ذلك الشعوب فارتجفوا[١١] و قلقوا و غشى الخوف و الرعب سكان فلسطين ، عند ذلك ذعر أشراف ادوم[١٢] و غشى الرعدة و الارتعاش رجال[١٣] مؤاب
١٥ و انكسر جميع سكان كنعان[١٤] فانهزموا فلينزل بهم الخوف و القلق و الرجفة بعظمة ذراعك ، يغرقون كالجنادل حتى يجوز شعبك الذى خلّصت ،

(١) فى م: صدق (٢) فى م : حين - كذا (٣) فى م وظ : كان (٤) ليس فى م.
(٥) زيد فى م : و (٦) زيد فى مد : آل (٧) فى م : شانك (٨) فى م : فاغرقهم .
(٩) فى م : الموهوب (١٠) فى م: شتت (١١) فى ظ : فارتجعوا (١٢) فى م : اذوم (١٣) ليس فى ظ (١٤) فى ظ : عنكان - كذا .

تقبل بهم فتقدسهم فى جبل ميراثك[1] ، الرب يملك[2] إلى أبد الآبدين ؛
وظعن موسى ببنى إسرائيل من بحر سوف، فخرجوا حتى انتهوا إلى برية
أسود ، ثم ساروا فى البرية مسيرة ثلاثة أيام فلم يجدوا هناك ماء ، ثم
انتهوا إلى مورّث فلم يقدروا على أن يشربوا ماء مورث ، لأنه كان
مُرّا فتذمر[3] الشعب على موسى وقالوا له : ما الذى نشرب الآن ؟ فصلى ٥
موسى بين يدى الرب ، فأظهر الرب له[4] عودا فألقاه فى الماء ، فعذب الماء
هناك ، علمه السنن والأحكام ، فأتوا حتى انتهوا إلى آليم [5] وكان هناك
اثنتا عشرة عينا من ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك على الماء ، ثم ظعنوا
من آليم فأتوا برية سينين التى بين آليم[5] وسينين فى خمسة عشر من
الشهر الثانى من الزمان الذى خرجوا من مصر ، فتذمر[3] جميع جماعة ١٠
بنى إسرائيل على موسى وهارون وقالوا لهما : قد كنا نحب أن نتوفى[6]
فى أرض مصر إذ كنا جلوسا بين أيدينا مراجل اللحم وكبار الخبز
[5] ونفضل[5] فأخرجتمانا إلى هذه البرية[7] لتقتلا جماعة بنى إسرائيل بالجوع !
فقال الرب لموسى : ها أنا ذا مهبط[8] لكم الخبز من السماء فليخرج الشعب

---

(١) فى م : ميراثك (٢) من م ومد وظ ، وفى الأصل: عملك ـ كذا (٣) فى م : فتدمر ـ بالدال المهملة ، والصواب بالذال المعجمة من ذمره يذمره ذمرا لامه وحضه وتهدده ، وتذمر الرجل لام نفسه على فائت ، وفلان تغضّب ، وعلى فلان تنكّر له وأوعده ـ قطر المحيط ١/٦٩٩ (٤) ليس فى مد (٥ـ٥) ليست فى ظ .
(٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : تتوفى (٧) فى م : القرية (٨) فى الأصول : مهبطا ـ كذا .

فليلتقطوا[1] طعام يوم بيوم لكى أمتحنهم هل[2] يسيرون بوصاياى و سنتى و يحفظونها أم لا ، فاذا كان اليوم السادس فليعدوا فضلا على ما يأتون به و ليكن ذلك ضعف ما يلتقطون فى كل يوم ، فقال موسى و هارون لجميع بنى إسرائيل عند الأصيل : تعلمون أن الرب أخرجكم من أرض مصر و بالغداة

٥ تعاينون مجد الرب ، لأن تذمركم[3] بلغ[4] الرب ، و نحن فمن نحن إذ تتذمرون علينا ، و قال لهم موسى : إن الرب قد أعطاكم لحما عند الأصيل لتأكلوا و رزقكم خبزا بالغداة لتشبعوا ، لأنه قد بلغ الرب تذمركم الذى تراطنون[5] عليه ، و نحن فمن نحن و ليس إنما تتذمرون علينا بل على الرب ، و قال لهارون : مر جميع جماعة بنى إسرائيل أن يدنوا فيقفوا بين يدى الرب ،

١٠ فلما قال هارون ذلك لجميع جماعة بنى إسرائيل التفتوا فاذا مجد الرب قد اعتلن فى السحاب و قال الرب لموسى : قد بلغنى تذمر بنى إسرائيل فقل : عند مغارب[6] الشمس تأكلون اللحم و بالغداة شرقا[7] تشبعون من الخبز فتعلمون[8] أنى أنا الرب إلٰهكم ، فلما كان عند الأصيل صعدت السُّمانى[9] فتغشت[10] العسكر، وكان بالغداة ضبابة تقطر المن فأحاطت بالعسكر ،

(١) من مد ، و فى الأصل : فليلتطفوا (٢) فى مد : حتى (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تدمركم ـ بالدال المهملة (٤) فى م : قد بلغ (٥) فى ظ : تواطنون . (٦) فى متن م : غروب ، و بهامشه بعلامة النسخة : مغارب (٧) فى ظ : سدقا . (٨) ليس فى ظ (٩) من ظ غير أن فيه : السمان ، وكتب فيه فوقه : يعنى السلوى؛ و فى الأصل : السُّمار ، و فى م : السمانت ، و فى مد : السما (١٠) فى مد و ظ : فتعشت ـ كذا .

فارتفعت الضبابة فاذا على وجه الأرض دقيق يتقشر[1] و كان شبه[2] صفائح الجليد[3] على الأرض، فقال موسى: هذا الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا، و هذا قول الرب الذى أمر به/ ليلتقط المرء منه[4] على قدر قوته مكيالا / ٨٣ لكل نفس على عدد رؤوسكم ليأخذ المرء لكل من كان فى خيمته، فصنع بنو إسرائيل كما أمرهم موسى و التقطوا، فمنهم من أخذ كثيرا ٥ و منهم من تناول قليلا و كالوا ذلك، فلم يفضل الذى أخذ الكثير و الذى أخذ القليل لم يعدمه، فقال لهم موسى: لا تبقين منه للغد شيئا، فلم يطيعوا موسى فأفضل[5] رهط منهم للغد، فدب فيه الدود و أنتن، فغضب موسى، فجعلوا يلتقطونه فى كل غداة كل امرئ على قدر قوته، و كان إذا حميت[6] عليه الشمس يميع، فلما كان اليوم السادس التقطوا من الخبز ضعفى ١٠ ما كانوا يتناولون كل رجل مكيالين، فأتى جميع أشياخ الجماعة فأخبروا موسى، فقال لهم: هكذا قال الرب، إن السبت راحة و دعة و غدا[7] يوم قدس الرب؛ و قال فى موضع آخر: لا تعملوا فيه عملا بل يكون سبتا للرب فى جميع مساكنكم، و كل ما أردتم أن تختبزوه فاخبزوه[8] و اطبخوا ما أردتم طبخه و احتفظوا بما تفضلون باردا للغد، فأبقوا ١٥ منه للغد كما أمر موسى، فلم ينتن و لم يدب فيه الدود فقال لهم موسى:

---

(١) فى م: متقشر (٢) فى م: مثل (٣) الجليد: الضريب و السقيط وهو ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد ج جلد و جلاد و جلداء - قطر المحيط ١/٣٩٤.
(٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ: فافضله (٦) فى م: جيئت (٧) فى م: غدا (٨) فى م: فاخبزوا - بدون الضمير.

كاوه يومكم هذا، لأن اليوم يوم سبت للرب و لستم تقدرون عليه اليوم فى الحقل، كونوا تلتقطونه ستة أيام و اليوم السابع هو سبت لا يؤخذ فيه، فلما كان اليوم السابع خرج رهط من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا فقال الرب لموسى: حتى متى يأبوا[1] أن يقبلوا وصاياى و سنتى، فاستراح ٥ الشعب فى اليوم السابع. فسماه بنو إسرائيل المن، هو كحبة[2] الكزبرة و طعمه كشهد العسل. و قال فى السفر الرابع: و المن كان يشبه حبة الكزبرة و كان منظره أبيض كالمها، و كان الشعب يترددون و يلتقطونه و يطحنونه فى الرحى و يهرسونه فى المهراس و يطبخونه فى القدور و يصيرون منه مليلا[3] و يصير طعمه مثل طعم الخبز الذى يعجن دقيقه بالزيت.

١٠ رجع إلى الثانى قال: فأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة و لم يزالوا يأكلون المن حتى انتهوا[4] إلى أقطار الأرض ذات السكنى و حتى انتهوا إلى أقطار أرض كنعان، و كان ذلك المكيال عشر جريب[5] أى عشر وبية[6]، و إن جماعة بنى إسرائيل ظعنوا من برية سينين فى مظاعنهم كما أمر الرب فوردوا رفيدين و لم يكن للشعب ماء يشربون، فضج الشعب على موسى

---

(١) فى ظ: يأتوا (٢) فى م: كحية - كذا (٣) المليل الخبز و اللحم المدخل فى الملة.. وهى الرماد الحار و الجمر. يقال أطعمنا خبزا مليلا و خبزة مليلا، من من الشيء فى الجمر أدخله فيه - قطر المحيط ٢/ ٨٩٠-٣ (٤) فى ظ: انتهى (٥) الجريب المزرعة و الوادى و مكيال قدر أربعة أقفزة و هو المراد هنا، ج أجربة و جربان، و مقدار معلوم من الأرض و هو ما يحصل من ضرب ستين فى نفسها (٦) الويبة اثنان أو أربعة و عشرون مدا، ج ويبات.

و قالوا له: اعطنا ماء لنشرب، فقال: ما بالكم تضجون و كم تجربون الرب؟
[1]و اشتد[1] عطش الشعب هناك فتذمروا على موسى و قالوا له: لم أصعدتنا
من أرض مصر لتقتلنا و أبناءنا و مواشينا بالعطش؟ فصلى موسى أمام
الرب و قال: ما أصنع بهذا الشعب؟ إنهم كادوا أن يرجمونى، فقال الرب
لموسى: جُز قدام الشعب و انطلق ببعض أشياخ بنى إسرائيل و العصا ٥
التى ضربت بها البحر فقلقته، خذها بيدك و انطلق و ها أنا ذا واقفا[2] بين
يديك على حجر الظِرّان[3] بحَوْرِيب[4] فاضرب عند ذلك الظران فيخرج الماء
و يشرب الشعب، فصنع موسى هذا الصنيع بين أشياخ بنى إسرائيل،
فسمى ذلك الموضع التجريب و التذمر[5]، لأن بنى إسرائيل تنازعوا
و اصطخبوا[6] و لأنهم جربوا الله و قالوا: هل الله بيننا أم لا؟ و لما كان ١٠
فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من مصر انتهوا إلى برية سيناء
إذ ظعنوا من رفيدين فأتوا برية سيناء و حل هناك إسرائيل قبالة[7] الجبل،
فصعد موسى إلى الجبل[8] فدعاه الله[8] من الجبل و قال: هكذا قل[9] لآل يعقوب:
قد رأيتم ما صنعت بالمصريين و حملتكم كأنكم على أجنحة النسور و أقبلت
بكم إلىّ، فان أنتم الآن أطعتم قولى و حفظتم عهدى فأنتم أحبّ إلىّ من ١٥

(١-١) فى ظ: فاشتد (٢) فى ظ: وقفا (٣) الظرّ و الظرر و الظررة الحجر أو المدوّر المحدّد منه أو هو حجر له حد كحد السكين ج ظُران و ظرّان (٤) فى م: بحويريب.
(٥) فى م: الذمر (٦) صخب الرجل يصخب صخبا صاح شديدا، تصاخب القوم تصايحوا و تضاربوا و اصطبخت الطير و غيرها اختلطت أصواتها. و فى ظ: اصطبخوا - كذا مصحفا (٧) فى ظ: قبالى (٨-٨) فى م: فناداه (٩) فى م: قال.

جميع شعوب الأرض، فأتى موسى فدعا بأشياخ الشعب فقص عليهم
جميع هذه الآيات التى أمره بها الرب، فأجاب الشعب كلهم جميعا و قالوا:
نحن فاعلون جميع ما أمرنا به الرب، فرد موسى جواب الشعب على الرب
فقال الرب لموسى: ها أنا ذا مناجيك فى سحابة مظلمة لكى يسمع الشعب كلامى
٥ إذا كلمتك فيقبلوا كلامك و يصدقوك إلى الأبد، فقال الرب لموسى: انطلق
إلى الشعب و طهرهم اليوم و غدا و ليبيضوا ثيابهم و يرحضوها[١] و ليستعدوا
فى اليوم الثالث فناشد الشعب و تقدم إليهم و قل لهم: احذروا أن
تصعدوا إلى الجبل و لا تقربوا إلى حافاته، و من دنا من الجبل فليقتل
و لا تصيبه أيدى الناس بل يرجم رجما و يقذف به إلى أسفل به[٢] بهيمة
١٠ كان أو إنسانا، فاذا سمعت أصوات القرون فأنتم فى حل من الصعود إلى
الجبل؛ فهبط[٣] موسى من الجبل إلى الشعب فطهر الشعب و بيضوا ثيابهم،
و قال موسى للشعب: كونوا مستعدين فى اليوم الثالث، لا تقتربن إلى امرأة،
فلما كان فى اليوم الثالث باكروا غلسا، فاذا هم بأصوات قرون و بروق
و إذا هم أيضا بسحابة عظيمة قد حلت على الجبل، فاشتد صوت القرن
١٥ جدا و اشتد فزع من كان فى العسكر، و أخرج موسى الشعب إلى لقاء
الرب من العسكر فقاموا فى حافات الجبل و كان جبل سيناء يخرج منه
القُتار و الدخان، لأن الرب هبط عليه بالنار و ارتفع غباره كغبار
الأتون و تزلزل الجبل زلزلة شديدة و اشتد صوت القرن، و دعا الرب

(١) رحض الثوب يرحَضه رحضا غسّله، ارحض الثوب غسله . و فى م: يرخصوها (٢) ليس فى ظ و م (٣) بهامش الأصل و ظ «و اذ آتينا موسى الكتٰب».

موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى و قال له[١] الرب: انزل فأنشد بنى إسرائيل و أنذرهم أن لا يتزحزحوا[٢] عند النظر بين يدى الرب فيهلك منهم كثير، و كان جميع الشعب يسمعون الأصوات و يرون المصابيح و يسمعون أصوات القرون و يرون الدخان يخرج من الجبل. فرأى ذلك الشعب ففزعوا و وقفوا من بعيد و قالوا لموسى: كلمنا أنت حتى نسمع ٥ و لا يكلمنا الله لكيلا نموت، فقال موسى: لا خوف عليكم، لأن الله إنما كلمكم ليمتحنكم و يجربكم لكى تخافوه و ترهبوه و لا تخطئوا و لا تأثموا، فوقف الشعب من بعيد و دنا موسى من الضباب التى اعتلن الله فيها، و قال الرب لموسى: هكذا قل لآل إسرائيل: قد رأيتم و علمتم أنى[٣] كلمتكم من السماء، لا تتخذوا معى آلهة من ذهب و لا / تعملوا لكم آلهة من فضة، ١٠ /٨٤ ثم قال: ها أنا ذا مرسل إليك الملك بين يديك ليحفظك فى سفرك و يوردك البلد الذى[٤] أتقنت - و فى نسخة: الذى[٥] هيأته - فاحذره و اسمع منه، لأن اسمى حالٌّ عليه، فان[٦] أنت قبلت قوله و أطعت أمره و عملت بكل ما يأمرك به أبغض مبغضيك و يسير ملكى أمامك فيدخلك على الأمورانيين - و ذكر بعدهم خمس فرق - فأقتلهم و أبيدهم و أرسل الرعب ١٥ و الخوف و الجزع بين يديك و أبيد جميع الشعوب الذين تسير إليهم و لا أبيدهم فى سنة واحدة لكى لا تخرب الأرض بل رويدا رويدا حتى تعتز[٧] - و فى نسخة: تكثر - فتصير ذا بطش فترث الأرض و اجعل

(١) ليس فى م (٢) فى ظ: لا يتزحزوا - كذا (٣) فى م: اى (٤) من ظ، و فى بقية الأصول: التى - كذا (٥) و فى م: التى (٦) فى م: فاذ (٧) فى ظ: تغتر.

تخومك من بحر سوف[1] إلى فلسطين و[2] من البرية[3] حتى النهر - و فسره في موضع آخر بالفرات - و قال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل أنت و هارون و ناذاب و آبيهوا[4] و سبعون[5] رجلا من أشياخ بنى إسرائيل و يسجدون من بعيد ، و يقترب[6] موسى وحده إلى الرب و هم لا يقتربون ٥ و لا يصعد الشعب معه[7]. فجاء موسى و قص على الشعب جميع عهود الرب و جميع أحكامه ، فنادى الشعب كلهم بصوت عال و قالوا : نحن نفعل ما أمرنا الرب ، وكتب موسى جميع كلام الرب ، و غدا باكرا فبنى مذبحا فى حافة الجبل و نصب اثنتى عشرة نصبة لأسباط بنى إسرائيل- ثم ذكر ذبائح و قرابين و غير ذلك ثم قال : ثم أخذ سفر العهد فتلاه[8] ١٠ على الشعب ،[9] فقالوا : نحن سامعون فاعلون ما أمرنا به الرب ، فتناول موسى ذلك الدم - يعنى دم القربان - فرشه على الشعب[9] و قال : هذا دم العهد الذى عاهدكم فى جميع هذه الأقاويل ، و صعد موسى و من ذكر معه ثم تركهم فى مكان من الجبل ثم قال لهم : امكثوا ههنا ، فصعد موسى إلى الجبل و تغشاه[10] السحاب و حل مجد الله على جبل سيناء و ستره[11] ١٥ السحاب ستة أيام ، و دعا الرب موسى فى اليوم السابع من[12] جوف السحاب و نظر إلى مجد الرب مثل نار تتوقد[13] فى رأس الجبل أمام جميع

(١) فى ظ : سوفك . وزيد بعده فى الأصول : و (٢) ليس فى م و مد (٣) زيد بعده فى الأصول : و (٤) فى مد : ابيهو (٥) فى م : سبعين (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و تقرب (٧) زيد بعده فى م : احد (٨) فى ظ : ثم تلاه . (٩-٩) ليست هذه العبارة فى ظ (١٠) فى ظ : يغشاه (١١) فى ظ : سترة (١٢) فى ظ : فى (١٣) فى ظ : يتوقد .

بنى إسرائيل، فدخل موسى فى جوف السحاب و صعد إلى الجبل فمكث موسى فى الجبل [1] أربعين يوما نهارا و[2] أربعين ليلة [1]، وكلم الرب موسى و قال له: قل لبنى إسرائيل: فليخصوا لى تزكية أموالهم، و خذ ذلك من كل رجل بلغ أشده - ثم ذكر الأموال التى تزكى إلى أن قال: و يتخذون لى مظهرا حتى أحل[3] بينهم كل شيء أريكه شبه القبة و جميع ٥ متاعها كذلك فليصنعوه[4] - ثم قال: و اعمل على المثال الذى أريكه فى الجبل و ليتخذوا[5] تابوتا من خشب الشمشاد[6] طوله ذراعان و نصف و سمكه ذراع و نصف، و صفحه بصفائح الذهب الإبريز من داخله و من خارجه، و اتخذ له طوقا من ذهب يحيط به، و ضع له أربع حلقات من ذهب و سمرها فى أربع زوايا التابوت حلقتين فى شق واحد ١٠ و حلقتين فى الجانب الآخر، و اتخذ أصطارا[7] من خشب الشمشاد[6] و صفحها بالذهب، و صير الأصطار[7] فى الحلق فى جانبى التابوت ليحل بها، و ليكن الأصطار[7] فى حلق التابوت و لا ينزع منها، و تضع الشهادة التى أعطيك فى التابوت، و سمى هذا تابوت الشهادة[8]، و اتخذ كروبين أى شخصين من ذهب اتخذهما مفرعين[9] مصبوبين فيكونا على جانبى التطهير ١٥

(١-١) ليست فى م (٢) بهامش الأصل وظ « اربعين ليلة » (٣) فى الأصل: احلى (٤) فى م: فليضعوه. و فى مد: فليصفوه (٥) فى الأصول كلها: يتخذوا. (٦) فى النسخ كلها: الشمسار كذا (٧) صطره صطرا و صطرا بمعنى سطره بالسين (٨) فى م: السياذة (٩) فى وم فقط: مفرعين.

و تكون أجنحة الكروبين مبسوطة[1] تظل من فوق فتظل بأكنافها[2] على التطهير ، و ليكن وجه كل واحد منهما إزاء صاحبه و ليكن وجها الكروبين من فوق التطهير ؛ و قال : و اتخذ[3] دارا للقبة من مهب الجنوب و استمر يصف له عمل هذه القبة و أعمدتها و ستورها و آلاتها و خدمها ٥ و ما يقرّب فيها و محل ضربها من العسكر و على أيّ كيفية فى نحو خمس عشرة ورقة و سماها قبة الزمان ، ثم أمره تعالى فى آخر هذا السفر الثانى بأشياء مما يتصل بأمتعتها و سرادقاتها و غير ذلك فى أزيد من عشر ورقات كما سيأتى ؛ و قال فى تضاعيف ذلك : و تصير الشهادة التى أعطيك فى التابوت و أواعدك إلى هنالك و أكلمك فوق التطهير من بين الكروبين ١٠ الذين فوق تابوت الشهادة بجميع ما آمرك فى بنى إسرائيل و قال : و يتخذوا هذا القربان دائما فى كل حين فى أحقابكم على باب قبة الزمان قدام الرب ، و أواعدكم إلى هناك لأكلمكم و أواعد بنى إسرائيل إلى هناك فأتقدس بكرامتى و أحل بين بنى إسرائيل فيعلمون أنى أنا الرب إلههم الذى أخرجهم من أرض مصر ، ثم قال[4] : فليؤد المرء منهم الزكاة عن[5] نفسه ١٥ إذا عددتهم لكيلا ينزل بهم الوباء ، ثم ذكر له تفاصيل ما يؤدى و أن الزكاة على الغنى و المسكين ، و كلم الرب موسى و قال له : اعلم أنى قد انتخبت بَصَلْيال بن أُورِى بن حُور من سبط يهودا و أسبغت عليه روح الله و ملأته من الحكمة و العلم فى كل علم ليعلم الصناعات فى

(١) فى م : مبسوطين (٢) فى م : بأكتافها (٣) فى م : اتخذوا (٤) ليس فى ظ .
(٥) فى م : على .

عمل[1] آنية الذهب و الفضة و النحاس و فى رندجة[2] الحجارة و نظمها و كمالها و فى تجارة الخشب ليعمل كل عمل و قد ضممت إليه آليهب ابن اخسمخ[3] من سبط دان[4] و أحللت الحكمة و الفهم فى قلوب ذوى الحكمة و العقل ليعملوا جميع ما أمرتك به من عمل قبة[5] الأمد و تابوت الشهادة و التطهير الذى فوقها و جميع متاع قبة المائدة و جميع متاعها ٥ و المنارة و جميع آنيتها و مذبح البخور[6] و مذبح القرابين و جميع آنيتها[7] و السطل و أسفله و لباس النضائد و لباس القدس لهارون الكاهن يعنى الإمام و كسوة بنيه ليكهنوا و دهن المسح / و بخور الطيب ٨٥/ للقدس فليعملوا جميع ما أمرتك به - إلى أن قال: و دفع إلى موسى: لما[8] فرغ من كلامه له فى طور سيناء لوحى الشهادة لوحى حجارة مكتوب ١٠ عليهما بيد الله، فرأى الشعب أن موسى قد أبطأ عن النزول من الجبل فاجتمع الشعب يعنى و قالوا: نتخذ لنا آلهة تسير أمامنا، لأن الرجل موسى الذى أخرجنا من أرض مصر لا علم لنا ما صار من أمره - فذكر اتخاذهم العجل[9] و أنهم ذبحوا له الذبائح وجلسوا[10] يأكلون و يشربون و قاموا يلعبون و يتسافهون و أن هارون عليه السلام ذُعر من ذلك و فزع. ٥١

---

(١) فى م: علم (٢) ردج يردج ردجانا بمعنى درج درجانا - قطر المحيط. و معنى رندجة الطى و الداخل (٣) فى ظ: احسمخ (٤) فى مد: دانى (٥) فى م: فيه (٦) كتب فوقها فى الأصل و بهامش ظ: أى البكور (٧) فى مد: آنيتها (٨) زيد فى م: أن (٩) بهامش الأصل «اتخذتم العجل» (١٠) زيد فى ظ: له.

و إنما لم أسق نص التوراة عن هذا بلفظه لأن فى أول عبارته ما رأيته غضا بالنسبة إلى مقام هارون عليه السلام و حاشاه مما يوهم نقصا فجوزت أن يكون مما بدلوه ثم تأملت ما رواه النسائى و أبو يعلى و ابن أبى حاتم و ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى[1] حديث الفتون[2] فوجدته ليس بعيدا من تأويله و قد ذكرت محل الحاجة منه فى سورة طٰهٰ و الله الموفق؛ ثم قال فقال الرب لموسى: اهبط من ههنا لأن شعبك[3] الذين أخرجتهم من أرض مصر أفسدوا سيرتهم و صدوا وشيكا عن الطريق الذى أمرتهم أن يسلكوه فاتخذوا لهم عجلا مفترغا[4] و سجدوا له بين يديه و ذبحوا له الذبائح و قالوا: هذا الٰهك يا إسرائيل الذى أخرجك من أرض مصر، و قال الرب لموسى: إنى قد رأيت هذا الشعب قاسية قلوبهم فدعنى الآن فيشتد غضبي عليهم فأقتلهم و أبيدهم و أصيرك إلى شعب عظيم، فصلى موسى بين يدى الإلٰه[5] و قال: كلا يا رب! لا يشتد غضبك على شعبك الذين[6] أخرجتهم من مصر بقوتك المنيعة و بذراعك العلية الرفيعة و لا يقول أهل مصر: إنك إنما أخرجتهم لهلاكهم لتقتلهم بين الجبال و تستأصل شأفتهم[7] و تبيد خضراءهم عن جديد الأرض يا رب ليسكن غضبك و رجزك و اغفر ذنب شعبك اذكر إبراهيم و إسحاق و يعقوب عبيدك و الأيمان التى أقسمت بها لهم و قلت: إنى مكثر نسلكم

(١) فى م: من (٢) كذا، و الظاهر: الفتن (٣) فى م: قومك (٤) فى ظ و م: مفرغا، و فى مد: مفرغا (٥) فى م: الٰه (٦) فى م: الذى (٧) فى ظ و م: شاءفهم.

مثل نجوم السماء و جميع الأرض التى وعدت بها نسلهم أن تعطيهموها فيرثوها إلى الأبد ؛ فعفا[١] الرب عن شعبه و لم ينزل بهم الشر ، فنزل موسى و هبط من الجبل و لوحا الشهادة فى يده لوْحان كتب عليهما فى الوجهين[٢] جميعا و اللوحان[٣] من عمل الله جل ثناؤه و[٤]خط الله مكتوب عليهما ، فلما دنا[٥] من العسكر نظر العجل و الصنوج فاشتد غضب موسى ٥ فرمى باللوحين [٦]منْ يده[٦] فكسرهما فى سفح الجبل ، ثم أخذ العجل الذى اتخذوه فأحرقه بالنار و سحله بالمبرد حتى صيره مثل التراب و نثر سحالته على وجه الماء ، فوقف موسى على باب قبة الزمان و قال: من كان من حزب الله فليقبل إلىّ ، فانحاز إليه بنو لاوى[٧] بأجمعهم فقال لهم موسى : هكذا يقول الرب إله إسرائيل ليتقلد المرء منكم سيفه و جوزوا[٨] ١٠ من باب إلى باب و جولوا العسكر و ليقتل المرء منكم أخاه و صاحبه و قرابته ، فصنع بنو لاوى[٧] كما أمرهم موسى ، فقتل[٩] من الشعب فى ذلك اليوم نحو من ثلاثة آلاف رجل فقال لهم موسى : كفوا أيديكم يومكم هذا من الحمية للرب لتحل عليكم البركة يومنا هذا ، فلما كان الغد من ذلك اليوم قال موسى للشعب: أنتم خطئتم و ارتكبتم هذه الخطيئة العظيمة ! ١٥ فأما الآن فانى أصعد إلى الرب لعله أن يغفر لكم ذنوبكم و إثمكم ، فرجع

---

(١) بهامش الأصل و ظ : « ثم عفونا عنكم » (٢) فى مد : وجهان (٣) فى ظ : اللون (٤) زيد فى ظ : هو (٥) زيد فى م و مد : موسى (٦-٦) ليست فى م (٧) العبارة ساقطة من هنا إلى « بنو لاوى » الآتى من ظ (٨) فى الأصل : جوزا (٩) بهامش الأصل : « فاقتلوا انفسكم » .

موسى إلى الرب و قال: أطلب إليك بالتضرع[1] اللهم ربي حقا لقد أخطأ هذا الشعب و ارتكب إثما عظيما و اتخذوا آلهة من ذهب، فالآن إن أنت غفرت خطاياهم و إلا فامحني من سِفرك الذي كتبت، فقال الرب: أنا[2] أمحو من سفري من أخطأ و أذنب، فأما الآن فانطلق بهذا الشعب ٥ إلى الموضع الذي أقول لك و هذا ملأ كي ينطلق أمامك إلى الأرض التي تغل السمن و العسل، لأني لا[3] أصعد معكم، لأنهم شعب قاسية رقابهم[4] و لعل غضبي أن يشتد عليهم فأقتلهم في الطريق، فسمع الشعب هذا القول الفظيع فحزنوا، فلم يتسلح المرء منهم بسلاحه، فأخذ موسى خيمته فنصبها خارجا من العسكر و أبعدها من المحلة و سماها قبة الزمان، ١٠ وكان من سأل الرب أمرا يخرج إلى قبة الزمان، و كان إذا خرج موسى إلى قبة الزمان كان جميع الشعب يقفون و يستعد كل امرئ منهم على باب خيمته ينظرون إلى موسى من خلفه حتى يدخل إلى القبة، و إذا دخل موسى إلى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة [5]و يكلم موسى، و كان جميع الشعب ينظرون إلى عمود السحاب واقفا ١٥ على باب القبة[5] وكان يقف جميع الشعب و يصلي كل امرئ منهم على باب خيمته، وكلم الرب موسى مواجهة كما يكلم المرء أخاه و صاحبه، وكان يرجع إلى العسكر وكان خادمه يشوع بن نون الغلام لم يكن

---

(١) في ظ وم: التضرع (٢) في م: انما، وهو المناسب هنا (٣) ليس في م وظ.
(٤) كذا و لعله: قلوبهم، و قد مر قبل، و زيد بعده في م: قلوبهم، و لكن ضرب عليه (٥ - ٥) ليست في م.

يفارق القبة، و قال موسى للرب: أنت يارب أمرتنى أن أصعد بهذا الشعب و لم تطلعنى على من ترسل معى و قلت: إنى قد اطلعتك على جميع خلائقى و مجدى و ظفرت أيضا منى برحمة و رأفة، فالآن إن كنت قد ظفرت منك برحمة و رأفة فأرنى طريقك حتى أعرفك، فقال الرب لموسى: سر أمامى فأواعدك و أريحك، فقال له: إن أنت لم تصعد ٥ بيننا فلا تصعدنا من ههنا، فبما ذا يعرف أنى قد ظفرت منك برحمة و رأفة أنا و شعبك إلا إذا سرت بيننا فنكون أنا و شعبك منفصلين معروفين من جميع الشعوب الذين على / وجه الأرض، فقال الرب لموسى: إنى فاعل /٨٦ ما سألت، لأنك ظفرت منى برحمة و رأفة، و أصير اسمك معروفا شهيرا إلى الأبد، فقال له: أرنى مجدك، فقال[1]: أنا أجيز جميع مجدى وكرامتى ١٠ بين يديك و يذكر اسم الرب أمامك و أتحنن على من أردت التحنن عليه و أرحم من أردت أرحم، و قال: إنك لا تقدر على النظر إلى وجهى، لأنه لا يرانى بشرٌ فيحيي، و قال الرب لموسى: انقر لوحى حجارة مثل اللوحين الأولين اللذين[2] كسرتهما و كن مستعدا بالغداة و اصعد باكرا إلى الجبل جبل سيناء وقف هنالك على رأس الجبل، [3]و لا يصعدن ١٥ أحد معك، و لا يرى أحد فى جميع الجبل[3]، و لا ترتعى الغنم و البقر قبالة ذلك الجبل، فنقر موسى لوحين آخرين من حجارة مثل الأولين و غدا باكرا فصعد إلى طور سيناء كما أمره الرب و أخذ اللوحين فى يده فنزل

(١) زيد فى مد: له (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الذين (٣-٣) ليست فى م.

استعلان الرب أمامه ، فقال موسى : يا رب ! اللهم ربى الرؤف الرحيم الطويل الأناة[1] و المهل الكبير[2] نعمته و قسطه حافظ النعمة و العدل إلى ألف حقب و تغفر الذنوب و الإثم و الخطايا ، فاستعجل موسى فخر على وجهه على الأرض ساجدا و قال : إن ظفرت يا رب منك برحمة ٥ و رأفة فليسلك الرب الآن بيننا . لأن هذا الشعب هو شعب قاسية رقابهم ، و اغفر ذنوبنا و خطايانا و خبث نياتنا ؛ فقال له : ها أنا ذا أعهد عهدا أمام جميع الشعب و أظهر عجائب لم أظهر مثلها فى الأرض كلها و فى جميع الشعوب فيرى ذلك جميع هذا الشعب الذى أنت فيه فعل الرب الذى أمرك به أنه مخوف مرهوب ، احتفظ بما آمرك به فى ١٠ هذا اليوم ، ها أناذا أقبل و أبيد من بين يديك من الكنعانيين - و سمى من تقدم ، و كرر النهى عن السجود لغيره سبحانه ، و أوصى بأشياء منها الفطير فقال : و احتفظ بعيد الفطير سبعة أيام كما أمرتك فى أوان شهر الفقاج[3] - و فى نسخة : الفريك - لأنك إنما خرجت من مصر فى شهر الفقاج[3] ، ثم قال : فمكث هناك عند الرب أربعين[4] يوما و لياليها ١٥ لم يأكل طعاما و لم يشرب شرابا ، و كتب الله على لوحى الحجارة كلام العهد[5] و هو العشر الآيات ، فلما هبط موسى من جبل سيناء كان لوحا الشهادة فى يده و لم يعلم موسى أن بشرة وجهه قد جللت بالبهاء إذ كلمه الله فنظر هارون و جميع بنى إسرائيل إلى وجه موسى ففزعوا أن يقتربوا

(١) ليس فى مد (٢) فى ظ وم و مد : الكثير (٣) فى ظ : القفاح (٤) فى هامش الأصل و ظ : « اربعين ليلة » (٥) فى م : كلام العبد .

إليه، فدعاهم فأتاه هارون و جميع عظماء الجماعة و كلمهم موسى، فلما
فرغ من كلامه لهم[1] بسط على وجهه جلبابا و كان إذا دخل إلى
الرب ليكلمه يسفر عن وجهه حتى يخرج، وكان يخرج فيأمر بنى إسرائيل
بما يؤمر به، و قال لهم: إن الرب أمر أن تعمل عملك ستة أيام
و اليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا، السبت يوم راحة قدس ٥
الرب، و من عمل فيه عملا فليقتل، و لا تشعلوا[2] النار فى جميع مساكنكم
يوم السبت، ثم أمرهم تعالى بالزكاة من الذهب و الفضة و النحاس و القز
و الجلود و غير ذلك و بأشياء يزيدونها فى قبة الزمان فى[3] أكثر من عشر
ورقات، و قال فى آخر ذلك[3]: و قال الرب لموسى: انصب قبة الزمان
فى أول يوم من الشهر الأول؛ و صير تابوت الشهادة هنالك، و أسبل ١٠
الجلال على التابوت - إلى أن قال: و ادن بهارون و بنيه إلى باب قبة
الأمد و اغسلهم[4] بالماء، و ألبس هارون لباس القدس و امسحه فليكهن
لى، و ادن بنيه و ألبسهم السراويل و امسحهم كما مسحت هارون أخاك
فليكهنوا لى، و ليكن لهم مسحهم للكهنوت إلى الأبد لأحقابهم،
فصنع موسى كما أمره الله، فلما كان أول يوم من الشهر الأول من ١٥
السنة الثانية نصب القبة يوم الأحد وضرب أوتادها و ركب ألواحها

---

(١) ليس فى ظ (٢) فى ظ: و لا تشغلوا (٣) ليس فى م (٤) من ظ و مد،
و فى الأصل: اغاسهم.

و زرفن[1] عوابرها و ركز أعمدتها و ستر الستر[2] على القبة و جللها من
فوقها كما أمر[3] الرب ، و تناول الشهادة فوضعها فى التابوت ، و صير
الدهوق[4] فى التابوت ، و وضع التطهير على التابوت من فوق ، و أدخل
التابوت إلى[5] القبة ، و أخذ حجاب وجه الباب لجلل تابوت الشهادة
٥ كما أمر الرب ، و نصب المنارة عند حافات القبة مما يلى مهب الشمال
خارجا من الحجاب ، و نضّد عليها صفوف الخبز بين يدى الرب كما
أمر الرب موسى ، و نصب المنارة إزاء المائدة فى حافات القبة مما يلى مهب
الجنوب ، و دلوا مصابيحها قدام الرب كما أمر الرب موسى ، و نصب
مذبح الذهب فى قبة الزمان خارجا من الحجاب ، و بخر عليه بخور
١٠ الطيب كما أمر الرب ، و أسبل الستر على باب القبة ، و نصب مذبح
القرابين على الباب ، و قرب عليه القرابين[6] كما أمر الرب ، و وضع السطل
بين قبة الزمان و المذبح و سكب عليه ماء الغسل ، و كان هارون و بنوه[7]
يغسلون أيديهم و أقدامهم إذا أرادوا الدخول إلى قبة الزمان ، و كانوا
إذا دنوا من المذبح يغسلون أيضا كما أمر الرب موسى ، و نصب دارا
١٥ تحيط بالقبة و المذبح ، و أسبل الستر على باب الدار ، و كمل موسى عملها ؛
و تغشت السحابة قبة الزمان و امتلأت القبة مجد الرب و كرامته ،
و لم يقدر موسى على الدخول إلى قبة الزمان ، لأن السحاب حلت عليها ،

---

(١) فى ظ : زرقن - بالقاف ، وهو خطأ (٢) فى ظ : الستور (٣) فى م : امره.
(٤) فى مد : الدهون (٥) فى ظ : على (٦) زيد فى ظ : على الباب (٧) فى مد : بنيه.

[١] و امتلأت القبة مجد الرب و كرامته[١] . فكان إذا ارتفع السحاب عن القبة كان بنو إسرائيل يظعنون فى جميع مظاعنهم ، و إن لم ترتفع الغمامة لم يظعنوا إلى اليوم الذى ترتفع[٢] فيه ، لأن سحاب الرب كان يغشى القبة بالنهار و كانت النار تضيء عليها بالليل و تزهر و تنير / أمام جميع بنى إسرائيل فى جميع مظاعنهم[٣] . و قال فى أول السفر الرابع : أمر الله باحصاء بنى إسرائيل ٥ فكانوا من أبناء عشرين سنة إلى ما فوقها ، من خرج منهم للحرب فى الأجناد ستمائة ألف و ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين دون سبط لاوِى ، فانهم لحفظ قبة الزمان و خدمتها ، و تكون منازلهم حولها محدقة بها ، و هم من ابن شهر إلى ما فوقه اثنان و عشرون ألفا ؛ ثم قال : وكلم الرب موسى و قال له : إذا أتى على الرجل من اللاويين خمسة و عشرون[٤] سنة يتقوى على أن يعمل ١٠ العمل فى قبة الزمان ، فاذا أتت عليه خمسون سنة يخرج من العمل و لا يعمل عملا فى قبة الآمد ، وكان ينزل بنو إسرائيل حول بنى لاوِى بانزال الله تعالى لهم ، كلّ له محل من القبة على الاستدارة ، و كان ينزل من مشارقها موسى و هارون و بنوه ليحفظوا حفاظ القدس و القرابين على بنى إسرائيل و من دنا من قبة الزمان و أعمالها من الغرباء يؤمر بقتله ، فقد علم من ١٥ هذا و مما قبله من أن كلا يصلى على باب خيمته أن قبلتهم[٥] و هم فى التيه قبة الزمان ، و فى اليوم الذى نصب فيه الخباء أى فى قبة الزمان تغشت سحابة من عند الرب قبة الزمان و حجاب باب الشهادة و كانوا يرون

(١-١) كذا فى الأصول كلها ، و لعلها مكررة و زيد بعدها فى ظ : و لم يقدر موسى (٢) فى ظ : يرتفع (٣) فى م : مظاينهم -كذا (٤) من م و مد وظ ، و فى الأصل : عشرين (٥) فى م : قبلهم .

[1] في الخباء عند المساء نارا تتوقد إلى الصباح ، كذلك كان يكون[1] في الخباء[2]
دائما و كانت تغشاه سحابة بالنهار و تُرى فيه نار بالليل ، فاذا ارتفعت
السحابة [3]عن القبة ارتحل بنو إسرائيل من مواضعهم و حيث ما نزلت
السحابة[3] هناك كان ينزل بنو إسرائيل ، و إنما كان ارتحال بنى إسرائيل
٥ عن قول الرب و بأمره ، فربما مكثت السحابة على القبة من المساء[4] حتى
الصباح و ترتفع[5] بعد الصبح فيرتحلون ، [6]و ربما مكثت الليل و النهار و ربما
مكثت أياما و أشهرا و ربما مكثت سنة[6] ، و كلم الرب موسى و قال له :
اتخذ قرنين من فضة يكونان عند حضور الجماعة و ارتحال العسكر يهتف بهما
الكهنة ، فتحشد إليك جماعة بنى إسرائيل أجمعون إلى باب قبة الزمان ،
١٠ و إن نفخ فى واحد اجتمع إليك القواد و[7] رؤساء الألوف ؛ و لما كان
فى السنة الثانية فى عشر خلون من الشهر الثانى ارتفعت السحابة عن قبة
الشهادة ، و ارتحل بنو إسرائيل من برية سيناء . و نزلت السحابة فى قفر
فاران ؛ ثم قال : و ارتحلوا من عند جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام ، فأما
تابوت عهد الرب فظعن قبلهم مسيرة يوم ليهيء منزلا ، و كانت تظلهم
١٥ سحابة من قبل الرب إذا ارتحلوا لئلا تؤذيهم حرارة الشمس[8] ، فلما ارتحل

(١ ـ ١) ليست فى ظ ، و فى م : المساء ـ مكان : المساء (٢) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : الخباء ـ كذا (٣ـ٣) ليست فى ظ (٤) فى م : المساء (٥) فى ظ : يرتفع . (٦ـ٦) موضعها فى ظ : و ربما مكثت السحابة على القبة من المساء حتى الصباح وترتفع بعد الصبح فيرتحلون ـ مكررة (٧) ليس فى م (٨) بهامش الأصل و ظ : « وظللنا عليهم الغمام » .

حاملو التابوت قال موسى: انهض إلينا يا رب لينكسر شانئك[1] و يبيد أعداؤك من بين يديك، و إذا نزل حملة التابوت قال: أقبل يا رب إلى ألوف بنى إسرائيل، فتذمر[2] الشعب و ساء الرب ذلك و غضب و سمع توشوشهم[3] فاشتد غضبه عليهم و اشتعلت[4] فيهم نار من قبل الرب، فأحرقت الذى فى أطراف العسكر و حوله، و ضج الشعب على موسى ٥ [5]فصلى موسى[5] أمام الرب و خمدت النار، و دعا اسم ذلك الموضع الاحتراق، لأن نار الرب اشتعلت فيهم و أحرقتهم هناك، و اشتهى الخلط الذين كانوا فيهم من الشعوب شهوة و أقبلوا على بنى إسرائيل و قالوا: ليت انا وجدنا من يطعمنا لحما! ذكرنا السمك الذى كنا نأكله بمصر و أكلنا القثاء و البطيخ و الكراث و البصل و الثوم و الآن أنفسنا قرمة[6] - أى ١٠ يابسة - لا تقدر على شىء نأكله[7] ما[8] خلا هذا المن الذى قدام أعيننا، و سمع موسى الشعب يبكون فى قبائلهم، كل إنسان على باب خيمته، و اشتد غضب الرب، و شق ذلك على موسى أيضا؛ ثم قال من أين أقدر أعطى هـــذه الأمة كلها لحما؟ إنها تبكى على و تقول: أعطنا

---

(١) فى ظ: شانئيك (٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: فتدمر - بالدال المهملة.
(٣) فى ظ: توشوسهم (٤) فى ظ: اشتعل (٥ - ٥) ليست فى م (٦) كذا فى الأصول كلها، وفى قطر المحيط ١٦٩٩/٢: قرم الرجل الى اللحم يقرم قرما اشتدت شهوته له، وكثر حتى قيل قرمت إلى لقائك إذا اشتقت إليه، فتفسير المصنف: يابسة، محل تأمل، لعلها: شائقة، أو: يائسة، كما تدل عليه العبارة التالية.
(٧) فى م وظ: تأكله (٨) ليست فى ظ.

لحما[1] ، لست أقدر أحتمل[2] هذه الأمة كلها وحدى ، لأنها أقوى منى ، إن كان فعلك هذا بى فاقتلنى قتلا إن[3] وافيت منك رحمة و لا أعاين شرا و لا أرى سوء ، فقال الرب لموسى : اجمع سبعين شيخا من أشياخ بنى إسرائيل الذين[4] تعلم أنهم رؤساء الشعب وكتّابه و انطلق بهم إلى قبة

٥ الزمان فانى أنزل إليك و أكلمك هناك و أنقص من عطية الروح التى عليك و أصيره عليهم ليحملوا أثقل هذا الشعب و لا يتركوك وحدك ، ثم قال موسى[5] للشعب : تهيئوا غدا لتأكلوا لحما ، لأنكم بكيتم أمام[6] الرب [7]و قلتم[7] : ليت من يطعمنا لحما ! و إن الموت بأرض مصر خير لنا ، فسيعطيكم الرب لحما و ليس إنما تأكلون منه يوما أو يومين بل تأكلون

١٠ منه شهرا حتى يخرج من أنوفكم و تصيبكم منه تخمة ، و جمع سبعين شيخا[8] من مشايخ الشعب و أقامهم حول الخباء ، و نزل الرب سبحانه و كلمه و أخذ من الروح الذى عليه و صيره على السبعين ، و دخل موسى العسكر هو و أشياخ بنى إسرائيل ، و هبت ريح من قبل الرب و أصعدت السلوى من البحور و ألقته على العسكر و[9] مسيرة يوم يمنة و يسرة حول

(١) بهامش الأصل و ظ : « لن نصبر على طعام واحد » (٢) فى م : احمل .
(٣) ليس فى ظ (٤) فى ظ : الذى (٥) من م ومد وظ ، وفى الأصل : لموسى .
(٦) فى ظ : اماف ـ كذا (٧ - ٧) ليست فى ظ (٨) بهامش الأصل و ظ « سبعين رجلا » وزيد بعده فى ظ « لميقاتنا » (٩) كذا فى الأصول كلها ، و لعلها مقحمة .

العسكر و كان مرتفعا من الأرض نحو ذراعين، و جمعوا و نشروا حول العسكر ليكون لهم قديدا ، فبينا اللحم بين أسنانهم قبل أن ينقلع اشتد غضب الرب عليهم و ضرب الشعب ضربة عظيمة جدا و دعا اسم ذلك الموضع قبور الشهوة ، و ارتحل الشعب من قبور الشهوة فأتوا حصروث[1] و نزلوها ؛ و ذكر أنهم مكثوا هنالك سبعة أيام ثم قال: ثم ارتحل الشعب ٥ من حصروث[1] و نزلوا مفازة فاران وكلم الرب موسى و قال له : أرسل قوما يُحسبون[2] الأرض التى أعطى بنى إسرائيل - فذكر إرسال النقباء الاثنى[3] عشر كما سيأتى / إن شاء الله تعالى فى سورة المائدة ثم قال : / ٨٨ و رجعوا إلى موسى بعد أربعين يوما ، فأتوا موسى و هارون و جماعة بنى إسرائيل إلى برية فاران إلى رقيم - انتهى شرح ما أشير إليه فى هذه ١٠ السورة من قصص بنى إسرائيل من التوراة .

و لما بين سبحانه أنهم لما تعنتوا على موسى عليه السلام كما مر و يأتى عن نصوص التوراة مرة بعد مرة أورثهم كفرا فى قلوبهم فردوا على العصيان و التجرّؤ[4] على مجاوزة الحدود فضرب عليهم الذلة و المسكنة

(١) فى ظ فقط حصروت- كذا بالتاء المثناة (٢) و فى م : محُسبون، وأحسبه أرضاه أو أعطاه ما يرضيه و كفاه حتى قال حسبى و تقول أعطى فأحسب أى أكثر - حَسَبه يحسبه حسْبا و حُسبانا و حِسبانا و حِسبة و حِسابة عدّه - قطر المحيط . (٣) من م و مد ، و فى الأصل: لاثنى ، و فى ظ : الاثنا (٤) كذا فى الأصول كلها، و الظاهر: الاجتراء ، أى التشجع ، و فى قطر المحيط : جرؤ الرجل يجرء جراة و جرة بحذف الهمزة و جَراءة شجع جرّأه تجريئا شجّعه ، و اجترأ اجتراء تشجع ، و استجرأ تكلف الشجاعة و الإقدام ؛ و لم يذكر من باب التفعل .

و أحلهم الغضب ، و كان فى ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك الصراط المستقيم من حالهم ، و إعلام بأن المتقين المستجاب لهم فى الدعاء بالهداية ليسوا فى شيء من ذلك بل قالوا : اهدنا ، عن يقين و إخلاص متبرئين من الدعاوى و الاعتراض على الرسل نبه على أن من عمل ضد عملهم
٥ فآمن منهم أو من غيرهم من جميع الملل كان على ضد حالهم عند ربهم فلا يغضب عليهم بل يوفيهم أجورهم و يورثهم الأمن و السرور المتضمنين لضد الذلة و المسكنة فقال تعالى « ان الذين اٰمنوا » أو[1] يقال إنه سبحانه لما علل إهانة بنى إسرائيل بعصيانهم و اعتدائهم كان كأنه قيل : فما لمن أطاع؟ فأجيب بجواب عام لهم و لغيرهم ، أو يقال إنه لما أخبر تعالى
١٠ بأنهم ألزموا الخزى طوق[2] الحمامة و كان ذلك[3] ربما أوهم أنه لا خلاص لهم منه و إن تابوا[4] و كانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعدا أو وعيدا عقبه حكم ضده ليكون الكلام تاما ، اعلموا أن باب التوبة مفتوح و الرب كريم على وجه عام . و قال[5] الحرالى : لما أنهى الحق

---

(١) فى م و مد : و (٢) فى م : طرق (٣) ليس فى م (٤) العبارة من هنا الى « تاما » ليست فى م و ظ (٥) قال المهائمى : ثم أشار إلى أن الإصرار على الكبائر و إن كان يجر إلى الكفر فالإيمان بالله و اليوم الآخر يمحو كل ما مضى من ذلك و العمل الصالح يزيل الخوف و الحزن فقال « ان الذين اٰمنوا » باللسان دون القلب و إن خادعوا الله و المؤمنين « و الذين هادوا » و إن كثرت قبائحهم « و النصٰرى » و إن قالوا بالٰهية المسيح « و الصٰبئين » و إن عبدوا الكواكب و « من اٰمن » منهم مخلصا ١/٤٧ . وذكر أبو حيان : و مناسبة هذه الآية لما قبلها =

تعالى

تعالى نبأ أحوال بنى إسرائيل نهايته مما بين أعلى تكرمتهم بالخطاب الأول إلى أدنى الغضب عليهم بهذا النبأ الآخر عنهم إعراضا فى مقابلة ذلك الإقبال الأول وكانوا هم أول أهل[1] كتاب أشعر تعالى بهذا الختم أن جميع من بعدهم يكون لهم تبعا لنحو مما[2] أصابهم من جميع أهل الملل الأربعة - انتهى. فقيل «ان الذين امنوا» أى[3] ادعوا[4] الإيمان[1] بما دعا ٥ إليه محمد صلى الله عليه وسلم «والذين هادوا» أى ادعوا أنهم على دين موسى عليه السلام[5]. قال الحرالى: وهو من الهود وهو رجوع بالباطن[6]

= أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم دالا على أنه يجزى كلا بفعله.

(١) ليس فى ظ (٢) فى ظ: ما (٣) والذين امنوا منافقو هذه الأمة أى امنوا ظاهرا ولهذا قرنهم بمن ذكر بعدهم ثم بين حكم من آمن ظاهرا وباطنا - قاله سفيان الثورى. ثم ذكر أبو حيان الأندلسى فى تفسيره المسمى بالبحر المحيط ١/ ٢٤١ سبعة أقوال فى المعنى بالذين امنوا (٤) زيد فى م: الى (٥) قال أبو حيان ١/ ٢٤١: هاد ألفه منقلبة عن واو والمضارع يهود ومعناه تاب، أو عن ياء والمضارع يهيد إذا تحرك، والأولى الأول لقوله تعالى «انا هدنا اليك»؛ وقرأ الجمهور هادوا بضم الدال، وقرأ أبو السمال العدوى بفتحها من المهاداة، قيل أى مال بعضهم الى بعض. وقال القاضى ثناء الله فى التفسير المظهرى ١/ ٧٧: هادوا أى تهوّدوا، يقال هاد إذا دخل فى اليهودية، ويهود إما عربى من هاد بمعنى تاب، سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل، أو لقولهم «انا هدنا اليك» وإما معرّب يهودا، سموا بذلك اسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام (٦) فى ظ: الباطن.

و ثبات فيه - انتهى . و قال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يتهودون أى يتحركون عند [١] قراءة التوراة و يقولون: إن السماوات و الأرض تحركتا حين آتى الله عزوجل التوراة لموسى عليه السلام [١] «و النصرى» المدعين أنهم تبعوا [٢] المسيح عليه السلام [٣] . قال الحرالى : جمع نصران فان كان
٥ من النصرة [٤] فهو فعلان .

و لما كانت هذه السورة فى استعطاف بنى إسرائيل ترغيبا و ترهيبا قرن هنا بين فريقيهم ، و لما كانت ملة الصابئة [٥] جامعة لما تفرق من أصول أديان أهل الشرك تلاهم بهم [٦] مريدا كل مشرك فقال «و الصبئين» [٧] المنكرين للرسالة فى الصورة البشرية القائلين بالأوثان السماوية و الأصنام

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى ظ: يتبعوا (٣) قال أبو حيان (١/٢٣٩): والنصارى جمع نصران و نصرانة مثل ندمان وندمانة . قال سيبويه وأنشد :

وكلتاهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

و قال الخليل: واحد النصارى نصرى كمهرى ومهارى ، قيل وهو منسوب إلى نصرة قرية نزل بها عيسى، و قال قتادة : نسبوا إلى ناصرة وهى قرية نزلوها ، فعلى هذا يكون من تغيرات النسب (٤) فى ظ : النصر (٥) فى م : الصابئين (٦) فى م : به (٧) الصابئون قيل الخارجون من دين مشهور إلى غيره من صبوء السن و النجم، يقال صبأت النجم طلعت وصبأ ثنية الغلام خرجت وصبأت على القوم بمعنى طرأت . قال الحسن و السدى : هم بين اليهود و المجوس ، و قال قتادة و الكلبى : هم بين اليهود و النصارى يحلقون أوساط رؤسهم و يجبون مذاكيرهم - البحر المحيط ١/٢٣٩ ، و فيه أقوال العلماء، من أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه .

الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب ، قال الحرالى : بالهمز من صبأ يصبأ صبأ و بغير همز من صبا يصبو صبوا ، تعاقبت الهمزة و الياء[1] مع الصاد و الباء لعام معنى هو عود إلى حال صغر بعد كبر - انتهى . « من آمن » أى منهم [2]بدوامه على الإيمان[3] إن كان آمن قبل ذلك ، و دخوله فى الإيمان إن كان كافرا فيكون من الاستعمال فى الحقيقة و المجاز[4] « بالله » ٥ أى لذاته « و اليوم الأخر »[5] الذى الإيمان[6] به متضمن للايمان بجميع الصفات من العلم و القدرة و غيرهما و حاثّ على كل خير و صادّ عن كل ضير « و عمل صالحا » أى[7] و صدق ما ادعاه من الإيمان باتباع شرع الرسول الذى فى زمانه فى الأعمال الظاهرة و لم يفرق بين أحد من الرسل و لا أخل بشيء من اعتقاد ما جاءت به الكتب من الصلاح . ١٠ قال الحرالى : و هو العمل المراعى من الخلل ، و أصله الإخلاص فى النية و بلوغ الوسع فى المحاولة بحسب علم العامل و إحكامه ، و قال : و العمل ما دبر بالعلم - انتهى .

---

(١) فى م و مد: الواو (٢) العبارة من هنا إلى «و المجاز» ليست فى م و ظ (٣) زيد فى مد: و (٤) قال البيضاوى (٥٨/١) : من كان منهم فى دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدإ و المعاد عاملا بمقتضى شرعه ، و قيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا و دخل الإسلام دخولا صادقا (٥) زيد فى م: اى (٦) زيد فى ظ : منه.
(٧) هو عام فى جميع أفعال الصلاح و أقوالها و أداء الفرائض أو التصديق بمحمد صلى الله عليه و سلم - أقوال ، الثانى يروى عن ابن عباس - البحر المحيط ٢٤٢/١ .

[١] و لما كان الإفراد أدل على تخصيص كل واحد بما له و الجمع أدل على إرادة العموم و أقطع للتعنت أفرد[٢] أولا و جمع هنا فقال «فلهم اجرهم» الذى وعدوه على تلك الأعمال المشروطة بالإيمان، و هو فى الأصل جعل العامل على عمله، كائنا «عند ربهم» فهو محفوظ
٥ لا يخشى عليه نسيان و لا يتوجه إليه تلف «و لا خوف عليهم» من آت يستعلى عليهم من جميع الجهات «و لا هم يحزنون ه» على شيء فات بل هم فى أعظم السرور بما[٣] لهم من العز و الجدة[٤] ضد ما للمعتدين من الذل و المسكنة، و حسن وضع هذه الآية فى أثناء قصصهم[٥] أنهم كانوا مأمورين بقتل كل ذكر ممن[٦] عداهم، و ربما أمروا بقتل النساء أيضا، فربما ظن
١٠ من ذلك أن من آمن من غيرهم لا يقبل[٧]. قال فى التوراة فى قصة

---

(١) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى م و ظ (٢) فأفرد الضمير فى «آمن» و «عمل» ثم قال «فلهم اجرهم» بجمع حملا على المعنى، وهذان الحملان لا يتمان إلا باعراب من مبتدا و أما على إعراب من بدلا فليس فيه إلا حمل على اللفظ فقط ـ البحر المحيط ١ / ٢٤٢ (٣) فى م: و ربما (٤) فى م: المجد.
(٥) قال أبو حيان: (و مناسبة ختم هذه الآية بها ظاهرة) لأن من استقر أجره عند ربه لا يلحقه حزن على ما مضى ولا خوف على ما يستقبل. قال القشيرى: اختلاف الطرق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول، فمن صدق الله فى إيمانه وآمن بما أخبر به من حقه و صفاته فاختلاف و قوع الاسم غير قادح فى استحقاق الرضوان (٦) فى ظ: مما (٧) فى مد: لا يقتل.

مدين: و قتلوا كل ذكر فيها، ثم قال: و غضب موسى فقال لهم: لما ذا أبقيتم على الإناث؟ و هن كن عشرة لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته - يعنى بما أفضى إلى الزنا - ثم قال: و قال الرب لموسى: كلم بنى إسرائيل و قل لهم: أنتم جائزون الأردن لتهلكوا جميع سكان الأرض و نحو هذا مما[1] لعل بعضه أصرح منه و قد ذكر منه فى سورة المائدة. و فى ٥ وضعها أيضا فى أثناء قصصهم إشارة إلى/ تكذيبهم فى قولهم: «ليس /٨٩ علينا فى الامين سبيل[2]»، و ان المدار فى عصمة الدم و المال إنما هو الإيمان و الاستقامة و ذلك موجود فى نص[3] التوراة فى غير موضع، و فيها تهديدهم على المخالفة فى ذلك بالذلة و المسكنة، و سيأتى بعض ذلك عند قوله «لا تعبدون الا الله» الآية[4]، بل و فيها ما يقتضى المنع[5] من مال المخالف ١٠ فى الدين فانه قال فى وسط السفر الثانى: و إذا لقيت ثور عدوك[6] أو حماره و عليه حمولة فارددها إليه، و إذا رأيت حمار عدوك جاثما تحت حمله فهممت أن لا توازره فوازره و ساعده، ثم رجع إلى قصصهم على أحسن وجه فانه لما ذكر تعالى للمؤمنين هذا الجزاء الذى فخم[7] أمره ترغيبا بابهامه و نسبته إلى حضرة الرب المحسن بأنواع التربية و أنه لا خوف معه و لا حزن ١٥ تلاه بأنهم لم يؤمنوا بعد رؤية ما رأوا من باهر الآيات حتى رفع فوقهم الطور و علموا[8] أنه دافنهم إن عصوا، فكان قبوله من أعظم النعم عليهم، لأن حقه الرد، لأنه كالإيمان عند رؤية البأس لا إيمان بالغيب،

---

(١) فى ظ: ما (٢) سورة ٣ آية ٧٥ (٣) ليس فى م (٤) سورة ٢ آية ٨٣.
(٥) فى ظ: التمتع (٦) فى ظ: ابيك (٧) فى ظ: فخمّ (٨) فى م: عملوا.

ثم ذكر أنه لما أقلع عنهم تولوا عن الحضرة الشريفة إلى حضرات الشيطان فأكرموا[1] المعاصى إشارة إلى أنهم أغلظ الناس أكبادا و أكثرهم جرأة و عنادا لا يرعوون[2] لرهبة و لا يثبتون لرغبة فقال تعالى «و اذ» و أخصر[3] من هذا أن يقال إنه لما قرر سبحانه قوله[4] للعالم العامل المذعن كائنا من كان تلاه بما لليهود من الجلافة الداعية إلى النفور عن خلال السعادة التى هى ثمرة[5] للعلم و ما[6] له سبحانه من التطول عليهم باكراههم على ردهم إليه فقال و اذ أى اذكروا يا بنى إسرائيل اذ «اخذنا» بما لنا من العظمة «ميثاقكم» بالسمع و الطاعة من الوثيقة وهى تثنية العهد تأكيدا كاثباته بالكتاب - قاله الحرالى .

«و رفعنا» و[7] لما كان الجبل قد صار فوقهم كالظلة عاما لهم بحيث أنه إذا وقع عليهم لم يفلت منهم إنسان[8] نزع الجار فقال[9] «فوقكم الطور»

(١) فى ظ و م ومد: فاكثروا (٢) فى م: لا يرعون (٣) العبارة من هنا إلى «فقال واذ» ليست فى ظ (٤) فى م و مد: قبوله (٥) ليس فى م (٦) فى م: مما. وقال المهائمى: ثم أشار إلى أنهم لا يعملون ذلك العمل ما لم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال «و اذ اخذنا ميثاقكم» أى عهدكم الوثيق بتحمل الأحكام الشاقة من التوراة فأبيتم فشددنا عليكم ١/ ٤٧ . و قال أبوحيان: هذا هو الإنعام العاشر لأنه إنما أخذ ميثاقهم لمصلحتهم، و الميثاق ما أودعه الله تعالى العقول من الدلائل على وجوده و قدرته و حكمته و صدق أنبيائه و رسله ، أو قوله «لا تعبدون الا الله» ذكر ما بينهما أقوالا أربعة أخر ١/ ٢٤٣ (٧) العبارة من هنا إلى «نزع الجار فقال» ليست فى ظ (٨) من م ومد، وفى الأصل: انسانا (٩) سبب رفعه امتناعهم من دخول=

ترهيبا لكم لتقبلوا الميثاق الذى هو سبب سعادتكم، و(١عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت فليس بطور١)، (٢و قلنا(٣ لكم و هو مظل فوقكم « خذوا ما آتينكم » من الكتاب للسعادة بطاعتى والتزام أحكامى الموجبة للكون فى حضرتى «بقوة» (١أى بجد و اجتهاد١)، و القوة(٤ باطن القدرة، من القوى و هى طاقات الحبل التى يمتن بها و يؤمن انقطاعه - ٥ قاله الحرالى . . « و اذكروا ما فيه » (١من التمسك به و الانتقال عنه عند مجىء الناسخ المنعوت فيه ذكرا يكون١) بالقلب فكرا و باللسان ذكرا « لعلكم

= الأرض المقدسة أو من السجود أو من أخذ التوراة و التزامها - أقوال ثلاثة، روى أن موسى لما جاء إلى بنى إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوراة قال لهم: خذوا و التزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك، فصعقوا ثم أحيوا فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ فى مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة، و أخرج الله تعالى البحر من ورائهم، و أضرم نارا بين أيديهم فاحتاط بهم غضبه فقيل لهم: خذوها و عليكم الميثاق أن لا تضيعوها و إلا سقط عليكم الجبل و غرقكم البحر و أحرقتكم النار، فسجدوا توبة لله و أخذوا التوراة بالميثاق و سجدوا على شق، لأنهم كانوا يرقبون الجبل خوفا، فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله و رحم بها، فأمروا سجودهم على شق واحد - البحر المحيط ١/٢٤٣ (١ - ١) ليست فى ظ (٢) الطور أصله الناحية و منه طوار الدار، وقال مجاهد: هو جنس الجبل بالسريانية (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: قلت (٤) فى ظ: فالقوة، و القوة الشدة، و هذه المادة قليلة وهى أن تكون العين واللام واوين - قاله أبو حيان .

تقون ﴿﴾ [1] أى لتكونوا على رجاء من أن تتقوا موجبات السخط .
[2] و لما كان التقدير [1] : فأخذتم ذلك و أوثقتم العهد به [3] خوفا من أن يدفنكم [4] بالجبل عطف عليه و أشار إلى أنه كان من حقه البعد عن تركه بأداة البعد [5] قوله ﴿ثم توليتم﴾ [6] و التولى [6] قال الأصفهانى : أصله الإعراض عن الشىء بالجسم ، ثم استعمل فى الإعراض عن الأمر و الدين - انتهى .
و هو هنا الإعراض المتكلف بما يفهمه التفعل - قاله الحرالى . [2] و ذلك لأن النفوس إذا توطنت على أمر الله فرأت محاسنه فرجعت بذلك إلى نحو من الفطر الأولى لم ترجع عنه إلا بمنازعة من الهوى شديدة [2] .

---

(١) أى رجاء أن يحصل لكم التقوى بذكر ما فيه ، وقيل معناه لعلكم تنزعون عما أنتم فيه ، و الذى يفهم من سياق الكلام أنهم امتثلوا الأمر و فعلوا مقتضاه ، يدل على ذلك «ثم توليتم من بعد ذلك» فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمروا به ، و ظاهر هذا الإلجاء ، و المختار عند أهل العلم أن الله تعالى خلق لهم الإيمان والطاعة فى قلوبهم وقت السجود حتى كان إيمانهم طوعا لا كرها - البحر المحيط ١/٢٤٤ .
(٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) العبارة من هنا إلى «عطف عليه» ليست فى ظ .
(٤) فى م : ندفنكم (٥) زيد فى ظ : فى (٦-٦) ليس فى ظ ، وفى م : اى التوق . قال أبو حيان : التولى الإعراض بعد الإقبال ، وهذا أوضح ويدل عليه «ثم» والذى يفهم من السياق أنهم امتثلوا الأمر و فعلوا مقتضاه ، يدل على ذلك « ثم توليتم من بعد ذلك » فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمروا به ، وفى بعض القصص أنهم قالوا لما زال الجبل : يا موسى ! سمعنا و أطعنا ، ولولا الجبل ما أطعناك ، و قد علم أنهم بعد ما قبلوا التوراة تولوا عنها بأمور حرفوها و تركوا العمل بها وقتلوا الأنبياء وكفروا بالله وعصوا أمره .

[١]و لما كان توليهم لم يستغرق زمن البعد أدخل الجار فقال[١] «من بعد ذلك» [١]أى التأكيد العظيم[١] عن [٢]الوفاء به[٢] «فلو لا» أى فتسبب عن[٣] توليكم أنه لو لا «فضل الله» [١]أى الذى له الجلال و الإكرام مستعل[١] «عليكم و رحمته»[٤] بالعفو و التوبة [١]و الإكرام بالهداية و النصر على الأعداء[١] «لكنتم من الخسرين ﴿﴾» [٥]بالعقوبة و تأبد الغضب، و أيضا فلما ٥

(١ - ١) ليست فى ظ (٢ - ٢) فى مد: الوقاية (٣) زيد فى ظ: ذلك.
(٤) الفضل الإسلام، و الرحمة القرآن - قاله أبو العالية، أو الفضل قبول التوبة و الرحمة العفو عن الزلة - من البحر المحيط ١/ ٢٤٤ (٥) الخسران هو النقصان، و معناه من الهالكين فى الدنيا و الآخرة، و يحتمل أن يكون كان هنا بمعنى صار. قال القشيرى: أخذ سبحانه ميثاق المكلفين و لكن قوما أجابوه طوعا لأنه تعرف إليهم فوحدوه، و قوما أجابوه كرها لأنه ستر عليهم فجحدوه، و لا حجة أقوى من عيان ما رفع فوقهم من الطور و لكن عدموا نور البصيرة فلم ينفعهم عيان البصر، قال تعالى «ثم توليتم» أى رجعتم إلى العصيان بعد مشاهدتكم الإيمان بالعيان، و لو لا حكمه بامهاله و حكمه بافضاله لعاجلكم بالعقوبة و لحل بكم عظيم المصيبة. و قال بعض أهل اللطائف: كانت نفوس بنى إسرائيل من ظلمات عصيانهم تخبط فى عشواء حالكة الجلباب و تخطر من غلوائها و علوها فى حلتى كبر و إعجاب، فلما أمروا بأخذ التوراة و رأوا ما فيها من أثقال التكاليف ثارت نفوسهم الآبية، فرفع الله عليهم الجبل فوجدوه أثقل مما كلفوه، فهان عليهم حمل التوراة مع ما فيها من التكاليف و النصب إذ ذاك أهون من الهلاك قال الشاعر:

إلى الله يدعى بالبراهين من أبى ... فان لم يجب نادته بيض الصوارم

من بحر المحيط ١/ ٢٤٠.

كان يمكنهم أن يدعوا الإيمان و العمل الصالح عقبت[1] تلك بآية الميثاق إشارة إلى أنه ليس المنجي الإيمان في الجملة بل الإيمان بجميع ما أخذ عليهم به الميثاق ، و هو جميع ما آتاهم في التوراة إيمانا مصحوبا بالقوة ، و مما آتاهم صفة عيسى و محمد عليهما السلام و الأمر باتباعهما ، فهو مما أخذ عليهم ٥ به العهد و قد كفروا به فلم يصح[2] لهم إيمان و لا عمل ، لأن التفرقة بين ما أتى منه سبحانه زندقة .

ثم جاءت قصة المعتدين في السبت مؤكدة لذلك ، إذ كان حاصلها أنهم لما ضيعوا أمرا واحدا من أوامره و استخفوا به و هو تحريم السبت عذبهم بعذاب لم يعذب به أحدا من العالمين فقال: و لقد ، و أقرب من ١٠ ذلك أن يقال إنه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو الحافظ لهم من الخسران قرعهم بخلافة أخرى لهم خذل بها فريقا منهم حتى غلبهم الخسران فما ضروا[3] إلا أنفسهم مقسما على أنهم بها عالمون و لها مستحضرون فقال تعالى[4] عاطفا على ما تقديره: لقد علمتم جميع ذلك من عهودنا و ما ذكرنا من الإيقاع بمن نقض[5] من شديد وعيدنا و من التهديد على ذلك بضرب الذلة ١٥ و ما تبعها من أنواع النكال و « لقد » أي و عزتي لقد « علمتم الذين اعتدوا » أي تعمدوا العدوان « منكم في السبت » بأن[6] استحلوه ، و أصل السبت القطع للعمل و نحوه « فقلنا »[7] أي فتسبب عن اعتدائهم أن قلنا [8] بما لنا من العظمة[8]

(١) في ظ : عقيب (٢) في م : لم يصلح (٣ - ٣) في م : فاضروا ، و في مد : فما ضرا - كذا (٤) العبارة من هنا إلى «النكال» ليست في ظ (٥) في م : نقص .
(٦) في م : اى (٧) زيد في م : لهم (٨ - ٨) ليست في ظ .

«لهم[١] كونوا» بإرادتنا[٢] «قردة خٰسئين ه» أى صاغرين مطرودين جمع خاسئ من الخسئ و هو طرد بكره و استخباث، [٣]و سبب ذلك[٤] أن الله تعالى أمرهم بيوم الجمعة فأبوا[١] إلا السبت، فألزمهم الله إياه و جعله لهم محنة و حرم عليهم فيه العمل، فاصطادوا على تهيب و خوف من العقوبة، فلما طال زمن[١] عفوه عنهم و حلمه سبحانه فتجاهروا بالمعصية مسخ منهم ٥
من عصى بالمباشرة و من سكت عن النهى عن المنكر «فجعلنٰها» أى فتسبب عن قولنا[٥] أنهم كانوا قردة كما قلنا، فجعلنا[٦] هذه العقوبـــة «نكالا»[٧] أى قيدا مانعا «لما بين يديها» [٨]من المعاصى[٨] من أهل عالمها / الشاهدين لها / ٩٠
«و ما خلفها» ممن جاء بعدهم، [٨]روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما[٨]،

---

(١) ليس فى م (٢) ليس فى ظ (٣) العبارة من هنا إلى «عن المنكر» ليست فى ظ (٤) قال أبو حيان: و الاعتداء كان على ما نقل من أن موسى أمره الله بصوم يوم الجمعة و عرّفه فضله كما أمر به سائر الأنبياء فذكر ذلك لبنى إسرائيل و أمرهم بالتشرع فيه فأبوه و تعدوه إلى يوم السبت فأوحى الله إلى موسى أن دعهم وما اختاروه و امتحنهم فيه بأن أمرهم بترك العمل و حرم عليهم فيه صيد الحيتان فكانت تأتى يوم السبت حتى تخرج إلى الأفنية فاذا ذهب السبت ذهبت الحيتان، فلم يظهروا للسبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا الحوت، فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة و ضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء فأخذه؛ فكان هذا من أعظم الاعتداء (٥) فى ظ: قولهم لنا. (٦) فى ظ: فجعلناها اى (٧) قال البيضاوى: عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه، ومنه النكل للقيد (٨-٨) ليست فى ظ.

و النكال إبداء[1] العقوبة لمن يتّعظ بها ، و اليد[2] ما به تظهر أعيان الأشياء و صورها أعلاها و أدناها ، فلذلك ثنيت لأنها يد عليا هى اليمنى[3] و يد دنيا هى اليسرى ، و الخلف ما يخلفه المتوجه فى توجهه[4] فينطمس عن حواس إقباله شهوده - قاله الحرالى . و قال[5] «و موعظة» من الوعظ و هو ٥ دعوة الأشياء بما فيها من العبرة للانقياد للاله الحق بما يخوفها فى مقابلة التذكير[6] بما يرجيها[7] [8] و يبسطها[8] «للمتقين» ، و قد أشعر هذا أن التقوى عصمة من كل محذور و أن النقم تقع فى غيرهم وعظا لهم .

و لما بين تعالى قساوتهم فى حقوقه عامة ثم خاصة اتبعه[9] بيان جساوتهم[10] فى مصالح أنفسهم لينتج أنهم أسفه الناس فقال «و اذ قال ١٠ موسى لقومه» بنى إسرائيل «إن الله» [11] أى الذى له الأمر كله[11] «يامركم

(١) فى م : انداء - كذا (٢) قال أبو حيان : قد استعملت للنعمة والإحسان ، وأما الأيادى فهو فى الحقيقة جمع جمع واستعماله فى النعمة أكثر من استعماله للجارحة كما أن استعمال الأيدى فى الجارحة أكثر منه فى النعمة ؛ خلف ظرف مكان مبهم وهو متوسط التصرف ويكون أيضا وصفا ، يقال رجل خالف بمعنى ردىء ؛ موعظة مفعلة من الوعظ والوعظ الإذكار بالخير بما يرق له القلب (٣) فى م : العليا . (٤) فى م : توجيهه (٥) ليس فى ظ (٦) من م و مد وظ ، وفى الأصل : التذكر . (٧) فى م : يرهبها (٨-٨) ليس فى م (٩) قال المهائمى : ثم أشار الى أن إعراضهم عن أمر الله لم يتأخر إلى عصر المعتدين فى السبت بل كان فى عصر موسى مرارا فى أمر واحد قصدوا ذلك وإن فعلوه آخر - ١/٤٨ (١٠) كذا فى الأصول كلها، و بهامش ظ : اى غلظتهم و جفاءهم (١١-١١) ليست فى ظ .

ان

ان تذبحوا بقرة » [1] لتعرفوا بها أمر القتيل الذى أعياكم أمره ، [2] و تاؤها ليست للتأنيث الحقيق بل لأنها واحدة[3] من الجنس فتقع على الذكر و الأنثى [2].
و لما كان من حقهم [4] المبادرة إلى الامتثال والشكر فلم يفعلوا بيّن فظاظتهم على طريق الاستئناف معظما لها بقوله حكاية عنهم « قالوا أ تتخذنا هزوا »
[2] أى مكان هزء و مهزوءا بنا حين نسألك عن قتيل فتأمرنا بذبح بقرة [2] ، ٥
فجمعوا إلى ما أشير إليه [5] من اساءتهم سوء الأدب [2] على من ثبتت [2] رسالته بالمعجزة فرد كلامه كفر [2] ، فذكرهم بما رأوا منه من العلم بالله المنافى للهزء بأن قال [6] « اعوذ بالله » أى أعتصم بمن [7] [2] لا كفوء له من [2] « ان اكون من الجٰهلين » » فانه لا يستهزئ إلا جاهل ، و العوذ اللجاء من

---

(١) قال البيضاوى : أول هذه القصة قوله تعالى « و اذ قتلتم نفسا فادراتم فيها » وإنما فكت عنه و قدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم و هو الاستهزاء بالأمر و الاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال ، وقصة أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيي فيخبر بقاتله . وقال أبو حيان : و وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تقدم ذكر مخالفتهم لأنبيائهم و تكذيبهم لهم فى أكثر أنبائهم فناسب ذلك ذكر هذه الآية لما تضمنت من المراجعة والتعنت والعناد مرة بعد مرة (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى الأصول واحد . (٤) فى م : حقه (٥) فى ظ : اليهم (٦) قال البيضاوى : لأن الهزء فى مثل ذلك (أى مقام الإرشاد و بيان الأحكام) جهل وسفه ، نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان و أخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له .
(٧) فى ظ : به .

متخوّف لكاف يكفيه، و الجهل التقدم فى الأمور المنبهمة بغير علم - قاله الحرالى . « قالوا » تماديا فى الغلظة[1] « ادع لنا ربك » [2]أى المحسن إليك[2] فكان تخصيصهم له بالإضافة غاية فى الجفاء « يبين » من التبيين و هو اقتطاع الشيء، و المعنى مما[3] يلابسه و يداخله - قاله[4] الحرالى . و المراد المبالغة
٥ فى البيان بما يفهمه[5] صيغة التفعيل « لنا ما هى » تلك البقرة « قال انه يقول[6] » .
و لما كانوا يتعنتون[7] أكد فقال « انها بقرة لا فارض » أى مسنة[8] فرضت سنها[9] أى قطعتها « و لا بكر » أى فتية صغيرة « عوان » أى نصف [10]و هو خبر مبتدإ محذوف، و بين هذا الخبر بقوله « بين ذلك »[11] أى سنى[12] الفارض و البكر « فافعلوا ما تؤمرون ه » [2]فان الاعتراض
١٠ على من يجب التسليم له كفر[2] فلم يفعلوا بل [2]سألوا بيان اللون بعد بيان السن بأن[2] « قالوا ادع لنا ربك » تماديا فى الجفاء بعدم الاعتراف

---

(١) قال المهائمى : فلما علموا أنه عزم من الله وأرادوا التخلص باستيصافها بأوصاف لاتوجد بقرة تتصف بها أصلا « قالوا » الآية (٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد فى م : لا (٤) فى ظ : قال (٥) فى ظ ومد : تفهمه، و فى م : نفهمه (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٧) فى م و مد : يعنتون (٨) العبارة من هنا إلى « قطعتها » ليست فى ظ (٩) فى الأصل و م : سنيتها، وفى مد : سنيها (١٠) العبارة من هنا إلى « بقوله » ليست فى ظ (١١) قال البيضاوى : أى ما ذكر من الفارض و البكر، و لذلك أضيف إليه بين فانه لايضاف إلا إلى متعدد، وعود هذه الكنايات و إجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب (١٢) ليس فى ظ .

بالإحسان «يبين لنا ما لونها» بعد بيان سنها[١]، و اللون تكيف ظاهر الأشياء فى العين ـ قاله الحرالى . «قال[٢]» [٣]و أكد لما مضى من تلددهم فقال[٣] «انه يقول» [٤]و أكد إشارة إلى مزيد تعنتهم فقال[٤] «انها بقرة صفراء» [٤]و أكد شدة صفرتها بالعدول عن فاقعة إلى قوله معبرا باللون[٤] «فاقع لونها» أى خالص فى صفرته . قال الحرالى : نعت[٥] تخليص للون ٥ الأصفر بمنزلة قانئ فى الأحمر فهى إذن متوسطة اللون بين الأسود و الأبيض كما كانت متوسطة السن ، «تسر النّظرين ۝» أى تبهج[٦] نفوسهم[٧] [٧]بأنك إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ـ قاله وهب «قالوا ادع لنا ربك»[٨] المحسن إليك بالإجابة فى كل ما سألته «يبين لنا ما هى ؛ ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم «ان البقر» أى ١٠ الموصوف بما قدمته «تشابه»[٩]، [١٠]أى وقع تشابهه[١٠] «علينا» [١١]و ذكر الفعل لأن كل جمع حروفه أقل من حروف واحده فان العرب تذكره

---

(١) قال أبو حيان : لما تعرفوا سن هذه شرعوا فى تعرف لونها ، و ذلك كله يدل على نقص فطرهم و عقولهم ، إذ قد تقدم أمران : أمر الله لهم بذبح بقرة و أمر المبلغ عن الله الناصح لهم المشفق عليهم بقوله «فافعلوا ما تؤمرون» و مع ذلك لم يرتدعوا عن السؤال عن لونها (٢) ليس فى (٣-٣) ليست فى م و ظ . (٤-٤) ليست فى ظ (٥) فى م : انه تعنت ، و فى مد : انه نعت (٦) قال البيضاوى : والسرور أصله لذة فى قلب عند حصول نفع أو توقعه من السر (٧) العبارة من هنا إلى «وهب» ليست فى ظ (٨) زيد فى م : اى (٩) اعتذار عنه أى إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ـ قاله البيضاوى (١٠-١٠) ليست فى م (١١) العبارة من هنا إلى «سيبويه» ليست فى ظ .

نقل عن سيبويه؛ ثم أدركتهم العناية فقالوا « و انا ان شاء الله » [1] أى الذى له صفات الكمال و أكدوا لما أوجب توقفهم من ظن عنادهم و قدموا التبرك بالمشية لذلك على خبر إن[1] « لمهتدون » أى إلى المراد[2] فتبركوا بما لا تكون بركة إلا به « قال انه يقول انها » أى هذه البقرة التى أطلتم

٥ التعنت فى أمرها « بقرة لا ذلول » [3]من الذل و هو حسن الانقياد ـ قاله الحرالى [4]ثم وصف الذلول بقوله[4] « تثير الارض » أى [1]يتجدد منها إثارتها[1] بالحرث [1]كل وقت[1] من الإثارة [1]قال الحرالى[1] : و هى إظهار الشىء من الثرى، كأنها تخرج الثرى من محتوى[5] اليبس؛ و لما كان الذل وصفا لازما عبر فى وصفها بانتفائه[6] بالاسم المبالغ فيه، أى ليس الذل

١٠ وصفا لازما لها لا أنها بحيث لا يوجد منها ذل أصلا، فانها لو كانت كذلك كانت[7] وحشية لا يقدر عليها أصلا[8].

(١-١) ليست فى ظ (٢) إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل، فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد (٣) و قال صاحب المدارك : « لا ذلول » صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب و إثارة الأرض « و لا تسقى الحرث » و لا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث، و لا الأولى نافية و الثانية مزيدة لتوكيد الأولى، لأن المعنى لا ذلول تثير الأرض أى تقلبها للزراعة و تسقى الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية ـ انتهى (٤-٤) ليست فى ظ. و فى م : الذل ـ مكان : الذلول (٥) فى م : موضع (٦) فى م : بالانتقامة (٧) ليس فى م (٨) قال أبو حيان : « لا ذلول » صفة للبقرة على أنه من الوصف بالمفرد و « تثير الارض » صفة لذلول و هى صفة ==

و لما

و لما كان لا يتم وصفها بانتفاء الذل إلا بنفي السقي عنها و كان أمرا يتجدد ليس هو صفة لازمة كالذل عبر فيه بالفعل و أصحبه لا عطفا على الوصف لا على تثير لئلا يفسد المعنى فقال واصفا للبقرة « ولا تسقى الحرث » أي لا يتجدد منها سقيه بالسانية كل وقت ، و يجوز أن يكون إثبات لا فيه تنبيها على حذفها قبل تثير ، فيكون الفعلان المنفيان ٥ تفسيرا على سبيل الاستئناف للا ذلول ، و حذف لا قبل تثير لئلا يظن أنه معها وصف لذلول فيفسد المعنى ، و المراد أنها لم[١] تذلل بحرث و لا سقي و معلوم من القدرة على ابتياعها و تسلمها للذبح أنها ليست في غاية الإباء[٢] كما آذن به الوصف بذلول[٢] ، كل ذلك لما في التوسط من الجمع / لأشتات الخير « مسلمة » أي من العيوب « لا شية[٣] » أي علامة ١٠ / ٩١

= داخلة في حيز النفي، والمقصود نفي إثارتها الأرض أي لا تثير فتذل فهو من باب :

على لاحب لا يهتدى بمناره

اللفظ نفي الذل و المقصود نفي الإثارة فينتفي كونها ذلولا ، و لا تسقي الحرث نفي معادل لقوله : لا ذلول و الجملة صفة ، و الصفتان منفيتان من حيث المعنى كما أن لا تسقي منفي من حيث المعنى أيضا . و قال الحسن : كانت تلك البقرة وحشية و لهذا وصفت بأنها لا تثير الأرض بالحرث ولا يسنى عليها فتسقى . قال الزمخشري : لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للحرث و إثارة الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها بسقي الحروث ، و لا الأولى للنفي و الثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير و تسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل : لا ذلول مثيرة و ساقية - انتهى كلامه.

(١) في مد : لا (٢-٢) ليست في ظ (٣) و في البحر المحيط : أي لا بياض - قاله السدي ، أولا وضح وهو الجمع بين لونين من سواد وبياض ، أولا عيب فيها، =

« فيها » تخالف لونها [١]بل هي صفراء كلها حتى قرنها و ظلفها[١] « قالوا
الـٔـن » أي في هذا الحد من الزمان الكائن الفاصل بين الماضي و الآتي
« جئت بالحق »[٢] أي الأمر الثابت المستقر[٣] البين من بيان وصف البقرة
لحصلوها[٣] « فذبحوها » اى فتسبب عما تقدم كله انهم ذبحوها « و ما كادوا »
٥ أي قاربوا قبل هذه المراجعة الأخيرة[٤] « يفعلون » ؛ [٥]قال ابن عباس
رضي الله عنهما : لو ذبحوا بقرة مّا لأجزأتهم لكنهم شددوا في السؤال
فشدد الله عليهم - يعني أنهم كلفوا بالأسهل فشددوا فنسخ بالأشق ، و هو
دليل جواز النسخ قبل الفعل[٥] ، أو يقال إنه لما كان السبت إنما وجب عليهم

= أو لا لون يخالف لونها من سواد أو بياض ، أو لا سواد في الوجه و القوائم
و هو الشية في البقر ، يقال ثور موشي إذا كان في وجهه و قوائمه سواد . قال ابن
عطية : و الثور الأشيه الذي ظهر بلقه ، يقال فرس أبلق و كبش أخرج و تيس أبرق
و كلب أبقع و ثور أشيه ، كل ذلك بمعنى البلقة - انتهى . و ليس الأشيه مأخوذا
من الشية لاختلاف المادتين .

(١-١) ليست في ظ ، و في م : صفا - مكان : صفراء (٢) قال أبو حيان : و معنى
« بالحق » بحقيقة نعت البقرة و ما بقي فيها اشكال (٣-٣) ليست في ظ (٤) في
البيضاوي : لتطويلهم و كثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
أو لغلاء ثمنها إذ روى أن شيخا صالحا منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة و قال :
اللهم ! إني أستودعكها لابني حتى يكبر ، فشبت و كانت وحيدة بتلك الصفات
فساوموها اليتيم و أمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا و كانت البقرة إذ ذاك بثلاثة
دنانير ، و المعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم و انقطعت
تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملتجىء إلى الفعل - انتهى كلامه (٥-٥) ليست في ظ ،
و في م : العمد - مكان : الفعل .

و ابتلوا بالتشديد فيه باقتراحهم له و سؤالهم إياه بعد إبائهم للجمعة كما يأتى إن شاء الله تعالى بيانه عند قوله تعالى «انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه[١]» كان أنسب الأشياء تعقيبه بقصة البقرة التى ما شدد عليهم فى أمرها إلا لتعنتهم فيه و إبائهم لذبح أىّ بقرة تيسرت، و يجوز أن يقال إنه لما كان من جملة ما استخفوا به السبت المسارعة إلى إزهاق ما لا يحصى من الأرواح الممنوعين منها من الحيتان و كان فى قصة البقرة التعنت و التباطؤ عن إزهاق نفس واحدة[٢] أمروا بها تلاه بها، و من أحاسن المناسبات أن فى كل من آيتى القردة و البقرة تبديل حال الإنسان بمخالطة لحم بعض الحيوانات[٣] العجم، ففى الأولى إخراسه بعد نطقه بلحم السمك، و فى الثانية إنطاقه بعد خرسه بالموت بلحم البقر، و لعل تخصيص لحم البقر[٤] بهذا الأمر لإيقاظهم من رقدتهم و تنبيههم من غفلتهم عن عظيم قدرة الله تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من خوار العجل الذى عبدوه. و قال الإمام أبو الحسن الحرالى: و فى ذلك تشامّ[٥] بين أحوالهم فى اتخاذهم العجل و فى طلبهم ذلك، و فى كل ذلك مناسبة بين طباعهم و طباع البقرة المخلوقة للكدّ و عمل الأرض التى معها التعب و الذل و التصرف فيما هو من الدنيا توغلا فيها و فيه نسمة[٦] مطلبهم ما تنبت الأرض الذى هو

(١) سورة ١٦ آية ١٢٤ (٢) زيد فى مد: و (٣) فى م: الحيوان (٤) ليس فى م.
(٥) فى ظ: تشاوم (٦) كذا، و بهامش م: لعله نسبية.

أثر الحرث - يعنى الذى أبدلوا الحطة به و هو حبة[1] فى شعرة ، فكأنهم بذلك أرضيون ترابيون لا تسمو طباع أكثرهم إلى الأمور الروحانية العلوية ، فان جبلة كل نفس تناسب ما تنزع إليه و تلهج به من أنواع الحيوان « جعل[2] لكم من انفسكم ازواجا و من الانعام ازواجا » - انتهى .

٥ و لما قسمت القصة شطرين تنبيها على النعمتين : نعمة العفو عن التوقف عن الأمر و نعمة البيان للقاتل بالأمر الخارق ،[3] و تنبيها على أن لهم بذلك تقريعين : أحدهما باساءة الأدب فى الرمى بالاستهزاء و التوقف عن الامتثال و الثانى على قتل النفس و ما تبعه، و لو رتبت ترتيبها فى الوجود لم يحصل ذلك[3] ، و قدم الشطر الأنسب لقصة السبت اتبعه الآخر[4] .

(١) فى ظ : حيه - كذا (٢) فى الاصول :خلق راجع سورة ٤٢ آية ١١ (٣-٣) ليست فى ظ .فى مد : رتبن - مكان : رتبت (٤) قال أبو حيان : و يجوز أن يكون ترتيب وجودهما و نزولها على حسب تلاوتهما ، فيكون الله تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها و هم لا يعلمون بما له تعالى فيها من السر ثم وقع بعد ذلك أمر القتيل فأظهر لهم ما كان أخفاه عنهم من الحكمة بقوله « اضربوه ببعضها » و لاشىء يضطرنا إلى اعتقاد تقدم قتل القتيل ، ثم سألوا عن تعيين قاتله إذ كانوا قد اختلفوا فى ذلك فأمرهم الله بذبح بقرة ، فيكون الأمر بالذبح متقدما فى النزول ، و التلاوة متأخرا فى الوجود و يكون قتل القتيل متأخرا فى النزول، و التلاوة متقدما فى الوجود ، ولا إلى اعتقاد كون الأمر بالذبح وما بعده مؤخرا فى النزول ، متقدما فى التلاوة و الإخبار عن قتلهم مقدما فى النزول ، متأخرا فى التلاوة دون تعرض لزمان وجود القصتين .

و قال

و قال الحرالى : قدم نبأ قول موسى عليه السلام على ذكر تدارؤهم فى القتيل ابتداء بأشرف القصدين من معنى التشريع الذى هو القائم على أفعال الاعتداء و أقوال الخصومة - انتهى . فقال تعالى « و اذ » أى و اذكروا إذ ،[١] و أسند القتل إلى الكل و القاتل واحد لأن ذلك عادة العرب ، لأن عادة القبيلة المدافعة عن أحدهم[١] فقال « قتلتم نفسا » فأقبل ٥ عليهم بالخطاب توبيخا لهم و إشارة إلى أن الموجودين[٣] منهم راضون بما مضى من أسلافهم و أن من ودّ شيئا كان من عملته .

[٤]و لما كانوا قد أنكروا القتل سبب عنه قوله مشيرا إلى إخفائه بالادغام[٤] « فادارأتم فيها »[٥] أى تدافعتم فكان كل فريق منكم يردّ القتل إلى الآخر فكان لكم بذلك ثلاثة آثام : إثم الكبيرة و إثم الإصرار ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٢) و فى البحر المحيط : و نسبة القتيل إلى جمع إما لأن القاتلين جمع وهم ورثة المقتول و قد نقل أنهم اجتمعوا على قتله ، أو لأن القاتل واحد ونسب ذلك إليهم لوجود ذلك فيهم على طريقة العرب فى نسبة الأشياء إلى القبيلة إذا وجد من بعضها ما يذم به أو يمدح ١/٢٥٩ .
(٣) فى مد: المودين (٤-٤) ليست فى ظ، وفى مد: خفايه - مكان : اخفائه (٥) قرأ الجمهور بالادغام ، و قرأ أبو حيوة : فتدارأتم ، على وزن تفاعلتم و هو الأصل ، و نقل من جمع فى التفسير أن أباالسوار قرأ: فدرأتم - بغير ألف قبل الراء ؛ و يحتمل هذا التدارؤ و هو التدافع أن يكون حقيقة و هو أن يدفع بعضهم بعضا بالأيدى لشدة الاختصام ، ويحتمل المجاز بأن يكون بعضهم طرح قتله على بعض فدفع المطروح عليه ذلك إلى الطارح ، أو بأن دفع بعضهم بعضا بالتهمة و البراءة - البحر المحيط .

و إثم الاقتراء بالدفع؛ قال الكلبي: و ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة، كأنه يشير إلى ما اذكره عنها قريبا.

و لما كان فعلهم فى المداراة فعل غافل عن إحاطة علم الخالق سبحانه قال يحكى حالهم إذ ذاك[1] «و الله» [2]أى و الحال أن الذى له

٥ الأمر كله[2] «مخرج» بلطيف صنعه و عظيم شأنه «ما كنتم تكتمون ه»[3] و فى تقديمه أيضا زيادة تبكيت لهم بتوقفهم[4] فى ذبح بقرة أمروا بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم إلى قتل إنسان مثله بعد النهى الشديد عنه و قال[5] [6]منبها بالالتفات إلى أسلوب العظمة على ما فى الفعل المأمور به منها[6] «فقلنا» أى[4] بما لنا من العظمة «اضربوه[7]»

(١-١) ليست فى ظ، وفى م: غامض - مكان: غافل (٢-٢) ليست فى ظ (٣) و قال المهائمى: «و الله مخرج» من قلوبكم «ما كنتم تكتمون» من أمر القاتل و أنه لو ساه موسى لكذبوه (٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ: قوله (٦-٦) ليست فى ظ، و فى م: منها مكان: منبها (٧) معطوفة على قوله «قتلتم نفسا فادراتم فيها» والجملة من قوله تعالى «و الله مخرج ما كنتم تكتمون» اعتراضية بين المعطوف و المعطوف عليه مشعرة بأن التدارؤ لا يجدى شيئا إذ الله تعالى مظهر ما كتم من أمر القتيل، و الهاء فى اضربوه عائد على النفس على تذكير النفس، إذ فيها التأنيث و هو الأشهر و التذكير أو على أن الأول هو على حذف مضاف أى و إذ قتلتم ذا نفس فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فروعى بعود الضمير مؤنثا فى قوله «فادارأتم فيها» و الظاهر أنهم أمروا أن يضربوه بأى بعض كان - قاله أبوحيان و ذكر أقوالا فيه، فليراجع ثمه ٢٦٠/١.

و أضمر

[١] وأضمر ذكر البقرة ولم يظهر دلالة على اتحاد هذا الشق الأول من القصة الذي جعل ثانيا بالشق الذي قبله في أنهما قصة واحدة فقال[١] «ببعضها» قال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة: قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحيي، [٢]يعني والدليل على هذا المحذوف قوله[٢] «كذلك» [٣]أي مثل هذا الإحياء العظيم على هذه الهيئة الغريبة[٣] «يحي الله» [٣]أي الذي له صفات الكمال[٣] «الموتى» مثل هذا الإحياء الذي[٤] عوين وشوهد - انتهى. [٥]روي أنهم لما ضربوه قام وقال: قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورّث قاتل بعد ذلك[٥]؛ وهذه الخارقة كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم ذراع الشاة المسمومة بأنه مسموم لما سمته اليهودية التي كانت في قومها هذه الآية، وجعل هذا التنبيه على البعث في قصصهم، لأنه من أعظم الأدلة عليه، وقد وقع منهم ما ساغ معه عدهم منكرين وهو قولهم للمشركين: دينكم خير من دين محمد، أو[٦] أن هذا[٧] تنبيه مقصود به حث العرب على سؤال من

(١-١) ليست في ظ. وأخرت في م عن «فضربوه به فحيي» (٢-٢) ليست في ظ. وقدمت في م على «واضمر ذكر البقرة» (٣-٣) ليست في ظ (٤) زيد في ظ: هو.
(٥-٥) ليست في ظ، وفي م: اخذوا - مكان: فاخذا. قال الماوردي: كان الضرب بميت لا حياة فيه لئلا يلتبس على ذي شبهة أن الحياة إنما انقلبت إليه مما ضرب به لتزول الشبهة وتتأكد الحجة - البحر المحيط ١ / ٢٦٠ (٦) في ظ: و.
(٧) كذلك إن كان هذا خطابا للذين حضروا إحياء القتيل كان ثمّ إضمار قول أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة. وقدره الماوردي خطابا من موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وإن كان لمنكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون من تلوين الخطاب والمعنى كما أحيي قتيل بني إسرائيل =

استنصحوهم فى السؤال عن النبى صلى الله عليه وسلم لكونهم أهل العلم الأول ، فهو ملزم لهم باعتقاد البعث أو اعتقاد / كذب اليهود ، و عبر بالاسم العلم لأن الإحياء من أخص الآيات بصفة الإلهية كما أن الإرزاق أخص الآيات بالربوبية[١] « و يريكم ايته » فيما يشهد بصحته « لعلكم تعقلون ه »[٢] أى لتكونوا برؤية تلك الآيات الشاهدة له على رجاء من أن يحصل لكم عقل فيرشدكم إلى اعتقاد البعث و غيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالى .

/٩٢

٥

و لما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعد

= فى الدنيا كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، و إلى هذا ذهب الطبرى؛ و الظاهر هو الأول لانتظام الآى فى نسق واحد و لئلا يختلف خطاب « لعلكم تعقلون » وخطاب « ثم قست قلوبكم » قاله أبو حيان .

(١) ظاهر هذا الكلام الاستئناف ، و يجوز أن يكون معطوفا على « يحى » و الظاهر أن الآيات جمع فى اللفظ و المعنى وهى ما أراهم من إحياء الميت و العصا و الحجر و الغمام و المن و السلوى و السحر و البحر و الطور و غير ذلك ، و كانوا مع ذلك أعمى الناس قلوبا و أشد قسوة و تكذيبا لنبيهم فى تلك الأوقات التى شاهدوا فيها تلك العجائب و المعجزات - البحر المحيط .

(٢) و قال أبو حيان الأندلسى : أى لعلكم تمتنعون من عصيانه و تعملون على قضية عقولكم من أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص « ما خلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة » أى كخلق نفس واحدة و بعثها . و قال الزمخشرى : فى الأسباب و الشروط حكم و فوائد و إنما شرط فى ذلك لما فى ذبح البقرة من التقرب و أداء التكليف و اكتساب الثواب و الإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب و ما فى التشديد =

[1]التصور فضلا عن الوقوع[1] أشار إليه بقوله «ثم قست» [2]من القسوة[2] وهى اشتداد التصلب والتحجر[3] «قلوبكم»، ولما كانت لهم حالات يطيعون فيها أتى بالجار فقال «من بعد ذلك» أى من بعد ما تقدم وصفه من الخوارق فى المراجعات وغيرها تذكيرا لهم بطول إمهاله لهم سبحانه

= عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين فى ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالأبوين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء - قاله أبو حيان الأندلسى. وقال البيضاوى: «لعلكم تعقلون» لكى يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على الأنفس كلها أو تعملوا على قضيته ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداء وشرط فيه بأشرط لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الأولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الأحسن كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاث مائة دينار وأن المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى والأسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعى فى إماتة الموت الحقيقى فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيحيى حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والنزاع - انتهى كلامه ١/٦١.

(١-١) ليست فى ظ (٢-٢) ليست فى م (٣) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار، ثم لاستبعاد القسوة.

مع توالى كفرهم و عنادهم، و تحذيرا من مثل ما أحل بأهل السبت «فهى» أى فتسبب عن قسوتها أن كانت «كالحجارة» التى هى أبعد الأشياء عن حالها، فان القلب أحيى حيّ و الحجر أجمد جامد[1]، [2]و لم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، و[3] لأنه قد يلين.

٥ و لما كانت القلوب بالنظر إلى حياتها ألين لين و بالنظر إلى ثباتها على حالة أصلب شيء كانت بحيث تحير الناظر فى أمرها فقال «او». قال الحرالى: هى كلمة تدل على بَهم الأمر و خفيته فيقع الإبهام و الإيهام - انتهى.

(١) قال أبو حيان الأندلسى: «فهى كالحجارة» يريد فى القسوة، و هذه جملة ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم بالحجارة إذ الحجر لا يتأثر بموعظة و يعنى أن قلوبهم صلبة لا يتخللها الخوارق كما أن الحجر خلق صلبا، و فى ذلك إشارة إلى أن اعتياص قلوبهم ليس لعارض بل خلق ذلك فيها خلقا أوليا كما أن صلابة الحجر كذلك؛ و جمعت الحجارة و لم تفرد فيقال كالحجر فيكون أخصر إذ دلالة المفرد على الجنس كدلالة الجمع لأنه قوبل الجمع بالجمع لأن قلوبهم جمع فناسب مقابلته بالجمع، ولأن قلوبهم متفاوتة فى القسوة، كما أن الحجارة متفاوتة فى الصلابة، فلو قيل كالحجر لأفهم ذلك عدم التفاوت إذ يتوهم فيه من حيث الافراد ذلك - انتهى كلامه. و قال المهائمى: «كالحجارة» لا كالحديد الذى يلين بالنار إذ لا تلين بنار التخويف «او هى اشد قسوة» من الحجارة فلا تصلح لأن يكون مشبها بها كيف «و ان من الحجارة» كالجبال «لما يتفجر منه الانهٰر» بأن ينقلب بعض أجزائها هواء ثم يجذب الهواء من الجوانب و يقلبها بقوة تبريدها ماء «و ان منها لما يشقق» بمدافعة الماء من خلفه (٢) العبارة من هنا إلى «قد يلين» ليست فى ظ (٣) ليس فى م.

و هذا الإبهام بالنسبة إلى الرائين لهم من الآدميين ، و أما الله تعالى فهو العالم بكل شيء قبل خلقه كعلمه به بعد خلقه [1]و زاد أشد مع صحة بناء أفعل من قسى للدلالة على فرط القسوة فقال[1] «اشد قسوة» لأنها لا تلين لما حقه أن يلينها و الحجر يلين لما حقه أن يلينه و كل وصف للحى يشابه به[2] ما دونه أقبح فيه مما دونه من حيث أن الحى مهيأ لضد تلك المشابهة بالإدراك . ٥

و لما كان التقدير فان الحجارة تنفعل بالمزاولة عطف عليه [4]مشيرا إلى مزيد قسوتهم و جلافتهم بالتأكيد قوله[3] «و ان من الحجارة» و زاد فى التأكيد تأكيدا لذلك قوله[4] «لما يتفجر» أى يتفتح[5] بالسعة

(١-١) ليست فى ظ (٢) ليس فى م (٣) تبيين أن قلوبهم لاتتأثر وأن الحجارة قد يوجد فيها ما يتأثر و أنها متفاوتة فى التأثر ، و قرئ « و ان » مشددة فى ثلاثتها فما اسم انّ دخلت اللام عليه ، و قرئ مخففة فى ثلاثتها فاحتمل أن تكون معملة و ما اسمها ، و احتمل أن تكون ملغاة نحو ان فى الدار لزيد فما متبدأ خبره المجرور قبله واللام هى لام الابتداء لزمت للفرق أو لام غيرها اجتلبت للفرق ؛ قولان للنحاة ـ من النهر من البحر لأبى حيان ١/٢٦٣ (٤) العبارة من « و زاد » إلى هنا ليست فى ظ (٥) فى الأصل ينفتح من الانفعال ، و فى م ومد: يتفتح ، من باب التفعل، وهو المناسب للفسّر ، قال فى النهر من البحر : يتفجر مضارع تفجر و ينفجر مضارع انفجر مطاوع فجر بتخفيف الجيم والتفجر التفتح بالسعة و الكثرة . وقال أبوحيان فى البحر : لما شبه تعالى قلوبهم بالحجارة فى القسوة ثم ذكر أنها أشد قسوة على اختلاف الناس فى مفهوم أو بين أن هذا التشبيه إنما هو بالنسبة لما علمه المخاطب من صلابة الأحجار وأخذ يذكر جهة كون قلوبهم =

و الكثرة « منه [1] الانهر » [2] [3] ذكر الكثير [3] مما يشاهد من ذلك و تذكيرا بالحجر المتفجر لهم منه الأنهار بضرب العصا ثم عطف على ذلك ما هو دونه فقال « و ان منها لما يشقق » [4] أى يسيرا بتكلف بما يشير إليه الادغام و التفعل من التشقق و هو تفعل صيغة التكلف من الشق و هو مصير الشيء
٥ فى الشقين أى ناحيتين متقابلتين - قاله الحرالى . « فيخرج منه الماء » الذى هو دون النهر ، ثم عطف على هذا ما هو أنزل من ذلك فقال « و ان منها لما يهبط من خشية الله » أى ينتقل من مكانه من أعلى الجبل إلى أسفله لأمر الملك الأعلى له بذلك و قلوبكم لانتقاد لشيء من الأوامر فجعل الأمر فى حق القلوب لما فيها من العقل كالإرادة فى حق الحجارة لما
١٠ لها من الجمادية [5] ، و فى ذلك تذكير [6] لهم بالحجارة المتهافتة من الطور

= أشد قسوة والمعنى أن قلوب هؤلاء جاسية صلبة لا تلينها المواعظ و لا تتأثر للزواجر و ان من الحجارة ما يقبل التخلخل و أنها متفاوتة فى قبول ذلك على حسب التقسيم الذى أشار إليه تعالى - ثم ذكر اختلاف المفسرين فى هذه الآية أهى على سبيل التمثيل أم على غيره فليراجع ثمه .

(١) زيد فى م : و (٢) و قرئ « منه الانهر » و منها الأنهر حملا على المعنى - النهر من البحر (٣ - ٣) فى ظ : ذكرا للكثير (٤) التشقق : التصدع بطول أو عرض فينبع منه الماء بقلة و قرئ يشقق بتشديد الشين و يتشقق و ينشقق بنون و قافين و الفك شاذ (٥) زيد فى م و مد : أى الحجارة (٦) قال أبو حيان الأندلسى : واختلف المفسرون فى تفسير هذا فذهب قوم إلى أن الخشية هنا حقيقة ، و اختلف هؤلاء فقال قوم : معناه من خشية الحجارة لله تعالى فهى مصدر مضاف للفعول ، وأن الله تعالى جعل لهذه الأحجار التى تهبط من خشية الله تعالى تميزا قام لها =

عند

عند تجلي الرب . قال الحرالي : و الخشية وجل نفس العالم مما[1] يستعظمه .

و لما كان التقدير : فما أعمالكم - أو : فما أعمالهم ، على قراءة الغيب - مما[2] يرضى الله ؟ عطف عليه « و ما »[3] و يجوز أن يكون حالا من قلوبكم أي[4] قست و الحال أنه ما « الله » [5]أي الذي له الكمال كله[5] « بغافل » و الغفلة فقد الشعور بما حقه أن يشعر به « عما تعملون ‌ۚ »[6] فانتظروا عذابا ٥ مثل عذاب أصحاب السبت إما في الدنيا و إما في الآخرة ، و لم أر ذكر قصة البقرة في التوراة فلعله مما أخفوه لبعض نجاساتهم كما أشير إليه

= مقام الفعل المودع فيمن يعقل ، و استدل على ذلك بأن الله تعالى وصف بعض الحجارة بالخشية و بعضها بالإرادة و وصف جميعها بالنطق و التحميد و التقديس و التأويب و التصدع ، و كل هذه صفات لا تصدر إلا عن أهل التمييز و المعرفة ، قال تعالى « لو انزلنا هذا القرآن على جبل » الآية « و ان من شيء الا يسبح بحمده » « يجبال اوبي معه و الطير » و في الحديث الصحيح : إني لأعرف حجرا كان يسلم علي قبل أن أبعث ، و إنه بعد مبعثه ما مر بحجر و لا مدر إلا سلم عليه ، و في الحجر الأسود أنه يشهد لمن يستلمه - و أطال البحث و أجاد فليراجع (٦) في م : تذكيرا.

(١) و في ظ : بما (٢) و في ظ : فما (٣) العبارة من هنا إلى «انه ما» ليست في ظ .

(٤) في م : ان (٥ - ٥) ليست في ظ (٦) و قد تضمنت هذه الآيات الكريمة فصولا عظيمة و محاورات كثيرة ، و ذلك أن موسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام شافههم بأن الله تعالى يأمرهم بذبح البقرة ، و ذلك امتحان من الله تعالى لهم . فلم يبادروا لامتثال أمر الله تعالى و أخرجوا ذلك مخرج الهزء إذ لم يفهموا سر الأمر ، و كان ينبغي أن يبادروا بالامتثال ؛ فأجابهم موسى باستعاذة بالله الذي أمره أن يكون ممن جهل فيخبر عن الله بما لم يأمره به فرد عليهم - من البحر المحيط ، و لمزيد التفصيل فليراجع إليه .

بقوله تعالى «تجعلونه قراطيس تبدونها و تخفون كثيرا[1]» و الذى رأيت
فيها مما يشبه ذلك و يمكن أن يكون مسببا عنه أنه قال فى السفر الخامس
منها ما نصه: فاذا وجدتم قتيلا فى الأرض التى[2] يعطيكم الله ربكم مطروحا
لا يعرف قاتله يخرج أشياخكم و قضاتكم و يذرعون ما بين القتيل
٥ و القرية، فأية قرية كانت قريبة من القتيل يأخذ أشياخ تلك القرية
عجلا لم يعمل به عمل و لم يحرث به حرث، فينزل أشياخ القرية العجل
إلى الوادى الذى لم يزرع و لم يحرث فيه حرث يذبحون العجل فى ذلك
الوادى و يتقدم الأحبار بنو[3] لاوى الذين اختارهم الله ربكم أن يخدموا
و يباركوا اسم الرب و عن قولهم يقضى كل قضاء و يضرب كل مضروب،
١٠ و جميع أشياخ تلك القرية القريبة من القتيل يغسلون أيديهم فوق العجل
المذبوح فى الوادى و يحلفون و يقولون: ما سفكت أيدينا هذا الدم و ما رأينا
من قتله فاغفر يا رب لآل إسرائيل شعبك الذين[4] خلصت، و لا تؤاخذ
شعبك بالدم الزكى، و يغفر لهم على الدم و أنتم فالحصوا عن الدم و اقضوا
بالحق و أبعدوا عنكم الإثم و اعملوا الحسنات بين يدى الله ربكم - انتهى.
١٥ و هو كما ترى يشبه أن يكون فرع هذا الأصل المذكور فى القرآن
العظيم و الله أعلم.

و لما بين سبحانه أن قلوبهم صارت من كثرة المعاصى و توالى
التجرؤ على بارئها محجوبة بالرين كثيفة الطبع بحيث أنها أشد قسوة من

(١) سورة ٦ آية ٩١ (٢) فى ظ: الدى (٣) فى ظ: بنى (٤) فى م: الدى.

الحجارة تسبب عن ذلك بعدهم عن الإيمان فالتفت إلى المؤمنين يؤيسهم[١] من فلاحهم[٢] تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم عما كان يشتد حرصه عليه من طلب إيمانهم[٢] في معرض التنكيت عليهم و التبكيت لهم منكرا للطمع في إيمانهم بعد ما قرر أنه تكرر[٣] من كفرانهم[٤] فقال « افتطمعون » و الطمع[٥] تعلق البال بالشيء من غير تقدم سبب له « ان يؤمنوا » [٦]أي هؤلاء ٥ الذين بين أظهركم[٧] / و قد سمعتم ما اتفق لأسلافهم من الكثافة و هم /٩٣

(١) في م : يؤنبهم (٢-٢) ليست في ظ (٣) في م : تقرر (٤) قال أبو حيان : ثم ختم ذلك بأنه تعالى لا يغفل عما اجترحوه في دار الدنيا بل يجازيهم بذلك في الدار الأخرى ، و كان افتتاح هذه الآيات بأن الله تعالى يأمر و اختتامها بأن الله لا يغفل ، فهو العالم بمن امتثل و بمن أهمل ، فيجازي ممتثل أمره بجزيل ثوابه و مهمل أمره بشديد عقابه - انتهى كلامه (٥) الطمع تعلق النفس بادراك مطلوب تعلقا قويا ، و هو أشد من الرجاء لأنه لا يحدث إلا عن قوة رغبة و شدة إرادة ، و إذا اشتد صار طمعا ، و اذا ضعف كان رغبة و رجاء - البحر المحيط ١/٢٦٩ . قال علي المهائمي : « ا » تعلمون هذه القساوة منهم و ازدياد التعدي و التكبر و مع ذلك ترونهم الدلائل و تزجرونهم بالمواعظ (٦) العبارة من هنا إلى « الا الله » ليست في ظ . (٧) وذكر أبوحيان الأندلسي في سبب نزول هذه الآية أقاويل وذكر في آخرها ما نصه : وهذه الأقاويل كلها لا تخرج عن ان الحديث في اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لأنهم الذين يصح فيهم الطمع أن يؤمنوا ، لأن الطمع إنما يصح في المستقبل ، و الضمير في « ان يؤمنوا لكم » لليهود ، و المعنى استبعاد إيمان اليهود ، إذ قد تقدم لأسلافهم أفاعيل و جرى أبناؤهم عليها فبعيد =

راضون بذلك و إلا لآمنوا بمجرد هذا الإخبار عن هذه القصص من هذا النبي الأمي الذي يحصل التحقيق[1] بأنه لا معلم له بها إلا الله معترفين «لكم و قد» أي و الحال أنه قد «كان فريق»[2] أي ناس يقصدون الفرقة و الشتات[2] «منهم». قال الحرالي: من الفرق و هو اختصاص برأى ٥ وجهة عمن حقه أن يتصل به و يكون معه - انتهى. «يسمعون كلام الله» المستحق لجميع صفات الكمال و الكلام[3]. قال الحرالي: هو إظهار ما في الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك الظاهر بكل نحو من أنحاء الإظهار - انتهى. «ثم يحرفونه»[4] أي يزيلونه عن وجهه برده على حرفه، و في ذكر الفريق مع المعطوفات عليه تأكيد[5] لعظيم تهمّكهم[6] في العصيان

= صدور الإيمان من هؤلاء (١) في مد: التحقق (٢-٢) ليست في ظ. والفريق قيل هم الأحبار الذين حرفوا التوراة في صفة محمد صلى الله عليه وسلم- قاله مجاهد والسدى، و قيل جماعة من اليهود كانوا يسمعون الوحي إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فيحرفونه قصدا أن يدخلوا في الدين ما ليس فيه و يحصل التضاد في أحكامه ـ البحر المحيط ١/٢٧٢ (٣) قال أبوحيان الأندلسي: الكلام هو القول الدال على نسبة إسنادية مقصودة لذاتها، و يطلق أيضا على الكلمة، ويعبر أيضا عن الخط و الإشارة و ما يفهم من حال الشيء و تقاليبه الست موضوعة و ترجع إلى معنى القوة و الشدة و هي كلم، كلم، لكم، لمك، ملك، مكل - انتهى كلامه.

(٤) التحريف إمالة الشيء من حال إلى حال، والحرف الحد المائل - قاله أبو حيان.

(٥) في م: تاكيدا (٦) من همكه في الأمر يهمكه همكا لججه، تهمّك في الأمر و انهمك جدّ فيه ولج (قطر المحيط) و صلته هنا بفي شاهدة على كونه «تهمكهم» =

بأنهم كانوا بعد ما وصف من أحوالهم[1] الخبيثة[2] فرقا[3] فى الكفر و العدوان و التبرء من جلباب الحياء، و قوله «من بعد ما عقلوه»[4] مع كونه توطية لما[5] يأتى من أمر الفسخ مشيرا إلى أن تحريفهم لم يكن فى محل إشكال لكونه مدركا بالبديهة، [6]و أثبت الجار لاختلاف أحوالهم[6].

و لما كان هذا مع أنه إشارة إلى أنهم على جبلات إبائهم و إلى ٥ أن من اجترأ على الله لم ينبغ لعباد الله أن يطمعوا فى صلاحه لهم، لأنه إذا اجترأ على العالم بالخفيات كان على غيره أجرأ مشيرا إلى أنه لا يفعله عاقل ختمه بقوله «وهم يعلمون»[7] أى و الحال أنهم مع العقل حاملون للعلم فاهمون له غير غافلين بل متعمدون.

[8]و لما كان الكلام مرشدا إلى أن التقدير فهم لجرأتهم على الله ١٠

= و وقع فى ظ و مد: تهتكهم، و فى م: تهكمهم - كذا (١) فى ظ و مد: اعمالهم (٢) ليس فى م (٣) فى ظ: فعرقا - كذا (٤) أى من بعد ما ضبطوه و فهموه ولم تشتبه عليهم صحته (٥) فى مد: كما (٦ - ٦) ليست فى ظ، و فى م: اثبات (٧) و متعلق العلم محذوف أى أنهم قدحرفوه أو ما فى تحريفه من العقاب أو أنه الحق أو أنهم مبطلون كاذبون، و الواو فى قوله «وقد كان فريق» و فى قوله «وهم يعلمون» واو الحال و العامل فى قوله وهم يعلمون، فقوله ثم يحرفونه أى يقع التحريف منهم بعد تعقله و تفهمه عالمين بما فى تحريفه من شديد العتاب، و مع ذلك فهم يقدمون على ذلك يجترؤن عليه، و الإنكار على العالم أشد من الإنكار على الجاهل - البحر المحيط ١ / ٢٧٢ (٨) قال على المهائمى: ثم أشار إلى أن هذا التحريف حيث ظهر لنا على لسان بعضهم و إلا فهم =

إذا سمعوا كتابكم حرفوه و إذا حدثوا عباد الله لا يكادون يصدقون
عطف عليه قوله «و اذا لقوا الذين آمنوا » بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم
« قالوا » نفاقا منهم « آمنا و إذا خلا بعضهم »[١] أى المنافقين[١] « الى بعض
قالوا » [٢] لآمنين لهم [٢] ظنا منهم جهلا بالله لما وجدوا كثيرا من أسرارهم
٥ و خفى أخبارهم مما هو فى كتابهم من الدقائق و غير ذلك عند المؤمنين مع
اجتهادهم فى إخفائها أن بعضهم أفشاها فعلمت من قبله « اتحدثونهم » من
التحديث[٣] و هو تكرار حدث القول أى واقعه « بما فتح الله »[٤] ذو الجلال
و الجمال[١] « عليكم » من العلم القديم الذى أتاكم على ألسنة رسلكم أو بما
عذب به بعضكم . و الفتح قال الحرالى توسعة الضيق حسا و معنى

= مبالغون فى الكتمان و يشددون على من أظهر « و » ذلك أن فريقا منهم « اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » أى صدقنا نبيكم فى الباطن لأنه مذكور فى كتابنا لكن لا نترك فى الظاهر دين آبائنا خوفا من أقاربنا أو أكابرنا ولا نترك التمسك بالتوراة « و اذا خلا بعضهم الى بعض » فاجتمع الكاتمون مع المظهرين مع خلو المجلس عن المؤمنين « قالوا » اى الكاتمون للظهرين (١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى ظ : و (٣) التحديث الإخبار عن حادث و يقال منه يحدث ، و أصله من الحدوث و أصل فعله أن يتعدى إلى واحد بنفسه و إلى آخر بعن و إلى ثالث بالباء فيقال حدثت زيدا عن بكر بكذا - قاله أبو حيان (٤) الفتح القضاء بلغة اليمن « و هو الفتاح العليم » وأصل الفتح خرق الشيء و السد ضده و الذى حدثوا به هو ما تكلم به جماعة من اليهود من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و لمزيد تفصيل فيه فليراجع إلى البحر المحيط .

«ليحاجوكم» أى المؤمنون «به عند ربكم» ، و المحاجة تثبيت[1] القصد و الرأى بما يصححه . و لما كان عندهم أن إفشاءهم لمثل هذا من فعل من لا يفعل قالوا إنكارا من بعضهم على بعض «افلا تعقلون ه» [2]و يمكن أن يكون خطابا للمؤمنين المخاطبين[3] يتطمعون ، أى أفلا يكون[4] لكم عقل ليردكم ذلك عن تعليق الأمل بإيمانهم[5] . و لما كان ظنهم هذا[6] أقبح الفساد لأنه ٥ لو لم يكن علمه من قبل الله لم يقدر غيره أن يعبر عنه بعبارة تعجز الخلائق عن مماثلتها وصل به قوله موبخا لهم «او لا» أى ألا يعلمون أن علم المؤمنين لذلك لم يكن إلا عن الله لما قام عليه من دليل الإعجاز أو لا «يعلمون ان الله» الذى له الإحاطة بكل شيء «يعلم ما يسرون» أى يخفون من قولهم لأصحابهم و من غيره[7] «و ما يعلنون ه» [8]أى يظهرون ١٠

(١) فى ظ : تبيت - كذا . و فى البحر المحيط : المحاجة من الاحتجاج و هو القصد للغلبة ، حاجه قصده أن يغلب ، و الحجة الكلام المستقيم ، مأخوذ من محجة الطريق . و قال على المهائمى : «ليحاجوكم به عند ربكم» أى ليغلبوكم بالحجة و يشهدوا عليكم عند ربكم تلقنونهم الحجة عليكم . و قال البيضاوى : «ليحاجوكم عند ربكم» يحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه ، جعلوا محاجتهم بكتاب الله و حكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا و يراد به أنه فى كتابه و حكمه ، و قيل عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدى رسول ربكم (٢) العبارة من هنا إلى «بإيمانهم» ليست فى ظ (٣) ليس فى م (٤) من م و مد ، و فى الأصل : تكون (٥) العبارة من هنا إلى «الخلائق عن» ليست فى م (٦) كانت الواو زائدة هنا فى الأصول فحذفت (٧) فى م فقط : غيرهم (٨) و الأولى حمل ما يسرون و ما يعلنون على العموم إذ هو ظاهر اللفظ ، و قيل الذى أسروه الكفر ، و الذى أعلنوه الإيمان ، و قيل العداوة و الصداقة ؛ قرأ ابن محيص =

من ذلك فيخبر به أولياءه .

و لما ذكر سبحانه هذا الفريق الذى هو من أعلامهم كفرا و أعتاهم أمرا عطف عليه قسما أعتى[1] منه و أفظ لأن العالم يرجى لفته[2] عن رأيه أو تخجيله بالحجاج بخلاف المقلد العاتى الكثيف[3] الجافى فقال « و منهم

٥ اميون »[4] و يجوز أن يراد بهم من لا يحسن الكتابة و من يحسنها و هو غليظ الطبع بعيد عن الفهم ، لأن الأمى فى اللغة من لا يكتب أو من على خلقة الأمة لم يتعلم الكتابة و هو باق[5] على جبلته و حال ولادته و الغبى[6] الجلف[7] الجافى القليل الكلام ، فالمعنى أنهم قسمان : كتبة و غير كتبة ،

= « او لا تعلمون » بالتاء ، قالوا فيكون ذلك خطابا للمؤمنين و فيه تنبيه لهم على جهلهم بعالم السر و العلانية .

(١) فى ظ : اغبى (٢) لفته : صرفه ، من لفت فلانا عن رأيه صرفه (٣) فى ظ : الكثيف - بالتاء المثناة (٤) الأمى الذى لا يقرأ فى كتاب ولا يكتب ، نسب إلى الأم لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن أو يقرأن فى كتاب ، أو لأنه بحال ولدته أمه لم ينتقل عنها ، أو نسب إلى الأمة وهى القامة و الخلقة ، أو إلى الأمة إذ هى ساذجة قبل أن تعرف المعارف ، ظاهر الكلام أنها أنزلت فى اليهود المذكورين فى الكتاب فى الآية التى قبل هذه - قاله ابن عباس (من البحر المحيط) و ذكرت فيه أقوال . و قال أبو حيان بعد ذكر أقوال : و القول الأول هو الأظهر لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود فالضمير لهم . و قال على المهائمى : « و منهم اميون » أى باقون على ما ولدتهم أمهاتهم « لا يعلمون الكتب الاامانى » أى أحاديث قدرها المحرفون فى أنفسهم تقدير الأمانى الكاذبة و لا يتخلصون بذلك عن الكفر؛ لأنهم يعلمون أنهم كذابون فلا يحصل لهم الجزم بقولهم - انتهى كلامه (٥) ليس فى ظ (٦) فى م ومد : العى (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : الخلف - بالخاء المعجمة - كذا .

وهم المراد بالأميين، وهؤلاء مع كونهم لا يحسنون الكتاب يجوز أن يتعلموا القراءة تلقينا[1] ولا يفهمون المعانى، ويجوز أن يكون المعنى أنهم قسمان: علماء نحارير عارفون بالمعانى وجهلة غبيون لا حظ لهم من التوراة إلا القراءة الخالية عن التدبر المقرونة بالتمنى[2] ولذلك قال «لا يعلمون الكتٰب» أى بخلاف القسم الذى أكد فيه كونهم من أهل العلم . ٥

ولما كان المراد سلب العلم عنهم رأسا أبرز[3] الاستثناء مع كونه منقطعا فى صورة المتصل فقال «الا امانى» جمع أمنية[4]، وهى تقدير الوقوع فيما يترامى إليه الأمل، ويقال إن[5] معناه يجرى فى التلاوة للفظ كأنها تقدير بالإضافة لمن يتحقق له المعنى - قاله الحرالى . أى إن كانت

(١) فى ظ: تلقيط (٢) قال أبو حيان الأندلسى فى مناسبة ارتباط هذه الآية ما نصه: انه لما بين أمر الفرقة الضالة التى حرفت كتاب الله وهم قد عقلوه وعلموا بسوء مرتكبهم ثم بين أمر الفرقة الثانية المنافقين وأمر الثالثة المجادلة أخذ يبين أمر الفرقة الرابعة وهى العامة التى طريقها التقليد وقبول ما يقال لهم. قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: ومن هؤلاء اليهود المذكورون فالآية منبهة على عامتهم وأتباعهم أى أنهم لا يطمع فى إيمانهم، وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة «اميون» بتخفيف الميم - انتهى (٣) فى ظ: برز، وفى م: ابرفى - كذا (٤) وهى أفعولة: أصله أمنوية، وهى من منى إذا قدر، لأن المتمنى يقدر فى نفسه ويحرز ما يتمناه، أو من تمنى أى كذب قال أعرابى لابن دأب فى شىء حدث به: أهذا شىء رويته أم تمنيته؟ أى اختلقته . وقال عثمان: ما تمنيت ولا تغنيت منذ أسلمت، أو من تمنى إذا تلا قال تعالى «اذا تمنى القى الشيطٰن فى امنيته» أى إذا تلا وقرأ - البحر المحيط ١/٢٧٠ (٥) وفى ظ: بان .

الأماني مما يصح وصفه بالعلم فهي لهم لا غيرها من جميع أنواعه . و لما أفهم ذلك أن التقدير ما هم[1] الا يقدرون تقديرات[2] لا علم لهم بها عطف عليه قوله « و ان هم الا يظنون ه » تأكيدا لنفي العلم عنهم . و لما أثبت لهذا الفريق القطع على الله بما لا علم لهم به و كان هذا معلوم الذم محتوم
٥ الإثم سبب عنه الذم[3] و الإثم بطريق الأولى لفريق[4] هو أردؤهم[5] و أضرهم لعباد الله و أعداهم فقال « فويل » و الويل[6] جماع الشر كله - قاله الحرالي . « للذين يكتبون » أي منهم و من غيرهم « الكتب » أي الذي[7] يعلمون أنه من عندهم لا من عند الله « بايديهم » [8]و أشار إلى قبح هذا الكذب و بعّد رتبته في الخبث بأداة التراخي فقال[8] « ثم يقولون » لما كتبوه كذبا
١٠ و بهتانا « هذا من عند الله » [8]الملك الأعظم[8] ثم بين بالعلة[9] الحاملة لهم / على ذلك خساستهم و تراميهم إلى النجاسة و دناءتهم فقال « ليشتروا به » أي بهذا الكذب الذي صنعوه « ثمنا قليلا » ثم سبب عنه قوله « فويل

/ ٩٤

---

(١) في م: لهم . و قال البيضاوي: ماهم إلا قوم يظنون لا علم لهم؛ وهذا أوضح (٢) في م: تقديرا (٣) في ظ: الدم - بالدال المهملة (٤) في م: الفريق . (٥) في م: اردآؤهم (٦) الويل مصدر لا فعل له من لفظه و ما ذكر من قولهم وأل مصنوع ، و لم يجيء من هذه المادة التي فاؤها واو وعينها ياء إلا ويل و ويح وويس و ويب ، ولا يثنى ولا يجمع ، و يقال ويله و يجمع على ويلات ، قال:

فقالت لك الويلات انك مرجلي

و الويل معناه الفضيحة و الحسرة . وقال الخليل: الويل شدة الشر ، و قال الأصمعي: هي كلمة تفجع وقد يكون ترحما ومنه: ويل امه مسعر حرب - البحر المحيط ١/٢٧٠ (٧) في م و ظ: الذين ، و الظاهر أنه تفسير الكتب . (٨-٨) ليست في ظ (٩) في ظ: بالغلة - بالغين المعجمة .

لهم مما كتبت ايديهم » من ذلك الكذب على الله « و ويل لهم مما يكسبون » »
(١) أى يجدون كسبه(٢) مما اشتروه به(١) و جرد الفعل لوضوح دلالته على
الخبث بقرينة ما تقدم و إذا كان المجرد كذلك كان غيره أولى(١) . قال
الحرالى : و الكسب ما يجرى من الفعل و القول و العمل و الآثار على
إحساس بمنة فيه و قوة عليه - انتهى . و فى هذه الآية بيان لما شرف ٥
به كتابنا من أنه لإعجازه لا يقدر أحد أن يأتى من عنده بما يدسه فيه
فيلبس به - فلله المنة علينا و الفضل . و لما أرشد الكلام إلى أن التقدير :
حرفوا كثيرا فى كتاب الله و زادوا و نقصوا ، عطف عليه ما بين به
جرأتهم و جفاهم و عدم اكتراثهم بما يرتكبونه من الجرائم التى هم
أعلم الناس بأن بعضها موجب للخلود فى النار فقال تعالى « و قالوا ١٠

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) الكسب أصله اجتلاب النفع وقد جاء فى اجتلاب الضر و منه « بلى من كسب سيئة » و الفعل منه يجيء متعديا إلى واحد تقول : كسبت مالا و إلى اثنين تقول : كسبت زيدا مالا ، و قال ابن الأعرابى : كسب هو نفسه و أكسب غيره و أنشد :

فأكسبنى مالا و أكسبته حمدا

- قاله أبو حيان . وقال على المهائمى : « و ان هم الا يظنون » أى ما يبلغ اعتقادهم إلا هذا الظن الراجح إذ يظنون أنهم لا يجترؤن على تحريف كتاب الله فيقلدونهم و يتركون الأدلة القاطعة للمؤمنين لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين ، « فويل للذين » الآية المحرفة « ثم يقولون هذا » هو النازل « من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » أى ليأخذوا من الأميين باعطاء المحرف لهم قليلا من الرشا « فويل لهم » الآية ، أى فلهم الويل الزائد على عذاب الأميين من جهتين ليستا فيهم : من جهة كتابتهم للمحرف و من جهة اكتساب الرشا عليه - انتهى كلامه .

لن تمسنا » من المس[1] و هو ملاقاة ظاهر الشيء ظاهر غيره « النار » أى
المعدة فى الآخرة « الا اياما » و لما كان مرادهم بذلك أنهم لا يخلدون
فيها وكان جمع القلة و إن كان يدل على ذلك لكنه ربما استعير للكثرة
فدل على ما لا آخر له أو ما يعسر عده زادوا المعنى تأكيدا و تصريحا
٥ بقولهم « معدودة »[2] أى منقضية ، لأن كل معدود منقض . قال الحرالى :
و العد اعتبار الكثرة بعضها ببعض ، و اقتصر على الوصف بالمفرد لكفايته

---

(١) المس الإصابة و المس الجمع بين الشيئين على نهاية القرب ، و اللمس مثله لكن
مع الإحساس ، و قد يجيء المس مع الإحساس ؛ و حقيقة المس و اللمس باليد ،
و نقل من الاحساس إلى المعانى مثل « انى مسنى الشيطن » « كالذى يتخبطه
الشيطن من المس » و منه سمى الجنون مسا ، و قيل المس و اللمس و الجس
متقارب إلا أن الجس عام فى المحسوسات ، والمس فيما يخفى و يدق كنبض العروق ،
و المس و اللمس بظاهر البشرة ، و المس كناية عن النكاح و عن الجنون - قاله
أبو حيان . و ذكر فى نزول الآية أن سبب نزول هذه الآية أنهم زعموا أنهم
وجدوا فى التوراة مكتوبا أن ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن
ينتهوا إلى شجرة الزقوم ، قالوا : إنما نعذب حتى ننتهى إلى شجرة الزقوم فتذهب
جهنم و تهلك - روى ذلك عن ابن عباس ، و قيل إن النبى صلى الله عليه و سلم
قال : اليهود من أهل النار ، قالوا : نحن ثم تخلفوننا أنتم ، فقال : كذبتم ، لقد
علمتم أنا لا نخلفكم ، فنزلت هذه الآية - و لمزيد التفصيل فليراجع إلى البحر المحيط
٢٧٨/١ (٢) قال البيضاوى : محصورة قليلة ، روى أن بعضهم قالوا : نعذب بعدد
أيام عبادة العجل أربعين يوما ، و بعضهم قالوا : مدة الدنيا سبعة آلاف و إنما
نعذب مكان كل ألف سنة يوما .

فى هذا المعنى بخلاف ما فى آل عمران[1] .

و لما ادعوا ذلك ادعوا أن المسلمين يخلفونهم بعد ذلك فيها ، روى البخارى فى الجزية[2] و المغازى و الطب و الدارمى فى أول المسند عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبى صلى الله عليه و سلم شاة فيها سم ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : اجمعوا لى من كان ههنا ٥ من يهود ، فجمعوا له فقال : إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقى عنه ؟ فقالوا : نعم ، فقال لهم النبى صلى الله عليه و سلم : من أبوكم ؟ قالوا : فلان ، فقال : كذبتم ، بل أبوكم فلان ، قالوا : صدقت و بررت ؛ قال : فهل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟ قالوا[3] : نعم يا أبا القاسم ، و إن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا ؛ فقال لهم : من أهل النار؟ ١٠ قالوا[4] : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : اخسأوا فيها ! و الله لا نخلفكم فيها أبدا ؛ ثم قال : هل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم فى هذه الشاة سما؟ قالوا[4] : نعم ، قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، و إن كنت نبيا لم يضرك . و لما ادعوا ١٥ ذلك[5] كان كأنه قيل : فبما ذا نرد عليهم ؟ فقال « قل » منكرا لقولهم[6] « اتخذتم » فى ذلك « عند الله »[7] أى الذى له الأمر كله[7] « عهدا فلن »

---

(١) زاد فى م ومد : فانه لبيان اجترائهم على العظائم (٢) فى م : الخبرية ، و هى محرفة (٣) فى ظ : فقالوا (٤) فى م ومد : فقالوا (٥) ليس فى م (٦) زيد فى م ومد : ذلك (٧-٧) ليست فى ظ .

أى فيتسبب عن ذلك أنه يوفى بعهده، لأنه « لن يخلف الله »[١] [٢] الذى له صفات الكمال[٢] « عهده ام »[٣] لم يكن ذلك فأنتم « تقولون على الله »[٢] المحيط بكل شيء قدرة و علما[٢] « ما لا تعلمون ﴿٨٠﴾ » و معنى الإنكار فى الاستفهام أنه ليس واحد من الأمرين واقعا[٤]، لا اتخذتم عهدا و لا قلتم ٥ ذلك جهلا، بل قلتموه و أنتم تعلمون خلافه[٥]، و لما انتفى الأمران علم أن الكائن غير ما ادعوه فصرح به فى قوله « بلى » أى لتمسنكم على خلاف ما زعمتموه، فان بلى كلمة تدل على تقرير[٦] يفهم من إضراب عن نفى كأنها بل وصلت بها الألف إثباتا لما أضرب

(١) زيد فى م : اى (٢-٢) ليست فى ظ (٣) قال على المهائمى: «ام » لم تتخذوه ولكن «تقولون ما لا تعلمون » صدقه من الخبر المروى عن يعقوب عليه السلام أن الله تعالى عهد إليه أن لا يعذب بنيه إلا تحلة القسم ، فان صح عنه فالمراد أولاد صلبه لا ذريته النازلة المشتملة على مؤمن وكافر، قال عزوجل ليس كما يقولون. (٤) زيد فى م و مد : كما فى قوله تعالى « افترى على الله كذبا ام به جنة » وأم معادلة هنا للهمزة و إن اختلف الفعلان ، كما ذكر دليله فى آخر سورة ص (٥) زيد فى م و مد: ولذلك ذكرهم بتكرير الاسم الأعظم مظهرا غير مضمر ما له من الجلال و الجمال الذى عاينوا كثيرا منه استعطافا لهم إلى الخير وتخويفا (٦) من ظ ، وفى الأصل : تقدير؛ و فى البحر المحيط : بلى حرف جواب يثبت به ما بعد النفى فلما قالوا «لن تمسنا النار » أجيبوا بقوله «بلى» ومعناه تمسكم النار و المعنى على التأبيد و بين ذلك بالخلود. وفى البيضاوى: «بلى» إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ، و يختص بجواب النفى .

عن نفيه - قاله الحرالى . [1]و نعم جواب لكلام لا جحد فيه[1] . و لما أضرب سبحانه عما قالوه من القضاء فى الأعيان قاضيا عليهم بالخسران علل ذلك [2]بوصف هم[2] به متلبسون[3] معلما بأن من حق الجاهل بالغيب الحكم على الأوصاف التى ناط علام الغيوب بها الأحكام فقال « من كسب سيئة » أى[4] عملا من حقه أن يسوء « و احاطت به خطيئته » بحيث لم يكن شيء ٥ من أحواله خارجا عن الخطيئة بل كانت غامرة[5] لكل ما سواها من أعماله ، و لا يكون ذلك إلا للكفر الهادم لأساس الأعمال الذى لايتأتى بقاء الأعمال بدونه . [6]و لما كان إفراد الضمير أنصّ على جزاء كل فرد و الحكم بالنكال على الكل أنكأ و أروع[7] و أقبح و أفظع و أدل على القدرة أفرد[8] ثم جمع فقال آتيا بالفاء دليلا أن أعمالهم سبب دخولهم النار : ١٠ « فاولئك » [9]أى البعداء البغضاء[6] « اصحٰب النار هم »[9] خاصة « فيها[10] خلدون ○ »[11] .

(١-١) ليست فى ظ (٢-٢) فى ظ : بوصفهم (٣) فى م : ملتبسون (٤) زيد فى ظ : عمل (٥) فى ظ : عامرة - بالعين المهملة (٦) العبارة من هنا إلى « دخولهم النار » ليست فى ظ (٧) فى م فقط : اردع (٨) فى م : فرد (٩) زيد فى م : اى . (١٠) زيد فى مد : لا فى غيرها لأنهم لايخرجون منها (١١) قال البيضاوى فيمن تحيط به خطيئته ما نصه : وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا و لم يقلع عنه يجره إلى معاودة مثله و الانهماك فيه و ارتكاب بما هو أكبر منه حتى يستولى عليه الذنوب و يأخذ بمجامع قلبه ، فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصى مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوآى ان كذبوا بايٰت الله » .

و لما بان بهذا ما لهم و لكل من شاركهم فى هذا الوصف [1] عطف عليه ما لمن ادعوا أنهم يخلفونهم فى النار و لكل من شاركهم فى وصفهم [1] الذى استحقوا به ذلك فقال [2] «و الذين ءامنوا» أى أقروا بالوحدانية بألسنتهم «و عملوا الصلحت» بيانا لأن قلوبهم مطمئنة بذلك «اولئك» العالو المراتب الشريفو المناقب، و لم يأت بالفاء دلالة على أن سبب ٥ سعادتهم إنما هو الرحمة «اصحب الجنة» [3] لا غيرهم [3] «هم» أى خاصة «فيها» [4] «خلدون» ».

(١-١) ليست فى ظ (٢) قال أبو حيان الأندلسى: المراد بالذين ءامنوا أمة محمد صلى الله عليه و سلم و مؤمنو الأمم قبله - قاله ابن عباس و غيره، وهو ظاهر اللفظ. (٣-٣) ليست فى ظ و م (٤) زيد فى م و مد: اى لا فى سواها لانهم لا يبغون عنها حولا.

* * * *

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الأول من تفسير «نظم الدرر
فى مناسبات الآيات و السور» للشيخ العلامة أبى الحسن إبراهيم بن عمر
البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الجمعة الحادى و العشرين من شهر صفر
المظفر سنة ١٣٨٩ هـ = ٩/ مايو سنة ١٩٦٩ م . اعتنى بتصحيحه و التعليق ٥
عليه الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية
بحيدر آباد عم فيضه، و عنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة، تحت إشراف
الأديب الفاضل صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير
الدائرة و عميدها و رئيس قسم آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية
أبقاه الله لخدمة العلم و الدين . ١٠

و يليه الجزء الثانى إن شاء الله تعالى أوله «ثم شرع سبحانه يقيم
الدليل على أنهم ممن أحاطت به خطيئته فقال "و اذ" - الخ» .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه
أجمعين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . ١٥

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله الرشيد القادرى
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية